



تصدر عن كلية الآداب
جامعة ذمار

الآداب

العدد الخامس - يناير ٢٠٠٩

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية

هجرة العلماء من والى بغداد للمدة 656-734هـ/1258-1336م

تطور خطوط الملاحة البحرية في جنوب غربي آسيا بين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد

تطور حركة المجتمعات والتحدي الحضاري عند ابن خلدون

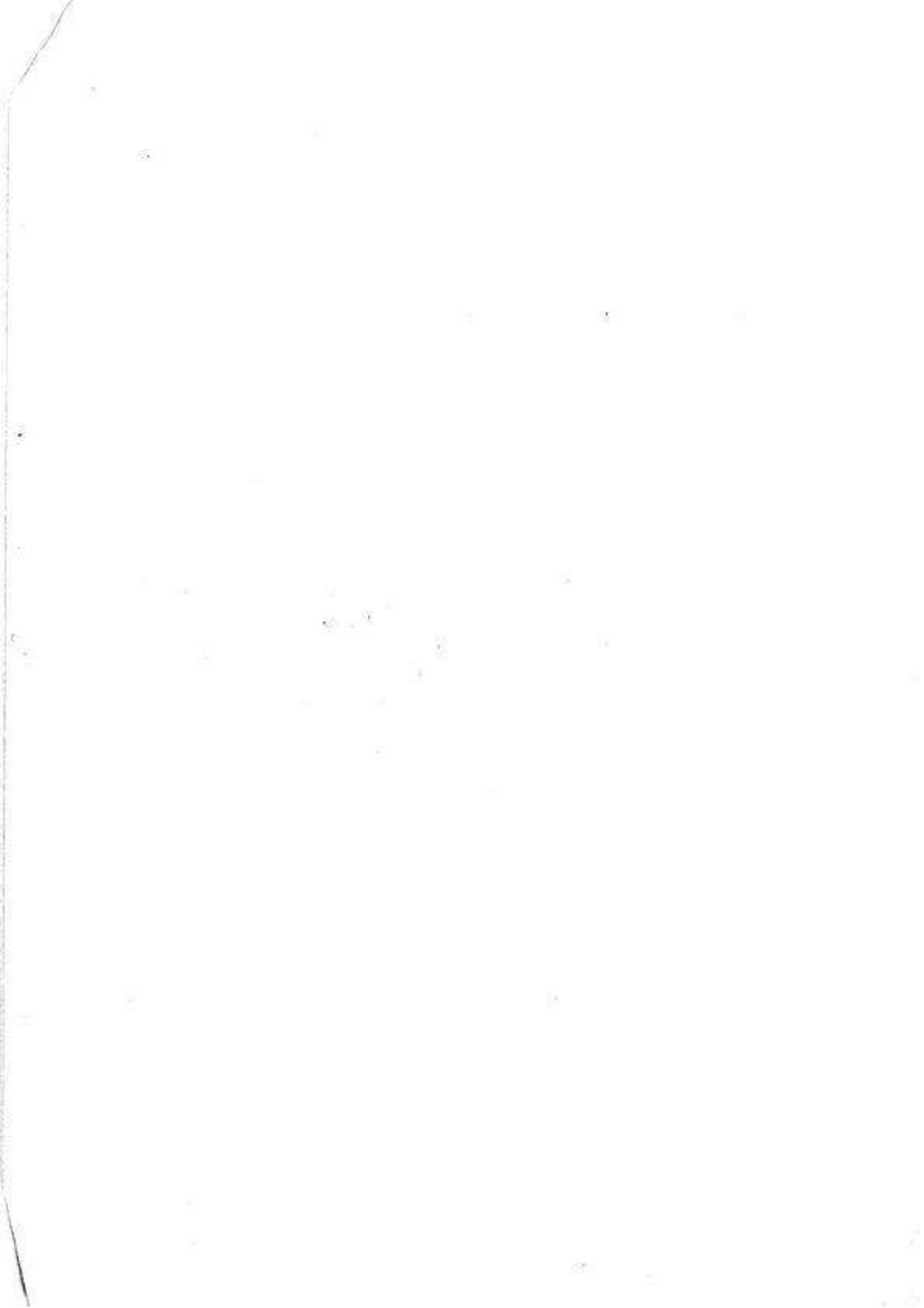
التجارة الخارجية للجمهورية اليمنية - دراسة جغرافية

اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية في محافظة حضرموت

Phonemic Problems Confronting Arab University Students in English Pronunciation

الآداب العدد الخامس - يناير ٢٠٠٩م , 2009 , Arts⁵rd Issue

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





تسلفها كلية الآداب

الهيئة الاستشارية

- أ. د. أمين عبد الله الحميري
- أ. د. أحمد عبده صالح
- أ. د. عبد العزيز المقالح
- أ. د. أحمد عبد الله الصويح
- أ. د. عبد الوهاب رباح
- أ. د. أحمد باطباع
- د. مهيبوب شالب أحمد
- د. ميارش أحمد سعيد

التراسلات

جامعة ذمار - كلية الآداب
مستودق بريد، 87246، ذمار - اليمن
تلفاكس 06 509584
البريد الإلكتروني : arts96@yahoo.com

مجال الآداب

- جميع الحقوق محفوظة .
- لا يحق إعادة نشر المواد المنشورة في
المجلة دون استئذان إدارتها .
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في
المجلة دون ذكر المصدر .

الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
العدد الخامس يناير 2009 م

الإشراف العام

أ. د. أحمد محمد الحضراتي

رئيس التحرير

أ. د. محمد حزام العماري

مدير التحرير

أ. د. كريم زغير المالكى

أعضاء هيئة التحرير

- أ. د. صادق ياسين الجلو
- د. أحمد العيسادي
- د. مديحة محمد رشاد

التدقيق اللغوي

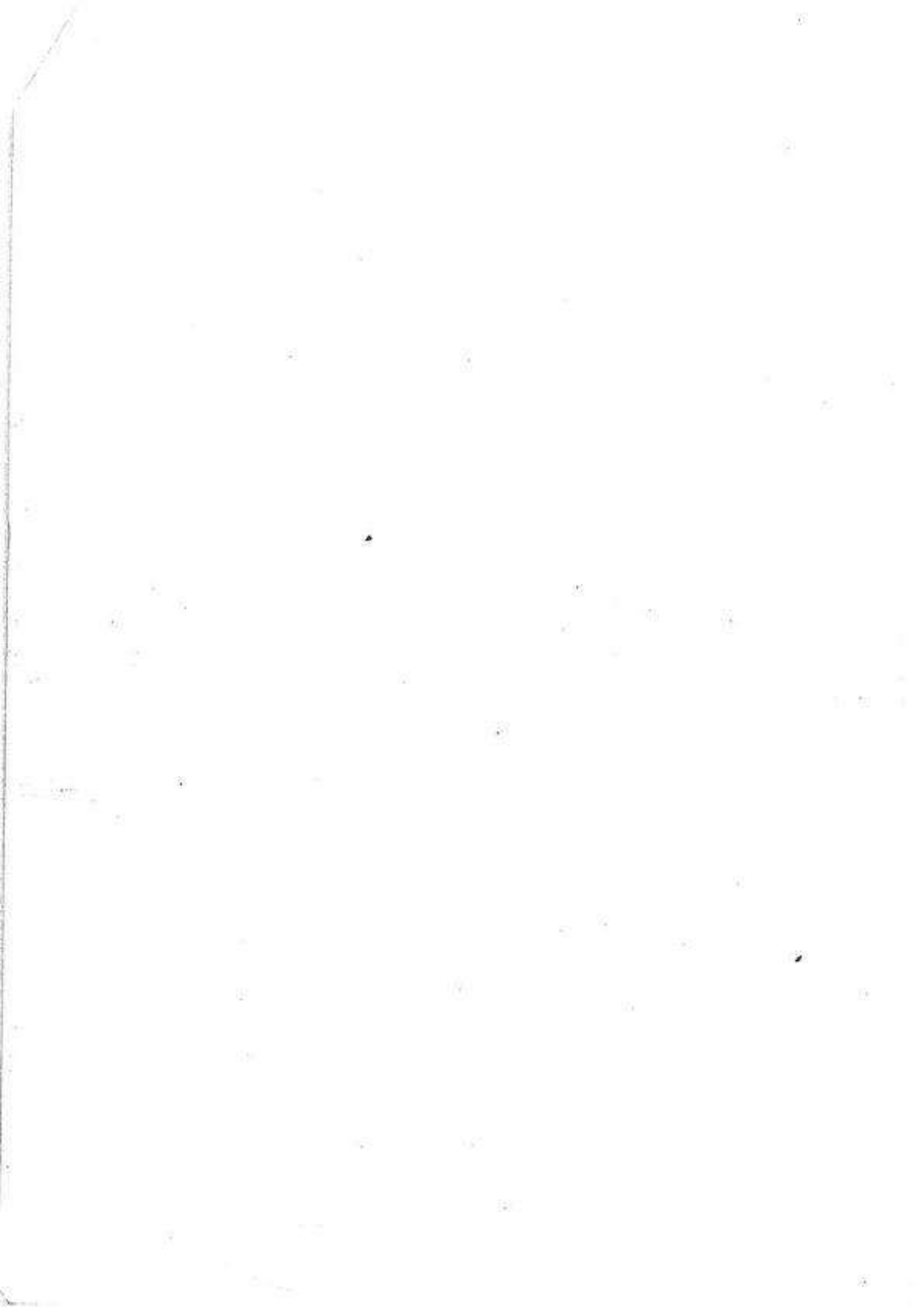
د. عبد الكريم البحلة

سكرتير التحرير

مشعل ناصر شرهان

الصف والإخراج

محمد محمد سبيع
أشواق الحماسي



قواعد النشر بالمجلة

مجلة الآداب مجلة علمية محكمة أكاديمية تعنى بالعلوم الإنسانية تصدرها كلية الآداب ، وترحب بالبحوث والدراسات التي تتميز بالأصالة والخبرة ، وتسهم في إضاءة أفق المثقفي بألق المعارف الإنسانية ، وتقبل لنشر الدراسات والبحوث والمقالات والنصوص الإبداعية وفقا للشروط الآتية :

- 1- تخضع الأبحاث المقدمة للنشر للتحكيم من قبل محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص على نحو سري وفي ضوء ذلك إذا طلب المحكم إجراء بعض التعديلات على البحث ، فيبلغ الباحث لإجراء التعديلات المشار إليها .
 - 2- لا يقبل نشر البحوث التي تتجاوز 20 صفحة A4 .
 - 3- تقدم المواد مصفوفة على الحاسوب الآلي وترسل بثلاث نسخ مع قرص مدمج CD .
 - 4- يكون توثيق الهوامش في نهاية المادة ، وبراعي في ترتيب المراجع توثيقا دقيقا وترقيما موحدا وعلى النحو الآتي :
 - أ) الكتب : اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، اسم المطبعة ، رقم الطبعة ، مكان طبع ، تاريخ الطبع ، رقم الصفحة .
 - ب) الدوريات : اسم المؤلف ، اسم المقال ، العدد ، المطبعة ، مكان الطبع ، التاريخ ، رقم الصفحة .
 - ج) الرسائل الجامعية : اسم صاحب الرسالة ، عنوانها ، الجامعة والكلية ، تاريخ إجازتها رقم الصفحة .
 - 5- تتولى المجلة إبلاغ أصحاب الأبحاث المجازة بقبول أبحاثهم للنشر .
 - 6- تنشر المجلة ملخصات الرسائل الجامعية المجازة ، وتقارير المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية وعروض الكتب في مجالات الأدب واللغات الإنسانية والعلوم النفسية والاجتماعية .
 - 7- تنشر المجلة الأبحاث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية .
 - 8- تمتنع المجلة عن نشر أية مادة سبق نشرها أو قبولها للنشر .
 - 9- أصول الأبحاث المرسلة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .
 - 10- يقدم الباحثون الذين ينشرون لأول مرة سيرة علمية مختصرة عن أنفسهم .
 - 11- يرفق ملخص للبحث باللغة العربية على ألا يزيد عدد كلماته عن 200 كلمة .
- توجه المراسلات والبحوث باسم رئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي :

جامعة ذمار - كلية الآداب

اليمن - ذمار

تلفاكس : 06 509584

العنوان البريدي : ص . ب : 87246 كلية الآداب

E-mail : arts96_2006@yahoo.com

الآداب مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب جامعة ذمار

العدد (5) - يناير 2009م

فهرس المحتويات

أ. د. أحمد محمد الحضرائي رئيس جامعة ذمار	7	كلمة المشرف العام
أ. د. محمد حزام العمري	9	❖ كلمة رئيس التحرير
أ. د. عادل معيسى الدين الألويسي	11	❖ هجرة العلماء من وإلى بغداد للعدة 656 - 734هـ/ 1258 - 1336م
د. مهديوب غالب احمد كليب	25	❖ تطور خطوط الملاحة البحرية في جنوب غربي آسيا (بين الألفين الثالث والأول قبل الميلاد)
أ. د. صادق ياسين العلو	57	❖ تطور حركة المجتمعات والتعدي الحضاري عند ابن خلدون
د. يعيسى حسين النونكو	65	❖ مشاهير من القضاة في ذمار في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري
د. عامر عيسى زيدان المرسومي	99	❖ التوجه القومي للنعمان بن النضر
د. مهدي عربي حسين	155	❖ التبعة عند العرب قبل الإسلام
د. غزالي دحام فهمد المرسومي	139	❖ ميزانية البلاط الملكي في عهد الملك غازي ملك العراق 1933.1939 دراسة وثائقية
أ. د. وليد محمود خالمن	167	❖ استقلالة النهج في كتاب [الوعاويون والعراق] للكتور رسول محمد رسول
د. مارش أحمد سعيد العديني	189	❖ التجارة الخارجية للجمهورية اليمنية - دراسة جغرافية
د. عبيدالرزاق الهسيوتي	229	❖ معوقات البحث الميداني في جامعة تعز بحث سوسيولوجي ميداني للمعوقات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس (الجزء الثاني)
د. عصام طالسب السحائم	267	❖ مقترحات تطبيقية لآلية العمل الميداني في دراسة تنمية الأراضي الزراعية لمنطقة معينة. (دراسة في جغرافية التنمية)
د. سالم عيسدالله ياصريج	283	❖ اتجاهات توطن الحاصلين الزراعية في محافظة حضرموت
د. غزالي يوسف اليوسف	317	❖ مشكلة القضاء العالي وقتها من خلال سورة يوسف (عليه السلام)
د. محمد سرحان التمر	357	❖ قاعدة اليقين لا يزول بالشك دراسة نظرية تأسسية تطبيقية
د. أحمد حمزة السعيد	375	❖ النهي في الصريح في القرآن الكريم
د. عيساس نعيشل نعمه	395	❖ Morphophonemic Problems Confronting Arab University Students in English Pronunciation

❖ المواد المنشورة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

❖ ترتيب المواد في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.



كلمة المشرف العام

نظل علينا الذكرى التاسعة عشر لقيام الوحدة اليمنية المباركة وهي تزخر بالفخر والإنجازات العظيمة التي تحققت في ظل قيادة فخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية (حفظه الله) ومنها التعليم العالي والبحث العلمي، المنار العلمي الذي يسعى إلى رقي المجتمع ويدفع بالتطور نحو بناء المعرفة الإنسانية في جميع المجالات ، وتزامناً مع أعياد شعبنا بذكرى الوحدة المباركة، سعت وتسعى الجامعة بتصعيد الاسهام العلمي للباحثين والأكاديميين من خلال البحوث العلمية في المجلات العلمية الرصينة الدورية التي تصدر من جامعتنا و كلياتها، وذلك من اجل إبراز دور الباحثين في جميع مجالات البحث العلمي والمعرفي ، وبالفعل كان لدور تلك المجلات العلمية أثر فعال في نشر العلم والمعرفة ، وحينما أطلعت على الأبحاث التي أعدت بالعدد الخامس 2009م لمجلة كلية الآداب، وجدت تنوعاً في جميع الاختصاصات الإنسانية التاريخ ، الجغرافيا ، الاجتماع ، اللغة العربية، اللغة الانجليزية ، علوم القرآن ، وبعض من هذه البحوث قد أرسلت من جامعات عربية منها جامعة السلطان قابوس وكلية الدراسات الإسلامية بديبي وهذه البحوث تتماشى مع متطلبات المجتمع والتنمية الاجتماعية، حيث تسعى الجامعة على الدوام إلى أن تكون رافداً متفاعلاً ومتواصلاً مع المجتمع للسير في ركب العالم المتطور.

وبهذا أهيب بجميع الباحثين بإرسال نتاجهم العلمي إلى المجلات العلمية في جامعتنا، فضلاً عن شكري وتقديري إلى العاملين على المجلة لاستمرار وتيرة التواصل العلمي.

والله الموفق ،،

أ. د. أحمد محمد الحضرائي
رئيس الجامعة
المشرف العام على المجلة



كلمة رئيس التحرير

يأتي العدد الخامس لمجلة كليتنا (كلية الآداب) ضمن خضم احتفالات شعبنا اليمني الأصيل بالذكرى التاسعة عشر لإعادة الوحدة المباركة التي أعادت لليمن أرضاً وإنساناً عزته وشموخته بين الأمم بعد أن كان يضرب المثل السلبي بتشطيره (اليمن يمتان) .

فالوحدة اليمنية لم تكن تعني دمج نظامين سياسيين فحسب ولكن إعادة جمع شمل أسرة واحدة بعد فرقة ولذلك التمس الشعب اليمني كله خيراتها وبرزت هذه الخيرات النهضة العلمية والفكرية حيث تضاعفت أعداد الجامعات الحكومية والخاصة وتزامن معها إزدياد عدد الأكاديميين والباحثين ، ومن ضمنها جامعة ذمار الفتية التي تعمل على تحفيز الباحثين في مختلف التخصصات العلمية لنشر أبحاثهم الأصيلة من خلال المجلات العلمية المحكمة ومن هذه المجلات مجلتنا العلمية التي بين أيدي القراء الأعزاء التي تحتوي على سبعة عشر بحثاً محكماً لباحثين أكاديميين وغيرهم من مختلف الجامعات اليمنية الواقعة في شرق البلاد و غربها أو في جنوب البلاد و شمالها .

نأمل أن يشكل هذا العدد لبنة إضافية للمكتبة اليمنية ومرجعاً جيداً للباحثين وطلبة الدراسات العليا وغيرهم .

وختاماً لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الحضراتي رئيس الجامعة المشرف العام على المجلة على دعمه المادي والمعنوي لإخراج هذا العدد إلى حيز الوجود .

وعليه أدعو زملائنا الباحثين والأكاديميين إلى نشر أبحاثهم الأصيلة في الأعداد القادمة مع إبداء أية ملاحظة قيمة لخدمة العلم والمعرفة التي يراها فخامة الأخ / علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية (حفظه الله)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛

أ.م. د. محمد حزام العماري

عميد كلية الآداب

هجرة العلماء من وإلى بغداد

للمدة 656 – 734 هـ / 1258 – 1336 م

أ. د. عادل محيي الدين الأنوسي*

منهج البحث:

يتناول بحثي هجرة العلماء زمن المغول الإيلخانيين وعلى وجه الخصوص بعد واقعة بغداد 656 هـ/1258م، ومع أن مصادرنا التاريخية إن لم نقل كل تأليفنا قد أجمعت على أن الخراب والدمار الشاملين قد حلا ببغداد بعد هذه الواقعة، وأن همجية هؤلاء الغزاة ووحشيتهم ووثيتهم قد ذهبت بكل ما يعود للعلم والثقافة إلى جانب تعطيلها مفاصل الحياة العامة الأخرى، وهي مسألة درجنا عليها واعتدنا سماعها، ولكننا أغفلنا أمراً بالغ الأهمية، وهي أن بغداد حاضرة الخلافة العربية الإسلامية، أم الدنيا، وقلعتها الشامخة قد تجاوزت هذه المحنة، فلم تشهد إلا ركوداً ثقافياً محدوداً لم يدم طويلاً، عادت بعده كما كانت مركزاً يستقطب العلماء من كل فج عميق، تنتشر فيها المدارس التي تضم آلاف الطلاب وخيرة التدريسيين البغداديين وغير البغداديين عرباً ومسلمين.

في هذا الإطار العام يدور بحثي الإحصائي المؤلف من نقاط ثلاث:

تناولت النقطة الأولى، العلماء الذين أسروا من قبل المغول، والذين تركوا بغداد لسبب أو لآخر فمنهم من هرب خوفاً، ومنهم من طلب الهجرة سياحة أو زهداً وتصوفاً، أو رحلة في طلب العلم.

وفي النقطة الثانية، تناول البحث العلماء الذين قدموا إلى بغداد بعد الواقعة حتى نهاية

النسلط الإيلخاني على العراق.

وتركت النقطة الثالثة، لأدون فيها ملاحظاتي التي استخلصتها من البحث وهي في نظري

جوهر ما أتوخاه، وأملني أن أوفق في ذلك.

والله من وراء القصد والحمد لله رب العالمين

* أستاذ التاريخ الإسلامي كلية الآداب - جامعة ذمار - اليمن

أ. الأسرى من العلماء خلال الواقعة:

1. ابن الفوطي (642-723هـ)، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي نسبة إلى جده لأمه الذي كان يبيع الفوط من ذرية معن بن زائدة⁽¹⁾، ولد ببغداد وعنى بالأدب والحديث وعرف بخطه الجيد، وتعلم على يد كمال الدين الحموي، وفخر الدين الخفاجي⁽²⁾، شهد واقعة بغداد وعمره أربعة عشر عاماً، واطلع على حوادثها ولم تؤثر فيه الواقعة فاستمر في اتصاله بالعلماء والمحدثين والأدباء، وحفظ المقامات الحريرية⁽³⁾، وبعد الغزو أخذ أسيراً إلى أوريجان واستمر أسره إلى سنة 658هـ، وقد قضى خارج بغداد بعد الأسر شظراً كبيراً من حياته يناهز ربع القرن 656-679هـ، قضاهما في تبريز ومراغة وحواضر أخرى، اتصل بعلمائها وحكائها وأعيانها⁽⁴⁾. عاد إلى بغداد بعد غربته وأقام في المحلة الجعفرية مع أهله، وتولى خزانة كتب المستنصرية، وهو آخر منصب تولاه إلى أن مات مفلوجاً عام 723هـ، عن عمر بلغ الواحد والثمانين عاماً⁽⁵⁾، ومن تأليفه: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، وكتاب مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب في خمسين مجلداً، وكتاب تلخيص مجمع الألقاب وهو اختصار مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب⁽⁶⁾.
2. الأبهري (توفي سنة 762هـ)، عماد الدين أبو محمد الحسن بن محمد الأبهري شيخ رباط الخلاطية، يعرف بالزمهرير لبرودة في لهجته⁽⁷⁾. كان ببغداد لما وقعت الواقعة، وأخذ مع الأسرى إلى مراغة، عاد إلى بغداد بصحبة نصير الدين الطوسي الذي تشفع له عند (ولجاي خاتون) ونزل في خدمته سنة اثنتين وسبعين وستمئة، ورتب شيخاً بالرباط، وكتب له التحف أي (التوقيع)⁽⁸⁾.
3. ابن المحيا العباسي (ت 673هـ)، محيي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين يحيى بن هبة الله ابن المحيا العباسي الكوفي البغدادي، النقيب المدرس في المستنصرية الخطيب شيخ رباط الشونيزية، وقد أسر بعد الواقعة مباشرة وعمره تسع سنين⁽⁹⁾. وفي مراغة حيث استقر الأسر، قرأ على الطوسي والقزويني وعاد إلى بغداد، وولي القضاء بالجانب الغربي ونرس الحنفية بالمستنصرية، ولما مات دفن في قبة الإمام أبي حنيفة⁽¹⁰⁾.

ب. العلماء المهاجرون من بغداد:

1. البلاي الأموي (685-754هـ)، عمر بن عمران بن صدقة البلاي الأموي، نسبة إلى بلال بن الوليد بن هشام بن عبد الملك بن مروان، قدم إلى بغداد من بلاد كيلان، ودرس في المستنصرية، وكان على خصومة مع ملك التتر لاتهامه بمكاتبة المصريين وإفشاء أخبارهم، وقد سافر هرباً إلى دمشق وأقام فيها مسجوناً خمس سنوات⁽¹¹⁾.
2. ابن الزجاج (612-685هـ)، عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس البغدادي الحنبلي المعروف بابن الزجاج⁽¹²⁾، من أهل المأمونية ببغداد، وكان شيخاً عالماً فقيهاً محدثاً متبعاً السنة شديداً على المبتدعة⁽¹³⁾، خرج من بغداد متجهاً إلى الشام ومنها توجه إلى الحجاز سنة 684هـ، ومنها عاد إلى دمشق ليواصل جهاده وبها توفي ودفن⁽¹⁴⁾.
3. الأصفهاني: علاء الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن عباد الأصفهاني البغدادي، عين محتسباً على مدينة السلام عام 673هـ، ولسوء تصرفه وإهماله لواجبه هرب من العراق إلى الشام ثم إلى الحجاز حيث تصوف إلى جوار الحرم الشريف⁽¹⁵⁾.
4. السكرجي: علاء الدين علي بن عبد المؤمن بن كردمير التركستاني، اشتغل في المدرسة العلانية التي بنيت عام 693هـ وإليه نسبت، وقد هجر بغداد متوجهاً إلى أذربيجان عام 705هـ⁽¹⁶⁾.
5. الفراري: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية، هرب من بغداد بعد الغزو إلى دمشق وفيها زاول التدريس بالمدرسة الشافعية، ولما دخل التتار إلى دمشق نفى إلى مصر⁽¹⁷⁾.
6. النوجا باذي: ظهير الدين أبو المظفر البخاري، ولد سنة 616هـ وقدم من كرمان لما استدعاه صاحب علاء الدين للتدريس في المستنصرية، وكان عالماً فقيهاً بالمشهد الحنفي، له تصانيف منها: "كشف الإبهام لدفع الأوهام" و "كشف الأسرار" في أصول الفقه و تلخيص القدوري، درس الحنفية بالمستنصرية وسافر إلى دمشق وفيها توفي⁽¹⁸⁾.
7. النوجا باذي الابن: فخر الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن عمر البخاري، قدم من كرمان ونزل ببغداد مدرساً في المغنثية سنة سبع وسبعين وستمائة⁽¹⁹⁾، تولى الحسبة بجانبى بغداد وتوجه مع والده إلى الشام وفيها كانت وفاته⁽²⁰⁾.

8. الدافغاني البغدادي (ت 658هـ)، فخر الدين أبو طالب أحمد بن محمد ابن الحسن الدافغاني البغدادي صاحب الديوان، تولى أرفع المناصب زمن الخليفين العباسيين المستنصر بالله والمستنصر بالله، ولما قتل الأخير رحل إلى أذربيجان، وقد استشهد في نواحي أشنوية سنة 658هـ⁽²¹⁾.
9. ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان الأربلي، فقيه وأديب وشاعر ومؤرخ (681هـ) صاحب كتاب "وفيات الأعيان" و "سيرة الملك الظاهر بيبرس البندقداري"⁽²²⁾.
10. عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، مؤرخ (682هـ) له كتاب "سير الملك الظاهر بيبرس"⁽²³⁾.
11. عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج الفاروئي الواسطي، محدث وفقهه (694هـ)، وقد زُعم أنه خلف ألفين ومائتي مجلد⁽²⁴⁾.
12. سيف الدين الساوي أحمد بن محمد بن علي بن جعفر الصدر الأديب الرئيس سيف الدين الساوي (696هـ)، نزل دمشق وأقام فيها عمل الأرجوزة المشهورة بالسامرية⁽²⁵⁾.

ج. القادمون من العلماء إلى بغداد

1. رضي الدين طاموس (589-664هـ) أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد.... بن محمد الطاموس، ولد في الحلة ثم غادرها إلى بغداد وأقام فيها خمسة عشر عاماً ثم عاد إلى الحلة، وفي زمن المغول عاد إلى بغداد وولي نقابة الطالبين مدة ثلاث سنين وأحد عشر شهراً من قبل هولاكو مع امتناعه عن قبول هذه الولاية في عهد المستنصر بالله⁽²⁶⁾، له كتب ومؤلفات في التاريخ والأحكام والفلك تزيد على الثلاثين كتاباً، طبع منها أربعة عشر كتاباً⁽²⁷⁾.
2. نصير الدين الطوسي (ت 672) الخواجة أبو جعفر محمد بن الطوسي، قدم إلى بغداد سنة 662هـ من مراغة بصحبة السلطان أبي قاخان⁽²⁸⁾، وكان هو وابنه فخر الدين أحمد يشرفان على مدارس بغداد ومنها المستنصرية، وكانت وفاته في بغداد سنة 672هـ⁽²⁹⁾، وقيل إنه انتحر في هذه السنة ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب قديم البناء خال من الدفن⁽³⁰⁾.

3. نور الدين العبدلياني: (624-684هـ)، أبو طالب عبد الرحمن بن عمر الحنبلي الملقب نور الدين القدير⁽³¹⁾، ولد بناحية عبد ليا في البصرة واليهما نسب، قدم إلى بغداد وسكن بمدرسة أبي حكيم، وعين فقيهاً بالمستنصرية، وأذن له بالفتوى سنة 648هـ⁽³²⁾، وبعد وقعة بغداد درس الحنبلية بالمدرسة البشيرية سنة 662هـ، وله عدة تصانيف منها "جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم" و"الحاوي في الفقه" و"الشافى في المذهب الحنبلي"، دفن في مقبرة بباب حرب بين يدي الإمام أحمد بن حنبل⁽³³⁾.
4. الطهراني الرازي (ت667هـ) فخر الدين أبو بكر عبد الله قدم إلى بغداد وتولى القضاء والتدريس والحسبة، وكان من المقربين إلى هولاءكو وزعم أنه كان يعمل لحسابه، وقد دفن بالخيزرانية⁽³⁴⁾.
5. ابن الأبري البغدادي (584-667هـ) كمال الدين أبو عبد الله محمد ولي قضاء واسط أيام المستنصر بالله سنة 627هـ⁽³⁵⁾، ولما فتحت المستنصرية رتب فيها معيذاً، وبعد الواقعة درس فيها المذهب الحنفي بعد أن قدم إليها من واسط⁽³⁶⁾.
6. مجد الدين طاووس العلوي: من أشرف الحلة وعلمائها المعروفين قدم إلى بغداد بعد فتحها بصحبة جماعة من العلويين والفقهاء ومثلوا أمام هولاءكو وسألوه حقن دمايتهم وإطلاق حرياتهم للعمل في بلادهم فأجاب طلبهم وعين لهم (شحنة)⁽³⁷⁾ فعادوا إلى بلادهم الحلة⁽³⁸⁾.
7. التبريزي: فخر الدين أبو المكارم أحمد بن القاضي مجد الدين.... ابن الحسين الشريف الحسيني التبريزي الحاسب الكاتب الشاعر، وقد قدم إلى بغداد سنة تسع عشرة وسبعمائة وسلم حساب الديوان والوقوف⁽³⁹⁾.
8. ابن الطقطقي: (660-709هـ) جلال الدين أبو جعفر محمد بن تاج الدين أبي الحسن علي بن طباطبا الحسني العلوي المؤرخ البارع⁽⁴⁰⁾، تولى زعامة العلويين في الحلة والنجف وكربلاء بعد وفاة والده سنة 680هـ، تزوج امرأة من خراسان وزار مراغة وعاد إلى بغداد، ومن ثم سافر إلى الموصل، وفيها ألف مصنفة المشهور

- الفخري" الذي أهده إلى (فخر الدين عيسى بن إبراهيم) عامل غازان المغولي على الموصل وقد فرغ من تأليفه سنة 701هـ⁽⁴¹⁾.
9. المخزومي: (682هـ-)، محيي الدين أبو المحامد يحيى بن شمس الدين... ابن أحمد الخالدي المخزومي الشبذي نسبة إلى شبذ وهي من قرى أبيور⁽⁴²⁾، وفيها قرأ القرآن المجيد وسمع الحديث الشريف، قصد بغداد وسكنها ونزل بأهله دارسوسيان⁽⁴³⁾، تولى خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية سنة 671هـ وبقي فيها إلى أن توفي⁽⁴⁴⁾.
10. كهف الدين القصري: أبو إبراهيم إسماعيل بن عثمان..... القصري نسبة إلى قصر أبي هبيرة، كان عالماً حافظاً واعظاً، وقد ورد إلى بغداد سنة 675 ووعظ في المدرسة المستنصرية⁽⁴⁵⁾، تعرف عليه ابن الفوطي وحصل منه على كراسة بخطه⁽⁴⁶⁾.
11. عز الدين اليماني الهاشمي: يحيى بن قاسم بن عمر بن علي وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في صنعاء سنة 680هـ باليمن و هو شافعي المذهب، وقد رحل إلى بغداد وتولى إمامة الشافعية في المستنصرية، وقرأ بها القرآن على ابن المحروق الواسطي زار خراسان ودمشق وقصد مكة حاجاً وهو شيخ في السبعين من العمر وفيها توفي⁽⁴⁷⁾.
12. فخر الدين أبو سعيد: (631-685هـ) بن شرف الدين علي بن الملك جمال الدين قشمر التركي الأمير ولد في الحلة سنة 631هـ، ورتب على عهد المستنصر بالله وعمره خمس سنين وهو أصغر أمير رتب في الدولة العباسية وبقي بعد أخذ بغداد، صنّف كتباً في البيطرة والصيد، رغب العيش في بغداد وأذن له هولاكو بذلك⁽⁴⁸⁾.
13. كمال الدين العبادي العرقوفي: أبو الحسن علي بن محمود بن مظفر، نزل بغداد وتولى فيها نظارة المستنصرية، وقد قال الشعر وتوفي سنة (685هـ)⁽⁴⁹⁾.
14. شمس الدين محمد بن الكبشي: وصل إلى بغداد سنة 665هـ، وعين مدرساً بالمدرسة النظامية وحضر درسه الحكام والعلماء، فلم يزل على ذلك إلى أن خطر له التوجه إلى بهاء الدين بن الصاحب شمس الدين الجوفي⁽⁵⁰⁾.

15. التفتازاني: فخر الدين أبو بكر محمد بن عبد الله، قدم إلى بغداد واستوطنها وسمع الحديث على شيوخها آنذاك، تولى خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية وفي سنة 701هـ ولي القضاء بالجانب الغربي، ودرس أيضاً بالمدرسة البشيرية⁽⁵¹⁾.
16. سنجر البغدادي: قدم إلى بغداد سنة 688هـ، كان طبيباً ماهراً وقد درس اختصاصه في المدرسة المستنصرية إضافة إلى وظيفته الأصلية كناظر لها⁽⁵²⁾.
17. ابن المشهدي: فخر الدين أبو المحاسن يوسف بن رشيد الهمذاني الكاتب الأديب، ولد في تبريز سنة 678هـ، وقدم بغداد عام 682هـ ودرس في مدارسها⁽⁵³⁾.
18. ابن بلدجي الموصلية: عماد الدين أبو الفرج عبد الرحمن تاج الدين، قدم إلى بغداد وعين فقيهاً في المدرسة النظامية، وقد ذكر ابن الفوطي أنه رآه سنة تسع وسبعين وستمائة في بغداد⁽⁵⁴⁾.
19. عز الدين أبو الفضل عبد العزيز بن جمعة الموصلية النحوي، ولد في الموصل سنة 628هـ، ولما قدم إلى بغداد درس النحو في المدرسة المستنصرية ولازم الطوسي إلى أن توفي عام 672هـ، ومن تأليفه شرح كتاب الدرر الألفية وكتاب الأتموزج في النحو للزمخشري⁽⁵⁵⁾.
20. الجندي (698هـ) فخر الدين أبو الفضل هبة الله بن محمود من علماء ما وراء النهر، دخل بغداد بصحبة غازان بن أرغون المغولي، وكان أديباً شاعراً، وقيل أنه عاد إلى تبريز وفيها توفي⁽⁵⁶⁾.
21. عز الدين الأصفهاني: (661هـ) عز الدين أبو حمد عبيد الله بن محمد بن عباد الأصفهاني، قدم بغداد وكان من فقهاء المستنصرية، وهو أول من خطب بالجامع في بغداد بعد الواقعة⁽⁵⁷⁾.
22. عز الدين الساجوساني: (684هـ) أبو الفضل يحيى بن فضل، قدم إلى بغداد من مراغة وتفقه فيها ثم درس في المدرسة المستنصرية⁽⁵⁸⁾.
23. علاء الدين عطا ملك الجويني، قدم بغداد في معية هولاء وعينه صاحب ديوان العراق، وظل في منصبه ما يزيد قليلاً على اثنتين وعشرين سنة، منذ عام 657هـ، وكان عالماً عارفاً بقوانين الدولة وله شعر جيد⁽⁵⁹⁾.

24. بدر الدين لؤلؤ: صاحب الموصل، دخل بغداد بعد الواقعة وقابل هولاء الذي أنعم عليه وأكرمه، عرف بدهائه وسعة اطلاعه⁽⁶⁰⁾.
25. السعدي البخاري: من أهل بخارى، قدم إلى بغداد بعد سنة 672هـ واستوطنها، وكان طبيباً حاذقاً⁽⁶¹⁾.
26. علم الدين الشارمساحي: (673هـ) قدم من مصر وعين مدرساً للمالكية في المدرسة المستنصرية ومن ثم في المدرسة البشيرية⁽⁶²⁾.
27. المرندي: عماد الدين أبو ذي الفقار محمد بن الأشرف ذي الفقار ابن جعفر الحسيني المرندي الشافعي، ولد بمرند بأذربيجان سنة 596هـ، قدم بغداد ودرس الشافعية في المستنصرية⁽⁶³⁾.
28. عز الدين الرزدي: (712هـ) أبو المظفر يوسف بن الحسن، قدم بغداد من كرمان وأثبت من جملة الفقهاء بالمستنصرية، قيل أنه حج عدة مرات⁽⁶⁴⁾.
29. سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري البغدادي، أشعري حمبلي رافضي (716هـ)، أتى دمشق سنة 704هـ وتوفي في الخليل وله كتاب العذاب الواصب على أرواح النواصب⁽⁶⁵⁾.
30. عبد الله بن أبي عمر الفارسي (706هـ)، فقيه شافعي عاد إلى بغداد من دمشق⁽⁶⁶⁾.
31. عبد الله بن محمد بن أبي بكر الزيرياتي العراقي الحمبلي (729هـ)، فقيه حمبلي عاد إلى بغداد قادماً من دمشق حوالي سنة 700هـ⁽⁶⁷⁾.
32. محمد بن أحمد بن شبل أبو عبد الله الحريري المعروف بالبغدادي المالكي (713هـ)، فقيه وأمام مفت عاد إلى بغداد من بلاد الشام قبل وفاته⁽⁶⁸⁾.
33. عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن أبي البركات البغدادي الحمبلي (729هـ)، فقيه ومحدث عاد إلى بغداد حتى عرف بفضله العراق محدثاً على المذهب الحمبلي⁽⁶⁹⁾.

د. الملاحظات والنتائج:

بالغ المؤرخون المسلمون في وصف ما أصاب بغداد عام 656هـ على يد الغزاة المغول، وما حل بها من خراب لا عمار بعده⁽⁷⁰⁾، وقد روا عدد القتلى بالملايين⁽⁷¹⁾، فجاءت رواياتهم تكراراً للمبالغة وأحياناً التناقض بين رواية وأخرى⁽⁷²⁾.

حقاً أن بغداد قد تعرضت للتخريب والتدمير وأن ركوداً ثقافياً قد أصاب مؤسساتها الأدبية والعلمية، وشل حياتها العامة ولا سيما في الأيام الأربعين الأولى⁽⁷³⁾. وأن هذا الغزو الأجنبي قد أدى إلى قتل وجرح العديد من أهالي بغداد، سواء من قتل منهم أثناء الواقعة أو بعدها، أوبعد أن استتب الأمر للغزاة الذين راحوا يتعقبون رجال المقاومة ويصلدون حريات البغاددة ولا سيما العلماء منهم بغض النظر عن جنسياتهم وميولهم الدينية والمذهبية وهو ما نوه إليه بحثي هذا.

ثم لا غرابة في هذا كله مع ما فيه من مأساوية ووحشية، فقد نجد له ما يماثله في تواريخ الغزو والاحتلال العسكري خاصة إذا ما جوبه هذا الغزو بمقاومة وطنية كالتى تعرض لها الغزو المغولي على يد سكان بغداد آنذاك.

فالتتار أقوام غير متمدنة، قدموا من بلاد نانية ينشدون امتلاك الأرض والتوسع غير المحدود، ويطمحون - وهو هدف طالما حلموا به- في السيطرة على بغداد باعتبارها حاضرة الدولة العربية الإسلامية ومقر الخلافة العباسية، ومركز أعرق حضارة بشرية امتد أثرها إلى كل الآفاق. وهي في نظر المغول كما هي في نظر كل الناس ذات عظمة وهيبة وقديسية، فعندها تتواجد العساكر وعلى حدودها تشمخ الأسوار الحصينة التي وقف المغول قبالتها مدة تزيد على الأسبوع⁽⁷⁴⁾، ازدادوا معها شوقاً لمعرفة ما وراء هذه الأسوار الصامدة، وهم إلى جانب هذا وذاك كانوا في حالة لا يحسدون عليها، فقد أصابهم الجوع والتعب وأرهقهم نظامهم العسكري الصارم الذي وضعه قائدهم ومؤسس دولتهم جنكيز خان.

وبين البحث أن من ترك بغداد من العلماء وحملة مشعل الثقافة بعد اجتياحها من قبل الغزاة المغول لا يشكلون إلا قلة، منهم من هجر بغداد لأسباب عائلية أو شخصية أو لحصولهم على حظوة أو دعوة من خارجها، ومنهم من أطلع بالسياحة والتنقل وحب الأسفار، وكثير منهم تصوفوا وزهدوا فطابت نفوسهم في الحج ومجاورة بيت الله الحرام.

أما الذين أسروا من العلماء بعد الواقعة فمع قتلهم فأنهم لم يمكنوا في الأسر إلا مدة لا تزيد على السنتين عادوا بعدها إلى مزاولة نشاطهم الثقافي، ومنهم من عاد إلى بغداد ودرس في مدارسها مثل المستنصرية والنظامية والبشيرية وتولى خزائن كتبها كابن القوطي وابن المحيا العباسي وغيرهم وقد أسلفت ذكرهم وتراجم موجزة لحياتهم.

يقابل ذلك كثرة من العلماء قدموا إلى بغداد بعد سنة 656هـ وزاولوا مختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية والدينية فيها، مما يدل على أن الثقافة في بغداد لم تتوقف كما أن مؤسساتها لم تدرس وأن كانت قد تعطلت لوقت ما، فقد ظلت الدراسة قائمة بالمدرسة المستنصرية بعد وقعة بغداد نحو قرن ونصف القرن، وظل القائمون على شئونها يؤدون واجباتهم الإدارية والثقافية بانتظام⁽⁷⁵⁾.

وغير صحيح أن نركن إلى بعض الآراء التي لا تخلو من الغرض والهوى والتي تحاول أن تبرر مواقف المغول وتصفهم بالتساهل وحب العلم ومعاملة العلويين بالحسنى⁽⁷⁶⁾ وما إلى ذلك من إدعاءات ومزاعم، وحتى أن افترضنا حدوث التزر اليسير من هذه الحالات، فإنها تندرج في إطار محاولتهم استرضاء الرأي العام البغدادي الذي انتفض لمقاومتهم والتخلص من نفوذهم ووجد في وحشيتهم وتدميرهم لمرافق الحياة العامة في بغداد، عوناً له في تأليب الرأي العام العربي والإسلامي ضد هذا الغزو الهمجى. وكجزء من هذه المساعي الانتهازية التي مارسها المغول ومنهم هولاءكو للتودد إلى الناس تقربهم أو ادعائهم التقرب إلى نفر من محبي العلم والثقافة ممن تعاونوا معهم بشكل أو بآخر حياً في جاه أو حظوة أو تحقيقاً لمآرب أو منزع، ولكن وللحقيقة التاريخية أسجل أن ليس بين هؤلاء من هو عربي يعتز بعربيته ولا بغدادي ينتخى لوطنه ومحتد رأسه، نذكر منهم ابن العلقمي ونصير الدين السعدي وعطا ملك الجويني ونصير الدين الطوسي وأبي بكر زنكي وبدر الدين لؤلؤ وآخرين ولكنهم ليسوا بالكثيرين⁽⁷⁷⁾.

وحري بنا أن ننكر وهو أمر له أهميته أن المدة الواقعة بين القرنين السابع والثامن الهجريين وهي الفترة التي تعيننا في هذا البحث، قد شهدت نشاطاً ثقافياً ملحوظاً أسهمت فيه بعض العوائل البغدادية التي ذاع صيتها في آفاق واسعة ومن هذه البيوتات التي عرفت بالعلم والتقى، آل العاقولي وآل الجوزي، وآل النجار وآل الساعي والغوطي والسيوطي.... كما أن

الثقافة خلال هذه المدة لم تقتصر على جانب واحد بل شملت كل الجوانب العلمية والإنسانية، فهناك الأطباء والرياضيون والمهندسين والفلكيون إلى جانب المؤرخين والمفسرين والفقهاء والنحويين والشعراء والخطاطين....⁽⁷⁸⁾.

وأخيراً لا بد من القول أن المغول غزاة وثنيون عرفوا أو قل جبلوا على الخسونة والقسوة، قاومهم العرب المسلمون ولا سيما العراقيون مقاومة بطولية، أجبرتهم على التظاهر بالتسامح أحياناً مع من تعاون معهم، و أن احتلالهم بغداد ذائعة الصيت وإسقاطهم الخلافة الإسلامية ممثلة بالعباسيين حينذاك، عد في نظر العامة والخاصة صراع بين الوثنية والإسلام ولذلك أنبرت أقلام الأدباء والفقهاء والمؤرخين وغيرهم من المثقفين، لتصف هؤلاء المحتلين بالقتلة السفاكين والكفرة الملحدين وهو ما يفسر لنا بعض المبالغات والروايات اللا معقولة التي تناقلتها كتب التاريخ العربي الإسلامي⁽⁷⁹⁾.

المصادر والهوامش:

1. ابن الفوطي: (723هـ) كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق * الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة مطبعة الفرات، بغداد، 1351هـ، ص2.
2. الدجيلي: عبد الصاحب، * أعلام العرب في العلوم والفنون مطبعة القنعمان، النجف، 1966، ج2، ص129.
3. معروف: ناجي د، * تاريخ علماء المستنصرية مطبعة العاني، بغداد، 1965، ج2، ص87.
4. ناجي معروف، ج2، ص89.
5. الدجيلي: ج2، ص130.
6. الحوادث الجامعة: المقدمة.
7. ابن الفوطي: * تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب تحقيق د. مصطفى جواد، نشرته وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ج4 ق2 ص711.
8. تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق2، ص711-712.
9. خصباك: جعفر حسين د، * العراق في عهد المغول الإيلخانيين ط1، مطبعة العاني، بغداد 1968 ص267.
10. ناجي معروف: ج1، ص133-134.
11. ناجي معروف: ج1، ص191.
12. السلامي: أبو المعالي محمد بن رافع، * تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار تصحيح عباس العزاوي، مطبعة الأهالي، بغداد 1938، ص91.
13. السلامي: ص92.
14. السلامي: ص93.
15. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق2، ص994.
16. نفسه: ج4، ق2، ص1051-1052.
17. ابن كثير: (774هـ) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، * البداية والنهاية ط1، مصر 1966، ج14، ص214.
18. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص368.
19. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص367.
20. تلخيص مجمع الآداب: ج2، ق3، ص368.
21. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص99-100.
22. ابن كثير، ج13، ص142، ط1، منشورات الكتب العلمية - بيروت، سنة 2001، وكذلك الكتبي: محمد بن شاعر (764هـ)، فوات الوفيات، دار الكتب العلمية ط1، ج1، ص153-155. سنة 1421هـ.
23. ابن كثير، ج13، ص305.
24. ابن كثير ج13، ص342-343.
25. الكتبي، ج1، ص173، وكذلك الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك (764هـ) في كتابه * أعيان العصر وأعيان النصر، دار الفكر بدمشق وبيروت ط1، 1998، ج1، ص120.

26. الدجيلي: ج2، ص87.
27. الدجيلي: ج2، ص88.
28. خصباك: ص265.
29. ناجي معروف: ج1، ص94.
30. الحوادث الجامعة: ص380-381.
31. السلامي: ص87.
32. ناجي معروف: ج1، ص170.
33. السلامي: ص87.
34. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص195.
35. ناجي معروف: ج1، ص125.
36. ناجي معروف: ج1، ص126.
37. الشحنة كما يقول ابن خلدون في تاريخه " الصبر و ديوان المبتدأ والخبر"، مطبعة الباسلية 1957، ج3، ص26. (تعني الأمير ورئيس الشرطة أو بمعنى الخاصة وصاحبها ممثل السلطان في البلد).
38. الحوادث الجامعة: ص330-331.
39. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص85.
40. الدجيلي: ج2، ص118.
41. الدجيلي: ج2، ص118-119.
42. تلخيص مجمع الآداب: ج5، ص427.
43. ناجي معروف: ج2، ص79.
44. ناجي معروف: ج2، ص80.
45. ناجي معروف: ج2، ص46.
46. تلخيص مجمع الآداب: ج5، ص310.
47. ناجي معروف: ج2، ص48.
48. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص131-132.
49. ناجي معروف: ج1، ص85-86.
50. الحوادث الجامعة: ص358.
51. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص333.
52. ناجي معروف: ج1، ص87.
53. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص455-456.
54. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص759.
55. ناجي معروف: ج1، ص256.
56. تلخيص مجمع الآداب: ج4، ق3، ص436.
57. ناجي معروف: ج1، ص291.

58. ناجي معروف: ج 1، ص 293.
59. خصيبك: ص 265، أيضاً تلخيص مجمع الآداب: ج 4، ق 3، ص 1035.
60. الحوادث للجمعة: ص 337.
61. تلخيص مجمع الآداب: ج 4، ق 3، ص 1057.
62. ناجي معروف: ج 1، ص 197.
63. ناجي معروف: ج 1، ص 216.
64. ناجي معروف: ج 1، ص 274-275.
65. ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي (1089هـ)، في كتابه 'شذرات الذهب في أخبار من ذهب' دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ج 6، ص 39-40.
66. الصفدي، في أعيان العصر، ج 2، ص 709.
67. الصفدي، في أعيان العصر، ج 2، ص 714.
68. الصفدي، في أعيان العصر، ج 4، ص 242.
69. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 6، ص 90.
70. السيوطي: (911هـ) الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر 'تاريخ الخلفاء' تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 3، مطبعة المدني، القاهرة 1964، فقد ذكر في ص 467 أن بغداد (قد استبيحت مدة أربعين يوماً بذلوا في أهلها السيف).
71. قدر ابن كثير عدد القتلى (بالفي ألف نسمة) أي بمليونين قتيل -ج 14، ص 202-، وقدرهم السيوطي (بأكثر من ألف نسمة) أي بأكثر من مليون قتيل -ص 472- والفرق بين التقديرين حوالي مليون قتيل.
72. من قبيل ما رواه ابن كثير -ج 14، ص 202 وما بعدها- من أن الناس (كثرتوا يجتمعون في المساجد والجامع والربط والمدارس ويفلقون عليهم أبوابها فتفتحها التتار أما بالكسر أو بالنار ثم يدخلون فيهبون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدمار في الأرقعة)، وقوله: أن أهل دمشق كانوا يضعون البصل على أنوفهم كي لا يشموا رائحة الجيف في بغداد، ويقول السيوطي، ص 467: (ليس في قتلهم استثناء ولا بقاء يقتلون النساء والرجال والأطفال وقصدتهم في ذلك إفناء النوع وإبادة العلم).
73. حسن: حسن إبراهيم د.، 'تاريخ الإسلام السياسي' مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1967، ج 4، ص 136.
74. الخضري: الشيخ محمد، 'الدولة العباسية' مطبعة الاستقامة، القاهرة 1953، ص 482.
75. ناجي معروف: ج 1، ص 47.
76. يستنون في ذلك إلى ما جاء في نظامهم (البسة): 'وشرط تعظيم جميع الملك من غير تعصي لمة علي أخرى.... وأكرمهم أن لا يتعصبوا بشيء من المذاهب ومنعهم من تخميم الألفاظ ووضع الألقاب' و 'لا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب مؤنة ولا كلفة' نظر المقرئ: (845هـ) نقي الدين أحمد بن علي، 'المواظ والاعتبار بنكر الخطط والآثار' القاهرة، 1906، ج 3، ص 358.
77. حسن إبراهيم حسن: ج 4، ص 157.
78. ناجي معروف: ج 2، ص 133 وما بعدها، وفيه تفاصيل بأسمائهم.
79. سبق أن أشرت إلى بعض من هذه المبالغات كالتي ذكرها ابن كثير والسيوطي وآخرين.

تطور خطوط الملاحة البحرية في جنوب غربي آسيا (بين الألفين الثالث والأول قبل الميلاد)



د/ مهيوپ غالب احمد كليب*

تمهيد

ساعد الموقع الجغرافي للجزيرة العربية على طريق التجارة الدولية، بين بلدان العالم القديم، في توفير مقومات نمو مراكزها الحضارية وازدهارها خلال العصور التاريخية القديمة بدءاً من نهاية العصر الحجري الحديث، وانتهاءً بعصر التدوين، أي عصر الكتابة. ففي شرقي الجزيرة العربية وعلى طول الساحل الغربي للخليج العربي توافرت المراسي الطبيعية والمرافئ المحمية، والمياه الصالحة للشرب (عيون، آبار الخ)، خاصة في مناطق مثل؛ جزيرة البحرين وأم النار وفيلكا وواحة الإحساء. وفي جنوبي الجزيرة العربية وجنوب شرقيها توافرت كذلك المرافئ الملائمة للملاحة البحرية والتجارة الدولية (ميناء عدن وميناء قنّاء وميناء خورروري وجزر عبد الكوري وغيرها على التوالي من الغرب إلى الشرق). وكان لتوافر المواد الأولية أن ساعد على التبادل التجاري بين أبناء هذه المنطقة وبين سكان وادي السند وكذلك سكان مناطق الهلال الخصيب (بلاد الرافدين وسورية) ومصر، الذين كانوا يحتاجون إلى المواد الأولية الضرورية والسلع الكمالية غير المتوافرة في بلادهم مثل؛ النحاس والمعادن والأحجار الكريمة واللؤلؤ والعقيق والأخشاب والعاج والقطن واللازورد، والبخور والتوابل وغير ذلك. وقد كان سكان دلمون ومجان وجزيرة أم النار وغيرها يزاولون التجارة إما عن طريق البر عبر

* قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة ذمار - اليمن

الهضبة الإيرانية أو عن طريق البحر عبر المياه القريبة من السواحل، " أو كما قال أحد الباحثين " عن طريق المساحلة" (خريطة رقم⁽¹⁾) [علاء الدين عبد المحسن شاهين، الخليج العربي : الموقع والأهمية- خلال العصر البرونزي ' 1450- 1000 ق. م. " في مجلد المؤرخ العربي، 71، 1999.]

إن تتبّع مراحل تطور الملاحة البحرية في منطقة جنوب غربي آسيا (جنوب الجزيرة العربية وشرقيها)، وإبراز دور العرب في الملاحة البحرية، متزامناً مع نشاطهم التجاري، خلال الحقبة الزمنية الممتدة بين الألفين الثالث والأول قبل الميلاد والتي لم تدرس بشكل واف. فقد نشرت دراسات عن هذا الموضوع بأشكال مختلفة، لكنها تفنقر إلى التحليل والشمولية بصورتها المنهجية والعميقة. صحيح أن جورج حوراني قد كتب عن الملاحة البحرية في المحيط الهندي بصورة عامة، لكن الصحيح أيضاً أنه لم يتمكن من استخدام المادة العلمية التي وردت في مؤلفه الذي أوردناه هنا في أكثر من موضع، بحيث يشعر القارئ من خلاله بحضور شخصية الباحث وإمكانية توظيفه للمادة العلمية بصورة ممتعة وشيقة. فضلاً عن ذلك فقد نشرت أعمال متقطعة وردت هنا وهناك، وبعبارة أخرى توجد لدينا مادة تاريخية لكنها بحاجة إلى تحليل ودراسة جيدة. أي أننا بحاجة إلى دراسة تاريخية تحليلية معمقة لتاريخ تطور الملاحة البحرية حول جزيرة العرب ومساهمة العرب في ذلك. فضلاً عن مساهمتهم في صناعة السفن (وإن بصورة مقتضبة) وفي تطور التجارة الدولية، خلال الحقبة الزمنية التي حددها البحث، ومنحاول في هذه الدراسة على قلة صفحاتها أن تنجز جزءاً من هذه المهمة. على أننا ربما نوسع هذا الإطار الزمني قليلاً إلى الوراء أو إلى الأمام، إذا كان ذلك ضرورياً.

لمحة سريعة عن المراكب العربية:

اشتهر العرب في جنوبي الجزيرة العربية وشرقيها ببناء القوارب البحرية منذ القدم، فقد صنعوها إما من الجلود أو من لحاء الأشجار وجذوعها، فضلاً عن صناعة القوارب من قصب 'الجرع' وسعف النخيل. ويوجد من يزعم إنه لم تتوفر للعرب فرص الإبحار في مياه بحر الخليج العربي والبحر العربي، ناهيك عن مياه المحيط الهندي، وأنهم كانوا تجار قوافل برية ليس إلا. فالعرب الجنوبيون، مثل غيرهم من الشعوب التي تعيش على شواطئ البحار كانوا قد بدؤوا حياتهم بالمطيل والأطواف والأرماث وزوارق من

الجلد، لكنهم انتقلوا في ما بعد إلى بناء القوارب [حسن صالح شهاب، 1977، 258 ؛ كذلك: مكغريل، 1985، 118-122، في كتاب البحر والتاريخ سلسلة عالم المعرفة أبريل 2005].

والواقع أن ركوب البحر كانت إحدى المهن التي عمل بها معظم العرب الذين سكنوا السواحل البحرية، وكان أولئك البحارة يجلبون من الهند كل ما تحتاجه ليس فقط بلاد العرب في جنوبي الجزيرة العربية وشرقها، ولكن ما تحتاجه تلك المناطق العربية البعيدة مثل بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر. فضلاً عما تحتاجه مناطق حوض البحر المتوسط الغربية. إذ اشتهر العرب الجنوبيون ببناء السفن البحرية من أخشاب كانت تنتج محلياً. يقول ابن جبير - وهذا رد على من ينكر أن بلاد العرب الجنوبية لم تنتج الأخشاب في ذلك الوقت - ؛ إن خشب بناء السفن في عذاب كان يجلب من الهند واليمن [ابن جبير، 1986، 41-42]، ويؤكد نزيه مؤيد العظم في كتابه ' رحلة في بلاد العرب السعيدة' وعلى شاطئ البحر رأيت النجارين يعملون طيلة النهار في بناء المراكب الشراعية. ويجلبون الخشب لبناء هذه المراكب في (آس) وغيرها من الأصقاع اليمنية المشهورة بأحراجها الكبيرة [نزيه مؤيد العظم، ج1، ط2، 1985]. ومثلما استخدموا الحبال المصنعة من ليف النخيل في شد جذوع الرمث بعضها إلى بعض استعملوها، كذلك، في خياطة جوانب القارب (وهي صناعة استخدمتها كافة الشعوب التي قطنت السواحل البحرية) والأضلاع التي تسند قاع القارب [شهاب، 258]، وهي مرحلة زمنية انتهت بظهور مسامير الحديد وشيوع استخدامها.

وفي المقابل نرى الإنسان العربي في منطقة الخليج يبني زوارق بلغ طول الواحد منها نحواً من عشرة أقدام. وكانت تبني من سعف النخيل، وليس من الخشب، يركب فيها شخص وأحياناً شخصان. و كان يوضع لتلك الزوارق مقدمة ومؤخرة، ويطلق عليها اسم ' هوا يريه' [Dickson, H. R. P., The Arab of the Desert, p. 480 نقلًا عن شهاب، في ص. 262]، فضلاً عن ذلك بنيت زوارق من القصب. وقد أكدت البعثة الأثرية الكويتية- السلوفاكية المشتركة خلال حفرياتها في موقع ' الخضر' ؛ أنه تم العثور على قطعة قار تحمل ختماً مع ' علامات حبل سفينة، وربما كان الغرض من ذلك الختم هو

ختم الحاويات، كما تحمل قطعة القار آثار قصب على أحد جانبيها وآثار قشريات بحرية على الجانب الآخر. وهو دليل على صناعة السفن من القصب ومجهزة بمادة سوداء لتكون مانعة لتسرب المياه [أنظر: مجلة الكويت، العدد 284، الصادر في يونيو 2007]. وأشارت المصادر السومرية إلى ' إن أول ذكر لدلمون في النصوص المسمارية كان في نص لأورنانشة مؤسس سلالة لكش الأولى والذي ذكر أن سفن دلمون كانت تنقل له الأخشاب كجزية من بلاد أجنبية، مما يدل على تملك دلمون لسفن لايد وأنها كانت كثيرة قادرة على السير في أعالي البحار" [محمود شاكر، ج1، 2003، 31].

وتذكر كذلك معلومات من عهد سرجون الأكادي (النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد)، حول علاقات هذا الملك بدلمون وملوها (ملوخوا)، واللتين كانتا تمدانه بالمواد الخام [نفسه]. وقد كانت تلك الزوارق تشبه إلى حد كبير الزوارق المصنوعة من نبات البردي التي كان يستعملها المصريون القدماء قبل ذلك بوقت طويل، واستعملها كذلك الأحمش في بحيرة تانا [National Geographic Magazine, April 1965, Washington,]. على أن جوانب القوارب كان يتم تقويتها من ألواح كانت تشق من جذوع أشجار خاصة كانت تنمو في الأحراج الجنوبية الغربية لبلاد العرب (أي في السهل التهامي). فقد أشار الدكتور جواد علي إلى أنه كان على أصحاب معامل السفن العرب استيراد الخشب القوي الصالح لبناء السفن من الخارج أو شراء السفن الجاهزة من الأسواق الخارجية وفي كلتا الحالتين يتكلف المشتغلون بالتجارة البحرية تكلفاً باهظاً ويكونون عالة في قوتهم وفي أعمالهم على الخارج [جواد علي، المفضل، 7، 256]. ومن المراكب العربية القديمة، والتي استمرت حتى وقت قريب (البطيل) و (البقرة)، وهما من المراكب المعروفة جيداً في منطقة الخليج العربي. ولكل منهما على مؤخرته تمثال لرأس حصان. يختلف البطيل عن البقرة بطرف مقدمته الذي كان يشبه الكمان، ومن ثم بذنب في مؤخرته. وتشير بعض الروايات أن البطيل كان قد استخدم في معارك بحرية كثيرة [Dickson, 479]. وتورد إشارات كثيرة في القرآن الكريم وفي بعض المعاجم العربية عن البحر ووسائل ركوبه، باسم " اليم" [في سورة طه: الآيات 39، 78، 92، وفي سورة القصص: الآية 7؛ وفي سورة الأعراف، 135]. والفلك إشارة إلى سفينة نوح عليه

السلام، والفلك التي تجري في البحري [سورة البقرة، 164]. وذكرت كذلك السفينة [سورة الكهف، 72، 80؛ كذلك: سورة العنكبوت، 15]، وفي المعاجم العربية يتكرر ذكر السفن والمراكب والسواحل والشواطئ إلخ [تاج العروس، 1، 2، 5، 7، 10، وغيره من المعاجم]. الأمر الذي يعني أن العرب وإن لم يكونوا جميعهم على علم بالبحر وركوبه ففي الأقل عرب السواحل يعرفون بصورة جيدة البحر وكيفية التعامل معه.

الملاحة البحرية خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد:

عمل عرب الجزيرة العربية في التجارة البحرية منذ العصور السحيقة، وتاجروا مع جهات مختلفة، سواءً في حوض المحيط الهندي أو في بلاد الشام والعراق وحوض البحر المتوسط. إذ تحدثنا الكثير من المصادر والأدبيات حول النشاط البحري للعرب والمتعلق بالملاحة البحرية وكذلك بالتجارة. إذ تمتلك الجزيرة العربية سواحل طويلة تحيط بها من ثلاث جهات، أما حدها الشمالي فهو أرض تتصل بالعراق وبلاد الشام. وقد عرف أهل السواحل البحر وعركوه، وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقتهم، وتعاملوا مع أهل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة، وركب جمع منهم السفن للتجارة مع السواحل المقابلة [جواد علي، المفصل، 7، 244]. إلا أننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط متى بدأت صلة سواحل بلاد العرب الجنوبية والشرقية بسواحل الهند الغربية. على الرغم من أنه توجد آراء تقول إنها ربما بدأت في الوقت الذي بدأت فيه العلاقة التجارية بين السومريين وسكان وادي السند [حسن صالح شهاب، 1977، 128]. وبعبارة أخرى فقد بدأت العلاقة بين سواحل بلاد العرب مع الساحل الهندي في الوقت الذي بدت المدن السومرية بحاجة للسلع القادمة من شبه القارة الهندية، مثل الأخشاب والعقيق واللازورد وغيرها. لذلك أكدت بعض الأدبيات العربية على أن النشاط التجاري بين الهند وسواحل بلاد العرب وجنوبي العراق يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. إذ أقامت جاليات هندية على سواحل الخليج المختلفة في عمان والبصرة وديلمون وغيرها، وفي المقابل أقامت جاليات عربية في مناطق متفرقة من مكرانة و هندوستان [المفصل، 256].

أكدت الأبحاث الأثرية منذ بداية خمسينيات القرن الماضي، التي أجرتها بعثات أوروبية مختلفة؛ في البحرين وفي شبه جزيرة قطر وجزيرة فيلكا وشمال شرقي عمان وفي جزيرة أم النار/ في دبي على أن البحرين (دلمون) هي المنطقة المقدسة لدى

السومريين، وخلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد كانت دلمون هي الوجهة التي يؤمها البحارة السومريون والهنود وغيرهم. وكان أولئك البحارة يتجهون شمالاً نحو بلاد ما بين النهرين وجنوباً نحو شمال شرقي عمان وساحل الهند الغربي [Дж. БиБи, В]
 325; 194 сля; 61 сля; 1984, с. 61 сля; 194 сля; 325
 علاء الدين عبد المحسن شاهين، 72]. وأعطتنا تلك الاكتشافات صورة واضحة عن
 المكانة التي ميزت هذا الجزء من الوطن العربي في التاريخ العام للحضارات القديمة. لقد
 أكدت تلك المعلومات ليس فقط النشاطات المتعددة للجناح الشرقي للجزيرة العربية، ولكنه
 قد لعب دور الطريق البحري الدولي للتجارة العالمية [رضا الهاشمي، 1981، 24].
 فحملت السفن من الهند إلى دلمون وجنوب بلاد ما بين النهرين؛ الأخشاب والقطن
 والعقيق واللآزورد. ومن مجان وميلوها (تسمى في بعض الأدبيات؛ ملوخوا) المعادن
 المختلفة [أنظر إن شئت؛ مهيبوب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي
 والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية " اليمن القديم" ك1 التاريخ السياسي، 2003،
 29، 26؛ كذلك: مجلة الراقد الإماراتية، فبراير 2004، 107]. وهنا يشير ليمنس إلى أنه تم
 العثور على نصوص تبين من خلال المعلومات التي احتوتها على أنها كانت بمثابة عقود
 واتفاقيات بين تجار من أور ومن دلمون. وكان النحاس والفضة واللؤلؤ هي السلع
 الأساسية التي تنقل من دلمون إلى أور، نظراً للطلب المتزايد عليها في بلاد الرافدين .
 على أن النحاس ربما كان يتم نقله من مناجم المعن في مجان (عمان) ومن ملوها. وكان
 بحر الخليج يعج بسفن الدلمونيين التي تنقل البضائع إلى جنوب بلاد الرافدين [W. F.
 [Leemans, Trade in the Old Babylonian period, p. 31, Leiden, 1960
 عرف الباحثون أن منطقة شرقي الجزيرة العربية كانت مأهولة بالسكان منذ أواخر
 الألف الخامس قبل الميلاد. فقد تضافرت عدد من العوامل ساعدت على استقرار أولئك
 السكان وقيام حضارتهم فيها، وكانت دلمون المركز الأول لتلك الحضارة. إذ تم العثور
 على أقدم الأدلة لبدايات تلك الحضارة في جزيرة تاروت، التي كانت العاصمة الأولى لهذه
 الحضارة، وسرعان ما نمت دور جزيرة البحرين لتصبح لاحقاً عاصمة دلمون، وقد ورثتها
 فيما بعد ممالك أخرى من ضمنها جرها (كما سيأتي الحديث لاحقاً) [المملكة العربية

السعودية- آثار المنطقة الشرقية، 5، 2003، 214]. وتشير بعض النصوص السومرية إلى أن دلمون كانت تتمتع بقدسية خاصة. إذ رويت عنها الأساطير الدينية وفاضت، وعبدت فيها الآلهة، مثل بقية مدن بلاد ما بين النهرين. وإن أسطورة انكيدو و ننجرسی، وملحمة جلجامش، فضلاً عن أسطورة الحياة تؤكد بأن اتصالاً طبيعياً كان قائماً بين بلاد الرافدين ومناطق الخليج العربي ومنها دلمون [انظر: الكسندر نيميروفسكي، حكايا العالم القديم، 2006، 47-64]. وجاءت في موسوعة الخليج العربي الفقرة الآتية: "كانت دلمون مشهورة عند السومريين ونعتتها أساطيرهم بالطهر والنقاء وتحديث أسطورة أنكي ونخو وزاك عن علاقة أنكي بها وكونها أرض سلام وأمان وصحة ومياه وافرة، وتحدثت الأسطورة عن اتصال أنكي بزوجته في دلمون، ومن ثم أمره الإله أوتوا (الشمس) أن يملأ الجزيرة بالماء العذب فكان له ما أراد فتحولت دلمون إلى جنة خضراء مليئة بالحقول. فالجنة السومرية حسب هذه الأسطورة كانت في دلمون" [محمود شاكر، ج1، 2003، 30]. ومن خلال ما ذكرته الأسطورة السومرية عن نبتة الخلود التي أخبر بها أوتانا بشتيم جلجامش، فربما كان المقصود بتلك النبتة هي نبتة اللؤلؤ التي تتوافر بكثرة في دلمون. وتطلق أسطورة الطوفان السومرية على دلمون اسم أرض العبور.. [نفسه، 31]. وأشارت نتائج الأبحاث الأثرية التي أجرتها بعثة كويتية سلوفاكية مشتركة بداية العام 2007 في جزيرة فيلكا أن الموقع الذي تمت الحفريات فيه (موقع الخضر)، كان ممتلئاً "بالصدف والفخار الأحمر وأحجار المباني المبعثرة التي تشكل دليلاً على حضارة دلمون". وقد تطورت تلك الحضارة بفضل الموقع الممتاز على طرق التجارة البحرية، الذي كانت تتمتع به دلمون والتي تربط بلاد ما بين النهرين بحضارة وادي السند، ولتصبح بذلك أحد أكبر المراكز التجارية في العالم القديم. وكانت البحرين مركزاً لثقافة دلمون. على أنها مع أوائل الألفية الثانية امتدت تلك الحضارة إلى مناطق شمالي الخليج العربي بما فيها جزيرة فيلكا" [انظر: مجلة الكويت العدد 284، الصادر في يونيو 2007]. وتم العثور كذلك في نفس موقع "الخضر" على أدوات وأواني فخارية وجرار وأشياء أخرى من النحاس واللؤلؤ والخرز وعدد كبير من الأختام الدلمونية [نفسه].

إن اكتشافات علم الآثار الجديدة في أية منطقة من العالم تضيف معلومات جديدة أكثر وضوحاً على تاريخ هذه المنطقة أو تلك، ومن ثم سيترك أثره دون شك على مجمل الدراسات التاريخية والحضارية. وبعبارة أخرى فإن حدود معرفتنا بالماضي تكون رهينة بما يتم الكشف عنه في أثناء القيام بالحفريات الأثرية ومن ثم فإن ما هو معروف اليوم من تفاصيل لأمر عدة يمكن أن يكون غير ذلك غداً بسبب الاكتشافات الجديدة وهكذا [نيقولا زيادة، 1984 / 2 / 259]. وبسبب الموقع الجغرافي الهام الذي تحتله أرض الجزيرة العربية، فقد شكلت على الدوام في أراضيها أو في طرقها الساحلية نقاط الاجتياز الأساسية بين مراكز الحضارات القديمة. فقد نال الخليج العربي شهرة كبيرة منذ الألف الثالث قبل الميلاد بسبب قدرته على استيعاب خطوط المواصلات البحرية القديمة [رضا جواد الهاشمي، 1981، 20]. وكانت مهنة التجارة البحرية في هذه المنطقة من العالم القديم، خاصة بسكان السواحل المحيطة بها؛ في بلاد العرب الجنوبية والشرقية، وسواحل الهند. مثلما كانت مهنة التجارة البحرية في الجانب الآخر من بلاد العرب (أي في مناطق حوض البحر المتوسط) محصورة بأيدي الفينيقيين والمصريين والإغريق.

ترافقت معرفة خطوط الملاحة البحرية حول الجزيرة العربية من ناحية الشرق وساحل الخليج العربي مع استيطان مجاميع مهاجرة من بلاد ما بين النهرين شرقي الجزيرة العربية. الأمر الذي يعني أن الإبحار من هناك إلى هذه المنطقة كان قد تم بعد معرفتها بصورة مقبولة. على أنه يجب ألا يغيب عن البال أن البحارة الدلمونيين كانوا قد سافروا خلال حقبة جمدة نصر إلى مناطق بعيدة، وسلكوا دروباً محفوفة بالمخاطر، ومن ثم حصلوا على مطومات غير قليلة عن أماكن ومحطات تجارية بحرية محددة. إن التجارة البحرية بين مناطق السند ووادي الرافدين قديمة العهد... فقد حملت السفن من الهند الأخشاب والعقيق الأحمر والقطن واللازورد [تذكر النصوص السومارية إن اللازورد يستورد من ميلوها، على الرغم من أنه لا يمكن العثور عليه إلا في القسم الغربي من بلاد الهند " في أفغانستان". وهذا ما يرجح كون ميلوها (أو ملوخوا) تطابق مراكز حضارة السند القديمة. وتشير بعض المعلومات التاريخية القديمة إلى أن الملوك الكاشيين (أو الكاشيين) كانوا قد أكثروا من إرسال اللازورد إلى فراعنة مصر. قارن رضا الهاشمي،

59؛ كذلك: محمود شاكر، 35- 36]. وكانت موانئ الخليج العربي؛ هي المحطات التي ترسو فيها السفن، فضلاً عن أن البحارة كانوا يأخذون هناك قسطاً من الراحة قبل مواصلة تنقلاتهم بين المنطقتين.، وبالذات إذا ما علمنا أن السفن كانت تتحاشى الإبحار في عرض البحر، أي أنها كانت تلتزم الإبحار بمحاذاة الشواطئ من سواحل بلاد العرب حتى الهند والعودة [قارن؛ الهاشمي، 24]. يصف بليني ساحل الخليج العربي المتاخم لأراضي الجزيرة العربية الشرقية، وهو الساحل الذي كانت تحاذيه الرحلات البحرية دائماً، ويذكر في ذلك جزيرة ايكاروس (فيلكا) ومدينة جرهاء ويؤكد أن منطقة الخليج تشتهر بلؤلؤها الفائق. ويقول إن سبب إطلاق لفظة سعيدة على قسم من أراضي العرب إنما مرجعه إلى اللؤلؤ الذي يأتي من بحر العرب (نكرنا ذلك سابقاً عند الحديث عن الأسطورة السومرية) [Pliny, Natural History ; Loeb Classical Library, London, 1967, BK. X11, 41- 100]. وبعبارة أخرى فقد تمكن البحارة الديلمونيون في تلك الحقبة الزمنية (الألف الثالث قبل الميلاد) على الخروج إلى ما وراء الخليج العربي وأقاموا علاقات تجارية مع ميلوها، الواقعة إلى الشمال الغربي من ساحل هندوستان. ومن هناك نقلوا الأخشاب والقطن والعقيق واللآزورد ومختلف منتجات حضارة الهراية [Гуляев В. И. Послесловие к кн. Дж. Библи В поисках Дильмуна, с. 361-363; Бонгард-Левин Г. М., Ильин Г. Ф. Древняя Индия. М., 1969, с. 103].

وفي اعتقادنا إن سفن دلمون التجارية كانت قد تمكنت من عبور مضيق هرمز عند أضيق مكان فيه، وواصلت خطها الملاحي بالقرب من ساحل بلوجستان الجنوبي. على أن اللقى الأثرية للحضارة الهرايبانية (Harappa) في البحرين وفي واحة البريمي، فضلاً عن معطيات أخرى كانت قد أكدت على التلاقي الحضاري بين الحضارتين الهندية وحضارة جنوب غربي آسيا. ومن ثم سعيهما إلى وضع التبادل التجاري والثقافي على أرضية ثابتة وطويل الأمد. فبالى الغرب من مركز حضارة الهراية، مازالت آثار المخافر الأمامية التي اشتهرت بها هذه الحضارة، والتي كانت عبارة عن مراسي للسفن القادمة إلى هناك، حتى اليوم واضحة على ساحل بلوجستان ومكرانة (عند مصب وادي نهر

Гордон Чайлд, Древний Восток в свете новых раскопок, [دست]

M. ,1956, c. 302; Г. М. Бонгард- Левин, Древняя Индия, с. 92; см. Также Щетенко А. Я. К вопросу об абсолютной хронологии хараппиской культуры.- " Археология Старого и Нового света" , [M, , 1966, c. 176-177. لقد كان البحارة الدلمونيون ماهرين من الدرجة الأولى، فقد أظهرت النصوص المكتشفة في موقع أبلال (تل مردوخ قرب حلب في شمال سورية) استعمال السكان فيها لوزن المانا (المن) الدلموني في معاملاتهم. وهو ما يدل على قوة العلاقة بين المنطقتين [محمود شاكر، 32].

وفيما يخص الساحل الشرقي للخليج فقد كتب كرسطن نيبور في سنة 1761 ما يلي: " أخطأ جغرافيونا عندما صوروا لنا بأن الإمبراطورية الفارسية تسيطر على جزء من الجزيرة العربية، في حين أن الوضع على النقيض من ذلك فإن العرب يسيطرون على جميع الإمارات المطلة على حوض الخليج الفارسي من أعلى الخليج وحتى أسفل المضيق. إن المستعمرات القائمة على الأطراف الفارسية وحتى أطراف الجزيرة العربية في حوض الخليج الفارسي، أي لا نعلم بالتحديد متى نشأت، خصوصاً كونها منفصلة عن فارس وتستخدم نفس اللغة ما عدا بعض التقاليد والعادات، كونهم من سكان الجزيرة العربية. لذلك توجب أن ألقم مختصراً عنهم [رحلة نيبور 1761، ترجمة وتقديم: جلال بن خالد الهارون الأنصاري، 2006]. هذا ولا نستطيع تحديد الوقت الذي أنشأ فيه العرب هذه المستعمرات على ذلك الساحل. ولربما كانت تلك المستعمرات قد بنيت في عصور ملك فارس الأول [نفسه. ؛ وكذلك: جاكلين بيرين، 166]. ولم يكتف نيبور بذكر تلك المستوطنات بل حاول أن يصف المساحة التي شغلتها القبائل العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي. وفي ذلك كتب يقول: " وأكبر العشائر العربية هناك عشيرة (الهولة)، وتمتد الأراضي التي تملكها من بندر عباس إلى رأس بردستان. وتملك جميع الموانئ الواقعة في هذا القسم من الساحل الفارسي. فضلاً عن ذلك توجد عشائر عربية أخرى، مثل عشيرة بني كعب العربية التي تقطن في أبي شهر. على أن عرب تلك المناطق (المستوطنات) لا يعيشون على الزراعة أو الرعي بل على التجارة [بيرين، 168 - 169]. وأخيراً يذكر نيبور أن الفرس الذين كانوا يعيشون في المنطقة الواقعة بين بو شهر وبردستان فإنهم قد عملوا بالزراعة [نفسه].

ومع نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد بدا وكأن الشواهد المادية لعلاقات بلاد الرافدين مع جنوب شرقي الجزيرة العربية وشمال غربي الهند، بدأت تختفي، إلا إن المصادر الكتابية المسمارية (الاسفينية) استمرت، تشير إلى الإبحار سواءً إلى مجان أو إلى ميلوها ليس فقط خلال الألف الثاني ولكن حتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد. على أنه وفي إشارات عدة نلاحظ ليس فقط ذكراً للمناطق المشار إليها هنا (في جنوب شرقي الجزيرة العربية و هندوستان) ولكنها قد أدخلت ضمنها إشارات لمصر وبلاد النوبة] O ройнах Маган и Мелукка и истории переноса этих названий на Египт и Куш см. А. Лео Опенхейм, Древняя Месопотамия, Портрет погибшей цивилизации, М., 1980, [Указатель, под словом "Магон" и "Мелукка", с. 404. وفي هذه الحقبة الزمنية (أي من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد) اتخذت مصر عدة خطوات لمعرفة طرق الملاحة البحرية حول الشواطئ الشمالية الشرقية لأفريقيا، انتهت بتأسيس خط ملاحى يمتد من مصر وعلى طول البحر الأحمر. وفي تتبع منطقي للسياسات التي كان يتبناها الفراعنة في مصر، فقد أرسلت الملكة حتشبسوت، في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، أكبر بعثة تجارية بحرية وصلت، على ما يبدو، إلى شمال الصومال أي إلى بلاد بونت] См. Кобищанов Ю. М., На заре цивилизации. Африка [в древнейшем мире. М., 1980, с.44 слл. احمد أرحيم هبو، 3، 1995، 126، 201].

ومن المحتمل أنه مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد كان القسم الشمالي من البحر المتوسط يعج بالسفن الفينيقية. وفي القرن العاشر قبل الميلاد - تقريباً - كان الفينيقيون قد وصلوا إلى بلاد أوفير، وهي المنطقة التي كانوا يجلبون منها سلعاً تجد إقبالاً شديداً وذات قيمة عالية في أسواق حوض البحر المتوسط. على الرغم من أننا لا نعرف مكان أوفير بالضبط؛ هل هي في جنوبي الجزيرة العربية أم في الصومال أم في غرب الهند] См. : Шифман И. Ш. Из истории стран Красноморского бассейна / по материалам библейской традиции/ - " Мероэ" , [вып. 3, М., 1985, с. 253-256]. وخلال الألف الثاني قبل الميلاد أصيبت حركة التجارة العالمية بنوع من التدهور، المرتبط بالجزء الشرقي من منطقة الجزيرة العربية (

وربما ارتبط الجفاف بالمنطقة كلها)، بسبب موجة الجفاف التي عمت مناطق العالم القديم. " وقد صاحب هذه التغيرات انهيار المراكز الحضارية في بلاد الرافدين". على أن هذه الحقبة التاريخية قد شهدت ازدهار مراكز حضارية محلية " عرفت بحضارة دلمون (2400-500 قبل الميلاد). وقد ارتبطت موانئ المنطقة الشرقية الرئيسية بالحضارة الدلمونية ودخلت تحت تأثيرها الحضاري والتجاري [المملكة العربية السعودية، آثار المنطقة الشرقية، 2003، 5، 80].

وقد شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم (الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر) خلال الحقبة الزمنية الممتدة من منتصف الألف الثاني وحتى بداية الألف الأول قبل الميلاد تغيرات عديدة، تمثلت بظهور قوى حضارية جديدة، كان لها تأثيراتها على كل المنطقة. فمن ناحية ظهرت بعض المراكز الحضارية في جنوبي الجزيرة العربية وشمالها الغربي وتطورت، ومن ناحية أخرى فقد تسيدت الإمبراطورية المصرية، ووصلت إلى أقصى اتساع جغرافي لها؛ فوصلت جنوباً حتى منطقة الشلال الرابع وشمالاً شملت المناطق التي تسيطر عليها بلاد الشام كاملة وجزء كبيراً من أراضي الإمبراطورية الحورية- الميتانية شمالي بلاد الرافدين وجنوبي الأناضول [محمد حرب فرزات وعيد مرعي، 1990، 159-160، 172]. ومما يرتبط بهذه الحقبة الزمنية - أخيراً - معرفة سكان الجزيرة العربية والخليج العربي، طرق استئناس الجمل، الذي يقول بعض الباحثين إن ذلك حدث في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد [علاء الدين شاهين، 73]، ويقول آخرون إن ذلك قد تم عند ملتقى الألفين الثاني والأول قبل الميلاد [مايكل تويلن، الجوبة، 1984، 1985، 16-2-83، كذلك: B. История Древнего Востока. Под редакцией B. И. Кузница, Москва 1988, 230-241، 1988، 27]. ونحن نتفق مع رأي بعثة بنسلفانيا الأمريكية التي نقتبت عن الآثار في الجوبة في اليمن خلال الأعوام 1983-1985 [مهيبوب غالب احمد، 2003، 34]. وبالمناسبة فقد لعب الجمل دوراً كبيراً في ازدهار طرق التجارة البرية خلال حقبة زمنية امتدت نحو ألف عام (على طول الألف الأول قبل الميلاد)، وأظهر قدرة كبيرة على تحمل: العطش ومشاق السفر لآلاف الكيلومترات، وبمساعدة الجمل شقت الصحراء العربية جيئة وذهاباً

في خط عرف باسم "طريق البخور" [محمد السيد غلاب، 1984، 189؛ كذلك: صبحي أنور رشيد، 2، 1984، 387-389؛ كذلك: عبد العزيز صالح، نفسه]. عند ملتقى الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، كادت المعلومات عن الملاحة البحرية أن تختفي نظراً للتطورات التي شهدتها مناطق العالم القديم، والمتمثلة بانتهيار النشاط التجاري الفينيقي ونزوح قسم كبير منهم إلى شمالي أفريقيا بسبب السيطرة العسكرية الأشورية على منطقة الهلال الخصيب كله. تلا ذلك حدوث صراعات عسكرية نشطة في بلاد الرافدين والهلال الخصيب بين قوى مختلفة. ومن بعد ملوك آشور، سيطرت الدولة الفارسية على المنطقة بكاملها.

تطور دراسة خطوط الملاحة البحرية حول الجزيرة العربية خلال الألف الأول قبل الميلاد، ازدهار التجارة الدولية

ذكرت بعض الأدبيات الغربية أن دار الأكبر كان يطمح إلى أن يصنع من بلاد فارس دولة ذات قوة بحرية عظيمة، وأن يجعل الشاطئ الفارسي مساهماً نشطاً في التجارة الدولية المطردة بين الهند وعالم البحر المتوسط. ونظم في سبيل ذلك الغرض بعض الأعمال البحرية الرائعة - كما سنرى لاحقاً -، إلا أن الصحراء قد لعبت - كما يبدو - دوراً سلبياً في طريق تنفيذ ذلك الطموح [جيمس هنري بريستد، انتصار الحضارة، ط1 1955، 275]. ومن هنا اهتمت فارس فيما بعد بالطرق البرية لتتم عملية انسياب البريد بين مختلف أجزاء الإمبراطورية بسهولة، إلى درجة أن البريد الذي كان يربط فارس باليمن (كمثال)، في أثناء الحكم الفارسي لها كان يصل براً والعكس. الأمر الذي أضطر كسرى أن يدفع مكوس (إن جاز التعبير) ورشاًوى لمختلف القبائل العربية التي كان يمر في أراضيها [شهاب، 132].

بعبارة أخرى عندما سيطرت الإمبراطورية الفارسية على الشرق القديم؛ فقد وحدت آسيا الغربية كلها ومصر و امتدت تلك السيطرة إلى الهند وآسيا الوسطى، في منتصف الألف الأول قبل الميلاد، وربطت فارس بالهند ومصر بالطرق البحرية والبرية. ولتحقيق هذا الهدف أسكن يونانيين له في مستوطنات على ساحل الخليج العربي منها أمبي [محمود شاكر، 44]، وتم توحيد وحدات الوزن والقياس وصك عملات ذهبية وفضية لكل الأقاليم. وتم استكمال شق قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر. ونتيجة لذلك تطورت التجارة بشكل ملحوظ، وفتحت آفاق جديدة للتطور الاقتصادي. * لقد تجاوز حجم التجارة

في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد أي مقدار عرفته في ما سبق منطقة الشرق القديم. غير أن أهم ما تميزت به التجارة هو أنها كانت تركز بالأساس على المنتجات العادية المستخدمة في الحياة اليومية، وعلى الأدوات المنزلية والملبوسات الرخيصة وذلك عكس الفترات السابقة لها التي ركزت على السلع الكمالية. ومن هنا فقد اتجه تطور الصناعة لخدمة كل طبقات المجتمع في الإمبراطورية [R. Ghirshman, Iran (London: .. , 1954) , pp. 181-188. وكانت التجارة مع أقاليم الهند والجزيرة العربية واليونان أوسع بكثير من ذي قبل] Mikhail Ivanovich Rostovtsev, The Social and Economic History of Hellenistic World, 3 vols. (Oxford: Clarendon Press, 1941) , vol. 1 , pp. 83- 90.

وفي المقابل فقد كان لدخول الاسكندر الأكبر إلى الشرق ، وسيطرته على مناطق حوض البحر المتوسط والشرق الأدنى القديم أن جلب معه الفن والفكر والتقنيات اليونانية الأرفع التي لا مثيل لها إلى قلب الشرق الأوسط. فتم بناء مئات المدن إما على يده أو على أيدي خلفائه؛ من الإسكندرية في مصر إلى الإسكندرية- آريون في أفغانستان والتي تعرف اليوم باسم " هراه " ، ومن أنطاكية في سورية إلى أنطاكية الفارسية على الخليج. وظلت أنطاكية " الفارسية" طيلة تاريخها اللاحق نقطة ارتكاز لتجارة السلوقيين ومصالحهم في منطقة الخليج العربي [محمود شاكر، 48]. وفي كل الأحوال فقد شهد المجال الاقتصادي خلال العصر الهيلينستي تطورين مهمين؛ الأول: تطور موارد الشرقيين؛ الأدنى والأوسط على نحو أكثر رشادة وكثافة من أي وقت مضى، والثاني: " إن حجم التجارة الدولية ومداهما بين مختلف أجزاء العالم القديم قد اتسعا على نحو كبير" [شارل عيساوي، 1991، 61]. وقد كان اقتصاد مصر أكثر تطوراً بفضل الإدارة الفعالة التي خططت وأدارت ذلك الاقتصاد. وبدا أن الأمر نفسه- وإن بدرجة أقل- في منطقة الهلال الخصيب (سورية وبلاد الرافدين والأناضول). وكانت الموانئ الممتازة سبباً في تسهيل حركة التجارة الدولية واتسبابها على خطوط برية وبحرية مأمونة. وكانت أكثرها أهمية ميناء الإسكندرية المتميز بمنارته الشهيرة [Edward Morgan Forster , Alexandria : A History and a Guide, A Doubleday Anchor Original : A 231 , 3rd ed. (Garden City, N. Y. : Anchor Books, 1961) , pp. 141- 153

لذلك فقد شهدت الحقبة الممتدة من نهاية القرن السابع وحتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد تطوراً كبيراً في دراسة طرق الملاحة البحرية واستيعابها في المحيط الهندي وبحر الخليج العربي والبحرين العربي والأحمر . الأمر الذي عكس نفسه على سرعة تطور حركة التجارة الدولية بين مناطق شرقي آسيا وشمال شرقي أفريقيا من جهة وبين جانبي حوض البحر المتوسط الشرقي والغربي من الجهة الأخرى، أي بين شرقي آسيا ومصر وشمال شرقي أفريقيا (منطقة ما يعرف اليوم بالقرن الأفريقي) والجزيرة العربية من جهة ومناطق الشرق الأدنى القديم وحوض البحر المتوسط من الجهة الأخرى. وقد شهدت تلك الحقبة الزمنية إقبالا شديداً على السلع المنتجة في شبه القارة الهندية (كالتوابل والعقيق والقطن) والسلع التي تنتج في بلاد العرب الجنوبية (البخور والورس والصبر وغيرها)، فضلاً عن منتجات شمال شرقي أفريقيا. ولذلك عملت الدول الكبرى في تلك الفترة على الاستيلاء على مناطق إنتاج تلك السلع وطرق تسويقها. وهنا يجب التنويه إلى أن المصادر المسندية قليلة جداً إن لم تكن معدومة (في الأقل خلال تلك الفترة التي نحن بصدد دراستها) في إعطائنا معلومات عن التجارة البحرية. ومن غير المعقول ألا يكون لسكان السواحل في جنوبي الجزيرة العربية وشرقيها سفن تجارية في تلك الحقبة الزمنية التي نتحدث عنها هنا. فلقد تكاملت المناطق الحضارية في الشرق القديم بعضها مع بعض (حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين وبلاد الشام وأخيراً حضارة الجزيرة العربية). ومن غير المعقول أنها استخدمت الطرق البرية في علاقاتها المتبادلة. ومنذ قديم الزمن كانت تجارة السوريين والفينيقيين مع مصر وبلاد الرافدين واسعة. إذ صدروا الأخشاب والمنسوجات والزجاج وغير ذلك من المصنوعات، وحصلوا على حق إقامة أحياء خاصة بهم في مدن مصرية مختلفة، مع العلم أن مادة القطن كانت تستورد من الهند، إن لم تكن كلها فعلى الأقل أغلبها. وفيما بعد وسعوا نشاطهم بشدة غرباً منشئين مستعمرات في شمالي أفريقيا وإسبانيا ومن ثم أبحروا إلى بريطانيا [Sabatino Moscati, The World of Phoenicians, translated from the Italian by Alastair Hamilton, Praeger History of Civilization (New York: Praeger, 1968)].

لقد كان هذا التركيز على الصناعة والتجارة أمراً فريداً من نوعه في العصور القديمة. وبذلك أكد غوردون تشايلد¹ أن نسبة الذين عملوا بالصناعة والتجارة من الفينيقيين كانت أكبر بكثير من الذين عملوا بها في مصر وبابل وآشور وبلاد الرافدين حيث كانت الزراعة تسيطر على معظم النشاط الاقتصادي [Gordon Childe, What Happened in History, A Pelican Book (Harmondsworth, Eng. : Penguin Books , 1942) , p. 146. لذلك اتسع نطاق التبادل التجاري الدولي في الاتجاهات المختلفة، أولاً؛ في البحر المتوسط (مع اليونان وقرطاجة وصقلية وشبه جزيرة إيطاليا). ثانياً- مع الهند وجزيرة العرب وشرقي أفريقيا] للعلم كان الأوسانيون ومن بعدهم القتبانيون يسيطرون على مناطق تمتد من عصب وحتى جزيرة مدغشقر، عن طريق مجموعة من الطرق البحرية وطرق القوافل. ولهذا الغرض استخدم طريقان رئيسيان، هما: طريق البحر الأحمر حتى الموانئ السورية الغربية، وطريق الخليج العربي الذي كان ينتهي - أيضاً- عند الموانئ السورية الشمالية والشمالية الغربية. وكان التنافس بين البطالمة وبين السلوقيين على تلك الطرق شديداً. ولهذا تطورت دراسة طرق الملاحة البحرية، منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد، في عهد الفرعون (نيخو) ثم في العصر الفارسي فيما بعد. وازدادت وتيرة تلك الدراسة منذ أن حط الاسكندر المقدوني رحاله في بابل مع نهاية ثلاثينيات القرن الرابع قبل الميلاد، ومن بعده البطالمة في مصر والسلوقيون في سورية. وسنتناول دراسة الطرق البحرية خلال هذه الحقبة الزمنية، على النحو الآتي:

1- دراسة طرق الملاحة البحرية بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد:

تورد رواية كتبها أحد المستشرقين الغربيين على أنه وجدت مملكة على رأس الجزيرة العربية الشمالي الشرقي وقد سماها " مملكة أرض البحر - Sea land " القديمة. وكانت تسيطر على منطقة تمتد حدودها بالقرب من مصب الفرات إلى قرب دلمون. قامت هذه المملكة في الألف الأول قبل الميلاد وكانت تضم كلدانيين وعرباً. وفي بداية القرن السابع قبل الميلاد حاول ملك هذه الأرض أن يتمرد على سيده الملك الأشوري سنحريب (705 - 681)، ففشل في ذلك التمرد وفر هارباً. إذ أحضر سنحريب فينيقيين إلى نينوى وهناك بنوا له سفناً، قادها في ما بعد ملاحون من صور وصيدا وقيرص.

فأرسل الملك الأشوري جيشاً على تلك السفن إلى أرض البحر، لملاقاة جنود ملك أرض البحر، وعندما لحقت بهم هزيمة فر ذلك الملك. الأمر الذي يعني أنه كان يوجد حد أدنى من النشاط البحري للأشوريين في ذلك الوقت [Dougherty R. P. The Sea land of Ancient Arabia, New Haven 1932, pp. 170-172]. وأورد مستشرق آخر قصة تلك الحملة التي أرسلها سنحريب في أحد النقوش الآشورية، بالشكل الآتي؛ إن تلك الحملة تدل على إن منطقة الخليج الذي سماه " الفارسي " كانت تنقصها الخبرات الخاصة بصناعة السفن أو أن سنحريب ربما توقع مقاومة بحرية قوية فأراد أن يظهر تفوقه عن طريق بناء أسطول بحري كبير، مع العلم إن ذلك الأسطول بني بخبرات فينيقية [Daniel David Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago 1927, vole 2, pp. 3180 321]. وبعبارة أخرى فإن هاتين الروايتين تلقيان الضوء على أن النشاط الملاحي في الساحل الفارسي كان ضعيفاً إن لم يكن معدوماً بالمرّة، فضلاً عن ذلك فإنه لم يوجد نشاط ملاحي في عصر الدولة البابلية الحديثة [أنظر: جورج فضلو حوراني، 1958، 39].

في بداية القرن السادس قبل الميلاد وبمرسوم من فرعون مصر نيخو الثاني (610 - 595 ق. م.) فتحت من جديد الطريق البحرية بين مصر و مناطق حوض المحيط الهندي وذلك عبر البحر الأحمر، وكان الفينيقيون هم الذين كلفوا بتلك المهمة. إلا أنهم لزموا ساحل أفريقيا الشرقي فداروا حول أفريقيا في مدة استمرت ثلاثة أعوام. يشير هيرودوت إلى أنها تمت في عام 600 قبل الميلاد تقريباً [. История Африки . Хрестоматия , М. 1979, с.125 : Herodotus, The Persian Wars, 1V, 42, translated by George Rawlinson with an introduction by Francis R. B. Godolphin, Modern Library: 255(New York: Modern Library, 1947, p. 306]. وفي عهده، أيضاً، تمت محاولة شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر عبر النيل، وكانت طول تلك القناة حوالي 84 كم تقريباً. وتشير بعض الدراسات أنه توفى بسبب ذلك العمل حوالي 120000 فرد من الذين عملوا على شق تلك القناة [. История Древнего Востока. С. 68]. وبالرغم من أن بعض المستشارين عارضوا خطة الفرعون نيخو الثاني في شق تلك القناة -حسبما يرى مؤلفو كتاب؛ " لمحات من تاريخ أفريقيا"، إلا أنه تمت بنجاح عملية الشق وإن في غير

المكان الذي كان قد حدد من قبل [История Африки . Хрестоматия , с.125]. لكن تلك القناة تركت فيما بعد دون صيانة أو تنظيف فملأها الرياح بالرمال، وطمرت نهائياً، ذلك لأنه جرى فيما بعد إعادة شق قناة عرفت باسم قناة سنوسرت.

عندما سيطر الإمبراطور الفارسي دارا الأكبر على مصر (521 - 485 قبل الميلاد)، قدر عالياً قيمة ربط مصر والهند بفارس بحراً وبراً - كما سبق - وفي سبيل ذلك أمر بتنظيم بعض الأعمال البحرية التي رآها ضرورية. فأمر بإعادة حفر قناة سنوسرت (وهناك من يقول أنه أعاد تنظيف قناة نيخو الثاني، وفي جميع الأحوال فقد استخدم قناة تربط النيل بخليج السويس)، التي تربط النيل بالبحر الأحمر. وأرسل بعثة بحرية لدراسة الطريق البحري الممتد بين مصر والهند. وكان يوجد بعهدة تلك البعثة عدد من السفن، أو ربما أسطول بحري بكامله، حسب تسمية حوراثي، وقد ترأس البعثة قائد بحري، يسميه حوراثي بـ "سكيلاكس الكر يندي" وأنه من مواليد "كريندا التي تقع على ساحل كاريا وهي من مناطق آسيا الوسطى" ويتفق معه في ذلك مؤلفو كتاب: "لمحات من تاريخ أفريقيا" المذكور سابقاً، بأن سكيلاكس من الكر يندي وخلال ثلاث سنوات قضاها في البحر، انطلق سكيلاك من نهر السند ماراً بالقرب من سواحل إيران فوصل إلى مصر [حوراثي، 40 ؛ كذلك: [История Африки . Хрестоматия , с.125]. على أن معد موسوعة الخليج العربي: محمود شاكر يرى أن سكيلاكس؛ لم يواصل رحلته إلى مصر بل إلى منطقة الخليج العربي [محمود شاكر، 44]. لقد اعتمد جورج حوراثي في رأيه ذاك ومعه أيضاً معدو كتاب "لمحات من تاريخ أفريقيا"، على معطومات استقوها من هيروdot المؤرخ الإغريقي الكلاسيكي الذي كان قريباً جداً من تلك الأحداث، كونه كتب عن فارس في حينه بما فيه الكفاية. لقد كان دارا الأكبر يطمح في أن يعيد لمصر وساطتها في التجارة بين مناطق شبه القارة الهندية والبحر المتوسط وأن يساهم في ذلك الساحل الفارسي غير أن حلمه لم يتحقق [شهاب، 133]. فقد دخلت الدولة الفارسية في حروب طاحنة مع الإغريق استهلكت الكثير من إمكاناتها العسكرية والمالية والبشرية، وكذلك بدأت تواجه تمردات في مصر ذاتها. تلك هي المعلومات المتوفرة عن النشاط العربي في البحار المحيطة بالجزيرة العربية وبقية مناطق الشرق القديم، حتى القرن الرابع قبل الميلاد.

دراسة خطوط الملاحة البحرية، تطور التجارة الدولية في الخليج العربي خلال عهد الاسكندر المقدوني

عندما قرر الاسكندر المقدوني غزو الشرق كانت قد تكونت لديه فكرة متكاملة عن ثروة الشرق الأدنى وشرقي آسيا، ومن ضمن تلك المعلومات أبلغها إليه مستشاروه حول ثروات العرب، ومنهم العرب الجنوبيين من منتجات وغنى أسطوري. فقد كان أولئك القوم (العرب) لا ينتجون البخور بأنواعه والأفاويه ولكنهم يتاجرون بمنتجات شمال شرقي أفريقيا وشبه القارة الهندية من التوابل والقطن والعقيق واللزورد وغيره. ولقد بدا أن حياة الاسكندر المقدوني ونشاطه كانت فاصلة بين عصرين: العصر الكلاسيكي وقد مثلته؛ إمبراطوريات في الشرق (مصر وبابل وفارس) وفي الغرب وقد مثلته؛ بلاد الإغريق (أثينا واسيرطة)، وعصر الاسكندر وهو الذي خلق عليه الباحثون تسمية العصر الهلينيستي. وبحسب جورج حوراني: "ربما لو كانت امتدت به الحياة قليلاً (توفى سنة 323 ق.م.) لكان قد زاد على وحدة الإمبراطورية الفارسية (وحدت شواطئ البحر المتوسط الشرقية وسواحل خليجي المحيط الهندي" المقصود؛ بحر الخليج والبحر الأحمر) السياسي والاقتصادي، استغلال اليونان لمنافع تلك الوحدة في الميدان الاقتصادي، وبددوا بحبهم للاستطلاع الظلام الذي اكتنف الجزيرة العربية زمناً طويلاً" [حوراني، 42].

بعدما فرغ الاسكندر المقدوني من سيطرته على معظم مناطق الشرق الأدنى ووصله إلى نهر السند، عاد واستقر في بابل التي اتخذها عاصمة لإمبراطوريته. هناك أعد الاسكندر خطة للسيطرة على طرق الملاحة البحرية حول جزيرة العرب وشمالي المحيط الهندي، لأنه كان يرغب في أن تكون الإسكندرية التي أسسها سنة 332 قبل الميلاد، ميناء تلتقي فيه تجارة الشرق بتجارة الغرب. وفي بابل عمل الاسكندر على استقدام الفينيقيين للملاحة في بحر الخليج والاستيطان على شواطئه. كما اشتغل خلال السنة الأخيرة من عمره في بناء السفن وصناعتها سفينة سفينة، وقد استفاد الاسكندر من بعض أشجار السرو التي كانت تنمو بالقرب من بابل وجلب ما لم يتوافر من الخشب من مناطق أخرى. وعمل الاسكندر على تنظيف مجرى نهر الفرات لتحسين الملاحة فيه، فضلاً عن تحسين وضع ميناء بابل ذاتها، لتكون قادرة على استيعاب رسوا السفن التي ستصل إليها [نفسه، 43].

وكان الاسكندر قبل ذلك قد كلف أحد قاداته للقيام برحلة بحرية من الهند حتى الخليج العربي. وكانت مهمة البعثة استكشافية، فاتجهت جنوباً نحو مياه المحيط ومن هناك نحو بحر الخليج، وقد اختلفت الروايات حول عدد سفن تلك البعثة. إذ أن أريان؛ مؤلف كتاب الهند والمكس في الأساس لرحلة نيارخوس، لا يذكر كم كان عدد السفن، على الرغم من أنه يقول بالحرف؛ " إن هدف القصة في كتابه هذا هو تلخيص الرحلة التي نفذها نيارخ مع الأسطول، من نهر السند عبر البحر الكبير وحتى الخليج الفارسي"، الأمر الذي يوحي من خلال كلمة " الأسطول" أن عدد السفن كان كبيراً. وهو ما يتفق مع رأي الدكتور جواد علي. لكننا نلاحظ أريان يسهب في شرح الحوار الذي دار بين الاسكندر وبين نيارخوس حول من هو الشخص الذي يجب أن يكلف بالقيام بتلك المهمة، إلى أن استقر الرأي في الأخير على أن يتولى نيارخوس قيادة هذه البعثة البحرية [Арриан, Индия, ВДИ, 1940,] (9) 19-217]. بينما يرى حوراني استناداً إلى معلومات استقاها من اريستوبولوس، أن عدد السفن كان ثلاثاً فقط [جورج حوراني، 43]. لكن الدكتور جواد علي كتب يقول: إن عدد السفن التي تكونت منها تلك البعثة شكلت أسطولاً ضخماً. ويشير إلى أنه ربما كان أكبر أسطول عرفه بحر الخليج والبحر العربي حتى ذلك العهد. وقد استعان الاسكندر بخبرة الفينيقيين وعلمهم بالبحر، وهم الذين نقلهم إلى هناك للإشراف على بناء سفن الأسطول [جواد علي، 7، 267-268]. وتذهب بعض الأدبيات إلى أن عدد السفن بلغ حينها 47 سفينة، وأن الأسطول الذي قاده نيارخوس قد انطلق من مصب السند حتى منطقة الخليج العربي [محمود شاكر، 47]. ولا نعرف من أين أتى بهذه المعلومة؟ وفي كل الأحوال فإننا نتفق مع ما كتبه أريان وكذلك جواد علي من أن عدد السفن كان كبيراً.

على كل حال فقد ترأس تلك البعثة القائد البحري نيارخوس (Nearchus)، ورافقه فيها زميله المؤرخ أونيسكريت (Onisickrit)، فضلاً عن ملاحين من الفينيقيين ومن غيرهم، الذين خبروا البحر جيداً. يروي أريان، أنه قبل انطلاق البعثة، قدم نيارخوس ضحية لكبير آلهة الإغريق؛ " زيوس - المنقذ"، وكذلك أقام مع زملائه في الرحلة حفلة وداع [Арриан, Индия, ВДИ, 1940, 2, 20]، وهو ما يعني أنهم كانوا خائفين من البحر. ولكن نيارخوس وزملاءه وافقوا على تنفيذ ما كلفهم به قائدهم الاسكندر

والتضحية؛ في سبيل الوطن والإمبراطور. انطلقت البعثة من مكان ما على نهر السند (ربما عند مصب النهر) وباتجاه مجراه جنوباً حتى مياه المحيط لتتجز مهمة عبور مضيق هرمز (كان يسمى حينها رأس مستندم)، والدوران حول سواحل الجزيرة العربية الشرقية بغرض استكشافها. ويشير أريان إلى أن أفراد هذه البعثة لاحظوا لساناً من السلسلة الجبلية الممتدة حتى البحر، وهي تتصل بالجزيرة العربية، وتسمى "ميكيت - Maketa". [Arrian, Индия, ВДИ, 1940, 2. 19- 32(6-7).]

كما أرسل الاسكندر من قبل بعثة بحرية من ميناء جرينبول في مصر إلى البحر الأحمر للدوران حول الجزيرة العربية من الغرب والوصول إلى باب المندب. [Arrian, Индия, ВДИ, 1940, 2, 43(7)]. كما أرسل كذلك من أسفل الفرات عدة بعثات بحرية من المفروض أن تصل إلى مصر، ولكن وصلت سفن إحدى تلك البعثات حتى البحرين فقط (ديلمون) حيث شاهد ملاحوها مصائد اللؤلؤ [Arrian, Поход см. (6-10), 1962, У11, 20, Александра. كذلك: حوراني، 43]. أي أنها لم تحقق أهدافها في الدوران حول السواحل العربية الجنوبية والشرقية كاملة. إلا أن معد موسوعة الخليج العربي يقول: إن القائد نيارخوس قد دار حول مضيق هرمز وفي طريقه إلى رأس الخليج الشمالي مرت البعثة البحرية على "ساحل كرمان عند كاتايا (ربما قيس) التي قال أنها جزيرة صحراوية عند الإله هرميس والآلهة أفروديت وزيارتهم لجزيرة صغيرة قال إنها مشهورة بصيد اللؤلؤ..." [محمود شاكر، 48]. على الرغم من أن مرافقي نيارخوس نفسه أشاروا إلى أن معرفة اللؤلؤ تم من قبل أعضاء بعثة أخرى كانت انطلقت من أسفل الفرات. بعبارة أخرى لم تصل بعثة نيارخوس إلى الطرف الشمالي لبحر الخليج العربي [أنظر أريان آنفاً]. إلا أن وفاة الاسكندر وهو في سن الشباب، قد وضع حداً لمشروعه الطموح في السيطرة ليس على أراضي الإمبراطورية الفارسية فقط ولكن على طرق الملاحة البحرية في الشرق. وبعبارة أخرى حاول اليونانيون وغيرهم انتزاع تجارة المحيط الهندي من أيدي العرب ولكن محاولاتهم تلك باءت بالفشل. على أن العالم القديم كان قد حصل بفضل تلك البعثات على معلومات موثوق بها عن الإبحار حول شواطئ الجزيرة العربية، وبالذات من نهر المند وحتي مضيق هرمز [Arrian, Индия, ВДИ,

32- 21, 2, 1940]. وكانت الخطوات التالية نحو تحقيق ذلك الهدف - من نصيب الأسرة البطلمية التي حكمت مصر بعد وفات الاسكندر المقدوني: [см. Об этом подробно ; Хвостов М. М. История восточной торговли греко-римского Египта, Казань 1907]. وهو ما قامت به تلك الأسرة من ناحية الجناح الغربي للجزيرة العربية، أما من الناحية الشرقية للجزيرة فقد برزت بعض مدن القوافل على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية. وعند ملتقى الألفين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي انتقل ذلك الدور إلى أعالي الفرات (كما سنرى لاحقاً).

منطقة الخليج العربي في عهد خلفاء الاسكندر المقدوني:

سبقت الإشارة إلى أن الإمبراطورية الفارسية و من بعدها الاسكندر قد وحدتا شواطئ البحر المتوسط وسواحل خليجي المحيط الهندي، إلا أن وفات الاسكندر ساعدت وإن بصورة غير مباشرة على فصل سواحل خليجي المحيط الهندي (البحر الاريثري وبحر الخليج العربي)، عندما أصبحت بلاد الشام تحت سيطرة السلوقيين ومصر تحت سيطرة البطالمة. و كان لزيادة الطلب على سلعة البخور والأفاويه في مناطق حوض البحر المتوسط وبلاد ما بين النهرين أن استدعى زيادة المحصول السنوي وكذلك زيادة عدد مرات جمعه [Pliny X11, 58]. في هذه الأثناء اشتد التنافس بين سبأ وقُتبان على السيطرة ليس على مناطق إنتاج البخور فقط، بل وعلى طرق تسويقه. ولذلك حاولت مملكة حضرموت، التي كانت تصرف منتجاتها عبر قُتبان ومملكة سبأ أن تجد لها منفذاً نحو الساحل الشرقي للجزيرة العربية لتصريف منتجاتها بعيداً عن وصاية السبئيين. وبحسب اندروسثين (Androspheny) أحد مرافقي نيارخ القائد المقدوني، فقد كان الجرهانيون هم الذين يتاجرون بالبخور الحضرمي. وكان يتم نقله براً من منطقة إنتاجه (في ظفار ساكن)، الواقعة شرقي المملكة الحضرمية.

كانت جرهاء في الأصل مدينة عربية كلدانية، ثم انضم إليها مهاجرون آخرون من مناطق مختلفة من الخليج والبر الداخلي للجزيرة العربية. وهي تقع على ساحل الإحساء بجانب ميناء العقير الحالي. يشير بعض الباحثين أن الجر هانيين كانوا خلفاء الديلمونيين [المملكة العربية السعودية، 5، 2002، 80-81]. ففي منتصف الألف الأول

قبل الميلاد ورث الديلمونيين أقوام جدد عرفوا بالجرهيين، وهم " أقوام عرب كلدانيون أقاموا مع بعض إمارة عرفت في الأدبيات التاريخية بمملكة جرهاة وكانت جرهاة المدينة عاصمة دولتهم. ومن ثم حكم الجرهانيون كامل المنطقة الشرقية منذ عام 500 - 250 قبل الميلاد" [نفسه]. على الرغم من أن جواد على كان قد أشار إلى أنه عثر على نص أرخ في السنة السابعة من سني فيلبس (فيلفوس) وتقابل هذه سنة 317 قبل الميلاد. وهو نص بابلي ورد فيه اسم أرض دعيت (برديسو) وتقابل هذه الكلمة كلمة بلدان بالعبرائية وفردوس بالعربية، وتقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب، بين مجان وبيت نبساتو التي هي جزيرة دلمون . وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في أن ما ورد عن جنة عدن في التوراة، إنما مرده إلى هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج العربي. [جواد على ، المفصل، ج1، 562 - 563]. إن ما جاء في هذه الفقرة يتفق إلى حد كبير مع ما جاء في الأسطورة السومرية، التي ذكرت في مكان سابق هنا، لكن أن تفهم كون تاريخ ذلك النص يطابق 317 قبل الميلاد، فيه نظر، ويحتاج إلى دراسة وتحر أكثر (خارطة رقم 2).

وعلى كل حال فقد كانت جرهاة ملتقى القوافل التجارية الدولية القادمة من الهند وأفريقيا وباتلا (حيدر آباد) وبلاد العرب الجنوبية وهو الطريق الذي يربطها شمالاً بالفرات وسلوقية على دجلة وتالياً بسورية [محمود شاكر، 49]. ويبدو أن دور جرهاة عند منتصف القرن الثالث قبل الميلاد بدأ يتلاشى لتحل محلها مدن قوافل أخرى مثل؛ ثاج ومليحة، وهي مدن ظهرت على الطريق الذي كان " يربط العراق بجنوبي جزيرة العرب". وفي مليحة تم العثور على كتابات قبورية بالخط العربي الجنوبي نشرها المستشرق الفرنسي روبان في مجلة ريدان العدد السادس الصادر سنة 1994. وبعبارة أخرى لم يواصل خلفاء الاسكندر المقدوني، من الأسرة السلوقية، نشاطاً ملحوظاً في منطقة الخليج العربي. إلا أن القرن الثالث قبل الميلاد كان بالنسبة للجرهانيين أكثر نشاطاً في هذه المنطقة. إذ تولوا مسؤولية إيصال البخور عبر بحر الخليج إلى جنوب بلاد ما بين النهرين و ربما بعضاً منه عبر البر كذلك.

شهد الساحل الشرقي للجزيرة العربية خلال القرن الثالث قبل الميلاد حركة تجارية نشطة برية وبحرية. فقد ظهرت مدن وبنيت موانئ، على طول الطريق التجاري الدولي (البري والبحري). فقامت مدينة هجر والمشقر ومدينة جواثي، العقير، ناروت الحظ وثاج وهي التي ذكرت في نقش النمارة لامرئ القيس في بداية القرن الرابع الميلادي، ومدن أخرى كثيرة كانت على علاقة بالتجارة العربية الجنوبية وآشور ومصر وبلاد اليونان [المملكة العربية السعودية، آثار المنطقة الشرقية، 5، 81]. ولأن الأسرة السلوقية الحاكمة في سورية لم تهتم بالتجارة البحرية من خلال الخط البحري الذي وضع أسس معالمه نيارخوس، بل كانت تجارتها مع الهند على - ما يبدو - تتم عن طريق البر، عبر الهضبة الإيرانية. وهنا يشير جورج حوراني فيم يخص تجارة الفيلة في حوض البحر المتوسط؛ إلى أن الفيلة على الأقل كان يوتى بها عبر البر الإيراني، على أنه لا يستبعد مرور بعض التجارة عن طريق البحر [حوراني، 45]. وعندما أُنشئت مدن القوافل في منطقة الهلال الخصيب، مثل تدمر والحضر ومدن أخرى على طريق القوافل مثل؛ ثاج ومليحة وغيرها، ويتشجع من روما، يبدو أن تلك المدن قد تمكنت من أن تخطف الدور التجاري الجبر هائي. وبذلك توارت هذه المدينة، أو في الأقل لم تلمس دورها التجاري من حلال الأدبيات التاريخية اللاحقة بصورة واضحة.

منطقة شمال غربي المحيط الهندي (البحر العربي وخليج عدن) (بين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد)

سبق الحديث عن أن الاسكندر المقدوني كان قد أرسل من مصر بعثة بحرية للطواف حول الجزيرة العربية، ويبدو أنها وصلت إلى مضيق باب المندب. لكن وفاته أرجأت خطته في أن يكون للإسكندرية دوراً هاماً في الاقتصاد العالمي بين مناطق حوض المحيط الهندي وجنوب غربي آسيا ومناطق حوض البحر المتوسط. وخلال القرن الثالث قبل الميلاد واصل البطالمة ما كان قد بدأه الاسكندر، فتواصلت الرحلات البحرية، ابتداءً من رحلة أريستون (Ariston) الذي تتبع بدقة حركة الملاحة في البحر الأحمر حتى عدن [См. Диодор сицилийский, историческая Библиотека, 111, 42-48, 4 особенно 42, 1-2]. وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد (في حوالي 116 / 115) تمكن أحد البحارة

الإغريق، وكان يدعى إيودوكس الكيزيكي من الحصول على معلومات عن نظام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، من أحد الهنود الذين تحطمت سفينتهم في مكان ما من خليج عدن (أي الرياح التجارية)، التي تهب في المحيط الهندي. وقام برحلة إلى الهند والعودة في عرض البحر، أي أنه لم يلزم السواحل [عن هذه الرحلة أنظر: Страбон, 11, 111, 4]. ومباشرة كلف القبطان هيبا لوس باختبار تلك المعلومات التي أوصلها إيودوكس لبطليموس مصر ومن سبقوه، والإبحار في وسط المحيط والعودة. وبالفعل تم له ما أراد، وتمكن من تلخيص أكثر الخطوط الملاحية اقتصاداً في وقته، إلى درجة أن الرياح الموسمية التي كانت تهب على شمال غربي المحيط الهندي سميت فيما بعد باسم هيبا لوس ذاته [أنظر: كتاب الطواف حول البحر الأريترى الفقرة 57 منه، وكذلك: [Плиний У1, 101].

ومع بداية العصر الميلادي أصبحت معظم قوافل التجارة الدولية تمر عبر البحر، وبذلك وجهت ضربة اقتصادية قاسية لاقتصاد دولتي معين وسبأ العربيتين الجنوبيتين اللتين كانت تعتمدان على الدخل المالي من ضرائب مرور التجارة الدولية على أراضيها.

الخلاصة:

من خلال تتبع تطور خطوط الملاحة البحرية وارتباطها بالتجارة الدولية يمكن أن نستنتج ما يلي:

أولاً- كان ركوب البحر إحدى المهن التي عمل بها معظم العرب الذين سكنوا السواحل البحرية، وكان أولئك البحارة يجلبون من الهند كل ما تحتاجه ليس فقط بلاد العرب في جنوبي الجزيرة العربية وشرقيها، ولكن ما تحتاجه تلك المناطق العربية البعيدة مثل بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر. فضلاً عما تحتاجه مناطق حوض البحر المتوسط الغربية. وساعدهم في ذلك موقع بلادهم على الطريق التجاري بين شرقي آسيا وشمال شرقي أفريقيا من جهة وبين مناطق الهلال الخصيب (بلاد الرافدين وسورية) ومصر من الجهة الأخرى.

ثانياً- عرف العرب في هذه المنطقة من العالم صناعة السفن التجارية والقوارب البحرية منذ القدم، فقد بدؤوا حياتهم بالمطيل والأطواف والأرماث وزوارق من الجلد، لكنهم انتقلوا فيما بعد إلى بناء القوارب من الخشب والجرع ومن النخيل أيضاً. وكانوا يطلون القوارب والسفن بالقار لمنع تسرب المياه إلى داخل السفينة أو القارب. بل وأطلقوا تسميات مختلفة على تلك السفن والقوارب، مثل البطيل وال" هوايرية" والبقرة. وكان يتم جلب الأخشاب إما من

الأحراج التي كانت تنمو في جنوبي بلاد العرب أو من مناطق الهند. أما الجرع فقد كان ينمو بكميات وفيرة حول السواحل العربية. في البداية استخدموا الحبال المصنعة من ليف النخيل في شد جذوع الرمث بعضها إلى بعض و كذلك، في خياطة جوانب القارب والأضلاع التي تسند قاع القارب، وعند ظهور المسامير الحديدية التي قامت مقام الحبال في شد ألواح الخشب بعضه ببعض. وكان يصل طول القارب في منطقة الخليج العربي إلى حوالي عشرة أقدام أو أكثر، ويركبون عليها شخصين في الغالب، وكانت تصنع من سعف النخيل.

ثالثاً- مرت حركة اكتشاف الخطوط الملاحية البحرية بعدة مراحل بدءاً من:

1- الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، حيث كانت سفن دول المدن السومرية أور ولجش وغيرها وفيما بعد سفن أكاد، فضلاً عن سفن دلمون، تجوب مياه الخليج العربي جينة وذهاب لنقل السلع المختلفة. وفي الجناح الغربي للجزيرة العربية كانت البعثات البحرية لفراعنة الدولة الوسطى مستمرة للبحث في معرفة أفضل الخطوط الملاحية في البحر الاريثري، ومنها البعثة المشهورة التي أرسلتها الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت.

2- و شهد الألف الأول قبل الميلاد؛ تطورات سريعة في حركة اكتشاف خطوط الملاحة البحرية، في شمال المحيط الهندي والخليج العربي وخليج عدن، فضلاً عن البحر الأحمر. وكان ذلك مرتبطاً بازدياد حركة التجارة الدولية وزيادة التبادل التجاري بين مناطق شبه القارة الهندية وشمال شرقي أفريقيا والجزيرة العربية من جهة وبين مناطق الهلال الخصيب (بلاد الرافدين وسورية) ومصر ومناطق حوض البحر المتوسط من الجهة الأخرى.

3- منذ القرن الثامن قبل الميلاد سيطر ملوك آشور على حوض الفرات وشمال بحر الخليج العربي ومن أولئك الملوك سنحريب. ومع نهاية القرن السادس قبل الميلاد حاول ملوك فارس (بدءاً من دارا الأكبر) أن يسيطروا على خطوط الملاحة البحرية في شمال غربي المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر. ولهذا الغرض أرسل دارا الأول؛ أحد البحارة لاكتشاف هذه المنطقة من مصب نهر السند وحتى مصر.

وكذلك عمل على شق قناة تربط البر المصري مع مياه البحر الأحمر، عندما استولى على مصر في تلك الفترة.

4- شكلت سيطرة الاسكندر المقدوني على بلدان الشرق القديم، في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، بداية عصر جديد في حركة الملاحة البحرية والتجارة الدولية أيضاً. أي أنه ابتداءً من بعثة نيارخوس التي انطلقت من مصب نهر السند مروراً برحلات أريستون واكتشافات ايدوكسوس الكيزيكي لنظام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية (ما بين 323 وحتى 115 قبل الميلاد)، حصل العالم على معلومات مؤكدة حول خطوط الملاحة البحرية التي أكتدها القبطان هيبا لوس في رحلته التي انطلق فيها من مصر وحتى الهند والعودة، شاقاً طريقه في عرض البحر وليس قرب السواحل. وبذلك أصبحت التجارة الدولية تنقل عبر البحار في سفن تشق عباب البحر من منتصف القرن الأول قبل الميلاد. وباختصار فقد كانت للجزيرة العربية في ذلك الوقت أهمية كبيرة، ليس فقط في تأمين طرق التجارة الدولية بين مختلف مناطق العالم القديم، بل وكانت تنتج أهم السلع المرغوبة في ذلك الوقت (البخور واللؤلؤ والنحاس والمعادن المختلفة).

المصادر والمراجع المستخدمة في البحث:

أولاً- المصادر والمراجع العربية والمعربية :

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار التملك في ذكر الآثار الثمينة والمناسك المعروفة بـ: رحلة ابن جبير، ط2، مكتبة دار الهلال/ بيروت 1986.
- 3- أحمد أرحيم هيو، تاريخ الشرق القديم (3) مصر، دار الحكمة الليمانية- صنعاء 1995.
- 4- الكسندر نيميروفسكي، حكايا العالم القديم، تعريب: فراس جلاحج، دار كنعان- دمشق 2006.
- 5- المملكة العربية السعودية- وزارة المعارف/ وكالة الآثار والمتاحف، أثار المنطقة الشرقية، ج5، الرياض 2003.
- 6- بريستد، التنصل الحضارة - تاريخ الشرق القديم، تعريب: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية/ ط1، القاهرة 1955.
- 7- جاكين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، تعريب: فدري قلججي، بيروت بدون تاريخ.
- 8- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، منشورات الشريف الرضي، بغداد دون تاريخ.
- 9- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، منشورات الشريف الرضي، بغداد، دون تاريخ.
- 10- جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، تعريب: السيد يعقوب بكر، القاهرة 1958.
- 11- جيمس هنري بريستد، التنصل الحضارة' تاريخ الشرق القديم، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية / ط1، 1955.
- 12- حسن صالح شهاب، الأضواء على تاريخ اليمن البحري، بيروت 1977.
- 13- رحلة نيبور 1761، ترجمة وتقديم: جلال بن خالد الهارون الأنصاري، منتدى التاريخ/ شبكة الطوائف/ يناير 2006.
- 14- رضا جواد الهلثمي، مدخل لدراسة أثار الخليج العربي والجزيرة العربية، بغداد 1981.
- 15- شارل عيساوي، تأملات في لتاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت 1991.
- 16- صبحي أنور رشيد، العلاقات بين وادي الرافدين وتيما- دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ل2، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الرياض 1984.
- 17- عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، 1988.
- 18- علاء الدين عبد المحسن شاهين، الخليج العربي: الموقع والأهمية- خلال عصر البرونز' 1450-
- 1000 ق. م. ' في مجلة: المؤرخ العربي العدد الصادر في القاهرة سنة 1999.
- 19- مجلة الكويت، العدد رقم 284 الصادر في يونيو 2007.

- 20- محمد حرب فرزات وعبد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم سومر وأكاد وبابل وأشور وأمور وآرام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق 1990.
- 21- محمد السيد غلاب، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، دراسات لتاريخ الجزيرة العربية، 2، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الرياض 1984.
- 22- مايكل تويلن، الجوبة - مشروع وادي الجوبة الآثري - في الجمهورية العربية اليمنية، لعام 1982؛ ترجمة زاهي حواس ومراجعة جاب الله على جاب الله، ج 1، المؤسسة الأمريكية للأبحاث الشرقية، وجامعة هارفارد ومتحف جامعة بنسلفانيا- واشنطن 1984، 1985. فيما يخص استنفاس الجمل لم نلمس رأي واضح لدى البعثة الأمريكية، متى حدث على وجه التقريب، لكننا نلمس ذلك من خلال تأكيد البعثة على أن النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد شهد ميلاد الحضارة اليمنية القديمة (ص. 83). فضلاً عن ذلك كان وادي الجوبة منطقة عبور القوافل التجارية منذ ذلك الحين. وهذا ما أكده الباحث اليمني الدكتور عبد عثمان (في الصفحات 16-20) من المقدمة التي نتصد نتائج أعمال هذه البعثة.
- 23- محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي تاج العروس، تحقيق: السري، إصدار دار إحياء التراث - بيروت (مصدر الكتاب: موقع الورق - في شبكة النولية).
- 24- مهيب غالب احمد، التفاعل الحضاري في جنوب غرب آسيا في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، مجلة الراصد الإماراتية العدد 78، الصادرة في تشارقة في فبراير 2004.
- 25- مهيب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السيلسي والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية اليمن القديم ك 1، التاريخ السياسي، صنعاء 2003.
- 26- نيقولا زيادة، دليل البحر الابيتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، في: كتاب: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ك 2، جامعة الملك سعود - ط 1، الرياض 1984.
- 27- نزيه مؤيد العظم، رحلة في بلاد العرب السعيدة، 2/ ج 1-2، مؤسسة فادي برس - لندن 1985.

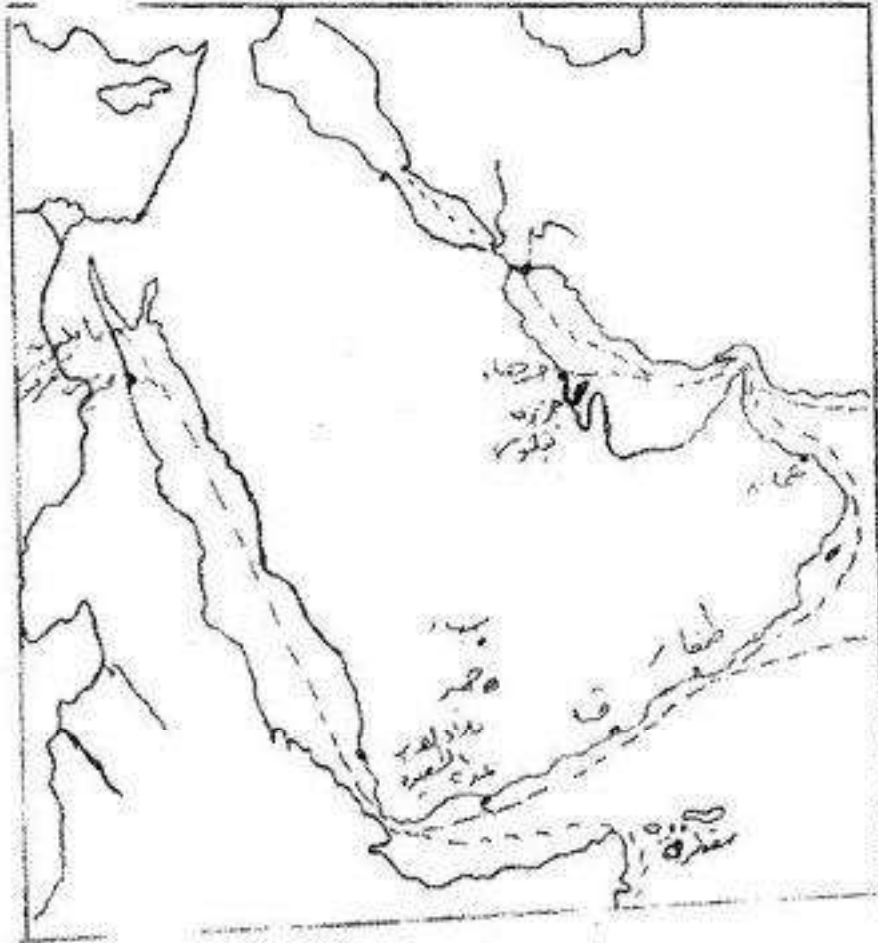
ثانياً - المراجع الأجنبية: (باللغتين: الإنجليزية والروسية):

- 1- Dickson, H. R. P., The Arab of the Desert, London, 1951, p. 480.
- 2- Daniel David Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago 1927, vole 2.
- 3- Dougherty R. P. The Sea land of Ancient Arabia, New Haven 1932.
- 4- Edward Morgan Forster, Alexandria: A History and a Guide, A Doubleday Anchor Original: A 231, 3.
- 5- Gordon Childe, What Happened in History, A Pelican Book (Harmondsworth, Eng.: penguin Books, 1942).
- 6- Herodotus, The Persian Wars, IV, 42, translated by George Rawlinson with an introduction by Francis R. B. Godolphin, Modern Library: 255 (New York: Modern Library, 1947.

- Christian Julian Robin , A. Deux briques inscrites provenant de -7
Mulayha, Raydan, vol. 6, 1994.
- R. Ghirshman, Iran (London: .. , 1954) , pp. 181-188. -8
- McGrail, S. Building and Trials of a Riplica of an Ancient Boat: Gokstad -9
Faring, World Archaeology 16, 1985, pp. 289- 303.
سلسلة عالم المعرفة/ مطابع المسامة- الكويت، الصادر في أبريل 2005
- Mikhail Ivanovich Rostovtšev, The Social and Economic History of Hellenistic -10
(World, 3 vols Oxford: Clarendon Press, 1941) , vol. 1.
National Geographic Magazine, April 1965, Washington, -11
- Pliny, Natural History ; Loeb Classical Library, London, 1967, BK. X11, 41-12
100.
Praeger History of Civilization(New York: Praeger, 1968). -13
- Sabatino Moscati, The World of Phoenicians, translated from the Italian by-14
Alastair Hamilton,
W. F. Leemans, Trade in the Old Babylonian period, p. 31, Leiden, 1960 -15
Arriani, Индия, ВДИ, 1940, 2. -16
العربية المستخدمة في البحث .
- Arriani , Поход Александра. 1962, У11, 20. -17
- ДЖ. БиББи, В поисках Дильмуна. М., 1984, с. 61 слл; 194 слл; 325. -18
- Бонгард-Левин Г. М. , Ильин Г. Ф. Древняя Индия. М. , 1969, с. 103. -19
Г. М. Бонгард- Левин, Древняя Индия. -20
- Диодор сицилийский, историческая Библиотека, 111,1. -21
- Гордон Чайлд, Древний Восток в свете новых раскопок, М. ,1956. -22
- Гуляев В. И. Послесловие к кн. ДЖ. БиББи В поисках Дильмуна, с. 361-363. -23
- История Древнего Востока. Под редакцией В. И. Кузищина, Москва 1988. -24
. Истоия Африки . Хрестоматия , М. 1979. -25
- Кобищанов Ю. М. , На заре цивилизации. Африка в древнейшем мире. М., -26
1980
- А. Лео Оппенхейм, Древняя Месопатамия, Портрет погибшей -27
цивилизации, М. ,1980, Указатель, под словом "Магон" и "Мелукка".
- Хвостов М. М. История восточной торговли греко-римского Египта, -28
Казань 1907.
- Щетенко А. Я. К вопросу об абсолютной хронологии хараппской -29
культуры.- " Археология Старого и Нового света" , М. , 1966.
- Шифман И. Ш. Из истории стран Красноморского бассейна / по -30
материалам библейской традиции/ , " Мероз" , вып. 3, М. , 1985,
с. 253-256..

خريطة رقم (2)

خطوط الملاحة البحرية في شمال شرقي المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.



أخذت معلومات الخريطة من كتاب جورج حوراثي
(العرب والملاحة في المحيط الهندي).

تطور حركة المجتمعات والتحدي الحضاري عند ابن خلدون



أ. د. صادق ياسين الحلوة*

رأي ابن خلدون في تطور حركة المجتمعات

ابن خلدون عالم شمولي ، فهو مؤرخ وعالم اجتماعي وأديب وفيلسوف ، فهو الذي ابتكر وصاغ فلسفة للتاريخ ، وهي بدون شك أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور والأمم ، ويقول عنه روجيه غارودي : 'ففيما يتعلق بدراسة هيكل المجتمعات وتطورها فإن أبرز وأكثر الوجوه تقدماً يتمثل في شخص ابن خلدون العالم والفنان ورجل الحرب والفقيه والفيلسوف ، الذي يضارع عمالقة النهضة عندنا بعبقريته العالمية منذ القرن الرابع عشر'⁽¹⁾ .

ويقول أرنولد تويني : 'ابتكر ابن خلدون وصاغ فلسفة للتاريخ هي بدون شك أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور والأمم'⁽²⁾

طبق ابن خلدون فلسفته التاريخية على مسيرة المجتمعات البشرية ، لفهم واستيعاب طبيعة المراحل التطويرية التي تمر بها المجتمعات ، ومن خلال دراسته لفلسفة التاريخ استطاع ابن خلدون استخلاص قانون يحكم حركة المجتمعات ، وهو قانون الأطوار الثلاثة ، فالمجتمع البشري حسب تعاليم ابن خلدون لا بد أن يمر في طور النشأة والتكوين ، ثم يمر في طور النضج والاكتمال ، وأخيراً يشهد طور الهرم والشيخوخة ، حيث يقوم على أنقاضه مجتمع آخر يسير في نفس المراحل التي سار فيها المجتمع السابق⁽³⁾ .

* رئيس قسم التاريخ كلية الآداب والأدب - جامعة ذمار

يطلق على هذا التفسير بالدورة الحضارية أو التكامل الحضاري ، أي أن الأمم تسهم في بناء الحضارة ، وعلى شكل دورات متعاقبة⁽⁴⁾ ، ونظرية تويني في القرن العشرين توافقت مع آراء ابن خلدون في التعاقب الحضاري في حركة تطور المجتمعات وتكامل حضارة الأمم بعضها مع البعض الآخر ، وبذلك فهي تختلف عما ذهب إليه النظرية النازية في قولها: أن الحضارة الأصيلة تقتصر على حضارة العنصر الآري ، فهو المنتج للحضارة ، وبقية الأمم الأخرى هي أمم عقيمة تعيش على ما تنتجه الحضارة المذكورة ، أي تؤكد على استفراة أمة أو مجتمع في إنتاج الحضارة ، ويظل دور المجتمعات والأمم الأخرى دورا سلبيًا تابعًا ، على اعتبار أن الآري هو أنكى الأجناس ، في هذا الإطار يأتي اليوم ما يقول به فوكوياما الياباني الأصل والأمريكي الجنسية حول تسيء الحضارة الرأسمالية ونهاية التاريخ بها ، وهو بالتأكيد رأي يخالف ويتعارض مع الواقع لأن الحضارة البشرية وكما يذكر لنا التاريخ ، وتؤكد الوقائع التاريخية وتبينه حركة المجتمعات أنها تكونت وستستمر بفعل مشاركة كل المجتمعات الإنسانية ، كل يسهم بجزء لتتكامل ككل .

ويرى ابن خلدون أيضا أن الحركة الاجتماعية في دورة مستمرة ، تؤدي وظيفتها بشكل آلي دون انقطاع أو توقف ، والمجتمعات الإنسانية لا تقف ، والموت الاجتماعي أو فناء نظم المجتمع هو نقطة نهاية وبداية . فحين ينتهي مجتمع ما ، لا بد أن يستأنف السير مجتمع آخر ليكمل مسيرة المجتمع السابق ، والمجتمعات الإنسانية ولو أنها تخضع حتما لهذه الأنوار المتتابعة ، غير أنها تختلف في مدى احتمالها لمرحلة دون أخرى ، فمنها ما يبقى مدة طويلة في دور النضج ومنها ما يقاوم الشيخوخة ومنها ما يموت يافعا .

فأحوال العالم والأمم لا تدوم على وتيرة واحدة ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال⁽⁵⁾ .

على ذلك جاء ابن خلدون بوجهة نظر جديدة تنظر إلى التاريخ باعتباره سلسلة من التغيرات الاجتماعية التي لا تقف عند حد ، فقد عني ابن خلدون بظاهرة الصيرورة أو فكر التطور التدريجي في الحياة الاجتماعية ، وكان ذلك حجر الزاوية في تحقيقاته التاريخية ، فقد لاحظ تبدل الأحوال في الأمم والأجيال ، وتنبيه إلى أن لكل جيل أحواله وعوائده التي لا تبقى على وتيرة واحدة ، بل تختلف باختلاف الزمان والمكان⁽⁶⁾ .

ضمن هذا الإطار يقول ابن خلدون : 'ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عند تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ، وهو داء دوي شديد الخفاء ، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة ، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليفة ، وذلك أن أحوال العالم والأمم وعواندهم ونحلهم لا تدوم على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأعصار ، فكذلك يقع في الأفاق والأقطار والأزمنة والدول ، سنة الله قد خلت في عباده'⁽⁷⁾ .

لم يقتصر ابن خلدون في مفهوم الدورة الحضارية على تفسيره لحركة تطور المجتمع فقط ، بل وسعه ليشمل آفاقاً أبعد مطبقاً في تفسيراته على المؤسسات فيه ، كقيام الدول والإمبراطوريات . فهو يريد معرفة المجتمع ، وليس إعطاء حكم عليه ، وابن خلدون يبذل الإشكالية الميتافيزيقية العملية والأخلاقية للفلسفة السياسية بإشكالية المعرفة⁽⁸⁾ .

والتصور الخلدوني لصيرورة الدولة عنده يكون دائرياً أيضاً ، فيذكر : 'أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص ، وأن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط ، فيكون أربعين ، الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته ، قال تعالى : (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة)⁽⁹⁾ ، ويستطرد ابن خلدون في استعماله كلمة الجيل بمعنى الأمة في مرحلة حضارية مثل جيل البدو وجيل الحضار⁽¹⁰⁾ .

ثم يشرح ابن خلدون ذلك التطور الحضاري في الدول على أساس الأجيال ، فيذكر : 'وإنما قلنا أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال ، لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشترار في المجد ، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم ، فحدهم مرفه وجانبتهم مرهوب ، والناس لهم مغلوبون ، والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفيه ، من البداوة إلى الحضارة ، ومن الشظف إلى الترف والخصب ، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباحثين عن السعي فيه ، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة ، فتكسر سورة العصبية بعض الشيء ، وتؤنس منهم المهانة والخضوع ، ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أنركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم ، وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ، ومراميتهم في

المدافعة والحماية، فلا يسهم، ترك ذلك بالكلية، وإن ذهب سنه من ذهب، ويكونون على مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول، أو على ظن من وجودها فيهم⁽¹¹⁾.

وأما الجيل الثالث: فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملثة القهر، ويبلغ فيهم الترف غاية بما تفنقوه من التعميم وغضاره، فيصيرون عيالاً على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم...⁽¹²⁾

ويرد ابن خلدون هذا التدهور في الدولة في الجيل الثالث إلى ضعف العصبية، فالعصبية غدت في النسق النلدوني العلاقة التي تربط أهدافاً ومشاعر مشتركة عند كل من تجمعهم لحمة الدم أو الولاء، فهي كما توجد في البوادي، توجد كذلك داخل المدن، لأنها تستجيب لميل طبيعي يحمل الناس على أن يلتحموا بعضهم ببعض، وأن يتكتلوا في فئات، وإن لم ينتموا إلى الأسرة نفسها، بيد أن الميل إلى الالتحام يظل أقل متانة من روابط قرابة الدم، وبالتالي فالعصبية المتولدة عن هذا الميل ليست سوى جزء مما يتولد عن القرابة المباشرة⁽¹³⁾.

على ذلك عد ابن خلدون أن ضعف العصبية هي السبب الرئيسي في سقوط الدولة وهرمها، وعدم إمكانية أبنائها في الدفاع عنها، فيذكر: وتسمت العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويكتسبون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها. فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعتهم، فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل التجارة، ويستكثر بالموالي، ويصطنع من يقني عن الدولة بعض الغناء، حتى يتأذن الله بانقراضها، فتذهب الدولة بما حملت⁽¹⁴⁾.

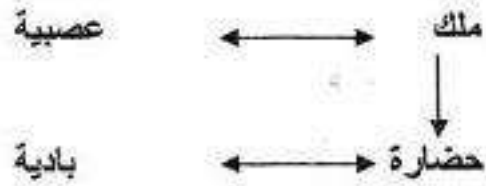
ثم يلخص ابن خلدون رأيه بسقوط الدولة وفقاً لتلك الدائرة، والدولة التي وضعها، فيذكر: فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها، يكون هرم وتخلفها، ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في زمن المجد والحسب، إنما هو أربعة آباء⁽¹⁵⁾.

العلاقة بين علم التاريخ وعلم العمران في تفسير تطور المجتمع عند ابن خلدون إن علم التاريخ عند ابن خلدون لا يكتفي بنفسه ولا يدور في الفراغ ، فهو يحتاج إلى علم العمران لا يستغني عنه ، فلا قيام له إلا به ، وإلا كان نقلا للحوادث وسردا للوقائع ، والفرق بين التاريخ وعلم العمران أن التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعهد أو جيل ، فأما ذكر الأحوال العامة للأفانق والأجيال والأعصار فهو أس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين له أخباره⁽¹⁶⁾

إن مفهوم العمران (مجتمع) وعلاقته بالتاريخ عند ابن خلدون يذكره في المقدمة : إن موضوع التاريخ هو دراسة الاجتماع الإنساني ، الذي هو عمران العالم ، فهو يبحث ما يتعلق بطبيعة هذا العمران ، وما يعرض لذلك العمران من الأحوال ، مثل : التوحش والتأس ، والخصوصيات الناتجة عن العصبية ، وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها الاجتماعية ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش ، والعلوم والصناعات ، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال⁽¹⁷⁾ .

بذلك يكون ابن خلدون بهذه الآراء التاريخية قد وضع اسس فلسفة الحضارة والتاريخ، مستنبطاً ذلك من حقائق التاريخ ، إلا أنها دراسة للحضارة الإنسانية في تناسقها الداخلي . وقد جاءت دراسات العالم الإيطالي فيكو (المتوفي 1714) في القرن الثامن عشر في أوروبا لتؤكد ما يسمى بأن التاريخ يسير في حلقات دائرية ، بحيث تكون هناك حركة مستمرة في دورات منتظمة تنتقل من التماسك القوي إلى التماسك الضعيف والعكس ، أي أنه قال بأن تكون النظم الاجتماعية برمتها عرضة لقوانين التغير والتدهور⁽¹⁸⁾ ، وهو بذلك قد أكد أفكار ابن خلدون بعد ثلاثة قرون من وفاته .

غير أن الملاحظ على النصور الخلدوني للدورة الدائرية بأن السيادة المطلقة وسلطة الدولة هما نتيجة لحركة العصبية المرتركة على تناقضها الداخلي ، فديناميكية هذه الدورة مبنية على التناقض : عصبية - ملك ، الملك يحقق العصبية ، وإن تحقيق الملك يهدم العصبية ، ثم أن تدمير العصبية يؤدي إلى تدمير الملك ، فإذن الدورة السياسية تدخل في الحركة الدائرية للعمران



فالعصية هي الوسيلة التي من خلالها القبائل البدوية يمكنها احتلال الحضارة ، لكن هذا الاحتلال لا يؤدي إلا لتملك الملك من طرف الارستقراطية هي وحدها تبقى في الحضارة ، وترد القبائل نحو البادية ، فالانتقال من البادية إلى الحضارة ، الذي يكون المحرك هو العصية لا يؤدي إلى تصفية التناقض بين هذين الشكلين لوجود العمران ، بل إلى تغير بسيط للنخب السياسية للملك الحضري . (19)

وهكذا يتضح أن التناقض يظهر جليا في عصية - ملك هو محرك الجدل المغلق بادية - حضارة .

إن المنهج الاجتماعي لابن خلدون يقتضي أن يكون المؤلف عالما بقواعد السياسة ، وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار ، في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال ، فالتاريخ إذن في جوهره نظر عميق في سنن الاجتماع البشري ، وما يطرأ على الحياة الإنسانية من تطور تبعاً لظروف العمران المرتبطة بظروف البيئة والمناخ ، وقد يكون هذا العمران بدوياً ، وقد يكون حضرياً ، فالتطور الذي تنتقل به الدولة من البداوة إلى الحضارة لا تكفي فيه أخبار الرواة كما كان الأمر قديماً ، أو فكرة العظمة والتأسي التي غلبت على أكثر المؤرخين ، وإنما عليه أن يحلل تحليلاً اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً وسياسياً ، بحيث يمكن تفسير حركة التاريخ في وضوح ويسر (20).

استنتاجات

ومن خلال ما جاء به ابن خلدون من آراء وتفسيرات لحركة تطور المجتمعات وعلم التاريخ وفلسفته ، والحضارة وفلسفتها ، وعلم العمران وطبيعته ، يمكن القول :

1- أن ابن خلدون في تفسيراته التاريخية لحركة المجتمع والتحدي الحضاري ، اعتمد مفهوم التعاقب الحضاري في المجتمع والدولة ، والذي يمر بأطوار النشأة والنضج والشيخوخة والهرم ، ثم الموت .

- 2- رأى ابن خلدون أن الحركة الاجتماعية مستمرة ، وما إن ينتهي مجتمع حتى يبدأ الآخر بإكمال الانجازات الحضارية التي حققها المجتمع السابق ، ومعنى ذلك أنه آمن بمفهوم التكامل الحضاري للمجتمعات الإنسانية .
- 3- أعتقد ابن خلدون أن التاريخ لم ينشأ في الفراغ وإنما يحتاج إلى العمران ، فهو بذلك وضع فلسفة التاريخ القائمة على النقد والتحليل ، ووضع أيضا فلسفة الحضارة ، وهو يقول أيضا بطبائع العمران الذي يقوم على المقارنة والاستنتاج والمنطق وما يقبله العقل السليم ، دون الاكتفاء بما يروى فقط .
- 4- أعطى ابن خلدون تفسيراً متفرداً للعصبية ، موضحاً ومركزاً على تناقضها الداخلي ، حيث أن الدورة الدائرية للتصور الخلدوني تعد أن ديناميكية هذه الدورة مبنية على التناقض .

هوامش البحث

- (1) د . عبد الوهاب الكبيلي ، موسوعة السياسة ، عبد الرحمن ابن خلدون ، ج3 ، ط2 ، عمان ، 1993 ، ص818 .
- (2) المرجع نفسه .
- (3) أ . د . إسمان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، ط ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص13 .
- (4) Arnold Toynbee, A study of History, London, P.322.
- (5) فهمي سليم الغزوي وآخرون ، المدخل إلى علم الاجتماع ، عمان ، 2000 ، ص37 .
- (6) الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ، الموسوعة الفلسفية الشاملة من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، المجلد الثاني ، بيروت ، 2000 ، ص791 .
- (7) ابن خلدون ، المقدمة ، ج1 ، القاهرة ، د . ت ، ص252 .
- (8) عبد القادر جفول ، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون ، ترجمة د . فيصل عباس ، بيروت ، 1980 ، ص46 .
- (9) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص152
- (10) د . عبد العزيز لدوري ، ابن خلدون والعرب ومفهوم الأمة العربية ، المستقبل العربي ، العدد (6) ، آذار (مارس) 1984 ، ص6 .
- (11) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص153 .
- (12) المصدر نفسه .
- (13) د . عبد العزيز الحبابي ، الدينامية المحركة عند ابن خلدون ، ترجمة د . فاطمة الحبابي ، المستقبل العربي ، السنة السادسة ، العدد 56 ، أكتوبر 1983م ، ص41 .
- (14) ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص153 .
- (15) المصدر نفسه .
- (16) المصدر نفسه ، ص257 .
- (17) المصدر نفسه ، ص484 .
- (18) دكتورة سامية محمد جابر ، الفكر الاجتماعي نشأته واتجاهاته وقضاياها ، ط1 ، بيروت ، 1989 ، ص31 .
- (19) عبد القادر جفول ، المرجع السابق ، ص78 - 79 .
- (20) الدكتور هفت الشرفاوي ، في فلسفة الحضارة الإسلامية ، بيروت ، 1985 ، ص409 .

مشاهير من القضاة في ذمار

في

القرنين الثاني والثالث عشر الهجري



د. يحيى حسين النونو*

المقدمة

لقد شهد القضاء في عهد الدولة القاسمية وما بعدها اهتماماً كبيراً، سواءً في مجال اختصاصات القضاة أو استقلال السلطة القضائية، أو في حركة تعيين القضاة في المناطق التي يسيطر عليها المذهب الزيدي، أو في حركة تدوين الأحكام والأحكام. وذلك نظراً لوجود نوع من الاستقرار للدولة الزيدية لفترات طويلة. فقد ظهر كثير من العلماء في مختلف العصور بعد الدولة القاسمية، كان لهؤلاء العلماء والفقهاء اجتهادات كبيرة في مجال الأحكام والأحكام، تدويناً لها وتصحيحاً لأوضاعها من الفساد منادين في كتبهم إلى ضرورة استقلالية القضاء، وتوسيع اختصاصاته، وتدوين أحكامه.

فقد ظهر في القرن الحادي عشر الهجري نخبة من أبرز العلماء منهم: أحمد بن صالح بن محمد أبو الرجال، والحسن بن أحمد الجلال صاحب كتاب ضوء النهار، وصالح بن مهدي المقبل صاحب المنار، وأحمد بن صلاح العنسي، وأحمد بن علي مطير، وأحمد بن محمد لقمان، وأحمد بن محمد بن الحسن الكوكباني، والإمام إسماعيل بن القاسم، وأحمد

* أستاذ الفقه الإسلامي المساعد كلية التربية - جامعة صنعاء

بن الحسن بن أحمد شرف الدين ، وأحمد بن سعيد الهبل ، وأحمد بن محمد بن علي بن سليمان الصنعاني (1)

وكان لهؤلاء أثر كبير في تدوين الأحكام ، وإبراز مسائل القضاء والدعاوى و البيئات وسبل التقاضي ، كما يظهر ذلك من خلال كتبهم المؤلفة .

وفي القرن الثاني عشر الهجري برز عدد من العلماء منهم :الفقيه أحمد بن حسن الرصاص ، وأحمد بن حسن الجرموزي ومحمد بن إسماعيل الأمير (2) الذي اجتهد بكتاباتة في مجال القضاء ،ونادى بإصلاح ما فسد فيه ، ويظهر ذلك من خلال قصائده في إصلاح القضاء وأحكام القضاة .

ويمكننا أن نستشف تلك الحقيقة من مؤلفاته في تلك الفترة ،فقد ندد الإمام المجتهد بمظالم حكام عصره ،وقد جاء في قصيدة له يصف فيها فساد الحكم ويدعوا إلى الإصلاح جاء في مطلعها:

وماالت إلى أفعال طاغ وفاجر	فيا عصبه ظلت عن الحق والهدى
فما لكم من فعلكم من مناظر	بأي ملوك الأرض كان إقتداؤكم
ففعلكم في الجور فعل مفاخر	أنافستم الحجاج في قبح فعله
يقول بكم والله قرت نواظري	يقديكم إبليس حين يراكم
ولم تعملوا منه بنص وظاهر	نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم

إلى آخر القصيدة صور فيها حال القضاء وسوءه وازدياد المظالم في ممارسات بعض القضاة. (3)

وأما في القرن الثالث عشر الهجري فقد برز شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ، ومحمد بن صالح السماوي ولطف بن أحمد جحاف وعبد القادر بن أحمد شرف الدين.(4)

فقد صور لنا الإمام الشوكاني رحمه الله هذا العصر بقلمه السيل وغيرته على الدين صورة للقاضي في عصره في رسالته القيمة "دفع العدو الصائل " حيث يقول بعد أن بين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صار منحصرأ في ثلاثة أشخاص ، عامل وكاتب وقاضي:(أما ثالث الثلاثة وهو القاضي فهو عبارة عن رجل جاهل إما جهلاً بسيطاً أو جهلاً مركباً ، وإن اشتغل بشيء من الفقه فغاية ما يعرفه منه هو وكيل الخصومة ، وممارس

الحضور في مواقف الخصومات من مسائل تدور في الدعوى والإجابة ، وطلب اليمين والبينة، وليس له في العلم غير هذا ، لا يعرف حقاً، ولا باطلاً، ولا معقولاً، ولا منقولاً ، ولا دليلاً ، ولا مدلولاً، ولا يعقل شيئاً من أمور الشرع فضلاً عن غيرها من أمور العقل ، ولكنه اشتاق إلى أن يدعى قاضياً ويشتهر اسمه في الناس ، ويرتفع بين معارضيه وأهله⁽⁵⁾ .

إلى آخر هذه الرسالة التي يصور فيها الإمام الشوكاني حال القضاء والقضاة في عصره. ولقد شهد عهد الإمام الشوكاني حركة كبيرة في إصلاح القضاء والقضاة وتعيينهم في جميع المناطق ، وسعى الإمام الشوكاني بعد توليه منصب قاضي القضاة إلى استقلال القضاء حيث لم يقبل هذا المنصب إلا بشروط اشترطها على الإمام المنصور علي ومن أهم هذه الشروط: أن حكم القاضي الشوكاني ينفذ على جميع المحكوم عليهم حتى على أولاد الخليفة أو وزرائه، وقد قبل الخليفة هذا الشرط وقال له : "لك الحق أن تحكم على من عليه الحق وتنفذه ولو كان المحكوم عليه على سريري هذا ومن الشروط التي اشترطها القاضي الشوكاني لتوليته القضاء: أن له أن يحبس من يستحق الحبس وليس لأحد من الوزراء أن يطلقه حتى يطلقه الشوكاني أو يأمر ببقائه في الحبس إذا كان حبسه في موضوع شرعي ومما هو داخل في اختصاص القاضي الشوكاني.

وقد بقي القضاء مستقلاً في اختصاصاته منذ أن تعين سنة 1209هـ - إلى 1250هـ. ولقد زاد نفوذ اختصاصاته في أيام المتوكل على الله أحمد بن المنصور علي، بشكل أعظم وأكثر مما كان في أيام والده المنصور علي، ثم إنه تضاعفت نفوذ السلطة القضائية في عهد الشيخ الشوكاني حتى أنه في عهد تولى الإمامة المهدي عبد الله كان القاضي الشوكاني يبلغ بعض القضاة في بعض الأحيان بالعمل باجتهاداته وإن كانت تخالف المذهب الهادي المطبق في أيام الدولة القاسمية⁽⁶⁾ . وقد توسعت الاختصاصات واستقل القضاء وصلح حاله وتوسع تعيين القضاة ، وشمل التوسع والإصلاح ذمار وغيرها وذمار يعرفها الحجري في كتابه 'مجموع بلدان اليمن وقبائلها' (مدينة كبيرة جنوبي صنعاء بمسافة 99 كم وهي على ارتفاع 2300 متر من سطح البحر) ويضيف المحققي في كتابه 'معجم المدن والقبائل اليمينية' (وذمار تنقسم إلى عشر نواحي : 1- عنس 2- عتمه 3- وصاب العالي 4- وصاب السافل 5- الحدا 6- مغرب عنس 7- ضوران 8- جبل الشرق 9- معبر جهران 10- آنس ، وتحتوي هذه النواحي الكثير

من القرى والعزل والمخالفين والتي ستذكر تباعاً خلال البحث ، ولم تزل ذمار عامرة بالعلماء الأعلام والفضلاء الكرام والأدباء والبلغاء على طول الزمان وفي بحثنا هذا سوف نترجم لبعض مشاهير القضاة في ذمار سوءاً كانوا من أهالي ذمار أم كانوا من غيرهم في القرنين الثاني والثالث عشر ومنهم من عمل في أيام الشوكاتي ومنهم من تتلمذ على يديه وهم كما يلي :-

1- زيد بن عبدالله العيزري⁽⁷⁾

القاضي العلامة زيد بن عبد الله بن الحسن بن سعيد بن محمد بن جابر المعروف بالعيزري ابن علي بن عواض بن معود بن علي بن حسن اليمني الآتسي الضوراني ، مولده في يوم الجمعة سنة 1065هـ بمدينة ضوران عاصمة البلاد الآتسية وشرع في طلب العلم بوطنه فأخذ عن الفقيه العلامة سعيد بن سند الصيحي⁽⁸⁾ ، ثم ارتحل إلى مدينة ذمار وقرأ في الفقه وغيره على علمائها، تولى القضاء للإمام المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد⁽⁹⁾ في بلاد آتس⁽¹⁰⁾ وفي جبلة⁽¹¹⁾ وإب⁽¹²⁾ وتولى القضاء أيضاً في مدينة ذمار لمدة ثلاثة عشر عاماً بقبلة خلافة المهدي ومدة خلافة الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد صاحب شهارة⁽¹³⁾.

ولما أفضت الإمامة إلى المتوكل إلى المتوكل على الله القاسم بن حسين أقره على حاله - لكنها لم تطب نفسه بتولية القضاء للمتوكل فطلب الإذن من المتوكل للعزم إلى ضوران⁽¹⁴⁾ للزيارة - وتولى القضاء في ذمار فاستقر في ضوران أياماً ثم طلب العذر عن القضاء في ذمار وغيرها ولم يلبث بعد ذلك إلا أياماً يسيرة . وتوفي في ضوران ليلة الاثنين الرابع والعشرين من الحجة الحرام سنة 1142هـ .

2. الحسن بن عبد الله بن أحمد بن حاتم الريمي الذماري⁽¹⁵⁾

القاضي العلامة الورع الزاهد الحاكم الحسن بن عبد الله بن أحمد بن حاتم الريمي الذماري كان فقيهاً محققاً في الفروع مشهوراً بالفضل متواضعاً ، قرأ في الفروع على أعيان عصره من مشايخ ذمار من جملتهم: السيد العلامة جمال الدين علي بن حسن الديلمي⁽¹⁶⁾ ،

وقرأ مدة في مدرسة ذمار المحمية، وأخذ عن عمه القاضي العلامة محمد بن أحمد الريمي⁽¹⁷⁾. وتولى القضاء في ذمار للمنصور بالله الحسين بن القاسم. وكان يقوم الليل، وكان حليف كتاب الله العزيز، كثير الذكر، لا يشغله عنه شاغل إلا فصل خصومة، أو أمر يخصه، وكان المنصور بالله يعظمه، وكانت وفاته سنة 1149هـ، 1736م .

3- أحمد بن علي بن محمد بن عبد الهادي ذعفان بن عيسى الذماري⁽¹⁸⁾

القاضي العلامة لسان الشريعة. هو من العلماء المشهورين ومن الحكام المعبرين، قرأ في شرح الأزهار على العلامة الحسن بن أحمد الشيبيني⁽¹⁹⁾ ثلاثة أشرف متوالية، كما قرأ على العلامة زيد بن علي الاكوع⁽²⁰⁾. وقد كان فاضلاً ورعاً، واسع الصدر، وافر العقل، وقوراً صبوراً، صادقاً بالحق. تولى القضاء للإمام المهدي في يريم⁽²¹⁾ وذمار، وظالت حكومته بدمار، وتوفي وهو حاكم وذلك في عام 1185هـ.

4- يحيى بن أحمد الشيبيني⁽²²⁾

الفقيه العلامة التقي يحيى بن أحمد بن حسين بن علي بن يحيى بن محمد الشيبيني الأنسي. أخذ عن أخيه العلامة الكبير الحسن بن أحمد الشيبيني. وقد تولى القضاء للإمام المهدي العباس بن الحسين في محلات كثيرة كبلاد حبش⁽²³⁾ وتعز⁽²⁴⁾ وحجة⁽²⁵⁾ وعمه⁽²⁶⁾ ويريم. وحكم في مدينة رداع⁽²⁷⁾ نيابة عن بعض الحكام، وقد كان غاية في الزهد والورع ومع ما تولاه من الأعمال فلم يتمول. بل قنعت نفسه عن الدنيا بالكفاف ففقت عنها أحسن العفاف، وتوفي في بلده آل الشيبيني ذي حود⁽²⁸⁾ من بلاد أنس في عام 1192هـ.

5- إسماعيل بن يحيى بن حسن الصديقي الصعدي ثم الذماري ثم الصنعاني⁽²⁹⁾

القاضي العلامة الذي لبس برود الفضل فصار يدبغ الزمان، ولد في ذمار ونشأ وطلب العلم فيها عام 1130هـ كان من العلماء الكبار والحكام ذوي الآراء والأنظار، مبرزاً متقناً في الفروع أخذ الفقه عن العلامة زيد بن عبد الله الاكوع والعلامة الحسن بن أحمد الشيبيني.

تولى القضاء سنة 1151هـ في حبش وذمار أياماً طائلة للإمام المهدي، ثم طلب الانتقال من ذمار وتولى القضاء في صنعاء. توفي عام 1209هـ. ومن مؤلفاته :

- 1- فتح المنان شرح ما أهمل من مقدمة البيان .
- 2- شرح المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاء .
- 3- القول المقبول بقبول شهادة من ليس يعدل عند فقدان العدول.
- 4- السموط المكلفة بأحاديث شرعية الجهر بالبسملة.

6- الحسين بن علي بن محمد الشجني⁽³⁰⁾

القاضي العلامة وحيد عصره وزينة دهره نجل العلماء الأعلام كان عالماً جليلاً أديباً نبيلاً أخذ علم الشريعة و الطريقة عن العلامة عبدالله حسين دلامه⁽³¹⁾ وأخذ في الفقه عن العلامة الحسن بن أحمد الشيببي وأخذ في علم الآلة⁽³²⁾ على عمه القاضي العلامة احمد بن محمد الشجني⁽³³⁾ وفي النحو والحديث عن العلامة المحدث إسحاق بن يوسف بن المتوكل⁽³⁴⁾ كما أخذ عنه جماعة من أهل العلم في (شرح الأثرار) و (البيان) و (الفرائض) وقد حكم ذمار احتساباً لوجه الله في أيام إمام العصر المنصور علي بن المهدي العباس⁽³⁵⁾ وكانت وفاته في ذمار يوم الأحد عشرين رمضان 1211هـ.

7- عبد الله بن حسين المجاهد الذماري الصنعائي⁽³⁶⁾

القاضي العلامة عبد الله بن حسين بن عبد الله بن علي بن احمد المجاهد، كان محققاً في الفروع، فطناً يقضاً. و ابتداء طلبه للعلم في صنعاء، ثم عاد إلى ذمار، وقرأ على العلامة الحسن بن احمد الشيببي، وبلغ الغاية القصوى. وتولى القضاء في حبش سبع سنين، وفي عتمه سبع سنين، وفي عمران⁽³⁷⁾ أربع سنين، وفي ذمار سنة و نصف. وكل الولايات هذه من عند المهدي عباس بن حسين⁽³⁸⁾، وارتحل في آخر عمره إلى صنعاء واستوطنها، وحكم هناك مجتاً حتى توفي في صنعاء سنة 1241هـ.

8- يحيى بن محمد المغربي النهماري (39)

القاضي العلامة يحيى بن محمد المغربي - رحمه الله من الحكام المعبرين، والعلماء المحققين. أخذ بمدينة نمار عن القاضي سعيد بن عبد الرحمن السماوي (40)، وتولى القضاء في نمار مجتاً أياما طائلة من عند المهدي، ثم حكم فيها مصرفاً من ابنه المنصور في وزارة الفقيه حسن بن محمد العفاري (41)، ثم عذر فعاد إلى الحكم مجتاً إلى أن توفي، وكان كثير التحري في أحكامه وفتاويه، حائفاً ماهراً، ووفاته يوم الأحد ثامن عشر من شهر صفر سنة 1214هـ.

9- إسماعيل بن عبد الله حنش (42)

القاضي إسماعيل بن عبد الله حنش: فقيه عالم. تولى القضاء في عمران دهرأ طويلاً ثم ولاه المنصور على بن المهدي العباس القضاء في عتمة من بلاد آنس واستقر بها شهوراً، وتوفي وهو حاكم فيها يوم السبت 27 جماد الأولى سنة 1217هـ. ولم أجد له تاريخ ميلاد.

10- حسين بن محمد دلالة (43)

القاضي العلامة صاحب الأخلاق البديعة، والمكارم الوسيعة، شرف الإسلام الحسين بن محمد دلالة، هو من أهل الذكاء والحفظ، والكمال والعرفان. وقراءته في (شرح الأزهار) على القاضي العلامة سعيد بن حسن العنسي (44) وفي (شرح الأزهار) والفرائض على العلامة محسن بن حسين الشويطر (45)، وارتحل بعد أن أخذ الفائدة بنمار إلى صنعاء فاستوطنها، وهاجر في مسجد موسى (46)، وعكف على طلب العلم الشريف، وقرأ في (شرح الأزهار) على القاضي العلامة أحمد بن محمد الحرازي (47)، ولا زال القاضي أحمد يلاحظه بالأعمال، ويرقيه إلى شرف الخصال، وقرأ في النحو على العلامة الحسين بن يحيى الديلمي (48) بصنعاء أيام رحلته لسماح الحديث في سنة 1201هـ على عبد القادر بن أحمد (49) ولعله قرأ في النحو على غيره من علماء صنعاء. وتولى القضاء في وصاب (50) لإمام العصر المنصور في سنة 1219هـ - وهي أول حكومة - فحمدت سيرته وطابت سريرته، ووصل الأرحام، وأثنى عليه بالفعل الجميل الخاص والعام. وكان مولده في سنة 1170هـ وتوفي سنة 1225هـ.

11- محمد بن حسن السماوي⁽⁵¹⁾

عالمٌ محققٌ في الفقه والفرائض وعلوم العربية وعلم الحديث، وقد أخذهُ عن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني⁽⁵²⁾ أستاذي من بلدته (العر)⁽⁵³⁾ من مخلاف (سماه)⁽⁵⁴⁾ من ناحية عمّة للتدرّيس في الذاري⁽⁵⁵⁾، وتولّى إلى جانبه القضاء في ناحية خبان⁽⁵⁶⁾. وقد كان بينه وبين شيخه الإمام الشوكاني مراسلات علمية وأدبية. مولده في هجرة العر من مخلاف سماه من عمّة بعد سنة 1170هـ، ووفاته في الذاري سنة 1271هـ. ودفن في جرف شمال الذاري، وقد عرف هذا الجرف فيما بعد بجرف السماوي.

12- علي بن يحيى محيي الدين الغابري⁽⁵⁷⁾

القاضي علي بن يحيى محيي الدين الغابري: عالم محققٌ في الفقه والفرائض، تولّى القضاء في ناحية عمته. وكان مولده في شهر رمضان سنة 1150هـ ووفاته سنة 1210هـ. ولم أجد له مكان ولادة ولا وفاة.

13- عبدالرحمن بن سعيد السماوي⁽⁵⁸⁾

القاضي العلامة وجيه الإسلام: عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الرحمن السماوي. هو من أهل الكمال، المتسمين بمحامد الخلال، وشريف الخصال، وأما شمائله فما له اتفاق، لأنه وحيد زمانه في الوفاء والصدق ومكارم الأخلاق. وقراءته في (شرح الأثرار) على والده⁽⁵⁹⁾، وعلى العلامة عبد القادر بن حسين الشويطر⁽⁶⁰⁾، وعلى العلامة محسن بن حسين الشويطر، وفي (البيان) على العلامة الحسين بن يحيى الديلمي، والعلامة علي بن احمد بن ناصر الشجني⁽⁶¹⁾. وتولّى القضاء في ذمار ورداع و عمّة في عهد المنصور علي بن المهدي عباس. توفي في الخامس من شهر رمضان سنة 1228هـ.

14- محمد بن احمد بن علي بن إسماعيل السماوي⁽⁶²⁾

عالم محققٌ في الفقه و الأصول. تولّى القضاء في ناحية مغرب عس⁽⁶³⁾، وكتب بخطه الحسن عدداً من الكتب، منها بعض مؤلفات شيخه الشوكاني. مولده 14 رجب سنة 1196هـ ووفاته يوم الجمعة 25 رجب سنة 1252هـ.

15- محسن بن الحسين بن أحمد زيارة⁽⁶⁴⁾

العلامة حسام الدين محسن بن الحسين بن أحمد بن صلاح بن الأمير أحمد بن الأمير الحسين بن علي زيارة الحسن بن الهادي الآتسي الضوراني عالم عارف بالفقه، له مشاركة في بعض علوم العربية، أخذ عن أبيه الحسين بن أحمد وغيره وحقق في فنون من العلم، تولى القضاء في ضوران حتى وفاته. مولده بهجرة مذب⁽⁶⁵⁾ صبح الأحد غرة جمادى الأولى سنة 1113هـ وتوفي بضوران يوم الثلاثاء 7 المحرم سنة 1195هـ

16- يوسف بن الحسين بن أحمد زيارة⁽⁶⁶⁾

العلامة الحافظ الناسك العابد، قطب أهل الروع والتقشف والزهد، خطيب جامع صنعاء، يوسف بن الحسين بن أحمد بن صلاح بن أحمد بن الأمير الحسين المعروف بزيارة. مولده نهار الجمعة آخر ربيع الأول سنة 1116هـ. ونشأ بحجر أبيه وأخذ عنه فنون العلم وعن الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الحسن بن الصنعائي⁽⁶⁷⁾ مع صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن البيهقي وغيرها على السيد الحافظ أحمد بن عبد الرحمن بن الحسين الشامي⁽⁶⁸⁾. وأخذ عن المولى إسحاق بن يوسف بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل. وعالم المدينة المنورة الشيخ الحافظ محمد حياة السندي المدني شارح المنذري⁽⁶⁹⁾، تولى القضاء في وصاب وبلاد ريمة⁽⁷⁰⁾ أياً، ثم عاد إلى صنعاء واستقر بها. توفي في الروضة⁽⁷¹⁾ يوم الأربعاء 15 شوال سنة 1179هـ.

17- أحمد بن مهدي بن علي الشيببي⁽⁷²⁾

كان عالماً محققاً متفنناً شاعراً، عطر الأخلاق حسن الشمائل، قرأ في الفقه والأصول على جماعة من العلماء المحققين منهم: والده القاضي مهدي الشيببي⁽⁷³⁾ والقاضي حسين بن علي المجاهد⁽⁷⁴⁾، والعلامة جمال الدين علي بن حسن الديلمي، وتصدر للتدريس وأفنى فيه عمره النفيس. تولى القضاء في ذمار للإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم مدة طائلة وتولى القضاء في اليمن الأسفل⁽⁷⁵⁾ وقد قام ببناء السوق الموجود في سوق الربوع⁽⁷⁶⁾ في مدينة ذمار وأوقف عليه أموالاً جلييلة. كانت وفاته في 10 صفر سنة 1157هـ.

18- زين العابدين بن يحيى الخباني⁽⁷⁷⁾

العلامة القاضي الجليل ، والحكم الورع الشهير زين العابدين بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن علي الخباني . كان عالماً محققاً ، وفاضلاً مدققاً . أخذ الفقه عن القاضي العلامة أحمد بن مهدي الشيببي وعلي العلامة علي بن حسن الكبسي⁽⁷⁸⁾ وعن القاضي العلامة شمس الدين بن محمد المجاهد⁽⁷⁹⁾ ، ولد في الذاري سنة 1137هـ . وتولى القضاء للإمام المهدي وابنه المنصور بالله علي بن المهدي ولولده المتوكل على الله بمدينة إب وجبله وفي المخاير⁽⁸⁰⁾ وعمه وخبان ودمار . ووفاته في إب سنة 1247هـ .

19- عبد الله بن علي بن يحيى الغابري⁽⁸¹⁾

عالم في الفقه ، له معرفة بالحديث ، مولده في رصب⁽⁸²⁾ سنة 1175هـ . وتولى القضاء في رصب من ناحية عمه ، وتوفي عن عمر ناهز السبعين سنة 1245هـ .

20- محمد بن يحيى بن علي بن يحيى الغابري⁽⁸³⁾

عالم عارف هاجر إلى مدينة ذمار للدراسة كأعلام أسرته ، وكتب بقلمه كثيراً من الكتب في فنون كثيرة . وتولى القضاء في بلده . مولده في رصب في صفر سنة 1210هـ ، ووفاته في شعبان سنة 1270هـ .

21- أحمد بن صلاح بن إبراهيم الحباشي⁽⁸⁴⁾

عالم محقق في الفروع ، اشتغل بالتدريس والفتيا ، كما تولى القضاء في معظم مخاليف أنس⁽⁸⁵⁾ ، وكان على صلة قوية بشيخ الإسلام الشوكاتي . مولده سنة 1120هـ . ووفاته سنة 1226هـ .

22- عبد الله بن أحمد بن زيد بن عبد الرحمن الفضلي⁽⁸⁶⁾

عالم في الفروع له مشاركة في الحديث ، تولى القضاء في أنس وكان يقوم مع ذلك بالتدريس ، مولده في المصحى⁽⁸⁷⁾ ، ولم أقف على تاريخ مولده ، ووفاته في سنة 1285هـ .

23. أحمد بن أحمد بن علي السماوي⁽⁸⁸⁾

فقيه في الفرائض، تولى القضاء في رداع وخبان وعمته، وتوفي في رداع سنة 1250هـ عن 67 عاماً

24. محمد بن يحيى بن علي بن صلاح السماوي⁽⁸⁹⁾

الشهير بالبدر الحنفي: عالم محقق في علوم السنة، عارف بفقهاء الحنفية مطلع على أسرارهم ومسائلهم، شاعر، أخذ عن الإمام شيخ الإسلام الشوكاني. تولى القضاء في عمته. مولده في 15 شوال سنة 1199هـ، ووفاته يوم الأربعاء 22 ربيع الآخر سنة 1272هـ. ومن آثاره: إيضاح البيان بالجزم بوقوع طلاق الغضبان، سهام الإصابة في الذب عن الصحابة، المطالب النافعات في الأذكار والدعوات، ولم نطلع على تاريخ لمولده أو لوفاته.

25. يحيى بن محمد بن أحمد بن علي السماوي⁽⁹⁰⁾

عالم محقق في الفقه والفرائض، له مشاركة في العلوم العربية، شاعر أديب. تولى القضاء في عمته وحبش وكتب لنفسه بقلمه عدداً من الكتب. مولده في العر في 23 جمادى الآخر سنة 1232هـ، ووفاته في العر في رجب سنة 1297هـ. ومن آثاره: نصب الأدلة والأعلام بما يتعلق بأرزاق الحكام (رسالة).

26. علي بن محمد بن حسين بن علي الأكوغ⁽⁹¹⁾

القاضي العلامة علي بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن قاسم بن سليمان الأكوغ الذماري، أخذ عن القاضي عبد الله حسين قنجل⁽⁹²⁾ والقاضي محمد بن إبراهيم السحولي⁽⁹³⁾ والقاضي عبد الله بن زيد العيزري والفقهاء محمد الغشم⁽⁹⁴⁾ والقاضي حسن بن محمد المغربي⁽⁹⁵⁾. كان عالماً محققاً في جميع الفنون، وصاحب ذكاء وفطنة. تولى القضاء للمهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد في بلاد عمته وغيرها. وقد كان من أعلام القرن الثاني عشر.

27. عبد الله الصعيتري⁽⁹⁶⁾

القاضي العلامة عبد الله بن علي الصعيتري الأنسي ينتهي نسبه إلي الفقيه سليمان الصعيتري، وكان عالماً فاضلاً ترد عليه المسائل من بلاد الزيدية والشافعية، قرأ أحكام البحر الزخار عن الفقيه حسين الشوكاني⁽⁹⁷⁾ وقرأ في شرح بهران علي القاضي أحمد بن سعيد الهبل⁽⁹⁸⁾ وله مشايخ في الفقه والفرائض، أجلهم السيد محمد المفتي⁽⁹⁹⁾ والقاضي إبراهيم بن يحيى السحولي⁽¹⁰⁰⁾ ومحمد عبد الله اللاحجي⁽¹⁰¹⁾

وتولى القضاء بجهات آنس ولم يزل مقيماً بها حتى توفي سنة 1123هـ وقد قارب علي المنه وقيل خمس وتسعين.

28. علي بن حسن الديلمي⁽¹⁰²⁾

العلامة علي بن الحسن بن علي بن ناصر المعروف بالديلمي الذماري، قرأ في ذمار وصنعاء علي القاضي حسين بن علي المجاهد⁽¹⁰³⁾ في الفقه كالبحر الزخار والبيان والتذكرة وقرأ في شرح الأزهار علي القاضي حسين بن أحمد الخولاني، وقرأ عليه جماعة من أبناء الزمان منهم زيد بن عبدالله الأكوخ. كان جمال الدين عالماً محققاً مبرزاً، تولى القضاء في مدينة ذمار للإمام المنصور بالله الحسين بن علي بن القاسم صاحب شهارة. ووفاته كانت سنة 1130هـ، ولم أقف علي تاريخ ولادته..

29. علي حسين الحجبي اليميني⁽¹⁰⁴⁾

القاضي العلامة التقي علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن صلاح الحجبي⁽¹⁰⁵⁾ والذي يصل نسبه إلي الصحابي عمار بن ياسر. وقد أخذ عن القاضي الشهرير الحسن بن أحمد الشيببي والقاضي إسماعيل بن يحيى الصديق⁽¹⁰⁶⁾ وغيرهم. وكان عالماً تقياً ورعاً نجيباً. وكان يسكن في قرية الجزري⁽¹⁰⁷⁾، وتولى القضاء للمهدي العباس في عتمه. وتوفي سنة 1167هـ.

30. علي بن محمد العنسي⁽¹⁰⁸⁾

القاضي العلامة البارع الأديب علي بن محمد بن أحمد بن صالح بن يحيى العنسي ، قرأ على القاضي علي بن يحيى البرطي⁽¹⁰⁹⁾ والسيد صلاح بن الحسين الاخفش الحسني⁽¹¹⁰⁾ زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم⁽¹¹¹⁾ والفقير محمد بن صلاح العلفي⁽¹¹²⁾ وغيرهم . ومن أجل من أخذ عنهم في علم الفقه والنحو والمنطق الإمام محمد بن إسماعيل الأمير . وقد قلده المتوكل قاسم بن حسين⁽¹¹³⁾ القضاء في بلاد وصاب ثم عينه حاكماً بالحيمة⁽¹¹⁴⁾ ، واستمر حاكماً بها إلى أن مات في العر من بلاد ذمار سنة 1139هـ .

31. محمد أحمد الريمي الذماري⁽¹¹⁵⁾

القاضي العلامة محمد بن أحمد بن حاتم الريمي الذماري . مولده سنة 1053هـ—1129م ، وأخذ عن والده في الفقه والفرائض والحساب والنحو وعلى القاضي محمد بن صلاح الفلكي⁽¹¹⁶⁾ في الفقه والفرائض وعن القاضي محمد بن إبراهيم السحولي . وعنه أخذ القاضي زيد بن عبد الله الكوع والقاضي أحمد بن مهدي الشبيبي . تولى القضاء والفتيا والتدريس بمدينة ذمار مدة حياته للإمام المهدي صاحب المواهب مع ورع كامل وزهد تقصر عنه الأمائل . وتوفي في ربيع الأول سنة 1129هـ—1716م .

32. محمد أحمد مشحم الصعدي الصنعاني⁽¹¹⁷⁾

القاضي العلامة الحافظ الضابط المقرئ محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله مشحم الصعدي الصنعاني ، عالم حافظ مقرئ ، أديب ، خطيب ، أخذ بصعده⁽¹¹⁸⁾ عن جده وأبيه وغيرهما من علماء صعده ، ثم هاجر إلى صنعاء فأخذ عن علمائها وعن علماء زبيد⁽¹¹⁹⁾ ومكة وغيرهم ، حتى برع في شتى العلوم ، له شيوخ منهم العلامة أحمد بن عبد الرحمن الشامي وأجاز له جماعة من أهل الحرمين كالشيخ محمد حياه السندي ، وكان له إطلاع على عدة حلول مع بلاغة فائقة وعبرة رائعة وله مؤلفات مجموعة في مجلد وفيها رسائل نفيسة ومنها : آداب القاضي والمفتي (زهور الكمام في آداب المفتي والحاكم) ، و إرشاد السالك إلى أوضح المسالك ، و العذب الزلال في الصلاة على الآل ، و شرح منظومة سماها النسيم الساري على صفحات نهر الزلال الجاري في آداب المقرئ والقاري ، والقول المعلم فيما يجب للمسلم

على المسلم ، والشواهد الجلية في فوائد الهدية ، وشرح منظومة له سماها الفوائد الجميلة في مواضع الصلاة على صاحب الوسيلة وفوائدها الجلية (صلى الله عليه وآله وسلم) ونظم نخبة الفكر في علم الأثر وشرحها ونظم أسماء الله في قصيدة ميمية وشرحها بالروضة الغناء ، ومؤلفات أخرى تزيد عن خمسين مؤلفاً. وكان خطيباً للإمام المتصور بالله الحسين بن القاسم وكان كثير الإتيان كريمة مطلقاً واضطر إلى بيع بيته في ذلك، وولي القضاء في محلات كثيرة منها العدين⁽¹²⁰⁾ ووصاب. وهو من محاسن القضاة ، وكان حسن الحديث حلو العبارة ، لطيف الإشارة شريف الأخلاق واسع الصدر ، وقد توفي في مدينة قطيبة⁽¹²¹⁾ سنة 1182هـ وكان حاكماً فيها.

33- العباس بن عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن القاسم (الإمام المؤيد)⁽¹²²⁾

أخذ عن القاضي محمد بن علي الشوكاني وحقق العربية والمنطق والحديث دعا إلى نفسه بالإمامة ليلة الثلاثاء الرابع والعشرون من رجب سنة 1266هـ، وبايعه علماء صنعاء ومن يوجد فيها من غيرهم ، ثم تنحى عنها للإمام أحمد بن هاشم⁽¹²³⁾ بعد أن كثر عدد الأئمة ، ورجع إلى شهارة.⁽¹²⁴⁾ ولما آلت الإمامة إلى المتوكل محسن بن أحمد⁽¹²⁵⁾ كان من أعوانه ، وقد تولى القضاء في بداية أمره في ضوران ، وفي زمار و رداع للمتوكل محمد بن يحيى⁽¹²⁶⁾ ، ثم سكن صنعاء ، وقد توفي بالليث⁽¹²⁷⁾ في المحرم سنة 1298هـ بعد عودته من الحج.

34- علي بن حسين بن عبد الله بن حسين الشامي⁽¹²⁸⁾

عالم مبرز في كثير من العلوم ولاسيما علوم العربية ، فقد كان مجلياً فيها يعرف أسرارها ودقائقها ومتونها وقواعدها وضوابطها مستحضراً من شواهدا ، كما كان حافظاً للقرآن الكريم عن ظهر قلب، وكان شاعراً أديباً حافظاً للشعر وراويّاً للأخبار ، له مشاركة قوية في عظم التفسير والحديث، ولاة الإمام يحيى⁽¹²⁹⁾ القضاء في مقبنة⁽¹³⁰⁾ من نواحي تعز ثم في رداع ثم في زمار ثم في حراز⁽¹³¹⁾ كما كان عضواً في محكمة الاستئناف بصنعاء. مولده في صنعاء في ذي القعدة سنة 1302هـ، وقد توفي في تعز يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة 1372هـ.

35- يحيى بن أحمد علي الحجري⁽¹³²⁾

عالم عارف بالفقه ، تولى القضاء في عتمه ووصاب للمهدي عبد الله⁽¹³³⁾ وللناصر عبد الله بن الحسن⁽¹³⁴⁾ ، ومولده سنة 1221هـ ، ووفاته سنة 1291هـ .

36- علي بن حسين بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل الاكوع⁽¹³⁵⁾

عالم محقق في الفقه والفرائض والحديث وعلوم العربية، له معرفة بالآساب والتاريخ، خلف والده في التدريس في الذاري ، وتولى إلى جانب التدريس القضاء في ناحية خبان . وامتد نفوذ حكمه إلى الحبشيه⁽¹³⁶⁾ والرياشية⁽¹³⁷⁾ ومخلافي عمار⁽¹³⁸⁾ والعود⁽¹³⁹⁾ . وتولى القضاء في ذمار بالتراضي . مولده في ذمار يوم الجمعة غرة جمادي الآخرة سنة 1280هـ ووفاته بها يوم الثلاثاء 9 جمادي الأولى سنة 1363هـ .

37- إسماعيل بن محمد بن يحيى بن علي الغابري⁽¹⁴⁰⁾

فقيه عارف تولى القضاء في بلده رصب من ناحية عتمه . مولده سنة 1276هـ ، وتوفي سنة 1330هـ .

38- أحمد بن حسن بن علي بن عبد الله الغشم⁽¹⁴¹⁾

عالم محقق في الفقه مع مشاركة في التفسير . تولى القضاء في ضوران وفي عتمه وفي ذمار . مولده في ضوران سنة 1272هـ ووفاته فيها سنة 1357هـ .

39- علي بن محمد بن يحيى بن علي السماوي⁽¹⁴²⁾

عالم محقق في الفقه ، له مشاركة تامة في بعض علوم العربية ، شاعر أديب ، تولى القضاء في عتمه ، مولده في العر سنة 1255هـ ، ووفاته سنة 1324هـ . من آثاره : 1- خير جليس وأكرم أنيس في جمل من الفوائد والخبر النفيس . 2- المواعظ النافعة في معرفة حق القرابة ، والذب عن الصحابة وهي قصيدة . 3- النفحات الوردية والرياض الندية مختصر السيرة النبوية

40- يحيى بن أحمد بن عبد الوهاب السماوي⁽¹⁴³⁾

فقيه نحوي، شاعر أديب، تولى القضاء في مغرب عنس، ثم في جبل الشرق⁽¹⁴⁴⁾، ومن مؤلفاته: تنمة إعراب المنحة في إعراب الملحّة، مولده في العر سنة 1290هـ وقيل سنة 1296هـ، ووفاته في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول سنة 1349هـ.

41- محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن يحيى الكبسي⁽¹⁴⁵⁾

عالم في الفقه له مشاركة في علوم أخرى. تولى القضاء للدولة العثمانية في آنس وغيره، وآخر ما تولاه القضاء في ناحية خولان⁽¹⁴⁶⁾، وسكن جحانه⁽¹⁴⁷⁾ مولده في مسور⁽¹⁴⁸⁾ في الكبس⁽¹⁴⁹⁾ سنة 1254هـ، ووفاته في جحانه سنة 1323هـ.

42- محمد بن حسين بن علي غمضان الكبسي⁽¹⁵⁰⁾

عالم في الفقه والفرائض، تولى في العهد العثماني نظارة الأوقاف، وتولى للإمام يحيى حميد الدين القضاء في زمار ثم في ريمه في نواء الحديدية⁽¹⁵¹⁾ وأخيراً في سنحان⁽¹⁵²⁾ مولده في جمادى الأولى سنة 1277هـ، ووفاته في ذي القعدة سنة 1358هـ. ولم أقف على مكان لوفاته.

43- محمد بن عبد الله بن علي بن حسين الكبسي⁽¹⁵³⁾

كان عالماً عاملاً، ناسكاً فاضلاً، جواداً سخياً، براً تقياً، متبحراً في الفقه، عالم مشارك في الفقه وعلم الفرائض، تولى القضاء في ناحية خبان، مولده في نيعان من عزلة وادي الحبال⁽¹⁵⁴⁾ من ناحية خبان سنة 1286هـ، ووفاته في خبان سنة 1329هـ.

44- حمود بن محمد بن يحيى بن محمد بن عبد القادر⁽¹⁵⁵⁾

عالم محقق لكثير من العلوم العربية والفقه والأصول، شاعر أديب، تولى القضاء في العهد العثماني في عمران و زمار وبلاد حجة والطويلة⁽¹⁵⁶⁾ وغيرها، كما تولى أوقاف ثلاً⁽¹⁵⁷⁾ مولده في كوكبان⁽¹⁵⁸⁾ يوم الخميس 16 ذي القعدة سنة 1267هـ. ووفاته في الطويلة ليلة الأربعاء 8 جماد الآخرة سنة 1344هـ.

45. حسن بن علي العريض⁽¹⁵⁹⁾

حافظ للقراءات السبع ، محقق للنحو والصرف والمعاني والبيان ، والحديث والفقه والفرائض ، شاعر أديب، تولى القضاء للإمام يحيى حميد الدين في زمار ، وكتب بخط يده كتباً كثيرة ، ومن آثاره :- شرح كفاية ابن الحاجب في النحو ، كان مولده بالروضة سنة 1279هـ ، توفي بالمدان⁽¹⁶⁰⁾ في 26 صفر سنة 1326هـ .

46. محمد بن يحيى بن يوسف بن يحيى بن عبد الله بن عز الدين الاكوع⁽¹⁶¹⁾

من أعيان أواخر المائة الثانية عشرة وصدر من المائة الثالثة عشرة ، عالم مبرز في الفقه والفرائض وله مشاركة في غيرهما ، أخذ عن العلامة عبدالقادر بن حسين الشويطر وعن العلامة علي بن أحمد بن ناصر الشجني ، تولى القضاء للمنصور علي بن المهدي العباس في مناطق متعددة مثل حفاش⁽¹⁶²⁾ وملحان⁽¹⁶³⁾ وعمه والمخادر وحبيش وقعظبه ، وقد اشتهر بعفته ونزاهته والاكتفاء بما تعطيه الحكومة .

47. أحمد بن إبراهيم الحضرائي⁽¹⁶⁴⁾

فقيه عالم شاعر، تولى القضاء في زمار في العهد العثماني ثم انتقل إلى صوران للقضاء بها ، واستمر عليه حتى توفي سنة 1317هـ .

48. أحمد بن علي السماوي⁽¹⁶⁵⁾

القاضي العلامة النبيه أحمد بن علي بن حسين بن علي بن أحمد السماوي ، قرأ في شرح الأزهار على العلامة عبد القادر بن حسين الشويطر وعلى العلامة علي بن أحمد بن ناصر الشجني وأخذ في الحديث عن القاضي أحمد بن محمد قاطن⁽¹⁶⁶⁾ ، وتولى القضاء للإمام المنصور في خبان ثم تولى له القضاء في وصاب وذمار وحبيش ، وهي آخر عمله وبها توفي في سنة 1211هـ .

49. الحسين بن عبد الهادي ذعقان⁽¹⁶⁷⁾

القاضي العلامة الشهير الحسين بن عبد الهادي بن عيسى بن حسين بن ذعقان بن كليب الذماري ، نشأ بذمار وأخذ عن علمائها، وقرأ الفقه والفرائض على القاضي العلامة محمد بن

صلاح الفلكي، وقد كان عالماً محققاً في الفروع، مشاركاً في سائر العلوم وشهرته بالفقه أكثر، تولى القضاء في مدينة ذمار للإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل⁽¹⁶⁸⁾ . ولد في ذمار سنة 1042هـ وكانت وفاته في ذمار سنة 1120هـ . وقد اختلفت بعض المراجع في تاريخ وفاته حيث ذهبوا إلى أن وفاته كانت 1119هـ⁽¹⁶⁹⁾ .

50- مطهر بن علي الديلمي⁽¹⁷⁰⁾

العلامة المطهر بن علي بن أحمد بن ناصر الديلمي الحسني الذماري يقرأ الفقه على العلامة زيد بن عبد الله الكوع، وأخذ في الأصول والحديث عن جماعة من أعيان صنعاء منهم العلامة هاشم بن يحيى الشامي⁽¹⁷¹⁾ والعلامة صلاح بن حسين الأخفش⁽¹⁷²⁾ أخذ في الحديث عن العلامة إمام الاجتهاد محمد بن إسماعيل الأمير⁽¹⁷³⁾، وعن الفقيه العلامة إمام السنة حامد بن حسن شاكر⁽¹⁷⁴⁾ وتولى القضاء في جهات كثيرة منها المخادر وعمته وبريم وحيس⁽¹⁷⁵⁾ وتعر ووصاب وكان فيصلاً في أحكامه وكانت وفاته في الوقشة⁽¹⁷⁶⁾ سنة 1186هـ .

51- يوسف بن محمد جحاف الحسني⁽¹⁷⁶⁾

العلامة النقي يوسف بن محمد جحاف الحسني اليمتي الذماري، كان عارفاً محققاً في الفروع وله مشاركة وإطلاع على غيرها . وأخذ في الفقه على القاضي الحسن بن أحمد الشيبيني، وتولى القضاء في ذمار وبلا حيس وقعطبة . للمنصور الحسين بن المتوكل القاسم بن الحسين⁽¹⁷⁷⁾ ، وقد توفي سنة 1161هـ . ولم ألق على شيء من أخباره حتى أذكر منها .

52- الهادي بن عبد الله بن محمد بن صلاح السلامي⁽¹⁷⁸⁾

عالم محقق في الفقه وله مشاركة في علوم العربية والفرائض ، نشأ بصنعاء، وأخذ عن القاضي محمد بن علي قيس⁽¹⁷⁹⁾ والعلامة مهدي بن حسين الكبسي⁽¹⁸⁰⁾ والقاضي علي بن يحيى البرطي ، تولى القضاء للمهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب في بلاد أنس، ثم في حبش، ثم عاد إلى بلدته فانقطع للتدريس حتى توفي سنة 1123هـ .

الخاتمة

وفي الخاتمة نلخص أهم ما شهدته تلك العصور من حركة واسعة في تعيين وإصلاح القضاء وتدوين الأحكام والكتب ورسائل السياسة الشرعية في مجال القضاء وغيره وذلك من خلال تلك الشخصيات القضائية المختارة فقد كان أولئك القضاة الذي تم اختيارهم من بين أكثر العلماء علماً وخبرة في فصل الأحكام بدقة..... وكانوا من العلماء في كتب الفروع الفقهية وكذلك المحققين لتلك الكتب بل ومن الكتاب الذين كانت لهم إسهامات كثيرة في مجال التأليف مثل القاضي إسماعيل بن يحيى بن حسن الصديق والذي كان من أهم مؤلفاته: شرح المسائل المرتضاه فيما يعتمده القضاة ، فتح المنان شرح ما أهمل من مقدمة البيان ، القول المقبول بقبول شهادة من ليس يعدل عند فقدان العدول ، السموط المكثلة بأحاديث شرعية الجهر بالبسملة. والقاضي يحيى بن محمد بن أحمد بن علي السماوي والذي من آثاره نصب الأدلة والأعلام بما يتعلق بأرزاق الحكام . والقاضي محمد بن يحيى بن علي السماوي والذي كان من آثاره :إيضاح البيان بالجزم بوقوع طلاق الغضبان ، سهام الإصابة في الذب عن الصحابة، المطالب النافعات في الإنكار الدعوات. ومنهم من كان حافظاً ومفسراً لكتاب الله كالقاضي علي بن حسين بن عبدالله الشامي ومنهم من كان عالماً في الحديث محدثاً كالقاضي عبدالله ابن علي بن يحيى الغابري ومنهم علماء في الفقه الزيدي والشافعي كالقاضي عبدالله الصعيتري في الفقه الزيدي الحنفي كالقاضي محمد بن يحيى بن علي بن صلاح السماوي. ومنهم المحققون في الفروع كالقاضي الحسين بن عبد الهادي ذعفان والقاضي عبدالله بن أحمد بن زيد الفضلي والقاضي أحمد بن صلاح الحباشي. ومنهم علماء في اللغة العربية والشعر كالقاضي يحيى بن محمد بن أحمد السماوي والقاضي حمود بن محمد بن يحيى بن عبدالقادر والقاضي أحمد بن مهدي الشبيبي والقاضي علي بن حسين بن عبدالله الشامي. ومنهم الخطباء كالقاضي يوسف بن الحسين بن أحمد زيارة، وكذلك المدرسون الذين أفنوا أعمارهم في تدريس العلم كالقاضي أحمد بن مهدي الشبيبي ومنهم من تولى القضاء احتساباً لوجه الله تعالى دون تقاضي أجر كالقاضي الحسين بن علي بن محمد الشجني ومنهم من كان مفتياً ومن كان كثير التحري في أحكامه وفتاويه كالقاضي يحيى بن محمد المغربي الذماري. ومنهم من قام ببناء المصالح والأسواق كالقاضي أحمد بن مهدي الشبيبي، فهذه نخبة من القضاة لهذين العصرين كنموذج لما كان عليه القضاء في كثير من المناطق وخصوصاً بعد أن أصلح القضاء القاضي محمد بن علي الشوكاتي قاضي قضاة القطر اليماني .

الهامش

- (1) تطور التشريع والقضاء في الجمهورية العربية اليمنية مع استعراض للأنظمة القضائية في بعض بلاد العربية ، محمد راشد عبد المولى ، لبنان بيروت - شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، ص 32
- (2) المرجع السابق نفسه تطور التشريع والقضاء في الجمهورية العربية اليمنية ص 32
- (3) المرجع السابق نفسه تطور التشريع والقضاء في الجمهورية العربية اليمنية ص 32-34
- (4) المرجع السابق نفسه تطور التشريع والقضاء في الجمهورية العربية اليمنية ص 32
- (5) دفع العدو الصائل ، للإمام محمد بن علي الشوكاتي، ص 31-32
- (6) نظام القضاء في الإسلام ، القاضي محمد إسماعيل العمراتي ، دمشق مطبعة الكتاب العربي ، ص 224
- (7) مطلع الأقطار ومجمع الأنهار في نكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ، العلامة شرف الدين الحسن بن الحسين بن حيدر بن إسماعيل الفاسي الحسني الطالبي ، تحقيق عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوشي، صنعاء مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1423هـ/2002م، ص 157. نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف ، للعلامة محمد بن محمد بن يحي زبارة الصنعاني ، صنعاء ، إعداد وطبع مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، الطبعة الثانية 1405هـ/1985م ج 1 ص 651. و هجر العلم ومعاقله في اليمن ، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوح، بيروت لبنان ، دمشق سوريا، دار الفكر المعاصر - الطبعة الأولى 1416هـ/1995م ، ج 3 ص 1495.
- (8) سعيد بن سند الصيحي: لم أجد له ترجمة.
- (9) الإمام المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ولد سنة 1047هـ وتوفي سنة 1130هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج 2 ص 97- البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاتي - بيروت - لبنان - دار المعرفة ج 2 ص 97).
- (10) بلاد آسن: قضاء واسع من أعمال ذمار وكانت تعرف قديماً بأرض الهان ومفري وتقع في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة 60 كم (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 5)
- (11) جبلية: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة إب بمسافة 7 كم وكانت تسمى قديماً مدينة النهيرين، تقع هذه البلدة على هضبة مسطحة وهي على ارتفاع نحو 6745 كم من سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 80)
- (12) إب: مدينة في الجنوب من صنعاء بمسافة 140 كم من السفح الغربي لجبل ريمان من بعدان. (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 5)
- (13) الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد صاحب شهرة ولد سنة 999هـ وتوفي سنة 1050هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج 1 ص 226).
- (14) ضوران: تقع في السفح الشمالي لجبل آسن وكانت قديماً عاصمة الأئمة القاسميين وقد تهدمت المدينة في زلزال ديسمبر عام 1982م، وانتقل أهلها إلى منطقة جنوب حقل بكيل وسميت بنفس الاسم. (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 260، مجموع بلدان اليمن ص 554)

- (15) مطلع الأقطار ص 204، نشر العرف جـ 1 ص 490، ملحق البدر الطالع جـ 2 ص 75
- (16) جمال الدين علي بن حسن الدليمي الذماري الحسني توفي سنة 1130هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن محمد بن يحيى زهارة الحسني اليمني الصنعائي، بيروت لبنان دار المعرفة ص 161).
- (17) محمد بن أحمد بن حاتم قريمي ولد سنة 1053هـ وتوفي سنة 1129هـ. (مصدر الترجمة: مطلع الأقطار ص 89).
- (18) مطلع الأقطار ص 271، نشر العرف جـ 1 ص 201، ملحق البدر الطالع جـ 2 ص 40
- (19) الحسن بن أحمد بن الحسن بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن معوض الشيببي الأتسي ثم الذماري، ولد سنة 1107هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص 68).
- (20) زيد بن عبد الله الكوع الذماري مولده سنة 1081هـ وتوفي سنة 1166هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص 92).
- (21) بريع: مدينة جنوب صنعاء بمسافة 105 كم، وتقع على سفح جبل (يصبح) بارتفاع 2400 م من سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 472)
- (22) مطلع الأقطار ص 193، نشر العرف جـ 3 ص 301، ملحق البدر الطالع جـ 2 ص 227، حجر العظم ص 764. وبنو الشيببي: عزلة بنو شبيب من ناحية حبش وبنو الشيببي من عماء ذمار وأنس في قرية ذي حور (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 226)
- (23) حبش: ناحية من أعمال إب في الشمال الغربي من مدينة إب (مصدر الترجمة: معجم المدن والقبائل اليمنية: إعداد إبراهيم أحمد المقحفي، منشورات دار الكلمة، صنعاء ص 107)
- (24) بيز: مدينة مشهورة في سفح جبل صبر الشمالي تبعد عن صنعاء مسافة 256 كم وهي على ارتفاع 1500 م عن سطح البحر، وكانت تعرف قديماً باسم (العدينة). (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 69)
- (25) حجة: مدينة كبيرة في الشمال الغربي من صنعاء تبعد حوالي 127 كم وتقع على جبل متوسط ارتفاعه 1900 م من سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 110)
- (26) عمه: ناحية مشهورة من بلاد ذمار في الغرب الجنوبي منها بمسافة 62 كم وتنقسم إلى خمسة مخاليف (حمير الوسط، السعل، رازح، بن بحر، سماه) (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 277)
- (27) رداع: هي مدينة بالشرق من ذمار بمسافة 53 كم وهي مدينة أثرية ترتفع 2100 م عن سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 175)
- (28) نبي حور: عزلة من قرى أنس (معجم المدن ص 133)
- (29) مطلع الأقطار ص 263، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، تأليف محمد بن محمد بن يحيى زهارة الحسني اليمني الصنعائي، المطبعة السلفية 1348هـ - القاهرة، جـ 1 ص 306، البدر الطالع جـ 1 ص 156.
- (30) مطلع الأقطار ص 326، نيل الوطر جـ 1 ص 387-388، حجر العظم ص 1036.

- (31) عبد الله بن حسين دلامه الذماري توفي سنة 1179هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص128).
- (32) علم الآلة : يقصد به النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه (مصدر الترجمة : مطلع الأقطار ص226).
- (33) أحمد بن محمد بن صالح الشجني لم أجد تاريخ مولده ولا وفاته. (البدر الطالع ج1ص135).
- (34) إسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد ولد سنة 1111هـ وتوفي سنة 1173هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج1ص135).
- (35) المنصور علي بن المهدي العباس بن المنصور بن حسين بن المتوكل القاسم بن حسين بن المهدي ولد سنة 1151هـ وتوفي سنة 1224هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج1ص459).
- (36) مطلع الأقطار ص 344، نيل الوطر ج2ص77، هجر العلم ج3ص1171.
- (37) عمران: تبعد عن صنعاء مسافة 48 كم شمالاً وهي مدينة فيها من الآثار والمباني القديمة الكثير وترتفع 2302م عن سطح البحر (مصدر الترجمة :معجم المدن ص297، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جمعه العلامة المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري اليماني ، تحقيق وتصحيح ومراجعته إسماعيل بن علي الأكواع، مكتبة الإرشاد دار لكتب صنعاء، الطبعة الثالثة، 1425هـ-2004م ج2ص611).
- (38) المهدي العباس بن الإمام المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين بن الإمام المهدي ولد سنة 1131هـ وتوفي سنة 1189هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج1ص310).
- (39) مطلع الأقطار ص340، نيل الوطر ج2ص407.
- (40) سعيد بن عبد الرحمن السملوي ولد سنة 1117هـ، تولى القضاء للمنصور سنة 1153هـ وحكم في ذمار مجاناً وتوفي فيها سنة 1194هـ (مصدر الترجمة: مطلع الأقطار ص210).
- (41) الفقيه حسن بن محمد العفاري : لم أجد له ترجمة .
- (42) نيل الوطر ج1ص280 ، هجر العلم ج2ص749.
- (43) مطلع الأقطار ص 371. نيل الوطر ج1ص399. البدر الطالع ج2ص163.
- (44) سعيد بن حسن بن سعيد بن عبد الله العنسي، ولد سنة 1150هـ وتوفي سنة 1239هـ. (مصدر الترجمة: مطلع الأقطار ص312).
- (45) محسن بن حسين الشويطر ولد سنة 1152هـ وتوفي سنة 1221هـ. (مصدر الترجمة: مطلع الأقطار ص338).
- (46) مسجد موسى: (ويقع في صنعاء شرق باب اليمن في حارة موسى)
- (47) أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر القابلي المعروف بالحرازي ولد سنة 1158هـ وتوفي سنة 1227هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج1ص96).
- (48) حسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمي الذماري، ولد سنة 1149هـ وتوفي سنة 1249هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج1ص232).

- (49) عبد القادر بن أحمد الكوكباتي ولد سنة 1135هـ وتوفي سنة 1207هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع جـ 1 ص 360).
- (50) وصابن: جبل متسع بالغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة 182 كم (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 465).
- (51) بدر الطالع جـ 2 ص 155، نول الوطر جـ 2 ص 255، هجر العلم جـ 2 ص 648.
- (52) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاتي ولد سنة 1173هـ وتوفي سنة 1250هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع جـ 1 ص 214).
- (53) العري: بلدة لعر قرية في عزلة الصفا من مخلاف سماء من ناحية عتمه وتقع في الجنوب الشرقي من ربوع مركز الناحية على بعد 6 كم تقريباً (مصدر الترجمة: هجر العلم جـ 3 ص 1399).
- (54) سماء: هي عزلة من مخلاف الربيعه ناحية عتمه في الشرق من وصاب من أعمال ذمار، وكما ينتسب إليها الطعام بنو السماوي وهم من بيوت العلم في اليمن (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 212، البلدان اليمانية عند بالقوت الحموي، جمع وتحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوح، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية 1408هـ - 1988م ص 155).
- (55) الذاري: قرية عاصرة في عزلة شيزر من ناحية خبان، تقع شرقي يريم بمسافة 30 كم وإيها ينتسب بنو الذاري، وتقع جنوب ذمار بمسافة 45 كم (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 165، هجر العلم جـ 2 ص 645).
- (56) حيسان: قرية من عزلة بني شنيف ناحية وصاب العلي قضاء ذمار (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 141، مجموع بلدان اليمن جـ 1 ص 304).
- (57) هجر العلم جـ 2 ص 885. بنو الغابري من فقهاء رصب من مخلاف سماء في عتمه (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن جـ 2 ص 621، هجر العلم جـ 2 ص 885).
- (58) مطلع الأعمار ص 359، هجر العلم جـ 3 ص 1403.
- (59) العلامة سعيد بن عبد الرحمن السماوي ذكرت ترجمته هامش (40).
- (60) عبد القادر بن حسين الشويطر الذماري ولد سنة 1148هـ وتوفي سنة 1197هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص 122).
- (61) علي بن أحمد بن ناصر الشجني السماوي ولد سنة 1123هـ وتوفي سنة 1201هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع جـ 2 ص 133).
- (62) هجر العلم جـ 3 ص 1403.
- (63) مغرب عيس: مدينة بالغرب من ذمار بمسافة 41 كم، وتسمى عيس السلامة وهي ناحية تابعة لقضاء ذمار ومنطقة ثرية أيضاً وينسب إليها الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 298-299).
- (64) نشر العرف جـ 2 ص 372 هجر العلم جـ 2 ص 586.

- (65) **هجرة مذاب:** فريتان عامرتان مذاب العليا ومذاب السفلى من مخلاف الجبل ثم من قضاء صوران آنس والسفلى تدعى هجرة. (مصدر الترجمة: هجر العلم ج4ص2000، معجم المدن ص372)
- (66) نشر العرف ج3 ص383، ملحق البدر الطالع ص238، هجر العلم ج2ص586.
- (67) الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعائي، المعروف بابن الأمير، ولد سنة 1099هـ وتوفي سنة 1142هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج2ص133).
- (68) أحمد بن عبد الرحمن بن الحسين بن عز الدين بن الحسن الشامي، ولد سنة 1095هـ وتوفي سنة 1172هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص75).
- (69) محمد بن حياة بن إبراهيم السندی المولد المدني النشأة والوفاة أخذ عن أكابر علماء عصره توفي يوم الأربعاء 26 صفر سنة 1163هـ. (مصدر الترجمة: نشر العرف ج3ص145).
- (70) **ريمه:** اسم مشترك لعدد من البلدان أشهرها ريمة الأشباظ وكذلك ريمة جبلان وهو من أشهر جبال اليمن خصوبة ويقع في الجنوب الشرقي من الحديدة بمسافة 70 كم، ويبلغ ارتفاعها 2800 كم عن سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم المدن ص188)
- (71) **الروضة:** اسم مشترك بين عدد من الأماكن أشهرها روضة أحمد شمال صنعاء بمسافة 5 كم وتدعى روضة حاتم، وكانت قديماً تسمى المنظر. والروضة قرية في فخر يريم وبلدة في صوران آنس، وهي عزلة من وصاب العالي (مصدر الترجمة: معجم المدن ص183، مجموع بلدان اليمن ج1ص373، هجر العلم ج2ص904)
- (72) طبقات يزيدية الكبرى المسماة بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، العلامة إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله المتوفى سنة 1152هـ. تحقيق عبد السلام عياد، طبع مؤسسة الإمام زيد الثقافية 1421هـ - 2001م - ص211، نشر العرف ج1ص290، هجر العلم ج2ص761.
- (73) مهدي بن علي الشيببي الذماري مولده سنة 1038هـ ووفاته سنة 1107هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص217).
- (74) حسين بن علي بن أحمد المجاهد الذماري توفي في سنة 1126هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج1ص85).
- (75) **ليمن الأسفل:** وهي تعز وقد ذكر ترجمة لها هاش (24)
- (76) سوق الربوع: أحد الأسواق المشهورة في ذمار يتوسط المدينة ويقع شمالي المدرسة الشمسية (مصدر الترجمة: مطلع الأقطار ص147)
- (77) مطلع الأقطار ص266، هجر العلم ج2ص651. ولقبه الخبلي نسبة إلى ناحية خبان (معرفة سابقاً)
- (78) علي بن حسن الكيسي وفاته سنة 1209هـ. (مصدر الترجمة: مطلع الأقطار ص205).
- (79) شمس الدين بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد المجاهد. لم أجد تاريخ مولده ولا وفاته. (مطلع الأقطار ص207).
- (80) **المخاير:** بلدة في شمال من إب بمسافة 20 كم وتشكل مركز قضاء تابع لمحافظة إب (مصدر الترجمة: معجم المدن ص368)
- (81) هجر العلم ج2ص886.

- (82) رصب: قرية عامرة تقع تحت حصن رصب الذي كان يدعى حصن دوران من مخلاف سماء من ناحية عتمه (مصدر الترجمة: هجر العلم ج2ص885) وهي من مساكن آل الغابري
- (83) هجر العلم ج2ص886.
- (84) هجر العلم ج1ص409. وبنو الحباشي من حباشمة وهي قرية عامرة في عزلة دمام من مخلاف جبل الشرق من ناحية جبل الشرق وأعمال أنس وهناك وثائق تهجير هذه القرية وهي تعود للمائة الحادية عشرة للهجرة (مصدر الترجمة: هجر العلم ج1ص409)
- (85) مخاليف أنس: بلد واسع في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة 60 كم وهي تسعة مخاليف : 1- مخلاف ضوران 2- مخلاف بني سعد ، 3- مخلاف جبل الشرق ، 4- مخلاف بن حاتم ، 5- مخلاف حمير ، 6- مخلاف بني خالد ، 7- مخلاف المنار ، 8- مخلاف بني قسيب ، 9- مخلاف بني سلامة (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن ج1ص21)
- (86) هجر العلم ج1ص461.
- (87) المصخر: قرية من بلدة بنو فضل وهي عزلة من مخلاف حمير في أنس وينسب إليها العلماء والقضاة بنو الفضلي. (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن ج2ص635)
- (88) هجر العلم ج3ص1402.
- (89) هجر العلم ج3ص1402.
- (90) هجر العلم ج3ص1403.
- (91) مطلع الأرقام ص125، نشر العرف ج1ص250، هجر العلم ج4ص2118.
- (92) عبد الله بن حسين فنجل وفاته سنة 1117هـ. (مصدر الترجمة: مطلع الأرقام ص90).
- (93) محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي ثم الصنعائي وفاته سنة 1109هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج2ص96).
- (94) محمد بن عبد الله الفظم الأنسي اليماني توفي سنة 1043هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج2ص199).
- (95) حسن بن محمد بن سعيد بن عيسى المغربي اللاعي الصنعائي ولد سنة 1150هـ وتوفي سنة 1242هـ. (مصدر الترجمة: نشر العرف ج1ص500).
- (96) الطيفات ص625، نشر العرف ج2 ص111، ملحق البدر الطالع ص134، هجر العلم ج1ص144. وبنو الصعيتري ينتسبوا إلى قرية عامرة في عزلة بني روية من ناحية جبل الشرق وأعمال أنس وتدعى بني جحذب (مصدر الترجمة: هجر العلم ج1ص144)
- (97) حسين الشوكاتي: لم أجد له ترجمه.
- (98) أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل الصنعائي، توفي سنة 1061هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص33).
- (99) محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين المعروف بالمفتي توفي سنة 1049هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع ج2ص203).

- (100) إبراهيم بن السحولي ولد سنة 987هـ وتوفي سنة 1060هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع جـ-1ص33).
- (101) محمد عبد الله اللحجي : لم أجد له ترجمة.
- (102) الطبقات ص723، مطلع الأعمار ص137، نشر العرف جـ2 ص182، ملحق البدر الطالع ص161. وبنو الديلمي: هم ذرية الإمام أبي الفتح الديلمي الذين يسكنون مدينة ذمار.
- (103) الحسين بن علي المجاهد: القاضي العلامة شيخ الشيوخ، وأستاذ أهل الرسوخ، الحافظ للشريعة، المحكمة آراءه وعلومه في أنواع التعاليم والتحكيمات، كان قاضي للإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن القاسم، نشأ في ذمار توفي 14 شوال سنة 1126هـ-1713م (مصدر الترجمة: مطلع الأعمار ص118-ملحق البدر جـ2ص85).
- (104) نشر العرف جـ2 ص190، هجر العظم جـ1ص379).
- (105) الحجى نسبة إلى بلاد حجة
- (106) إسماعيل بن يحيى بن حسن الصديق الصعدي الذماري ثم الصنعاني ولد سنة 1130هـ وتوفي سنة 1209هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع جـ1ص156).
- (107) الحزري: قرية عامرة في مخلاف سماء من ناحية عتمة وأعمال ذمار (مصدر الترجمة: هجر العظم جـ1ص378).
- (108) نشر العرف جـ2 ص251.
- (109) علي بن يحيى بن أحمد بن مضمون البرطي ثم الصنعاني سنة 1061هـ وتوفي سنة 1119هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع جـ1ص501).
- (110) صلاح بن الحسين بن يحيى بن علي الأختي الصنعاني توفي سنة 1142هـ. (مصدر الترجمة: البدر الطالع جـ1ص296).
- (111) زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الحسني اليمني الصنعاني ولد سنة 1057هـ وتوفي سنة 1123هـ. (مصدر الترجمة: نشر العرف جـ1 ص689).
- (112) محمد بن صلاح العلفي : لم أجد له ترجمة.
- (113) المتوكل قاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الحسني الصنعاني المتوفى سنة 1139هـ. (مصدر الترجمة: نشر العرف جـ2ص317).
- (114) الحيمه: بلاد واسعة بالغرب الجنوبي من صنعاء 37كم وهي قسمان داخلية وخارجية (مصدر الترجمة: معجم البلدان ص136).
- (115) الطبقات الكبرى ص928، مطلع الأعمار ص89، نشر العرف جـ2 ص396.
- (116) محمد بن صلاح بن محمد بن ناصر بن محمد بن صلاح الفلكي الذماري المدحجي توفي سنة 1047هـ كان عالماً عارفاً وفقهياً محققاً فاضلاً وكان غلبه في تحقيق علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة وهو علم متورث في أهل هذا البيت. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص201).

- (117) القدر الطالع جـ 2ص 102، نشر العرف جـ 2 ص 412، أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي -الثقافية لطبعة الأولى 1420هـ -1999م- ص 855).
- (118) صعدة: مدينة تاريخية في الشمال من صنعاء بمسافة 243 كم وهي على ارتفاع 2261 متراً عن سطح البحر وكانت تسمى قديماً جماع (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 248، مجموع بلدان اليمن جـ 2 ص 467)
- (119) زيد: وادي مشهور يصب في نهامة ثم البحر الأحمر ومآتبه من جبال العدين وأودية بعدان والأودية قنارلة من شرق وصاب (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 189)
- (120) العدين: مدينة بالغرب من إب بمسافة 30 كم وهي من مراكز الناحية (مصدر الترجمة: معجم البلدان ص 279)
- (121) قطيفة: مدينة بالشرق الجنوبي من إب بمسافة 62 كم وهي في الأصل بلد حجر ثم مدينة جيشان ثم سميت قطيفة (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن جـ 2 ص 656، معجم المدن ص 333)
- (122) حجر العلم جـ 2 ص 1098.
- (123) الإمام أحمد بن هاشم لقب بالمنصور، كانت مبايعته في مدينة صعده سنة 1264هـ ووفاته في أرحب سنة 1269هـ. (مصدر الترجمة: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، تأليف عبد الله محمد الحبشي، بيروت-صيدا، المكتبة العصرية، 1408هـ -1988م ص 681).
- (124) المتوكل محسن بن أحمد: هو محسن بن أحمد الهادوي، كانت ولايته سنة 1271هـ. (مصدر الترجمة: بلوغ المرام في شرح مسك الختام، تأليف القاضي حسين بن أحمد لعرضي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث - سنة 1358هـ -1939م ص 79).
- (125) المتوكل محمد بن يحيى: لم أجد له ترجمة.
- (126) الليث: مطراخ في نهامة (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن جـ 1 ص 156)
- (127) حجر العلم جـ 1 ص 324.
- (128) الإمام يحيى بن المنصور بالله محمد بن يحيى مولده في صنعاء ربيع الأول 1286هـ. (مصدر الترجمة: (مصدر الترجمة: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، عبد الواسع يحيى الواسعي المتوفى 1379هـ، القاهرة، المكتبة السلفية 1346هـ - ص 194).
- (129) مقينة: ناحية كبيرة من قضاء المخا في الغرب الشمالي من تعز بمسافة 61 كم (مصدر الترجمة: معجم المدن ص 403)
- (130) حرات: أحد قضاوات صنعاء بالغرب منها بمسافة 81 كم، بارتراف 2500 م من سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم البلدان ص 114)
- (131) حجر العلم جـ 1 ص 379.
- (132) المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد بن المنصور علي بن العباس ولادته سنة 1208هـ ووفاته سنة 1267هـ. (مصدر الترجمة: تاريخ اليمن ص 61).

- (133) الناصر عبد الله بن الحسين أحمد بن المهدي عباس ولد سنة 1226هـ وتوفي سنة 1256هـ. (مصدر الترجمة: تاريخ اليمن ص65).
- (134) شهارّة: حصن عظيم وهو من معقل الأهنوم (مصدر الترجمة: هجر العلم ج2 ص1057)
- (135) هجر العلم ج2 ص649.
- (136) الحبيسة: بلد في الجنوب الغربي من رداع وفيه الجسر الأثري الذي بناه الإمام المهدي العباس المتوفى سنة 1189هـ للمرور عليه عند فيضان السيل (مصدر الترجمة: معجم المدن ص107)
- (137) الريثية: مخلاف تابع لقضاء رداع إليه ينتسب بنو الريثي وبه آثار حميرية (مصدر الترجمة: معجم المدن ص185)
- (138) مخلاف عمار: من بلاد النادرة في الشمال الشرقي من إب، وتنتسب إلى عمار بن كنان بن مذحج. (مصدر الترجمة: معجم المدن ص295)
- (139) مخلاف العود: بلدة في النادرة تنسب إلى العود بن عبدالله ذو أصبح وبها آثار حميرية وتشتهر بالصل الأبيض وإليها ينتسب بنو العودي (مصدر الترجمة: معجم المدن ص301)
- (140) هجر العلم ج2 ص886.
- (141) هجر العلم ج3 ص1256.
- (142) هجر العلم ج3 ص1404.
- (143) هجر العلم ج3 ص1405.
- (144) جبل الشرق: جبل مشهور في الغرب من صوران من أعمال آسن ومركز الناحية مدينة الشرق وإليها ينسب القضاة بنو الشرق (مصدر الترجمة: معجم المدن ص231، أمة اليمن ج2 ص70)
- (145) هجر العلم ج4 ص1794.
- (146) خولان: خولان صنعاء تعرف بخولان الطيال أو خولان العالية ومنازلها شرقي مدينة صنعاء إلى قرب مأرب (معجم المدن ص147، البلدان اليمنية ص112، مجموع البلدان ج1 ص312)
- (147) جحانة: من قرى خولان العالية وتقع في الشرق الجنوبي من صنعاء بمسافة 40كم (مصدر الترجمة: معجم المدن ص83، مجموع البلدان ص179، هجر العلم ج1 ص312)
- (148) ميسور: وطن في خولان العالية بالجنوب الشرقي من صنعاء ينسب إليه بنو المسوري أهل صنعاء وهو واد خصيب كثير الخيرات والكروم (مصدر الترجمة: معجم المدن ص386)
- (149) الكيس: هجرة عامرة من قرى خولان العالية شرقي جنوب صنعاء تبعد حوالي 30كم وتقع أسفل جبل كئن المشهور وفيها الكثير من الزروع وخاصة العنب (مصدر الترجمة: معجم المدن ص343- هجر العلم ج4 ص1785)
- (150) هجر العلم ج4 ص1798.
- (151) العديدة: أكبر مدن تهامة وأشهر موانئها على البحر الأحمر يعود تاريخ استخدامها كمنطقة صيد إلى القرن الثامن الهجري وهي على بعد 226كم شمال غرب صنعاء (مصدر الترجمة: معجم المدن ص113)

- (152) سِنحان: مخلاف في صنعاء فيه قرى وحصون في الشرق الجنوبي من صنعاء وكانت تعرف قديماً باسم (ذي جره) ويتصل بها شمالاً ناحية بني حشيش وجبل براش ونقم وشرقها خولان العالية وجنوبها بلاد الروس وغربها ناحية البستان (مصدر الترجمة: البلدان اليمانية ص156، مجموع البلدان جـ2 ص432، معجم المدن ص213)
- (153) هجر العلم جـ4 ص1799، أئمة اليمن جـ2 ص240.
- (154) وادي الحياض: عزلة من ناحية السدة وأعمال يريم ومن قراه ا: نيعان وبيت الراعي والمسقاء (مصدر الترجمة: معجم المدن ص105، مجموع البلدان جـ1 ص226)
- (155) هجر العلم جـ4 ص1903.
- (156) الطويلة: مدينة في الغرب من كوكبان بمسافة 25 كم وهي على ارتفاع 2400 م من سطح البحر وتبعد عن صنعاء نحو 77 كم في الشمال الغربي. (مصدر الترجمة: معجم المدن ص265، مجموع بلدان اليمن جـ2 ص559، هجر العلم جـ3 ص1272)
- (157) ثلاً: بلدة تقع في السفح الشرقي لحصن ثلاً الأثري وهي من صنعاء في الشمال الغربي على مسافة 40 كم، كانت مقصداً لطلب العلم وترتفع 2400 م عن سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم المدن ص74، مجموع البلدان جـ1 ص166، هجر العلم جـ1 ص260)
- (158) كوكبان: معقل حصين من معائن اليمن المنوعة، تحصن فيه الكثير من الملوك، وكان مركزاً من مراكز العلم المقصودة، وتقع في الشمال الشرقي من شيبام ويرتفع نحو 3000 م عن سطح البحر (البلدان اليمانية ص243، هجر العلم جـ4 ص1870، معجم المدن ص352، مجموع بلدان اليمن ص668)
- (159) هجر العلم جـ4 ص1984، وبنو العريض من أهل صنعاء وهم في الأصل من بيت العنسي (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن جـ2 ص600)
- (160) المدان: بلدة عامرة في الأهنوم الجبل الغربي وتتبع لواء حجة وكانت مركز علم وفيها جامع عظيم (مصدر الترجمة: معجم المدن ص370، هجر العلم جـ4 ص1982)
- (161) مطلع الأقطار ص351، هجر العلم جـ4 ص2122.
- (162) حفاش: جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة 141 كم وهو ناحية لفضاء المحويت ويرتفع الجبل 2490 م عن سطح البحر (مصدر الترجمة: معجم المدن ص124، مجموع بلدان اليمن جـ1 ص276)
- (163) ملحان: جبل منبع حصين في بلاد المحويت يشرف على تهامة ويرتفع 2390 م عن سطح البحر وهو مجاور لجبل حفاش من ناحية الغرب (مصدر الترجمة: معجم المدن ص407-مجموع بلدان اليمن جـ2 ص718)
- (164) هجر العلم جـ4 ص2220، وبنو الحضرائي من القضاة، وهم من قرية حضران من قرى جبل الشرق وأعمال أنس (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن جـ1 ص263)
- (165) مطلع الأقطار ص355، نيل النواظر جـ1 ص152-153.

- (166) أحمد بن محمد بن عبد الهادي بن صالح بن عبد الله بن أحمد فاطن الحبابي المولد، المحقق نسبة إلى مقحف، مولده سنة 1118هـ، وتوفي سنة 1199هـ. (مصدر الترجمة: نشر العرف ج1 ص27).
- (167) طبقات الزيدية ص363، مطلع الأقطار ص85، نشر العرف ج1 ص569، ملحق البدر الطالع ص84، وبنو ذعفلان هم من علماء نعلار (مصدر الترجمة: معجم المدن ص167، مجموع بلدان اليمن ج1 ص341).
- (168) الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل، وهو آخر إمام تجمعت فيه الشروط المعتبرة للإمامة في المذهب الزيدي، وقد توفي سنة 1097هـ. (مصدر الترجمة: اليمن الإنسان والحضارة للفاضل عبد الله عبد الوهاب المجاهد الشمالي، بيروت-لبنان، منشورات المدينة-شركة دار التنوير للطباعة، الطبعة الثالثة 1406هـ-1985م والنشر، ص166).
- (169) اختلف تاريخ وفاة القاضي في كتاب مطلع الأقطار ص85 حيث ورد أن وفاته في ثاني وعشرين شهر ذو الحجة الحرام سنة 1119هـ.
- (170) مطلع الأقطار ص208، نشر العرف ج3 ص241، وبنو الديلمى من أهل الحدا وهم من الكلبسية ولد الأمير يحيى بن حمزة بن أبي هاشم (مصدر الترجمة: مجموع بلدان اليمن ج1 ص336).
- (171) هاشم بن يحيى بن محمد الشامي الحسني الصنعائي، محدث حافظ نافذ مجتهد مولده سنة 1087هـ ووفاته سنة 1158هـ، من مؤلفاته: نجوم الأنظار (حاشية على البحر الزخار) (مصدر الترجمة: أعلام المؤلفين الزيدية ص1076).
- (172) صلاح بن الحسين بن علي بن محمد الملقب بالأخفش، عالم محقق ورع زاهد، من علماء القرن الثاني عشر، توفي 1142هـ، له مؤلفات منها: رسالة في مسألة الإمامة. (مصدر الترجمة: أعلام المؤلفين ص500).
- (173) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الأمير الصنعائي الكحلاني عالم مجتهد حافظ أديب وشاعر نقي من مشاهير العلماء في القرن الثاني عشر له العديد من المؤلفات (مصدر الترجمة: أعلام المؤلفين ص863).
- (174) حامد بن حسن بن أحمد بن محمود شاكر اليمني الصنعائي، فقيه عالم محدث ورع من مؤلفاته: الأزهار العطرة في نشر مناقب الأربعة وسائر العترة. (مصدر الترجمة: أعلام المؤلفين ص290).
- (175) حصير: مدينة بالجنوب من زبيد بمسافة 35كم، اشتهرت بصناعة الأثواب الفخارية والتي تسمى الحصير (مصدر الترجمة: معجم المدن ص135).
- (176) البوقنة: قرية من عزلة عيال منصور من بلاد نهم بالشرق الشمالي من صنعاء (مصدر الترجمة معجم المدن ص467، مجموع بلدان اليمن ج2 ص771).
- (177) مطلع الأقطار ص202، نشر العرف ج3 ص416.
- (178) المنصور الحسين بن المتوكل القاسم بن حسين بن أحمد ولد سنة 1139هـ، قام على أثر والده وتوفي سنة 1161هـ وخلفه ابنه. (مصدر الترجمة: اليمن الإنسان والحضارة ص168).

- (179) طبقات الزيدية ص1191، نشر العرف ج3ص265، ملحق البدر الطالع ص224 هجر العلم ج4ص2161. وبنو السلامي من قبائل الحيمة الخارجية (مصدر الترجمة: معجم لمدن ص209)
- (180) العلامة محمد بن علي قيس وقد كان إماماً في الفقه مشاركاً في غيره من الفنون وقد توفي في قرية الغابل في شعبان 1096هـ. (مصدر الترجمة: ملحق البدر الطالع ص205).
- (181) العلامة الفهامة الورع المهدي بن الحسين الكبسي الحسني ولد سنة 1048هـ. كان عالماً فاضلاً له معرفة بجميع العلوم وتوفي سنة 1138هـ. (مصدر الترجمة: مطلع البدر الطالع ص215).

المراجع

1. الأكوخ : القاضي إسماعيل بن علي " هجر العلم ومعاقله في اليمن " ، بيروت لبنان - ودمشق سوريا ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى 1416هـ/1995م.
2. الحبشي : عبد الله محمد " مصادر الفكر الإسلامي في اليمن " بيروت-صيدا، المكتبة العصرية 1408هـ-1988م .
3. الحجري : القاضي محمد بن أحمد 'مجموع بلدان اليمن وقبائلها'تحقيق إسماعيل الأكوخ ،مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الثالثة 1425هـ-2004م
4. الحموي:ياقوت'البلدان اليمنية' جمعها القاضي إسماعيل الأكوخ ،مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، الطبعة الثانية 1408هـ-1988م.
5. زيارة : محمد بن محمد بن يحيى الصنعاني تشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف' صنعاء، إعداد وطبع مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1405هـ/1985م .
6. زيارة : للسيد الحافظ المؤرخ محمد بن محمد بن يحيى اليمني ' البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع' ، بيروت -لبنان، دار المعرفة للطباعة و النشر.
7. زيارة : محمد بن محمد بن يحيى الحسني اليمني الصنعاني تيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر' القاهرة، المطبعة السلفية1348هـ .
8. الشماحي : للقاضي عبد الله عبد الوهاب المجاهد ' اليمن الإنسان والحضارة ' بيروت-لبنان، منشورات المدينة-شركة دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة1406هـ-1985م)
9. الشوكاني : القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي ' البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع' - بيروت -لبنان، دار المعرفة .
10. الشوكاني: الإمام محمد بن علي(ت1250هـ) 'الدواء العاجل دفع العدو الصائل'طبع سنة1348هـ-1930م دار لكتب العلمية -بيروت
11. الطائي: شرف الدين الحسن بن الحسين بن حيدر بن إسماعيل القاسمي الحسني 'مطلع الأقطار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة نمل' تحقيق عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوثي ، صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1423هـ/2002م.
12. عبد المولى: محمد راشد تطور التشريع والقضاء في الجمهورية العربية اليمنية مع استعراض للأظمة القضائية في بعض البلاد العربية' لبنان بيروت-شركة دار التنوير للطباعة والنشر.
13. العرشي : القاضي حسين بن أحمد' بلوغ المرام في شرح مسك الختام ' بيروت -لبنان ،دار إحياء التراث ، سنة 1358هـ-1939م .
14. العرشي: القاضي محمد إسماعيل نظام القضاء في الإسلام' ،دمشق ،مطبعة لكتاب العربي
15. المؤيد بالله : إبراهيم بن القاسم (ت1152هـ) 'الطبقات لزيدية الكبرى المسماة بلوغ المرام إلى معرفة الإسناد ' تحقيق عبد السلام عباس الوجيه، صنعاء ،طبع مؤسسة الإمام زيد ثقافية 1421هـ-2001م .
16. المقحفني: إبراهيم أحمد 'معجم المدن والقبائل اليمنية' منشورات دار الكلمة صنعاء .

17. الواسعي : عبد الواسع يحيى (ت 1379هـ) تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن" القاهرة، المكتبة السلفية 1346هـ .
18. الواسعي: عبد الواسع بن يحيى 'تاريخ اليمن المسمى، فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن' المكتبة السلفية 1346هـ، القاهرة
19. الوجيه : عبد السلام بن عباس ' أعلام المؤلفين الزيدية' صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد بن علي -الثقافية لطبعة الأولى 1420هـ 1999م .

التوجه القومي للنعمان بن المنذر



د. عامر عيسى زيدان الرسومي *

أولاً : المقدمة :

يعد موضوع التوجه القومي للنعمان بن المنذر من المواضيع المهمة في تاريخ مملكة الحيرة وهو مؤشر كبير على الروح القومية التي كان يتمتع بها حيث كانت مملكته تجاور أكبر امبراطورية عنصرية ضد العرب عامة والعراقيين خاصة. إن التوجه القومي في مرحلة حكم النعمان آخذ أشكالاً وألواناً متعددة سوف نتطرق إليها في سياق البحث لتتعرف على الدوافع الحقيقية التي ساهمت كثيراً في تفتح بذور الشعور القومي في هذه الرقعة المهمة من وطننا العربي الكبير وهو العراق بوابة العرب إلى الشرق، والذي كان المركز الذي انطلقت منه جيوش العرب المسلمين لتحرير الأرض ونشر تعاليم الدين الجديد وكانت أرضه مباركة وأبنائه مسارعين لبذل الغالي و النفيس لنشر الدين الجديد وكل مبادئ الحرية والسلام. إن البحث سوف يوضح ويحلّ جلاء كل الأساليب العنصرية والحقّد الذي يظمره الفرس للعرب والعراقيين ومحاولتهم التقليل من شأن العرب وضعف قدراتهم وكان ذلك في مناظرات وحوارات تمت بين النعمان بن المنذر وامبراطور الفرس كسرى وهذه المناظرات كانت سبباً في حقّد ملوك الفرس على النعمان بن المنذر وتنبهوا إلى مسألة غاية في الأهمية وهي أن العرب في العراق متمثلين بشيوخ القبائل قد قرروا الالتفاف حول ملكهم في الحيرة من أجل مقاومة المحتل الفارسي وتحرير العراق الذي احتله الساسانيون عام 226 ميلادية وجعلوا عاصمتهم في المدائن . أن النمو القومي لدى العراقيين أصبح واضحاً وجلياً عندما أتم الفرس

* أستاذ مشارك / التاريخ الاسلامي / العصر العباسي الأول

خيوط مؤامراتهم على النعمان بن المنذر وهنا ايمن النعمان بن المنذر ان جهوده في جمع شمل القبائل العربية في العراق لم تذهب سدى فقد جند هاتي بن قبيصة بن مسعود الشيباني عشيرته والقبائل القريبة منه من أجل حفظ امانة ابن المنذر . وفعلا قاموا بحرب الفرس ومقاتلتهم بكل ما أتوا من قوة وجبروت ودارت المعركة في موقع ذي قار وانتصر العرب بقيادة بني شيبان وكانت البداية العظيمة لانكسار شوكة الفرس وكان ذلك في العهد القريب من بداية الدعوة الاسلامية وفي ذلك قال الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبي نصروا) (1). ومن خلال ذلك سوف نصل إلى نتيجة مهمة جدا من تاريخ مملكة الحيرة ويخالف كل ما ذكر عن دور الفرس في تأسيس هذه المملكة سوف نرى كيف ان العرب في العراق جاهدوا وعملوا على بناء هذه المملكة التي اخذت تشغل تفكير الفرس وشعر العراقيون ان عزت هذه المملكة واستقلالها ومنع التدخل الفارسي في شؤونها هو عزة واستقلال للقرار السياسي العربي في تلك المرحلة المهمة .

ثانيا : موقع الحيرة وأصل سكانها :

ان الفرس استطاعوا بعد تحشيد قوتهم من احتلال العراق واصبح مقر دولتهم عام 226 ميلادية وبمرور الوقت اصبح الضعف يتسرب إلى صفوف دولة الفرس وهذا ساعد العرب على تأسيس (مملكة عربية على شاطئ الفرات الايمن وعلى مقربة من الكوفة وهي مملكة الحيرة) (2).

من خلال اطلاعنا على المصادر التاريخية وهي كثيرة كانت تذكر عدت روايات عن اصل العرب في الحيرة وفي هذا المجال يذكر حمزة الأصفهاني (أن تنوخ هي من أحياء الأزدي حالفت قضاة فسموا تنوخا) (3)

وذكر الطبري (توفي 310 هـ) رواية هشام بن محمد الكلبي التي يقول فيها (فاجتمع في البحرين جماعة من قبائل العرب فتحالفوا على التنوخ - وهو المقام - وتعاقبوا على التوازر والتناصر فصاروا يدا على الناس وضمهم اسم تنوخ فكانوا بذلك الاسم كأثم عمارة من العمائر) (4)

وعند ذلك استطاع العرب ان يؤسسوا دولتهم في العراق على ضفاف نهر الفرات وهي تعبر عن الاصاله والروح القومية الوثابة التي تربط فيما بينهم حيث عبرت عن التلاحم

الكبير الذي ساد التحالف الذي تم بين القبائل العربية والذي كان له مردودات ايجابية على الكيان السياسي والاجتماعي لهذه الدولة ومن خلال اطلاقنا على تاريخ مملكة الحيرة وعلاقتها بالفرس نرى انها استطاعت ان تتمتع بنوع من الاستقلال الكبير عندما اخذ الضعف يدب في الدولة الفارسية حيث عبرت الحيرة خير تعبير على نهجها القومي الذي ينشده العرب في تلك الفترة .

عند اطلاقنا على تاريخ هذه المملكة نلاحظ أن عدداً غير قليل توالوا على الحكم لكن أبرزهم كان النعمان بن المنذر وكان يكنى ابو قابوس وكان أكبر أبناء المنذر وأمه مسلمي بنت وائل بن عطية الصانع وكانت من أهل مدينة فدك⁽⁵⁾ وتذكر الطبري أن النعمان بن المنذر أحمر الوجه ، أبرش ، قصير القامة على العكس من أخوانه الذين كان يقال لهم الا شهاب لجمالهم⁽⁶⁾.

حيث حكم المملكة للفترة الممتدة من سنة 583-605 ميلادية وكان عهد هذا الملك من العهود التي امتازت بالرخاء والترفع وبلغ من شأنها علوا كبيرا بين القبائل العربية وكان شديد السلطان كبير العظمة واهتم بالعمارة فبنى قصر الخورنق⁽⁷⁾ .

ثالثا : اهتمام النعمان بن المنذر بالشعر والأدب

لقد كانت للنعمان بن المنذر اهتمامات كثيرة سواء في الجوانب الثقافية أو السياسية وكذلك الاجتماعية حيث كان يستقبل في قصره الشعراء والمهتمين به وكان في مقدمتهم فحول الشعراء وقد ذكر ابن منظور حيث قال (أمر النعمان فنسخت له اشعار العرب في الطنوج ويعني - الكراريس - فكتب له ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن ابي عبيد قيل له : أن تحت القصر كنزا فاحتفزه فأخرج تلك الاشعار)⁽⁸⁾ وقد ذكر ابن جني قدوم فحول الشعراء إلى بلاط النعمان بن المنذر وعمله على كتابة اشعار العرب⁽⁹⁾ كالنابغة الذبياني والمنخل اليشكري وحسان بن ثابت الانصاري .

وفي مجال اهتمام النعمان بن المنذر بالشعر والشعراء ما ذكر في المزهر (ان النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه اشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بنى مروان أو ما صار منه)⁽¹⁰⁾

ان المصادر التاريخية تشير وبكل وضوح إلى أن مجالس النعمان بن المنذر كانت تحظى بزيارة شعراء لهم مكانتهم في تلك الحقبة التاريخية المهمة في حياة العرب ومن الشعراء الذين وفدوا إلى مجالسه أوس بن حجر ولبيد والمنخل اليشكري وطرفة بن العبد والنابغة الذبياني (11) وقال النابغة يمدح النعمان بن المنذر وشبهه مرة بالليل ومرة بالشمس فسحر به حيث قال (12).

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
وقال أيضا (13)

فإنك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب .
ولم تقتصر مجالس النعمان على الشعراء والأدباء فقط بل كانت تضم حكماء العرب وكبار رؤساء القبائل العربية وكان يلاظه مزدهراً بالشعراء والحكماء وفي هذا المجال يذكر الشابشتي في رواية عن هند بنت النعمان بن المنذر وتقول فيها (أمسينا مساءً وليس في الأرض عربي الا ويرغب الينا ويرهبنا) (14)

مما تقدم يمكن أن نستنتج أن النعمان بن المنذر قد بدأ في التهيئة والاعداد لتوجهه القومي منذ توليه الحكم وعلى محورين بعد أن ادرك بان سياسية من سبقه تجاه الساسانيين لم تمثل تبعية الذليل الصاغر إلى السيد المطلق .

المحور الأول هو تقريبه الشعراء باعتبارهم الاداة الوحيدة التي يمكن أن توصل صوته وفق توجهه الجديد إلى ارجاء العرب ومضاربهم والمحور الثاني بدأ بتقريب رؤساء القبائل العربية وتحميلهم المسؤولية من خلال مشاركتهم في كل تطلعاته الرامية إلى التخلص من التبعية الفارسية الساسانية الذليلة (15)

رابعاً : المناظرات والمجاورات التي تمت بين النعمان بن المنذر وكسرى .

من خلال اطلاعا على ما كتبه المؤرخون نستطيع أن نستلمس الخطوات المهمة والايجابية على الشعور القومي في نشاط وسلوك هذا الملك وان الجوانب القومية في تفكيره لم تكن امنيات فقط ولكنه قام باتخاذ خطوات عملية من اجل تجسيد هذه الامور ونستطيع أن نطلع على مواقف كثيرة أقدم عليها تؤكد هذا المنهج ومنها عمله الجاد في جعل سياسته

مستقلة عن سياسة الامبراطورية الساسانية حيث كانت هذه الامبراطورية تعمل على التدخل في شؤون مملكة الحيرة الداخلية (16)

إن السلوك القومي للنعمان واتصالاته المستمرة مع جميع القبائل حيث كانت الحيرة سوقا تجتمع فيها كل سنة وعمله على اقناع العرب بالتوحد (وجعل الحيرة سوقا يجتمع فيها العرب كل سنة) (17) ادى إلى ازدياد الشكوك الفارسية وتسلسل الخوف إلى نفوسهم وكانوا لا يخفون عدم رضاهم من سياسة النعمان بن المنذر وبالذات عرب العراق (وان العرب كانوا يميلون إلى بني قومهم ، وذلك اعتزازا منهم بوحدة الانتماء والشعور المشترك بالرابطة القومية التي تشد بعضهم إلى بعض) (18)

إن نشاطات النعمان بن المنذر القومية وعمله الجاد والمستمر على انتهاج سياسة استقلالية وعمله على تحرير الارض وايجاد نقاط تساعد على التقاء العرب وزيادة التلاحم فيما بينهم ادى إلى أن يقوم الفرس بالتآمر عليه من اجل العمل على ازالة مملكة الحيرة وفعلا كانت المؤامرة التي اكدت على عنصريتهم وحقدهم على العرب (19)

وفي محاوره جرت بين النعمان بن المنذر وكسرى امبراطور الفرس وبحضور عدد من الوفود كانوا يمثلون الروم والهند والصين حيث تحدث هؤلاء عن ملوكهم وشعوبهم وكذلك النعمان بن المنذر بعد ذلك تحدث كسرى وأساء إلى العرب (20)

بعد الاساءة التي تعرض فيها كسرى على العرب رد عليه بكل اعتزاز وشجاعة وقال (وأما الأمم التي ذكرت فأى الامم تقرنها بالعرب الا فضلتها وسخاتها وحكمة السننها وشدة عقولها وأنفتها ووفاتها) (21)

ان النعمان بن المنذر كان ذكيا ودقيقا في رده حيث اختار كلماته بدقة واكمل حديثه وقال (فأما عزها ومنعتها ، فأنها لم تزل مجاورة لا بائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم ظامع ولم ينلهم نائل - حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وحدثهم الصبر ، اذ غيرها من الأمم أتما غيرها الحجارة والطين وجزائر البحور) . (22)

وأجمل ما قاله النعمان بن المنذر في رده على كسرى في مجلسه (وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم الا وقد جهلت أباؤها وأصولها وكثيرا من أولها ، حتى أن

أحدهم ليسأل عن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب الا يسمى أباءه .. وحافظوا بذلك احسابهم وحافظوا به اتسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعى إلى غير ابيه) (23)

وعندما ذكر كسرى العرب رد عليه النعمان قائلا (وأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكا اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج والوظف بالصف) (24)
ان بلاغة النعمان بن المنذر في رده على كسرى قد ادهشته وذكر ابن عبد ربه ذلك قائلا (فعجب كسرى لما اجابه النعمان به وقال انك لأهل لموضعك من الرياسة في اهل اقليمك ولما هو أفضل) (25)

ولما عاد النعمان بن المنذر إلى الحيرة وهو متألم لما سمعه من هذا القارسي الذي يتفجر غيضا وغضببا على العرب وتصرفات كسرى تركت الما كبيرا وحركت الشعور القومي في نفسه (فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم) (26)

كل هذه الامور التي لاحظها النعمان جعلته يتخذ اجراءات عملية من اجل مقاومتها حيث قام بالتشاور والاتصال مع القبائل العربية (بعث إلى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين والى الحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين والى خالد بن جعفر وعلقمة ابن علاته وعامر بن طفيل العامريين والى عمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المري فلما قدموا اليه في الخورنق قال لهم قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منهم وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غور أو يكون انما اظهرها لامر اراد ان يتخذ به العرب خولا كبعض طماظمته في تأديتهم الخراج إليه ، كما يفعل بملوك الامم الذين حوله فافتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه) (27)

من خلال اطلاعنا على النصوص التي اوردها ابن عبد ربه نستطيع ان نتلمس الشعور القومي لدى النعمان بن المنذر وكانت معبرة وبدقة عن هذا الشعور حيث أورد يقول (... تخوفت أن يكون لها غورا ...) (28)

وكذلك قال (أو يكون انما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماظمته) (29) ان هؤلاء الرجال الذين جمعهم النعمان بن المنذر بعد عودته من كسرى هم من

حكماء العرب وبلغاتهم ومن المشهود لهم بالحكمة والدراية حيث قالوا لملكهم النعمان بعدما اكمل حديثه (أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت وأبلغ ما حججته به فمرنا بأمرك وأدعنا إلى ما شئت) (30)

هذا النص يؤكد وبدون أي شكوك على المكانة التي كان يتمتع بها النعمان بن المنذر بين صفوف العرب وهي خير دليل على قوة الرابطة القومية التي عمل على تنميتها بين صفوفهم يؤكد النفس القومي لملك الحيرة ، وما أورده ابن عبد ربه في النص الآتي الذي اجاب به النعمان حكماء العرب الذين وفدوا عليه (أنما أنا رجل منكم ، وأنما ملكت وعززت بمكانكم ، وما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء احب إلى مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم) (31)

إذا أردنا أن نحلل رد النعمان بن المنذر في النص اعلاه نستطيع أن نقول أنه رجل منهم واصبح ملكا وعزيزا في قومه نتيجة لموازرتهم له وتعاونهم معه وهم الذين يحمون هذه المملكة ويدافعون عنها ضد الاعداء والغزاة الطامعين بملك العرب وكذلك ذكر في رده مدى حبه للعرب ودعى الله سبحانه وتعالى أن يجعلهم في عز دائم .

هناك ملاحظة يجب أن لا نغفلها في هذا المجال وهي أن النعمان كان خبيرا ومطلعا اطلاعا جيدا على العقلية الفارسية وما تضرره من عدم ارتياح للعرب والعمل على ازالة مملكة الحيرة (32) بكل الطرق والوسائل وقد زاد التأمر الفارسي بعدما توفرت معلومات عندهم ان العرب يعملون على جمع صفوفهم من اجل تحرير العراق من السيطرة الاجنبية وفي مجال اتصالات النعمان بالعرب من أجل التوحد والتآزر حيث يقول أبو عبيده اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر (فأخرج اليهم بردى محرق ، وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليبسها فقام عامر بن احيمر السعدي فأتزر بأحدهما وأرتدى بالآخرى فقال (له) النعمان بم أنت أعز العرب ؟ فقال : العز والعدد من العرب في معد ثم في نزار ثم في تميم ..) (33)

خامسا : تأمر الفرس من أجل القضاء على النعمان بن المنذر وقتله .

كانت المعلومات تصل الى ملك الفرس وتتضمن أنشطة النعمان بن المنذر وعلاقاته الكبيرة والواسعة مع قادة العرب وشعرائها وحكائها واشراف القوم حيث كانت القبائل العربية على ثقة تامة من العداة الفارسي للعرب ولملكهم في الحيرة وكان العرب على علم ان الفرس يدبرون مؤامرة من أجل القضاء على النعمان بن المنذر .

ان الفرس كانوا قد خبروا النعمان بن المنذر وهم لا يمكن أن ينسوا المحاوراة والنقاش الذي تم بين كسرى والنعمان وقد عبر فيها النعمان خير تعبير عن حبه للعرب ودفاعه الواضح عن تاريخ وصفات وعادات ابناء قومه وفي ذلك قال كسرى للنعمان (يا ابن المنذر لا نك أهل لما انت فيه من الرياسة على قومك والفضل الذي هو فيه عشائرك ولقد صدقت في جميع ما قلت ولقد بلغني ذلك كله من غيرك وبالحكم تكلمت)⁽³⁴⁾ هذا دليل على أن كسرى كان يعرف كل شيء عن حركة ونشاط وتوجهات النعمان بن المنذر .

سبق وان ذكرنا في سياق البحث ان النعمان بن المنذر كان حذر ويعرف نوايا الفرس وعلى علم بكل خططهم لذلك نقل بكل امانة ما سمعه من كسرى إلى قادة العرب وفرسانها وحكائها وحذرهم من المؤامرة لذلك نراه يطلب منهم ان يتوجهوا إلى كسرى وقال لهم (والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا إلى كسرى فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه فانه ملك عظيم السلطان)⁽³⁵⁾ من كل ذلك نرى أن كسرى كانت لديه مخاوف كبيرة من النعمان بن المنذر نتيجة لنزعة القومية الاستقلالية ومحاولته الابتعاد عن الفرس وبنشد التحرر وفي ذلك يورد الدنيوري محاوراة جرت بين كسرى و احد اتباعه يذكر فيها السبب الرئيسي الذي ادى بكسرى ان يذهب إلى فعلته العنصرية وقتله النعمان بن المنذر وفي ذلك يقول (وأما ما زعمت من قتلي النعمان بن المنذر وازالة الملك عن آل عمر بن عدي إلى آيس بن قبيصة فان النعمان وأهل بيته واطؤوا العرب وأعلموهم توكفهم خروج الملك عنا اليهم وقد كانت وقعت اليهم في ذلك كتب فقتلته ووليت الأمر أعرابيا لا يعقل عن ذلك شيئا)⁽³⁶⁾ أن الذي ورد في اعلاه يؤكد ان كسرى قد قرر التخلص من ملك العرب وقد استخدم وسائل كثيرة من أجل الايقاع به ومن خلال ذلك نرى أن الفرس تيقنوا

تماماً أن ملوك الحيرة ويزعامة النعمان بن المنذر قد عملوا على تنمية الشعور القومي لدى عرب العراق وحثوهم على مقاومة الفرس وتحرير الأرض ونرى ذلك من قول كسرى لاحد اتباعه (فإن النعمان وأهل بيته وأطؤوا العرب وأعلموهم توكفهم خروج الملك عنا اليهم...) (37) أن هذا الحديث واضح وصريح أن الفرس أصبحوا في أيامهم الأخيرة وأن العرب اجتمعوا مع النعمان بن المنذر من أجل تحرير العراق من السيطرة الفارسية وفعلاً تم ذلك بعد النعمان بن المنذر عندما أنتصر العرب في معركة ذي قار بقيادة بني شيبان وفي ذلك قال الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبني نصر) (38) وفعلاً تحقق الذي ورد في حديث كسرى عندما قال (... وأعلموهم توكفهم خروج الملك عنا وقد كانت وقعة اليهم في ذلك كتب فقنته) أي أن الفرس قد تنبؤوا ان العرب سوف يقضون على دولتهم وفعلاً تم ذلك زمن الاسلام وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وتذكر مصادرنا التاريخية أن كسرى اخذ يستخدم الذرائع للنيل من النعمان بن المنذر ومنها أنه اراد أن يتزوج باحدى اخوات المنذر ولكن الذي حدث أن الأخير (ترفع عن مصاهرة سلطان ابرونير اذ كان من العجم) (39)

وفي هذا المجال يورد المسعودي خبراً جاء فيه أن زيد بن عدي (ذكر لابرويز جمال نساء آل منذر ، ووصفهن له فكتب إلى النعمان يأمره أن يبعث إليه بأخته ، فلما قرأ النعمان كتابة قال للرسول وهو زيد بن عدي - يا زيد مالكسرى من مها السواد كفاية ، حتى يتخطى إلى العربيات فقد تعرف ما على العرب في تزويج العجم من الفضاضة والشناعة) (40)

نرى في هذا النص التكبر والتجبر الذي وصل إليه الفرس في معاملة العرب والاستهانة بهم حيث يأمره بإرسال أخته إليه ليتزوجها لكننا في الجانب الآخر نرى قوة وصلابة موقف النعمان بن المنذر وحرصه على الحفاظ على النسب العربي حيث قال (أما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى إلى العربيات) (41) ويقول الا يعلم كسرى أن العرب تكره وتأنف تزويج بناتها إلى العجم.

ان هذا الطلب الذي توجه به كسرى إلى النعمان بن المنذر لم يكن نتيجة حبه للنساء العربيات أو رغبته في مصاهرة آل المنذر وإنما هو يعلم مقدماً أن المنذر والعرب عموماً

يرفضون مثل هكذا أمر ولكنه أراد أن يستغلها كذريعة من أجل القضاء على النعمان وهي مؤامرة مدبرة اشتركت فيها أطراف عديدة وفي ذلك يذكر ابن جرير الطبري (وكانت لملوك الاعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم فكانوا يبعثون في تلك الاراضي بتلك الصفة فاذا وجدت حملت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك ولا يريدونه) (42) ومن ذلك نرى أن موضوع الزواج كان وسيلة يستخدمونها من أجل القضاء على النعمان بن المنذر وقتله حيث أن السبب الرئيسي للقتل هو توجهاته القومية . ويذكر اليعقوبي أنه لما ساءت العلاقات بين كسرى والنعمان (كتب إليه بالقدوم عليه فعلم النعمان ما اراد فحمل سلاحه وما قوي عليه ونزل في بطن ذي قار في بني شيبان فلقي هاني بن مسعود فدفع إليه سلاحه وأودعه بنته وحرمته ومضى إلى كسرى فنزل ببابه فأمر به فقيد ثم وجه به إلى خاتقين ... فلما مضى به إلى خاتقين طرح به تحت الفيلة فداسته حتى قتلته وقرب للأسود فاكلته) (43) .

إن حكم ملك الحيرة قد انتهى من خلال المؤامرة التي دبرها إليه كسرى مع بعض من اعوانه ان قتل النعمان كان يهدف بالدرجة الاولى إلى انتهاء الشعور القومي الذي ساد في هذه المملكة واضعاف هذا الشعور سوف يعزز السيطرة الفارسية ويزيد من تدخلها في شؤون الحكم لذلك نرى أن كسرى يقول في اسباب قتل النعمان (.. ووليت الأمر أعرابيا لا يعقل من ذلك شيئا ..) (44) ان جاء بشخص يستطيع من خلاله أن يتصرف بشؤون المملكة حيث كان لا يستطيع أن يقوم بشيء زمن حكم النعمان بن المنذر ولذلك تخلص منه وقتله .

إن الذي أراده النعمان بن المنذر وعمل من أجله وهو تحرير العراق من تحت السيطرة الفارسية قد أنجزه الله سبحانه وتعالى على يد المسلمين وقوة الاسلام زمن الخليفة العادل الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتحت قيادة العربي سعد بن ابي وقاص سنة 16 هجرية في معركة القادسية الأولى.

سادسا : نتائج البحث

1. اطلعنا على أن الفرس لديهم نظرة عنصرية ويعملون على تقليل دور العرب أو انكار وجود حضارة عربية .

2. أن الفرس احتلوا العراق وجعلوا عاصمتهم في المدائن وهدفهم هو استعباد الشعوب وغرورهم أنهم اصحاب امبراطورية كبيرة مجاورة للعرب .
3. اطلعنا وبصورة دقيقة أن مملكة الحيرة شيدت بجهود عربية واستطاع النعمان بن المنذر أن ينتهج نهجا قوميا تحرريا .
4. لاحظنا أن النعمان بن المنذر كان شجاعا وظهر ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين كسرى حيث رفض منطق القوة الموجود لدى كسرى وعمل على الرد على كل ما ذكر من إساءة للعرب في حديث هذا الفارسي الغصري .
5. اتضح لنا أن بلاط النعمان بن المنذر لا يخلو من الشعراء والأدباء والحكماء وشيوخ العشائر والمتنفذين من العرب وهذا يدل على الرابطة القومية التي كانت تربط هذا الرجل بابناء قومه وهذا يؤكد على حبه لكل ما يؤدي إلى تنمية الشعور القومي لدى العرب .
6. نبه العرب على أن الفرس يخططون للتآمر على العرب ومحاولة أضعافهم وجعل الفرقة تدب في صفوفهم .
7. شعوره القومي جعله يحافظ على تراث العرب من الشعر والأدب حيث عمل على حفظ الشعر في اماكن آمنة خوفا عليه من الضياع .
8. حافظ على النسب العربي واعتز به عندما رفض مصاهرة ملك الفرس ودفع حياته ثمنا لذلك .
9. عمل على ان تكون الحيرة مركزا لتجمع العرب من كل الاماكن من خلال جعلها سوقا تجاريا رائجا وعمل على الاهتمام بالاعمار وجعل الحيرة ذات طابع متميز .
10. ارسل إلى كسرى وفدا مميذا ليطلع الفرس على قدرات العرب وامكانياتهم في فهم أنفسهم والآخرين مما أربح كسرى من هؤلاء القوم.

11. المهم من كل ما تقدم ان الفرس شعروا وبصورة واضحة أن توحد العرب حول قيادة النعمان بن المنذر أصبحت تشكل خطراً عليهم حيث تمثل الخطر في التوجهات القومية والاستقلالية لسياسة ابن المنذر انن يجب عليهم ان يتخلصوا منه وفعلا دبروا له مؤامرة وقضوا عليه بأسلوب انتقامي بشع غير انساني.

سابعاً: الهوامش

1. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب و معادن الجواهر ، ج 1 ، ص 278 ، وابن الأثير ، علي بن أحمد بن أبي المكرم ، الكامل في التاريخ القاهره 1348 ، طبعة صادر بيروت 1967 ، ج 1 ، ص 285 .
2. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام / دار العلم للملايين بيروت 1969م ، ص 169م .
3. الاصفهاني ، حمزه بن الحسن ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، دارمكتبة الحياة ، بيروت ، ص 85 .
4. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، توفي 310 هـ ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ، 1968م ، ج 1 ، ص 610 .
5. الاصفهاني ، حمزه بن الحسن ، تاريخ سني ملوك الأرض و الانبياء ، برلين 1340هـ ، ص 74 .
6. الطبري ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 117 ، ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 285 .
7. الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282 هـ) الاخبار الطوال ، لندن 1912 مطبعة بريل ، ص 57 ، وأنظر العبدى ، أبي الحسن محمد عمران المعروف بالرقام البصري صاحب ابن دريد ، كتاب العفو والاعتذار ، الرياض 1401 هـ - 1981 م ، ج 2 ، ص 462 - 463 .
8. المصري ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب (مادة طنح) دار صادر بيروت ، 1374 هـ ، 1955 م ، ج 2 ، ص 317 ، و أنظر الزبيدي ، محيي الدين أبو الفيض السيد مرتضى الحسيني متوفى (1205 هـ) ، تاج العروس ، المطبعة الخيرية ، مصر 1306 هـ ، ج 2 ، ص 70 .
9. ابن جنى ، أبو عثمان بن جنى الموصلى ، كتاب الخصائص ، ج 1 ، ص 393 .
10. طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، / أمزهر 474/2 القاهرة 1955 ج 1 ، ص 25 .
11. شوقي طيف ، تاريخ الالف العربي ، دار المعارف ، القاهرة 1977 ، ص 47 .
12. التنيساوري ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، متوفى 430 هـ ، كتاب خواص الخواص ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ، ص 96 .
13. ن . م . ص 97 .
14. الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت 388 هـ - 988م) الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، دار الرائد العربي ، بيروت 1986 ، ص 247 .
15. العبيدي ، محمود عبد الله ، بنو شيبان ودورهم في التاريخ ، دار الحرية بغداد ، 1984 ، ص 128 وما بعدها .
16. الملاح / هلثم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الموصل ، 1991 ، ص 236 .
17. الزبير بن بكار (ت 256 هـ - 869 م) ، الاخبار الموفقيات ، تحقيق ساسي مكي ، مطبعة لعاني بغداد ، الكتاب السابع ، ص 403 .
18. الدينوري ، مصدر سابق ، ص 115 .
19. العبدى ، أبو الحسن محمد بن عمران المعروف بالرقام البصري ، العفو والاعتذار ، حقهه وقدم له عبد القدوس أبو صالح ، الرياض ، (1401هـ - 1981م) ، ص 468 .

20. ابن عبد ربه الاندلسي ، ابو عمر احمد بن محمد (ت 320) ، العقد الفريد ، تحقيق احمد امين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1375 هـ - 1956 م ، ص 9 .
21. ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 6 .
22. ن . م . ج 2 ص 6 .
23. سبط ابن الجوزي (ت 654 هـ) ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مخطوط ، نسخة المكتبة البريطانية ، نسخة مصورة تحت رقم 1170 / ت / نسخة المجمع العلمي ، ص 24 ب .
24. ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 8 .
25. ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 9 .
26. ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 9 .
27. ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 9 .
28. ن . م . ج 2 ، ص 9 .
29. ن . م . ج 2 ، ص 9 .
30. ن . م . ج 2 ، ص 10 .
31. ن . م . ج 2 ، ص 10 .
32. ن . م . ج 2 ، ص 10 .
33. ن . م . ج 2 ، ص 194 .
34. سبط ابن الجوزي ، مصدر سابق ، ص 241 ب .
35. ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 10 ، وانظر كذلك سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ورقه 241 أ .
36. الدنيوري ، مصدر سابق ، ص 115 .
37. الدنيوري ، مصدر سابق ، ص 115 ، و سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ورقة 241 أ .
38. المسعودي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 278 ، وابن الاثير ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 285 .
39. الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429 هـ / 1037 م) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة المدى ، القاهرة ، 1965 ، ص 161 .
40. المسعودي ، مروج الذهب ، مصدر سابق / أمعدي / ج 2 ، ص 101 .
41. ن . م . ج 2 ، ص 101 .
42. الطبري ، مصدر سابق ، ص 206 .
43. اليعقوبي / تاريخ / احمد بن ابي يعقوب بن جعفر المتوفى (292 هـ) ، المكتبة الحيدرية ومطبعها في النجف 1384 هـ - 1964 م ، ج 2 ، ص 187 .
44. الدنيوري ، مصدر سابق ، ص 115 .

تأريخاً : المصادر

1. ابن الأثير (علي بن احمد بن ابي المعزم) ، كتاب الكامل في التاريخ لقااهرة (1348) طبعة صادر بيروت 1967م.
2. الاصفهاني (حمزه بن الحسن) (ت 350 هـ) ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، برلين 1340 هـ .
3. الثعالبى ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429 هـ - 1037 م) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة المدى ، لقااهرة ، 1967 م ، و كتاب خاص الخواص ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان .
4. ابن جنى ، أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، (ت 392 هـ) ، كتاب الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، طبع لأول في مصر 1913 ، عالم الكتب بيروت ، 1955 .
5. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1969م .
6. الدنيوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (282هـ-) ، الاخبار الطوال ، طبعة لندن 1888م . لقااهرة 1960 سلسلة تراثنا .
7. الرقام ، أبي الحسن محمد عمران العدي ، صاحب ابن دريد كتاب ، الطو والاعتذار ، الرياض ، 401هـ - 1981م .
8. الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ-) ، تاج العروس ، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1356هـ .
9. الزبير بن بكار (ت 256 هـ - 869م) ، الاخبار الموافقات ، تحقيق الدكتور سامي مكسي العاني ، مطبعة العاني ، الكتاب السابع ، بغداد .
10. سبط بن الجوزي ، يوسف بن قزوغلي ، ولد في بغداد (581 هـ) (ت في دمشق 654 هـ) ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مخطوطة ، نسخة المكتبة البريطانية نسخة مصورة بالفوستات تحت رقم 1170 / ت م نسخة المجمع العلمي ، ورقة 240 ب .
11. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر) (ت 911 هـ) ، المزهر في علوم اللغة ، شرح الاستاذ محمد احمد جاد المولى و آخرين .
12. الشنايشي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت 388هـ/ 988م) ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، دار التراث العربي ، بيروت ، 1986م.
13. ضيف، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، لقااهرة 1966م .
14. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ - 922 م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ، تحقيق محمد ابيو الفضل ابراهيم ، دارالمعارف ، لقااهرة ، 1968م .
15. ابن عبد ربه ، أبو عمر احد بن محمد (ت328هـ- 939م) ، كتاب العقد الفريد سبعة أجزاء شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهرسه ل احمد امين ، احمد الزين ، ابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، لقااهرة ، (1385هـ-1965م) .
16. العبيدي ، محمود ، بنو شيبان ودورهم في التاريخ ، دار الحرية ، بغداد ، 1984م.

17. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م) ، مروج الذهب ومعلن الجواهر ، باريس ، 1873م .
18. محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ج 1 ، ص 25 .
19. الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الموصل ، 1991م .
20. ابن منظور ، العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت ، 1374هـ - 1955م .
21. اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن وهب (ت 282هـ/895م) ، تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ، المكتبة الحيدرية ومطبعها النجف 1384 هـ ، وطبعة دار صادر ، بيروت ، 1994 م .

التحية عند العرب قبل الإسلام



د. مهدي عريبي حسين*

قال تعالى :

{وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}

صدق الله العظيم سورة النساء ، آية

المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا الكريم محمد صفوة الخلق وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

أما بعد :

فإن لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية عادات وتقاليد للتعامل مع الآخرين تعارفوا عليها وتناقلوها فيما بينهم وحافظوا عليها جيلاً بعد جيل ووضعوا لها أسساً وقواعد على اختلافهم في الحضارة والتقدم والتأخر ولكي يستطيع الإنسان أن يؤدي دوره الاجتماعي في مجتمعه على أكمل صورة لا بد له من الإحاطة ببعض قواعد السلوك في كيفية التعامل مع الآخرين ومنها أداء التحية عند ملاقاتهم البعض، إذ لا يخلو أي مجتمع من تحية تعارفوا عليها، كون التحية تزيد في الألفة والمحبة والوئام كما أنها تقوي الروابط بين الناس وتشعرهم بالثقة والاحترام فيما بينهم وهي جزء من آداب أي مجتمع.

* أستاذ / التاريخ المشارك كلية التربية - جامعة صنعاء

وكان للعرب قبل الإسلام تحايا تعارفوا عليها عند ملاقات بعضهم البعض ، وسوف نحاول أن نسلط الضوء في هذا البحث عن بعض هذه التحايا ، ومعنى التحية ؟ وكيف يتم تأديتها ؟ وهل تحية الملوك والأمراء مماثلة لتحية عامة الناس؟ وما هو الفرق بينهما ؟ وماذا يقولون في تحية الصباح والمساء ؟ هذه الأسئلة وغيرها سنحاول توضيحها في هذا البحث بإذن الله.

كما أننا سوف نفرّد بحثاً خاصاً إن شاء الله للتحية والسلام في الإسلام ، وذلك أن الدين الإسلامي الحنيف قد وحد جميع تحايا الجاهلية بتحية واحدة هي السلام ووضع الضوابط والقواعد اللازمة لذلك من أجل تنظيم حياة الإنسان لتحقيق مجتمع إسلامي متماسك.

معنى التحية:

التحية : تفعلة من الحياة ، وأحيا الله الأرض: أخرج فيها النبات ، وقيل أحياها من الحياة كأنها كانت ميتة بالمحل فأحياها الله بالغيث ، والخصب سبب الحياة⁽¹⁾ ، وأحيا القوم : أخصبوا ، وتحايا القوم : حيا بعضهم بعضاً⁽²⁾ .

والتحية تعني السلام ، وقد حياؤه تحية : سلم عليه ، والتحية ، البقاء ومنها قول زهير بن جناب الكلبي عندما حضرته الوفاة خاطب أولاده قائلاً⁽³⁾:

أبْتَيْ ، إنْ أَهْلَكَ فَبَيْ	نِي قَدْ بَيَّتُ لَكُمْ بَيْتِي
وَتَرَكْتُكُمْ أَوْلَادَ سَا	دَاتِ زَنْمِ الْكُفْرِ وَرِيَّة
وَلَكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى	قَدْ نَلْتُهُ ، إِنْ التَّحِيَّة

وأنه أراد البقاء وعدم الموت ، لأنه كان ملكاً في قومه ، وهو سيد قبيلة كلب في زمانه وكان كثير الغارات وعمّر عمراً طويلاً فالتحية التي ذكرها المراد بها البقاء لأنه يريد السلامة من المنية والآفات ، ولكنه لم يستطع ، وأن أحداً لا يسلم من الموت.

وقال أبو عمرو: التحية تعني الملك ، وأنشد قول عمرو بن معد يكرب⁽⁴⁾:

أَسِيرَ إِلَى النِّعْمَانِ حَتَّى أُنِيخَ عَلَى تَحِيَّتِهِ بِجَنْدِ

والتحية وإن كانت في الأصل سلاماً فجاز أن يسمى الملك في الدنيا تحية لأن الملك يحيا بتحية الملك المعروفة للملوك التي يباينون فيها غيرهم ، كما يقال للبقاء تحية لأن من سلم من الموت فهو باقٍ ، والباقي صفة الله عز وجل لأنه لا يموت أبداً.

والتحية في كلام العرب ما يُحيي بعضهم بعضاً إذا تلاقوا ، وقولهم حياك الله وبياك : فحياك ملكك الله وأبقاك ، وقيل هو من استقبال المحيا وهو الوجه وقيل ملكك الله وفرحك (5) ، وبياك أضحكك (6) ويروى أن آدم عليه السلام لما قتل قابيل هابيل مكث سنة لا يضحك فأوحى الله عز وجل إليه : حياك الله وبياك : أي أضحكك ، فضحكك حينئذ (7) بينما قال آخرون: أن بياك : تعني بؤاك منزلاً ، فتركت العرب الهمز وأبدلوا اللام بياء ليزدوج الكلام فيكون بياك تابعاً لحياك ، كما قالوا جاء " بالعشايا والغدايا " فجمعوا الغداة : غدايا ليزدوج مع العشايا (8) .
وذكر أن بياك أي قصدك بالتحية ، وهي من بيئت الشيء: أي قصده واعتمده ، كما قالوا : أن بياك تعني قربك وقال أبو مالك (9) :

بياً لهم إذ أنزلوا الطعاما
أي قرب لهم الطعام.

وذكر الفراهيدي أن حياك وبياك : تعني أفرحك وأضحكك ويقال بياك تقوية لحياك ، وقول المصلي في التشهد التحيات لله : معناه البقاء لله ويقال الملك لله (10) . وقيل إن معنى التحيات لله أي السلام له من جميع الأوقات التي تلحق الجساد من العناء وسائر أسباب القناء (11) .

ومن هنا فإن التحية هي ما يُحيي به الناس بعضهم بعضاً إذا تلاقوا وذلك لأثرها في النفس ووقعها المتميز عليها ، وأن العادة الجارية بين الناس أن يُحيي بعضهم بعضاً عند اللقاء ، وكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية لهم في تحيتهم ألفاظ وأمور اصطلاحوا وتعارفوا عليها (12) .

أنواع التحايا :

أ- تحية الملوك والأمراء :

كان للعرب في جاهليتهم تحايا كثيرة جميعها تحمل تفاؤلات جمّة وتمنيات عامة وأصلها الدعاء بالخير والحب ، ومن تحايا الجاهلية الخاصة بالأمراء والملوك قولهم لهم " أبيت اللعن " وهو عندهم مالا يخاطب بها إلا الملوك ، حتى إذا تولى أحدهم الإمارة قيل إن فلان نال التحية ، أي نال الملك الذي يستدعي هذه التحية ، وفي تفسير " أبيت اللعن " قولان أحدهما: أي يا بيت السلطان والقدرة والغضب والطرده والإبعاد ، وقد استقبحوا هذا المعنى

ونها عن استعماله⁽¹³⁾، والثاني : أنك أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تستحق اللعن عليه ، كقول النابغة حين يعتذر للملك النعمان⁽¹⁴⁾ .

أتاني أبيت اللعن إنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب ويقال للثنتين " أبيتما اللعن " وللجميع " أبيتم اللعن " ⁽¹⁵⁾ وذكر أن أول من حياه قومه بتحية الملك " أبيت اللعن " هو يعرب بن قحطان ⁽¹⁶⁾ ، وكان أغلب ملوك العرب قبل الإسلام يتم مخاطبتهم والتسليم عليهم بهذه التحية أي " أبيت اللعن " ⁽¹⁷⁾ ، فكانت تحية ملوك الحيرة " أبيت اللعن " وكذلك تحية ملوك اليمن وعند قدوم وفود العرب وأشرفها نتهنئة الملك سيف بن ذي يزن عند طرده الأحياش وتحرير اليمن أتاه وقد قرئش برئاسة عبد المطلب بن هاشم فقدموا عليه وهو في قصر يقال له " غمدان " فطلبوا الإذن عليه فأذن لهم فدخلوا عليه والملوك وأبناء الملوك عن يمينه وشماله ، فدنا عبد المطلب منه واستأذنه الكلام فقال له قل: فحياه بتحية الملوك " أبيت اللعن " ثم مضى مسترسلاً في مدحه ، وبعد أن أنهى عبد المطلب خطبته أجلسه الملك قريباً منه⁽¹⁸⁾ .

إلا أن الآلوسي ذكر أن تحية ملوك غسان " يا خير الفتيان " ⁽¹⁹⁾ ، ولكنه عندما ذكر قصة أبي قيس بن رفاعة الذي كان يفد سنة إلى النعمان اللخمي ملك الحيرة بالعراق وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ، قال له الحارث يوماً وهو عنده : يا ابن رفاعة : بلغني عنك أنك تفضل النعمان عليّ؟ فقال له : وكيف أفضله عليك " أبيت اللعن " أي خاطبه بـ " أبيت اللعن " ولم يخاطبه بـ " يا خير الفتيان " ⁽²⁰⁾ وربما أن عبارة " خير الفتيان " تضاف إلى " أبيت اللعن " عند التسليم على ملوك الغساسنة فقط .

إذ ذكر أنه تم تحية الملك الحارث بن جفنة ملك الغساسنة بـ " أبيت اللعن " ويا " خير الفتيان " ⁽²¹⁾، وفي بعض الحالات تضاف عبارة " وأسعدك إلهك " ⁽²²⁾ عند تحية الملوك ، لأنهم كانوا يخاطبون الملوك بأفضل العبارات ، وكان بعضهم يقول لهم " يا مولاي " و" يا سيدي " ⁽²³⁾ ، كما كان العرب في جاهليتهم إذا دخلوا على الملوك سجدوا وقبلوا الأرض بين أيديهم ⁽²⁴⁾ تعظيماً وتكريماً لهم ويكون السجود على معنى التحية ، كقول الشاعر ⁽²⁵⁾ :

وبنيست عرصة منزل بربلوة بسين النخيل إلى بقرع الغرقد
قد كان ذو القرنين جدّي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتسجد

أراد بذلك تحيته ، وذلك أنهم كانوا في ذلك الزمان يخصون ملوكهم بالسجود لأنه من إمارات التعظيم والتكريم لهم وهو بمنزلة المصافحة⁽²⁶⁾ .

ولكن المصافحة كانت موجودة قديماً فقد ذكر أن المعمر بن الحارث بن كعب بن عمرو بن وعله بن خالد المذحجي كان قد عاش مائة وستين سنة وقد روى له وصية في الأخلاق والآداب والمواظب والحكم بين فيها أنه على دين النبي شعيب عليه السلام، وأنه لم يصفح غادراً ولم يتخلق بأخلاق قاجر⁽²⁷⁾ ومن هذه الرواية يمكن أن نستنتج أن عادة المصافحة كانت موجودة في ذلك الزمان وذكر أن الإسكندر ذا القرنين هو أول من صافح⁽²⁸⁾ .

وعندما توجه جيش سعد بن أبي وقاص إلى العراق قدم أرض الرحبة ثم أرتحل إلى الحيرة في جيش كبير ، وقد وجد هناك جيش النعمان بن المنذر ملك الحيرة وقد ضرب خيامه والسرادات وهو في ثمانين الفاً من جميع عرب العراق ، فأرسل إليه القائد سعد بن أبي وقاص رسولاً هو سعد بن أبي عبيد القارئ فدخل عليه صاحب حرسه وقال له " إن أعدائنا قد أنفذوا إلينا رسولاً ، فأمر بإدخاله عليه ، فلما وقف بين يدي النعمان ، صاح به الحجاب والظمان : قَبِلْ الأَرْضَ للملك فلم يلتفت إليهم ، وقال لهم : أن الله أمرنا أن لا يسجد بعضنا لبعض ، وأن هذه كانت عادة معروفة في الجاهلية قبل أن يبعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما بعثه جعل تحيته السلام⁽²⁹⁾ . ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الملك النعمان بن المنذر ملك الحيرة قد توفي قبل ذلك بكثير ، وقد علق الدكتور جواد علي في الهامش على هذه الرواية رغم أنه ذكرها بقوله " لم نجد هذا الخبر في أي مورد آخر من موارد أهل الأخبار"⁽³⁰⁾ ولكننا يمكن أن نقول: إن هذه الرواية تلقي الضوء على أن السجود للملوك العرب كان موجوداً في ذلك الوقت ، لأنهم تشبهوا بالأكاسرة ، والأباطرة والتي كانت عادة السجود وتقبيل الأرض موجودة عندهم⁽³¹⁾ والسجود هو الخضوع ووضع الجبهة على الأرض وعلى هذا المعنى يكون السجود لغير الله تعالى كفراً صريحاً، وهناك من يقول إن سجود التحية غير سجود العبادة ويستحلون سجود التحية من قوله تعالى " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين"⁽³²⁾، وبذلك فإن سجود الملائكة للنبي آدم عليه السلام هو للتحية وليس للعبادة كما رجح ذلك بعض المفسرين ، وكذلك في قصة النبي يوسف عليه السلام قال تعالى " ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً"⁽³³⁾ وفي

تفسيره ثلاثة أقوال أحدها : أن تكون الهاء تعود على الله سبحانه وتعالى ويكون المعنى أنهم خرّوا لله سجداً ، وقال آخرون : إن الهاء تعود على النبي يوسف عليه السلام ومعنى السجود التحية هنا ، أي كأنه قال : وخرّوا ليوسف سجداً سجود تحية لا سجود عبادة (34) ، وذكر الأخفش أن الخور في هذه الآية الكريمة تعني المرور وليس معناه الوقوع والسقوط (35) على الأرض.

وكانت هناك بعض التحايا الخاصة بالملوك والأمراء وهي خلع النعل أمامهم وإن كان الشخص يسير في الشارع (36) ، أو إلقاء المظلات والقلاص وسائر الملابس الفاخرة التي كان يرتديها الشخص قبل إلقاء التحية ، لأن هذه الأشياء كانت تعتبر من سيما الامتياز الاجتماعي في القرون الوسطى تمتاز بها الطبقات الراقية من الملوك والأمراء وكبار الأغنياء، كما أن بعض الشعوب كانت تحيتها ارتداء الإنسان بصدرة وبطنه على الأرض طلباً لمرضاة ملك أو أمير أو سلطان (37) وكانت تحية الانبطاح والتمرغ بالتراب بكل ما على الشخص من الملابس ويكون أحياناً بعد تجرده من الملابس لدى بعض الشعوب الأخرى (38) ، ولم نجد في المصادر التي تم الإطلاع عليها ما يشير إلى أن ملوك العرب قبل الإسلام قد تمت تحيتهم بمثل هذه التحايا.

أما بالنسبة إلى رد التحية من قبل الملوك على الذين يحيونهم ، فقد ذكر أن الملك سيف بن ذي يزن رد على عبد المطلب بن هاشم التحية وبعد أن انتهى عبد المطلب حديثه أدناه الملك وقال له " مرحباً وأهلاً (39) " وناقاة ورحلاً ومستناخاً سهلاً وملكاً ربحلاً (40) يعطي عطاءً جزلاً (41) ، ومعنى مرحباً : أتيت رحباً أي سعة، وأهلاً وجدت أهلاً كأهلك فاستأنس (42) واسترح.

ومنه قول الشاعر طفيل الغنوي (43) .

وبالسهل ميمون النقيبة قوله
لملمس المعروف أهل ومرحّب
وقال أعرابي: (44)

وما مرحّباً إلا كريح تنسّم
إذا أنت لم تخلط نوالاً بمرحب
كما استعملوا كلمة " كيف حالك " (45) ، بينما قال آخرون لا تسلم على الملك فإتبه أن أجابك شق عليه ، وإن لم يجبك شق عليك ، لأن الملوك يصاتون عن كل ما يقتضي

جواباً⁽⁴⁶⁾، ولا ينبغي لأحد أن يسأل الملك عن حاله و عما بات عليه في ليله إلا أن يكون طبيباً فيسأل عن ذلك ليكون علاجه له ، ولكن يجب عليه التمجيد والثناء قائماً، فإن استداناه الملك أكب على أطرافه فقبلها ، ثم قام ، فإن أوماً إليه بالعود قعد وإن كلمه أجابه بتخفيض صوت وقلة حركة وإن سكت نهض قبل أن يتمكن به المجلس بغير تسليم ولا توديع ولا انتظار أمر ، وإن أوماً إليه بالعود قعد مقعياً أو جائياً وإن كان في دخوله محاذياً له عدل يميناً أو شمالاً ، أن أمكن ذلك⁽⁴⁷⁾ ، كما ذكروا أنه من الآداب العرفية في صحبة الملوك وخدمتهم ألا يسلم على قادم بين أيديهم⁽⁴⁸⁾، هذا فيما يخص عامة الناس في حالة دخولهم على الملوك .

أما إذا دخل عليه من يساويه بالسلطان فينبغي للملك أن يقوم فيعانقه⁽⁴⁹⁾ ، ويجلس مجلسه ويجلس دونه فإذا انصرف مشى معه خطى يسيرة ويدعو بدابته ويأمر حشمه بالسعي بين يديه ليفعل مثل ذلك إذا كان في مثل حاله⁽⁵⁰⁾.

ومن حضر طعام الملك فينبغي أن يقل الأكل غاية الإقلال حتى يأكل ما تأكل الطير ، فإنما يراد بمواكلة الملوك التشريف لا الشبع .

وروي أن سابور ذا الأكتاف أراد أن يولي رجلاً قضاء القضاة فأحضره معه إلى طعامه فأكل أكلاً واسعاً فلما فرغ قال له " اتصرف فإن من شره بين يدي الملوك كان إلى مال الرعية أشره⁽⁵¹⁾ . وعند مناداة الملوك ينبغي أن ينادمه بالحديث والسمر ولا يسأله حاجة إذا سكر فإن ذلك يجري مجرى الخداع، وليس له أن يختار كمية الشرب وكيفيته وعلى الملك أن يأمر بالكف عنه إذا بلغ الكفاية ولا يكلفه فوق وسعه ، وإذا حدثه الملك يجب عليه أن يصرف فكره وذهنه نحوه ويظهر السرور بالفائدة من حديثه⁽⁵²⁾.

ب- تحية عامة الناس:

أما تحية الناس فيما بينهم فهي تختلف عن تحية الملوك والأمراء فكانوا يقولون في تحيتهم صباحاً " أنعم صباحاً⁽⁵³⁾ وأنعموا صباحاً " فيأتون بلفظ أنعموا من النعمة بفتح النون وهي طيب العيش والحياة ويصلونها بقولهم " صباحاً " لأن الصباح أول النهار إلى ما بعد انتصافه فإذا حصلت فيه النعمة استصحب حكمها واستمرت اليوم كله فخصوها بأوليه إيذاناً بتعجيلها وعدم تأخرها إلى أن يتعالى النهار ، كما كانوا يقولون

عم صباحاً⁽⁵⁴⁾ وهي تعني طاب عيشك في صباحك من النعمة أيضاً وهي طيب العيش ، وهناك من يقول: إن الصباح خص بهذه التحية لأن الغارات والمكروه تقع عندهم صباحاً⁽⁵⁵⁾ . ومن عادتهم في أشعارهم أن يحيوا أطلال الديار بهذه التحية أيضاً فيقول أنعم صباحاً أيها الظل ومنه قول امرئ القيس⁽⁵⁶⁾ .

ألا عم صباحاً أيها الظل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

فهم يتمنون للأطلال الغيث ، لأن الغيث أعظم رحمة يتوقعونها لتوقف معيشتهم وحياة مواشيهم عليه، فهو يدعو لها بالسقاييا وكثرة الخير ، كما كانوا يسلمون على مراقد الأموات بهذه التحية أيضاً ، ومن أمثالهم " أمحل من تسليم على ظلل " ⁽⁵⁷⁾ وهو من قول الشاعر⁽⁵⁸⁾:

قالوا السلام عليك يا أطلال

قلت السلام على المحيّل محال

وفي قول عنتره⁽⁵⁹⁾:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

فهو يدعو بالنعيم وكثرة الخير إلى المكان الذي تسكن فيه عبلة والتي كانت تسكن في منطقة الجواء بنجد⁽⁶⁰⁾ ومن التحيات المعتادة بينهم أيضاً قولهم " صبحتك الأفالاح وكل طير صالح ⁽⁶¹⁾ أو " صبحتك الأئمة وطيب الأطمعه ⁽⁶²⁾ وهي التفاؤل للمُسكّم عليه بأطيب العيش وأفضله ، وكانت العرب تقول كيف أصبحت من نصف الليل إلى نصف النهار، وقال الربيع بن ضبع الغزاري عندما سئل كيف أصبحت قال⁽⁶³⁾:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أمك رأس البعير إن نقرنا

والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الريح والمطرا

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر⁽⁶⁴⁾:

يا خير إنسي قد جعلت أشتمر أرفع من ثوبي ما كنت أجر

ويمكن أن تقول: إن استخدام كيف أصبحت كانت للاستفسار عن صحة أحدهم عند زيارته إذا مرض لغرض الاطمئنان عليه ، والدعاء له بالسلمة .
 أما تحيتهم في المساء فكانوا يقولون " أنعم مساءً وأنعموا مساءً " (65) * والمساء من بعد انتصاف النهار إلى الليل ، كما يقولون عم مساءً وعم ظلاماً (66) ، وأصلها الدعاء بالخير وطيب العيش ، كما يقولون كيف أمسيت من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول وقال أبو زيد (67):

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يُبَيِّتُ الوُدَّ في فؤاد الكريم
 وكانت هناك تحية خاصة عند بعض القبائل وهي " اسلم كثيراً " (68) أو " اسلمم
 وأنعم " (69) .

وكانوا إذا خطبوا لأحدهم دخلوا بيت أهل البنت فحيوهم ومن كان حاضراً بتحية أهل
 الجاهلية المعروفة " أنعموا صباحاً أو عموا صباحاً " (70) ثم يقول الخاطب " نحن أكفأؤكم
 ونظراؤكم فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتموها وكنا لصهركم حامدين ، وإن رددتمونا
 لعنة نعرفها رجعتا عاذرين " (71) .

كما أن العرب قبل الإسلام كانوا لا يستأذنون للدخول في بيوت غيرهم ويدخلون دون
 إجازة مسبقة بالدخول ، فإذا دخل الرجل منهم بيتاً غير بيته قال " حبيتم صباحاً أو حبيتم
 مساءً " ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد (72) ، وكانت أغلب البيوت في
 الجاهلية لا توجد فيها أبواب ، وقد أبطل الإسلام ذلك وأكد على رعاية حقوق الناس وعدم
 الدخول في البيوت إلا بعد الاستئذان، ووضع ضوابط وشروطاً خاصة بذلك سوف نتطرق لها
 إن شاء الله عند الحديث عن السلام في الإسلام .

وكانوا يرحبون بالقدامين بقولهم " حي هلا " أو حيهل (73) وهما كلمتان جعلتا كلمة
 واحدة ، وحي : أي هلم وعجل ، وهلا حثيثاً (74) ، وقال ابن الأحمر (75):
 أنشأت أسأله عن حال رفقتة

فقال : حي ، فإن الركب قد ذهبنا

وقولهم **حَيٌّ** هلا بفلان : أي هلم وأقبل وعجل ، إذا كان القادم شخصاً بمفرده ، و**حَيْهَلٌ** و**حَيْهَلًا** و**حَيْهَلًا** : منونا وغير منون كلمة يستحث ⁽⁷⁶⁾ بها للاستعجال والسرعة وهي أسم فعل بمعنى أقبل ، وقال الشاعر ⁽⁷⁷⁾ :

بَحْيَهَلًا يَرْجُونَ كُلَّ مَطِيَّةٍ **أَمَامَ المَطَايَا ، سَيَرُهَا المَتَكَلِّفُ**

وسمع أحدهم رجلاً من العجم يقول لصاحبه " زوذ زوذ " ⁽⁷⁸⁾ مرتين بالفارسية ، فسأل عن معنى ذلك ، فقيل له " يقول **عَجَلٌ عَجَلٌ** " فقال : **فَهَلَا قَالَ لَهُ " حَيْهَلِك "** ، فقيل له : ما كان الله ليجمع لهم إلى العجمية العربية ⁽⁷⁹⁾ " والعرب تقول **حَي** على الشريد ⁽⁸⁰⁾ " أي هلم وأقبل على الطعام.

وقولهم **حَي** على الصلاة ، **حَي** على الفلاح : أي هلموا إليها وأقبلوا وتعالوا **مسرعين** ⁽⁸¹⁾ ، وقيل معناها عجلوا إلى الصلاة وإلى الفلاح ، وقال الشاعر ⁽⁸²⁾ :

وَنَحْنُ فِي مَسْجِدٍ يَدْعُو مُؤَذِّنُهُ

حَيٌّ تَعَالُوا ، وَمَا نَامُوا وَمَا غَفَلُوا

أي يستحثهم بالمجيء ويذكرهم بوقت الصلاة ويدعوا لهم بالصلاح ، وكانت في طريقة الجلوس بعد أن يخلع نعليه ويؤدي التحية حيث اعتادوا في مساكنهم وأغلبها الخيام التي لا يوجد فيها حائط أو جدار يستندون إليه ⁽⁸³⁾ ، فكان الرجل منهم يقيم على ركبتيه في جلوسه ويضع عليها سيفاً أو يدبر بهما ثوباً ، أو يعقد عليهما يديه فيستريح إليها وذلك مقام الاستناد ، أو أن يجلس القرفصاء ، كما كانت هناك جلسة أخرى هي جلسة التربع وهي أن يجلس الرجل ملتفاً بأثوابه وركبته منتثبات إلى الأرض بحيث يكون قدم كل رجل من رجليه تحت الأخرى ويستند بظهره فيكون بذلك مقبلاً بوجهه على الجالسين عن جانبيه بلا فرق ، وهناك جلسة ركبة ونصف وهي أن تكون إحدى ركبتيه قائمة والأخرى منتثبة خلفها ، لكن يلاحظ فيها أن لا تكون الركبة القائمة من الجهة التي يكون جالساً فيها رجل فوقه في المنزلة ⁽⁸⁴⁾ وكانت هناك طريقة أخرى للجلوس وهي أن يركع الرجل على ركبتيه ، وقدماه منتثباتان إلى الوراء وهذه الجلسة هي أعظم وقاراً وأكثر تأدباً من كل أنواع الجلوس الأخرى.

وعلى أية صورة كان الجلوس يجب عليه إخفاء قدميه وعدم ظهور الخف مهما أمكن بحيث لا يظهر شيء من آثار القدمين ، كما لا يجوز له أن يمد رجله ، ولا أن يضع رجلاً فوق أخرى لأن ذلك يعد من سوء الأدب وعدم الوقار⁽⁸⁵⁾.
وإذا دخل شريف قوم في مجتمع جلس في المقام اللائق به ، ويلعب هذا المقام دوراً كبيراً في مجالس الملوك وسادات القبائل ، وإذا لم يأخذ الشريف مكانه كأن يجلس في مجلس هو دون مجلسه اللائق بمقامه بالنسبة للحاضرين عدّ ذلك إهانة له ومعاملة سيئة متعمدة ولذا كانوا يراعون حرمة المكان ويعينون للقادم مكانه بأسلوب لطيف لا يثير مشاعر الجالسين ولا يشعرهم بأنهم قصدوا إهانتهم، وذلك بحسب المكانة والمنزلة الاجتماعية للشخص القادم⁽⁸⁶⁾، كما أنهم كانوا يقومون إجلالاً لبعض الأشخاص الأجلاء ويتلقونهم من بعيد ، قال الشاعر⁽⁸⁷⁾:

لئن قمت ما في ذاك عندي غضاضة

عليّ وأني للشريف مذل

ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى⁽⁸⁸⁾ :

فلما بصرنا به ماثلاً حللنا الحبيى وابتدرنا القياما
فلا تنكرن قيامي له فإن الكريم يجلس الكراما

ولكنهم يعدون القيام لغير ذوي الجاه والسلطان مذلة ومنقصة وكما قال شاعرهم⁽⁸⁹⁾ :
على أنه مني لغيرك ذلة ولكنّه بيني وبينك يجمّل
أي إن القيام من المجلس والمسير لعدة خطوات لاستقبال غير الكرام والأشراف يعد مذلة .

وبعد أن يستقر الشخص في جلوسه لا بد من إكرامه بتقديم ما تيسر من الطعام والشراب، وذكر أن البعض كانوا شديدي السخاء على الأضياف وهم يقدمون الطعام والمأوى وربما قدمت لهم ثياباً غير ثيابهم ، كما يتم غسل أقدامهم ، وفي مجالس الملوك يقدم الشراب إلى الجالس عن يمين الملك باعتبار أنه من أشرف القوم ، ثم الجالس إلى الجانب الأيسر

للملك ثم بقية المجلس⁽⁹⁰⁾، كما أن من العادة لديهم أن لا يجلس الصغير بحضرة الكبراء إلا أن يأمره بالجلوس معهم.

وقد جرت العادة أن يخاطبوا بعضهم البعض في مجالسهم إما بالأسماء الصريحة أو بالألقاب⁽⁹¹⁾ أو بالكنى، أما مخاطبة من جهلوا اسمه أو أرادوا ملاحظته أن يقولوا له يا وجه العرب أو يا أبا العرب أو يا أبا طيء، إذا كان طائياً أو يا أبا عيس إذا كان عيسياً، لأن النسبة إلى القبيلة تحقق عندهم المباهاة وتوجب للمخاطب الفخر⁽⁹²⁾، وإذا كانوا عارفين بكنيته أو يريدون تعظيمه ورفع قدره يقولون له "يا أبا الفوارس" أو يا حامية القبيلة الفلانية، ويكون جواب المخاطب بقوله "لبيك وسعديك" ومعنى لبيك: أي أنا مقيم على طاعتك وإخلاصي لك لئلا يخالص وإجابتي لك، وقيل إنه مأخوذ من قولهم لبّ بالمكان وألبّ: إذا أقام به، قال الراجز⁽⁹³⁾:

لبّ بأرض ما تخاطها الغنم

أي تلازمها وتقيم بها لخصبها وكثرة أعشابها ومياها، فإذا دعا الرجل صاحبه قال: لبيك فكأنه قال: أنا مقيم عندك وإقبالي على أمرك، وأما سعديك فمعناه إسعاداً بعد إسعاد⁽⁹⁴⁾، كما وجدت عندهم عادة إذا حدث شخص آخر من لحيته في أثناء مخاطبته وتناولها بيده في حال محاورته، وذلك شكل من أشكال الملاطفة لبعضهم البعض⁽⁹⁵⁾. وكانوا يقولون لمن يستحسنون حديثه "لا فض فوك" أي لا نثرت أسنانك ولا فرقت، وإذا أرادوا أن يظهروا له المحبة مع التعظيم قالوا له فديتك أو جعلت فداك، أو بابي وأمي⁽⁹⁶⁾.

وعند وقت انصراف الزائر ينهضون معه في حالة نهوضه وقوفاً على الأقدام، وربما شيعوه إلى باب الدار⁽⁹⁷⁾ إذا كان الشخص ذا منزلة اجتماعية معروفة لديهم وهم يترجون عودته وأن لا يبخل عليهم بالزيارات المتواصلة ولا يجعل زيارته لهم كبيضة الديك، لأن الديك يبيض مدة زمانه بيضة واحدة كما يزعم أهل الخرافات وهو من الأوهام التي تسود عند الناس.

وقال الشاعر⁽⁹⁸⁾:

قد زرتنا مرة في الدهر واحدةً تنسى ولا تجعليها بيضة الديك

وإذا كان الأشخاص الذين يود عونهم من الأعراء عليهم كانوا يظهرون لهم المعاناة التي ستحل بهم لأن فراقهم سيتترك فراغاً كبيراً عندهم لا يستطيعون تحمله، وكما قال شاعرهم⁽⁹⁹⁾:

يا سادة في سويدا القلب مسكنهم

وفي منامي أرى أنني أعانقهم

أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو

يا من يعز علينا أن نفارقهم

الغائمة

من خلال البحث وجدنا أن التحية وإن كانت في الأصل سلاماً فجائز أن يسمى الملك في الدنيا تحية ، كما يقال للبقاء تحية ، وقد تعارف العرب قبل الإسلام على عدد من التحايا وجميعها تحمل تفاؤلات وتمنيات عامة وأصلها الدعاء بالخير والنعيم.

كما كانت هناك تحية خاصة بالملوك والأمراء وهي تختلف عن تحية عامة الناس مما يؤكد على وجود التمايز الطبقي الواضح في المجتمع العربي قبل الإسلام. وإن تحية الصباح تختلف عن تحية المساء عند عامة الناس وقد ارتبطت تحية الصباح بالغارات كونها تقع صباحاً.

كما تشبه بعض ملوك العرب قبل الإسلام بالأكاسرة والأباطرة في تأدية التحية وخاصة تحية السجود وتقبيل الأرض، وكانت المصافحة بالأيدي والمعانقة بالضم والاحتضان موجودة لدى العرب قبل الإسلام أثناء الاستقبال أو التوديع، ولم يكن طلب الاستئذان للدخول في البيوت موجوداً عندهم إذ لم يراعوا حرمة وأسرار البيوت ، لذلك أكد الدين الإسلامي على حرمة البيوت والأشخاص والمحافظة عليها وتم تشريع آداب الاستئذان ورسم طريقاً واضحاً لها يسير عليه المسلم لأن الإنسان في بيته يتخفف من الثياب ويتصرف مع أهله بدون تحفظ أو كلفه ولا يحب أن يراه أو يطلع عليه غير أهله وذويه.

الهوامش:

- 1- ابن منظور ، لسان العرب ، اعتنى بتصحيحها ، أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ج3، ص 428.
- 2- ابن عاصم ، أبي طالب المفضل بن سلمه ، الفاخر ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، راجعه ، محمد علي النجار ، دار أحياء الكتب العربية ، ط1، 1960، ص 2، الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن أحمد بن جابر الله ، أساس البلاغة ، ص 98، الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج4، 1997م، ص 316.
- * وأحييت النار وحيايتها : أي نفخت فيها حتى تحيا * الزمخشري ، المصدر السابق ص 99 .
- 3- ابن عاصم المصدر السابق ، ص 2، الطبري ، محمد بن جعفر بن جرير ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ج11، 1968، ص 90، ابن منظور ، المصدر السابق ، ج 3، ص 428.
- 4- ابن عاصم المصدر السابق ، ص 2، الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، ج11، ص 91، الأتباري ، أبي بكر محمد بن القاسم ، ازاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق ، حاتم صالح الضامن ، اعتنى به ، عز الدين البدي النجار ، مؤسسة الرسالة ، ط 1، ج1، بيروت ، 1992م ، ص 60.
- * ذكره الطبري 'أزور بها أبا قابوس حتى ..' الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ج11، ص 90.
- 5- ابن منظور ، المصدر السابق ، ج3، ص 429.
- 6- العسكري ، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى ، ديوان المعلى ، ج 2، ص 218، ابن منظور المصدر السابق ، ج 3، ص 428.
- 7- ابن عاصم ، أبي طالب المفضل بن سلمه ، المصدر السابق ، ص2، الأتباري ، أبي بكر محمد بن القاسم ، المصدر السابق ، ج 1، ص 64.
- 8- ابن عاصم ، أبي طالب المفضل بن سلمه ، المصدر السابق ، ص 2، الأتباري ، أبي بكر محمد بن القاسم ، المصدر السابق ، ج1، ص 62.
- 9- ابن عاصم ، أبي طالب المفضل بن سلمه ، المصدر السابق ، ص 2، الأتباري ، أبي بكر محمد بن القاسم ، المصدر السابق ، ج1، ص 63.
- 10- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين ، تحقيق / مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، ج3، ص 318، الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني ، ثلثيات ، معجم فسي المصطلحات والفروق اللغوية ، ق1975م ص 107، ابن منظور ، المصدر السابق ، ج 3، ص 428، الأتباري ، أبي بكر محمد بن القاسم المصدر السابق ، ج 1، ص 61 ، عبد الحميد محمد محي الدين والسبكي محمد عبد اللطيف ، المختار من صحاح اللغة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ص 128.
- 11- ابن منظور ، المصدر السابق ، ج3، ص 428.
- 12- كانت تحية المجوس : الانحناء وجمع الديدن ، وتحية الكافر: وضع الديدن على الفم، الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني ، المصدر السابق ، ق2، ص 107.
- 13- الأتباري ، أبي بكر محمد القاسم ، المصدر السابق ، ج2، ص 250.

- 14- الألوري ، آدم عبد الله، الإسلام وتقاليد الجاهلية، مطبعة المدني، ط2، القاهرة، 1979م، ص 147.
- 15- الأنباري، أبي بكر محمد القاسم ، المصدر السابق ، ج2، ص 250.
- 16- ابن رشيقي، أبي علي الحسن ، العدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، قدم له وشرحه وفهرسه، صلاح الدين الهواري وهدى عودة ، منشورات دار مكتبة الهلال، ج 2، ص 339، القلقشندي، ابي العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهراس تفصيلية ، ج5، ص 19، الألويسي، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، عسى بشرحه وتصحيحه وضبطه ، محمد بهجة الأكري ، ط3، ج2، ص169، النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، السفر 15، ص 291.
- 17- كان الفرس بفولون في تحينهم لملوكمهم * زه هزار سال* أي عش سالماً لف عام * ابن منظور ، المصدر السابق ، ج 3، ص429 بينما ذكر الألويسي أن تحينهم هي * هزار سال بماتي * الألويسي ، المصدر السابق، ج 2، ص 193.
- 18- ابن حبيب ، أبو جعفر محمد ، المنق في أخبار قرينش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، ط1، مطبعة المعارف العثمانية الهند، 1964، ص 540، ابن عبد ربه، أبو عمر، العقد الفريد ، شرحه وضبطه وصححه ورتب فهرسه ، أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1952، ج 2، ص 25، الألويسي ، محمود شكري ، المصدر السابق ، ج 2، ص 267، صفوت ، أحمد زكي ، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ، ط1، دار الحدائق ، بيروت ، ج1، ص 76.
- 19- الألويسي ، محمود شكري، المصدر السابق ، ج2، ص 174.
- 20- المصدر نفسه، ص 174.
- 21- المولى ، محمد أحمد جاد ، وآخرون ، فصوص العرب ، دار إحياء الكتب العربية ، ط3، ج1، 1954، ص 176.
- 22- الميداني ، أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال ، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم ، شركة البابي الحلبي وشركاه ، ج1، 1978م، ص230.
- 23- الطرابلسي، نوفل ، صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار التراث العربي ط2، بيروت ، 1982، ص 195.
- 24- المصدر نفسه، ص 201 .
- 25- الأنباري ، أبي بكر محمد بن القاسم ، المصدر السابق ، ج 1، ص 47.
- 26- المصدر نفسه ، ص 47.
- 27- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين ، ط1، بيروت، 1970م، ج 4، ص 657.
- 28- ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ الدمشقي ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ط1، بيروت، 1966م، ج2، ص 109.
- 29- جواد علي ، المصدر السابق، ج4، ص 229.
- * وجدت طريقة للتسليم على الخليفة في العصر العباسي مثل الانحناءات وتقبيل الأرض أو ذيل الثوب.
- 30- جواد علي ، المصدر السابق ، ج4، ص 229.

* لعل النعمان هذا هو أحد أبناء آل لخم واستعان به الفرس للدفاع عن الحيرة * جواد علي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 230 .

31- كانت العادة عند تحية ملوك الفرس المسلمين أن يجلس الملك في قصره وسط ألف من الحشم وكان يرتدي ثياباً منقطة بالجواهر وأن يجلس على عرش من ذهب ويضع على رأسه تاجاً ، وكان يستقبل الشعراء والأضياف ويستقبل الوافدين الذين حددت لهم المواعيد ، وكان على الذين يدخلون عليه أن يخروا سجداً أمامه ويقبلوا الأرض بين يديه (ديوارنت ، ول ، قصة الحضارة * عصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران ، ج 1 ، ص 4 ، 1949م ، ص 284) ، ويكون الجلوس بين يدي الملك مقبلاً أي يجلس على إيته ناصباً فخذه والجلوس جانبياً على الركبتين (العسكري ، أبي الهلال ، الأوائل ، ص 195) وألا يقفوا إلا إذا أمرهم بالوقوف ولا يتحدثوا إليه إلا وفي فمهم منديل خشية أن تعدي أنفاسهم الملك أو أن تدنسه * ديوارنت ، ول ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 284 .

32- سورة البقرة ، آية (24) .

33- سورة يوسف ، آية (10) .

34- الأتباري ، أبي بكر محمد بن القاسم ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 148 .

35- المصدر نفسه ، ص 148 .

36- ذكر الجاحظ (أن الناس كانوا ينزعون نعالهم خارجاً إذا دخلوا على الملوك) الأسوري ، آدم عبد الله ، المرجع السابق ، ص 165 .

37- الأسوري ، آدم عبد الله ، المرجع السابق ، ص 165 .

38- لا زالت هذه التحية شائعة في غرب أفريقيا وفي نيجيريا عند البعض يمارسونها كشعار لتعظيم الملوك والأمراء ويحاولون نشرها بين الناس باسم التقاليد الوطنية والآداب الاجتماعية في تعظيم الكبراء (الأسوري ، آدم عبد الله ، المرجع السابق ، ص 168) .

39- لما أتى الخليفة هارون الرشيد مدينة لرقفة تنفاه محمد بن ذؤيب العمالي فاتشده:

هارون يا ابن الأكرمين حسباً
من أرض بغداد تؤم المغربيا
لما ترحلت وكنت كئيباً
ظلمت لنا ريح الجنوب والصبيا

فمرحيباً ومرحيباً ومرحيباً

* فرد عليه الخليفة قائلاً: وبك مرحباً وأهلاً (العسكري ، أبي الهلال ، ديوان المعاني ، ج 2 ، ص 220) .

40- الربيع : الكثير العطاء الذي يعطي عطاءً وافرًا عظيمًا .

41- ابن حبيب ، المنعق ، ص 540 ، العسكري ، أبي الهلال ، الأوائل ، ص 68 ، بن عاصم ، أبي طالب المفضل بن

سلمه ، المصدر السابق ، ص 4 ، ابن عبد ربه المصدر السابق ، ج 2 ، ص 25 ، الأوسى ، محمود شكري ،

المصدر السابق ج 2 ، ص 267 ، المولى ، محمد أحمد جاد ، وآخرون ، المرجع السابق ، ص 102 ، صفوت ،

أحمد زكي ، المرجع السابق ، ص 76 .

42- بن عاصم ، أبي طالب المفضل بن سلمه ، المصدر السابق ، ص 3 ، العسكري ، أبي الهلال الأوائل ، ص 67 .

43- العسكري ، أبي الهلال ، ج 2 ، ص 220 .

- * ذكر ابن عاصم بيت الشعر بالشكل الآتي:
ويأسهوب ميمون الخليفة قوله
لملئتمس المعروف أهمل ومزخرب
(ابن عاصم ، أبي طالب المفضل بن سلمه، المصدر السابق ، ص 3).
- 44- العسكري ، أبي الهلال ، ج2، ص 220.
- 45- المصدر نفسه، ص 220.
- 46- النويري ، المصدر السابق ، السفر السادس، ص 15.
- 47- العسكري ، أبي الهلال ، الأوائل ، ص 195.
- * وهذه العادات تتنافى تماماً مع روح الإسلام حيث فيها إذلال للإنسان ويروي أن رجلاً دخل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فخلفه وفرغ لهيبته فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه " هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة " العسكري أبي الهلال الأوائل ص 195.
- 48- النويري، المصدر السابق، السفر السادس، ص 14.
- 49- عاتقه : إذا جعل يديه على عنقه وضمه إلى نفسه " ابن منظور ، المصدر السابق ، ج9، ص 434، والمعاتفة في المودة ، أما الاعتناق فبثه في الحرب " ابن فارس" أبي الحسين أحمد معجم مقاييس اللغة ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط2، ج4، 1970، ص 160.
- 50- العسكري، أبي الهلال، الأوائل، ص 195.
- 51- المصدر نفسه، ص 195.
- * ذكر أن الخليفة المنصور دعا فقيراً من بني هاشم إلى طعامه فقال : قد أكلت ، فضربه الربيع ثلاثين مفرعة فعاتبه المنصور فقال : إن هذا كان يقف في النظارة فلستدناه أمير المؤمنين حتى دعاه إلى طعامه، فلن أن ذلك يرد به الشيع وأغل ما فيه من تشريف فأدبته على سوء تمييزه ، فشكر له المنصور ذلك (العسكري، أبي الهلال، الأوائل ، ص 195).
- 52- العسكري، أبي الهلال ، الأوائل ، ص 196.
- 53- الكفوي ، أبو البقاء ، أيوب بن موسى ، المصدر السابق ، ج2، ص 201، الأتوسي ، محمود شكري ، المصدر السابق ، ج2، ص 193، الغروي ، الشيخ محمد، السلام في القرآن والحديث ، دار الأضواء ، ط1، بيروت ، 1990، ص 57، جواد علي، المصدر السابق ، ج4، ص 604.
- 54- العبادي، عبد الله عبد الرحيم، من الآداب والأخلاق الإسلامية ، مطبعة السعادة، ط2، بيروت ، 1980، ص 209، الطرابلسي، نوفل، المرجع السابق، ص 201.
- 55- الكفوي، أبو البقاء ، أيوب بن موسى ، المصدر السابق، ج2، ص 201، الطرابلسي، نوفل ، المرجع السابق ، ص 202.
- * (يا صباحاه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة لأهم أكثر ما يغيرون وقت الصباح فكلن القائل " يا صباحاه " يقول " قد غشينا القوم صباحاً " وأن الصباح وقت الظللة" الحسوفى، أحمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط5، القاهرة، 1972، ص 240.
- 56- الأتوسي ، محمود شكري ، المصدر السابق، ج2، ص 192، الأتوري ، آدم عبد الله ، المرجع السابق ، ص 147.

- 57- الطرابلسي ، المرجع السابق، ص 202.
- 58- المصدر نفسه ، ص 202 .
- 59- الأوسى ، محمود شكري ، المصدر السابق ، ج2، ص193.
- 60- المصدر نفسه ، ص 193.
- 61- الطرابلسي ، نوفل ، المرجع السابق ، ص 201.
- 62- العسكري ، ابي الهلال ، ديوان المعاني، ج2، ص 224، الطرابلسي ، نوفل ، المرجع السابق، ص 202.
- 63- العسكري ، ابي الهلال ، ديوان المعاني ، ج2، ص 224.
- 64- المصدر نفسه ص 226.
- 65- الأوسى ، محمود شكري ، المصدر السابق ، ج2، ص 192، الغروي ، الشيخ محمد، المصدر السابق ، ص57.
- * وفي الإسلام صارت ' صبحك الله بخير أو مساءك الله بخير ' أي فيها ذكر الله سبحانه وتعالى (الأوسى ، محمود شكري ، المصدر السابق ، ج2، ص192).
- 66- جواد علي، المصدر السابق ، ج4، ص 604، العبادي ، عبد الله عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص 209، الأوروي ، آدم عبد الله، المرجع السابق، ص 147.
- 67- العسكري ، ابي الهلال ، ديوان المعاني ، ج2، ص 224.
- 68- الأوسى ، محمود شكري ، المصدر السابق ، ج2، ص 193.
- 69- ابن منظور ، المصدر السابق، ج3، ص 428 .
- 70- ابن حبيب، المحبر ، ص310، جواد علي، المصدر السابق ، ج4، ص 645.
- 71- ابن حبيب ، المحبر ، ص 310، الأوسى ، محمود شكري ، المصدر السابق، ج1، ص 3.
- 72- الغروي ، الشيخ محمد ، المصدر السابق، ص91.
- 73- الحَيْهَل: شجر، ويقال للهرم من الحمض حيهل وللواحدة حيهلة ويسمى به لأنه إذا أصابه المطر نبت سريعاً وإذا كثره الإبل ولم تسلح سريعاً ماتت ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص433.
- 74- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص316، ابن منظور ، المصدر السابق، ج3، ص431 و432.
- 75- ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص 433.
- 76- المصدر نفسه ، ج3، ص 432، الفيروز آبادي، المصدر السابق، ج3، ص316.
- 77- ابن منظور ، المصدر السابق ، ج3، ص 432.
- 78- المصدر نفسه ، ص 432.
- 79- المصدر نفسه، ص 432.
- * ' كان موسى بن سيار الاسواري من الفضلاء وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس في مجلسه فتتعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرهما للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ' الجاحظ، المصدر السابق ، ج1، ص368 .

- 80- عبد الحميد ، محمد محي الدين والسبكي ، محمد عبد اللطيف، المختار من صحاح اللغة ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص-128.
- ومن أمثالهم " لا يعرف الحي من اللي" أي لا يعرف الحق من الباطل ، الفيروز آبادي، المصدر السابق، ج-4، ص-316، والحي: الحقيق ، واللي: الباطل " بين منظور، المصدر السابق، ج-3، ص-433.
- 81- الفيروز آبادي، المصدر السابق ، ج-4، ص-316، ابن منظور المصدر السابق ، ج-3، ص-432.
- 82- ابن منظور ، المصدر السابق، ج-3، ص-432.
- 83- ربما عمل البعض مساند محشوة من الصوف أو الوبر لكي يستندوا عليها في جلوسهم في بيوتهم.
- 84- الطرابلسي ، نوفل ، المرجع السابق، ص-204.
- 85- المصدر نفسه ، ص-204.
- 86- جواد علي، المصدر السابق، ج-4، ص-572.
- 87- العسكري أبي الهلال ، ديوان المعاني، ج-2، ص-233.
- 88- المصدر نفسه ص-233.
- * وفي نفس المعنى قال البيهقي:
- يقومون من بعد إذا بصروا به
- لأبـلـج موفـور الكرامـة أروع
- ' العسكري ، أبي الهلال، ديوان المعاني، ج-2، ص-233 .
- 89- العسكري ، أبي الهلال، ديوان المعاني، ج-2، ص-233.
- 90- جواد علي ، المصدر السابق، ج-4، ص-541.
- 91- الألقاب هي على ثلاثة أنواع لقب تشريف و لقب تعريف و لقب تسخيف وهذا الثالث قد نهى عنه الإسلام ، الطرابلسي ، نوفل المرجع السابق ، ص-195.
- 92- المصدر نفسه ، ص-195.
- 93- ابن عاصم ، المصدر السابق، ص-4 و ص-5.
- 94- ابن عاصم ، المصدر السابق ، ص-5 ، الطرابلسي ، نوفل ، المرجع السابق ، ص-195.
- 95- الأوسى ، محمود شكري ، المصدر السابق ، ج-1، ص-271.
- * بعد نكف الحية من الإهانات الشديدة عند العرب لأن للحية من سيماء الرجولة فإذا نكفت عد نكفها انتفاص من شأن ذلك الرجل' ، جواد علي، المصدر السابق، ج-4، ص-599.
- 96- الطرابلسي، نوفل ، المرجع السابق، ص-209.
- 97- رفعت، محمد جمال الدين، آداب المجتمع في الإسلام ،عني بطبعه ونشره عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة أحياء التراث الإسلامي، الدوحة، عام 1982م، ص-126.
- 98- الطرابلسي، نوفل، المرجع السابق، ص-195.
- * ومن الأوهام التي تسود عند الناس أيضاً وجود الفول وقد ذكره الشاعر امرئ القيس .
- 99- الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح ، المستطرف في كل فن مستطرف، تحقيق ، عبد اللطيف سامر، دار أحياء التراث العربي، ط-1، ج-1، بيروت ، ص-67.

المصادر والمراجع :

- 1- القرآن الكريم .
- 2- الألبسيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت 850هـ - 1472م) :
- المستطرف في كل فن مستطرف، تحقيق، عبد اللطيف سامر، دار أحباء التراث العربي، ط1، بيروت، (د - ت)
- 3- الألباري، أبي بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ - 1011م) :
- الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، اعتنى به، عز الدين البدوي النجار، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1992م .
- 4- الآلوري، آدم عبد الله :
- الإسلام وتقاليد الجاهلية، مطبعة المدني، ط2، القاهرة، 1979م .
- 5- الألوسي، محمد شكري :
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحة وتصحيحة وضبطه، محمد بهجة الأسري، ط3، القاهرة ، 1924م.
- 6- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن مجر (ت 255هـ - 868م) :
- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، القاهرة، 1960م .
- 7- جواد علي :
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1970م .
- 8- ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت 245هـ - 859م) :
- المنطق في أخبار فريش، تحقيق، خو رشيد أحمد فاروق، مطبعة المعارف الضمئية، ط1، الهند، 1964م .
- المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق إيلاه ليختن ستير، المكتبة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، 1361هـ .
- 9- الحوفي، أحمد :
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط5- القاهرة، 1972م .
- 10- ديوارنت، ول :
- قصة الحضارة (عصر الإيمان) ترجمة، محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، إدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1949م .
- 11- ابن رشيق، أبو الحسن بن علي (ت 456هـ - 1064م) :
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، قدم له وشرحه وفهرسه، صلاح الدين الهولبي، هدى عودة، منشورات دار مكتبة الهلال،
- 12- رفعت، محمد جمال الدين :
- آداب المجتمع في الإسلام، عني بطبعة ونشره عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة أحياء التراث الإسلامي، الدوحة، 1982م .
- 13- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن أحمد بن جار الله (ت 538هـ - 1143م) :
- أساس البلاغة، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1996م .

- 14- صلوات، أحمد زكي :
- جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، دار الحدائق، ط1، بيروت، 1985م .
- 15- الطبري، محمد بن جعفر بن جرير (ت 310هـ - 922م) :
- جامع البيان عن تأويل القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط3، القاهرة، 1968م .
- 16- الطرابلسي، نوفل :
- صناجة الطرب في تقدمات العرب، دار لرائد العربي، ط2، بيروت، 1982م .
- 17- ابن عاصم، أبو طالب المفضل بن سلمه (ت 291هـ - 903م) :
- الفاجر، تحقيق عبد العظيم الطحاوي، راجعة محمد علي لتجار، دار أحياء الكتب العربية، ط1، 1960م .
- 18- العبادي، عبد الله عبد الرحيم :
- من الآداب والأخلاق الإسلامية، مطبعة السعادة، ط2، بيروت، 1980م .
- 19- عبد الحميد، محمد محي الدين والسبكي، محمد عبد اللطيف :
- المختار من صحاح اللغة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر (د - ت) .
- 20- ابن عبد ربه، أبو عمر الأندلسي (ت 328هـ - 939م) :
- العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه ورثب فهارسة، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط2، القاهرة، 1952م .
- 21- العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى (ت 395هـ - 1004م) :
- ديوان المعاني، عالم الكتب .
- كتاب الأوائل، حققه وعلق عليه، محمد السيد الوكيل، الناشر، أسعد طرايزوني، مطبعة دار الأمل، طنجة، (د - ت) .
- 22- الغروي، الشيخ محمد :
- السلام في القرآن والحديث، دار الأضواء، ط1، بيروت، 1990م .
- 23- ابن فارس، أبي الحسين أحمد (ت 395هـ - 1005م) :
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، القاهرة، 1970م .
- 24- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 175هـ - 791م) :
- كتاب العين، تحقيق، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، 1980م .
- 25- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ - 1414م) .
- القاموس المحيط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م .
- 26- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ - 1418م) ::
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات، القاهرة، 1963م .
- 27- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت 1094هـ - 1683م) :

- كليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، فابك على نسخة نظمية وأعدّه للطبع ووضع فهرسة، عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، 1976م .
- 28- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت 774هـ - 1373م) :
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط1، بيروت، 1966م .
- 29- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ - 1311م):
- لسان العرب، طبعة جديدة مصححة، اعتنى بتصحيحها أمين محمد، عبد الله الوهاب ومحمد الصديق العبيدي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (د - ت).
- 30- المولى، محمد أحمد جاد وآخرون :
- قصص العرب، دار أحياء الكتب العربية، عيسى الباني الحلبي وشرفنا، القاهرة، 1954م .
- 31- المبدئي، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت 518هـ - 1124م) :
- مجمع الأمثال، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، شركة الباني الحلبي، ونيركا، 1978م.
- 32- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ - 1336م) :
- نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م

ميزانية البلاط الملكي في عهد الملك غازي ملك العراق 1933-1939 دراسة وثائقية



د. غازي دحام فهد المرسومي *

المقدمة:

تعد دراسة ميزانية البلاط الملكي في عهد الملك غازي 1933-1939م من الدراسات المهمة التي تناولت جانباً مهماً من تاريخ العراق الاقتصادي، بوصفها جزءاً رئيسياً في ميزانية الدولة العراقية يومذاك، وهي دراسة مكتملة للدراسات السياسية التي تناولت بالتفصيل تاريخ العراق السياسي المعاصر، ليس هذا فقط بل أنها تكتسب أهمية استثنائية كونها، أول دراسة مستقلة تمثل هذا الموضوع.

وهي فرصة مناسبة لإعطاء صورة متكاملة عن واحد من العهود السياسية الهامة في تاريخ العراق المعاصر. لأن أغلب الدراسات التاريخية التي تناولت هذه الحقبة اهتمت بدراسة الجانب السياسي في الوقت الذي يعد الجانب السياسي والاقتصادي صنوين لا يفترقان يؤثر أحدهما في الآخر بشكل أو بآخر. فلا يمكن إعطاء صورة كاملة عن عهد سياسي معين دون أن يرافق العرض التاريخي السياسي عرض اقتصادي مكمل له.

فدراسة ميزانية البلاط الملكي مع خصوصية الدراسة إلا أنها ستلقي الضوء ولو بشكل يسير على الجانب المالي للدولة، لأن رئاسة الديوان الملكي التي تخصص لها الميزانية والتي تأتي

* أستاذ مشارك - كلية التربية المحويت

في تسلسلها الاعتباري الدائرة الأولى في الدولة العراقية، ستعطي صورة عن مجمل العلاقة بين وزارة المالية المسؤولة عن ميزانية الدولة وبقية دوائر الدولة الأخرى. وتعطينا صورة دقيقة عن مجالات الصرف المالي وطبيعتها، والجهات التي تصرف عليها، بل حتى مقاديرها المالية وإذا كانت كافية لتغطية احتياج البلاط الملكي أم لا.

ولا بد من الإشارة إلى أن البحث سيسهم في إكمال الصورة التاريخية لموضوع ميزانية البلاط، بعد أن تناول الباحث في دراسته للدكتوراه ميزانية البلاط في عهد الملك فيصل الأول⁽¹⁾.

اعتمد الباحث على كم من وثائق البلاط الملكي الغير منشورة، والتي تدرس لأول مرة على حد علمنا، وأعداد من جريدة الوقائع العراقية، الجريدة الرسمية للمملكة العراقية - سابقاً - فضلاً على كتب وثائقية مهمة، أعطت صورة مكملة للمصادر الأصلية الأخرى.

ميزانية عام 1934م:

تولى الملك غازي عرش العراق في 8 سبتمبر (أيلول) 1933، أي أن ميزانية البلاط الملكي للسنة المالية 1933 كان قد مضى عليها خمسة أشهر لأن السنة المالية للدولة كانت تبدأ آنذاك في 1 إبريل (نيسان) من كل عام وتنتهي في 31 مارس (آذار) من العام الذي يليه.

واستمرت مصروفات البلاط الملكي تسير على ضوء ما أقره قانون الميزانية العام رقم 29 لسنة 1933⁽²⁾. حيث كانت تخصيصات ميزانية البلاط على الوجه الآتي:

المرتبات السنية* 52650 ديناراً

مرتبات ولي العهد 1350 ديناراً

رواتب موظفي (الديوان الملكي) 4000 دينار

المخصصات والخدمات (الديوان الملكي) 2415 ديناراً⁽³⁾.

وكان لا بد من إيقاف صرف الرواتب المخصصة لولي العهد بعد تبوؤه العرش الملكي لذا نجد أن وزير المالية وكالة حكمت سليمان أصدر تعليماته إلى دائرة المحاسبات العامة بأن تصرف مرتبات ولي العهد لغاية 7 سبتمبر (أيلول) 1933، وتدفع مرتبات الملك لشهر سبتمبر (أيلول) وما يليه من الأشهر بتحويلها إلى حساب الملك في الأسترن بنك⁽⁴⁾.

وبدأت رئاسة الديوان الملكي بشراء أثاث جديدة لمكتب الملك في البلاط ومكتب رئيس التشريفات تحسين قدرتي من تخصيصات المخصصات والخدمات في ميزانية البلاط والتي كان

ضمن أبوابها، باب للآثار فأعلنت رئاسة الديوان عن مناقصة عمل آثا وحددت أعداد هذه الآثا التي كانت تتكون من منضدتين مستديرتين، فوقهما زجاج مرمر مع 4 قنبا و 22 كرسيأ مختلف الأنواع كما تم الاتفاق على الأخشاب المستخدمة في العمل وقد رست هذه المناقصة على النجار سليم حبيب بمبلغ (70) دينارأ⁽⁵⁾.

في 30 سبتمبر (أيلول) 1933، بدأت رئاسة الديوان بالتهيئة للميزانية المالية لسنة 1934 من حيث ملاك الموظفين أو من حيث التخصيصات المالية للبلاط، فقد طلبت من وزارة المالية استحداث وظائف جديدة وتعديل رواتب بعض الوظائف، فأجابت المالية بالموافقة على إضافة وظيفتين كتابيتين براتب 8 دنائير إحداهما لقلم الديوان والأخرى لسكرتارية الملك الخاصة إلى ميزانية البلاط للسنة 1934 المالية. وأبلغت المالية رئاسة الديوان الملكي بأن مقترحها بتعديل راتب رئيس الديوان الملكي وجعله بدرجة وزير يحتاج إلى قانون خاص، لذا يجب مفاتحة رئيس الوزراء بشأن الموضوع⁽⁶⁾.

كما طالبت رئاسة الديوان بزيادة تخصيصات الملاة (4) البريد والبرق والتلفونات من باب المخصصات والخدمات وجعلها (800) دينار في ميزانية 1934 بدلاً من (700) دينار لوقوع عجز في تلافى أجور هذه المادة للسنة المالية 1933⁽⁷⁾.

استمرت رئاسة الديوان الملكي بتنظيم مصروفاتها على وفق الفصول والأبواب المحددة في ميزانية البلاط، ولأجل تنظيم عملية الصرف بشكل قانوني.

كان هناك نموذج لوصل داخلي يسمى (إذن دفع) يتظم عندما يتم شراء مواد أو صرف مبالغ على أعمال معينة دون أن تكون هناك وصولات رسمية لدى البائع وكان يوقع عليه رئيس الديوان الملكي ومحاسب البلاط والقابض للمبلغ المصروف من رئاسة الديوان⁽⁸⁾.

أما عندما يكون لدى البائع وصل رسمي فيتم التوقيع أيضاً على الوصل الرسمي بعد تدقيقه من قبل محاسب البلاط ورئيس الديوان الملكي، ففي 28 ديسمبر (كانون الأول) 1933م، تم صرف مبلغ (240) فلساً إلى نعمان الأعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد على ضوء الوصل الرسمي المقدم من قبله الذي تضمن أنواع الكتب وأثمانها التي تم شراؤها من قبل الديوان الملكي وكانت على النحو الآتي:

فلس	دينار	
50	-	رواية الجريمة العدد 1
20	-	رواية رصاص في الظلام العدد 1
20	-	رواية عصاة النجمة الحمراء العدد 1
50	-	رواية نيرون الطاغية العدد 1
100	-	رواية الفرسان الثلاثة جزآن العدد 1
240 ⁽⁹⁾	-	

وكانت رئاسة الديوان الملكي توافق في مناسبات خاصة على تسليف العاملين في البلاط وعلى وفق ضوابط محددة . ففي 15 يناير (كانون الثاني) 1934 وافق رئيس الديوان الملكي علي جودت على تسليف محمد باقر مساعد رئيس التشریفات الملكية مبلغاً قدره 15.5 ديناراً وهو نصف راتب شهر كانون الثاني لمناسبة حلول عيد الفطر المبارك، وعلى وفق تعليمات دائرة المحاسبات العمومية على أن يسترجع المبلغ في نهاية الشهر المذكور⁽¹⁰⁾. في منتصف يناير (كانون الثاني) 1934، انتهت رئاسة الديوان الملكي من إعداد ميزانية البلاط المقترحة للسنة المالية 1934 والتي تبدأ في 1 إبريل (نيسان) ورفعتها إلى وزارة المالية، وكان إعداد الميزانية المقترحة في دوائر الحكومة العراقية ومنها البلاط الملكي يتم على وفق نموذج يتكون من خمس استمارات وهي استمارة ميزانية رقم (1) 1934 وهي خلاصة لمجموع المدخولات المقدره ومجموع للمصروفات المقدره والاستمارة الأخرى هي استمارة رقم (2) وتتضمن جدولاً لتخمين الإيرادات المتوقع الحصول عليها في سنة 1934م وقد خمنت رئاسة الديوان إيراداتها بمبلغ (448) ديناراً⁽¹¹⁾ على وفق:

أ- ضريبة الدخل 170 ديناراً وهي الضرائب التي تفرض على رواتب العاملين في البلاط.
ب- التوقيفات التقاعدية 278 ديناراً وهي التوقيفات التقاعدية التي تستقطع من رواتب العاملين في البلاط.

أما الاستمارة رقم (3) فهي خلاصة لمصروفات السنة المالية 1933 وتخمينات السنة المالية 1934 وقد اقترحت رئاسة الديوان الملكي على وزارة المالية التخمينات الآتية:

عدد الفصل	عدد المادة	عنوان الفصل أو المادة	التخمينات للسنة 1934	
			فلس	دينار
3		المرتبات السنوية	--	52650
6		الرواتب	975	4409
7		المخصصات والخدمات		
2		الأثاث	-	200
3		شراء كتب	-	150
4		نفقات الطبع	-	60
5		القرطاسية والاستمارات الرسمية	-	100
6		بريد و برق و تلفون	-	800
		إيجارات	-	265
		ماء وكهرباء و تنوير	-	200
		مصروفات متنوعة	-	140
			975	59074 ⁽¹²⁾

أما استمارة الميزانية رقم (4) فتضمنت تخمينات مفصلة بشأن الرواتب وملاك موظفي البلاط المقترحة للسنة 1934 ونفقاتها الشهرية والسنوية.

وتضمنت الاستمارة رقم (5) تخمينات مفصلة وحسب المواد للفصل (7) من ميزانية السبلاط أي أن المادة 6 من الفصل 7 هي البريد والبرق والتلفون وكان التخمين لها بمبلغ (800) دينار، وفصل المبلغ المقترح في هذه الاستمارة إلى:

30	أجور النداءات التلفونية
15	أجور لنصب التلغونات وتحويلها
475	أجور البريد والبرق
800	دينار المجموع ⁽¹³⁾

وقد أبلغت وزارة المالية في 21 يناير (كانون الثاني) 1934 رئاسة الديوان الملكي بأن الإعتمادات التي قررت الوزارة إدخالها في لائحة ميزانية البلاط للسنة 1934 المالية كما عرضت على مجلس الوزراء هي كما يأتي:

دينار	
52650	الفصل 3 - المرتبات السنوية
4410	الفصل 6 - الرواتب
1650	الفصل 7 - المخصصات والخدمات
58710	المجموع

أما التخفيضات التي أجرتها وزارة المالية على الميزانية المقترحة من رئاسة الديوان الملكي فكانت بمبلغ (365) ديناراً من الفصل (7) (المخصصات والخدمات) وحسب ما يأتي:

دينار	
150	المادة (2) أثاث
50	المادة (3) شراء كتب
100	المادة (6) بريد وبرق وتلفون
65	المادة 10 مصروفات متنوعة
365 ⁽¹⁴⁾	

ومن الأمور التي كانت تحرص عليها رئاسة الديوان الملكي لأجل ضمان الحصول على أسعار مناسبة لا تثقل البلاط هي إعلاناتها المستمرة عن إجراء مناقصات لتوريد احتياجات البلاط على وفق تخصيصات الميزانية وحتى عندما يكون الأمر لغرض تأجير سيارات الأجرة التي تحتاجها رئاسة الديوان الملكي لتمشية بعض الأعمال. ففي 22 فبراير (شباط) 1934 خاطب مدير إدارة البلاط مدراء كراجات سيارات الأجرة، السعدون، الرشيد، تاج البحار، العاصمة،

الملوك ، الشرق ، دار السلام، يعقوب يوسف ، ودعاهم للاشتراك في مناقصة تهيئة سيارات
أجرة لرئاسة البلاط عند الطلب (15).

وكانت رئاسة الديوان الملكي تضطر في بعض الأوقات إلى إيقاف توريد بضاعة محلية إلى
البلاط أو إيقاف اشتراك في صحيفة أو مجلة لضالة المبالغ المرصودة في ميزانية البلاط. فقد
أوقفت رئاسة الديوان الملكي اشتراكها في مجلة الرابطة الإسلامية التي تصدر في دمشق
لضالة المبلغ المرصود لهذا الباب في الميزانية (16).

أما رواتب العاملين في البلاط فكانت لا تختلف عن رواتب العاملين في دوائر الحكومة (إلا في
بعض الامتيازات البسيطة، فرواتب العاملين في الديوان الملكي لشهر شباط 1934م كانت
حسب ما يأتي:

م	اسم الموظف	الوظيفة	راتبه	
			فلس	دينار
1	علي جودت الأيوبي	رئيس الديوان الملكي	500	85
2	عبدالله الدموجي	كبير الأُمماء	893	50
3	تحسين قدري	رئيس التشریفات	-	57
4	محمد باقر سرکشك	مساعد رئيس التشریفات	281	30
5	فيكتور بحوشي	ملاحظ الديوان	930	27
6	توماس ميخائيل	كاتب الديوان	400	11
7	ياسين محمد طاهر سليم الراضي	كاتب التشریفات	600	7
8	داود عزرة	مأمور التلغون	700	5
9	محمد عبدالله	قواص *	562	3
10	عبدالرزاق بكر	قواص	206	3
11	محمد أمين	قواص	206	3
12	يعقوب جرجيس	قواص	206	3
13	علوان حسن	قواص	206	3
14	عبدالكريم حمادي	قواص	603	1 ⁽¹⁷⁾

وقع الملك غازي في 6 مارس (آذار) 1934 إرادة ملكية بإصدار قانون لنقل مبالغ من ميزانية السنة 1933 المالية رقم (14) لسنة 1934 وجاء في المادة الأولى من القانون ما يأتي: ' ينقل مبلغ قدره (350) ديناراً من الفصل (6) الرواتب إلى الفصل (7) المخصصات والخدمات من ميزانية البلاط الملكي للسنة 1933 المالية'. وهذا يوضح أن عملية المناقلة بين أبواب الميزانية عملية تحتاج إلى سن قانون وموافقة مجلسي الأعيان والنواب مما يدعو إلى الدقة في تحديد احتياجات الميزانية (18).

في 30 إبريل (نيسان) 1934م نشر في الجريدة الرسمية قانون الميزانية العامة لسنة 1934 رقم 28 لسنة 1934 ورصد لميزانية المملكة العراقية للسنة المالية 1934 مبلغ قدره (3,813,197) ديناراً وكان توزيع ميزانية البلاط الملكي التي هي الباب الثاني للميزانية تحت عنوان المخصصات الملكية كما يأتي:

دينار	الفصل
52650	3- المرتبات الملكية
3550	4- الرواتب
1650	5- المخصصات والخدمات
(19)57850	

ويلاحظ أن تخصيصات ميزانية البلاط كانت بنسبة 1.5% من الميزانية العامة للدولة بينما كان مجموع تخصيصات وزارة الداخلية من الميزانية العامة (1,079,359) أي بنسبة 28% ويلاحظ على التخصيصات تخفيض مقدار ما خصص للرواتب على ما تمت الموافقة عليه من قبل وزارة المالية على الميزانية المقترحة من قبل رئاسة الديوان الملكي وكان ذلك بسبب الغاء وظيفة رئيس الأمناء من وظائف الديوان الملكي (20).

وكانت المصروفات الشهرية للبلاط الملكي، تتدقق شهرياً من قبل دائرة المحاسبات العامة في وزارة المالية، أسوة ببقية دوائر الحكومة. وترد إلى رئاسة الديوان الملكي ملاحظات الدائرة المذكورة للأخذ بها، فعند تدقيق حسابات أشهر إبريل (نيسان)، مايو (مايس)، يونيو (حزيران)، يوليو (تموز) 1934 كان من جملة الملاحظات ما يأتي:

- 1- إن المبلغ وقدره (400) فلس ثمن مرآة مدورة برمر يقتضي أن يبوب على المادة (2) آثا وليس على المادة (8) الماء والكهرباء.
- 2- لوحظ أنه قد تم استيفاء فلسين ناقصاً من التوقيفات التقاعدية العائدة للكاتب توماس ميخائل، فنرجو الأمر بإعادة المبلغ بإضافته إلى لتوقيفات التقاعدية المستحقة عليه في الشهر التالي مع إعطاء الشرح الكافي حول الموضوع.
- 3- توقيع الوصلين الأخوذيين من كل من صاحبي جريدتي أبو حمد ويكي عراق أكسالا لمعاملة الصرف.

وكانت رئاسة الديوان الملكي مع محاسب البلاط تقوم بالأخذ بالملاحظات وإجراء التصحيحات المطلوبة وإعلام دائرة المحاسبات العامة. (21)

ويلاحظ من مستند صرف البلاط الملكي أن البلاط لم يعف من بدل استهلاكه للماء والكهرباء وكانت ترسل المبالغ المستحقة شهرياً إلى الدوائر ذات العلاقة. ففي 18 أغسطس (آب) 1934 أرسل صك بمبلغ 1.040 دينار إلى لجنة إسالة الماء لمنطقة بغداد عن بدل الماء المستهلك لشهر يوليو (تموز) 1934⁽²²⁾.

وشهد شهراً أغسطس وسبتمبر (آب وأيلول) 1934 شراء بعض الآثا إلى مكتب الملك فقد تم في 2 أغسطس (آب) شراء ثريا كهرباء جام كبيرة ذات 15 مصباحاً بسعر (15) ديناراً. وفي 8 من الشهر المذكور تم شراء منضدة من خشب العاج وفوقها زجاجة حجرية بمبلغ (7) دنائير. وفي 1 سبتمبر (أيلول) تم شراء كرسي متحرك من خشب العاج من دون وجه بمبلغ دينارين⁽²³⁾.

في 12 سبتمبر (أيلول) 1934، اقترحت رئاسة الديوان الملكي على وزارة المالية الاقتراحين الآتيين ورجت الوزارة الموافقة عليهما لكي يدرجا ضمن جدول تخمينات ميزانية البلاط للسنة المالية 1935. الاقتراح الأول تعديل درجة ملاحظ الديوان الملكي والثاني إدخال مخصصات كناس إلى ملك الديوان الملكي وقدرها ديناران التي كانت تدفع من قبل الخزينة الملكية الخاصة والتي أعريت عن عدم استعدادها للاستمرار في تحمل رواتب الكناس في الديوان الملكي⁽²⁴⁾. أما رد وزارة المالية فقد اعتذرت عن تنفيذ المقترح الأول في الوقت الحاضر، ووافقت على المقترح الثاني وهو إضافة وظيفة كناس براتب دينارين⁽²⁵⁾.

وفي نهاية شهر أكتوبر (تشرين الأول) 1934، أعدت رئاسة الديوان الملكي مقترح ميزانية البلاط للسنة المالية 1935، واقترحت أن يخصص لميزانيتها مبلغ قدره (57809) ديناراً و (775) فلساً وهو مبلغ مساو تقريباً للمبلغ الذي خصص للبلاط في ميزانية السنة المالية 1934 وهو (57850) ديناراً⁽²⁶⁾.

وقد أبلغت وزارة المالية في كتاب أرسل إلى رئاسة الديوان الملكي، بأنها قد اعتمدت لميزانية البلاط في لائحة الميزانية للسنة 1935 المالية التي ستعرضها على مجلس الوزراء مبلغاً قدره (57760) ديناراً، أي يقل عن مقترح رئاسة الديوان الملكي لميزانية البلاط بمبلغ (50) ديناراً. وأوضحت المالية أن التغيير الوحيد الذي تم إجراؤه في تخمين رئاسة الديوان هو تنزيل (50) ديناراً من المادة (2) آثالث بحيث يصبح اعتماد المادة المذكورة (100) دينار بدلاً من (150) ديناراً مراعاة في النفقات⁽²⁷⁾.

إن عملية تخفيض ميزانية البلاط الملكي وميزانية دوائر الحكومة الأخرى كانت تتم كجزء من محاولات تخفيض تخصيصات الميزانية بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها البلاد والتي هي في جانب من أسبابها انعكاس للأوضاع الاقتصادية الصعبة التي كانت تسود العالم آنذاك. بل أن إحدى مواد الميزانية العامة كانت تنص على تخفيض الرواتب والمخصصات التي يتقاضاها موظفو الدولة ومستخدموها من الميزانية العامة والميزانيات الملحقة بنسبة خمسة بالمائة⁽²⁸⁾.

ومن الأمور المالية التي كانت تجرى في البلاط كجزء من عملية متابعة الميزانية هو تدقيق موجودات الصندوق في الديوان الملكي نهاية كل شهر ويحتوي هذا الصندوق على المبالغ المسحوبة من الخزينة المركزية للصرف على بعض المواد أو المبالغ المستقطعة من العاملين في البلاط كتوقيفات تقاعدية أو ديون لجهات حكومية. ففي نهاية فبراير (شباط) 1935 بلغت موجودات الصندوق، 654 ديناراً و473 فلساً، وبعد الانتهاء من تعداد النقود الموجودة في الصندوق يوقع رئيس الديوان الملكي ومحاسب البلاط على استمارة خاصة بجرد نقود صندوق الديوان الملكي⁽²⁹⁾.

ميزانية عام 1935:

في 19 فبراير (شباط) 1935، قرر مجلس الوزراء تخصيص (4000) أربعة آلاف دينار لوالدة الملك غازي ولشقيقتيه الأميرتين وخول وزير المالية حق إدخال هذه المخصصات في الفصل المختص من لائحة قانون الميزانية العامة لسنة 1935 المالية⁽³⁰⁾.

وقد كتب رستم حيدر رئيس الديوان الملكي إلى وزارة المالية بضرورة صرف مخصصات عائلة الملك فيصل التي وافق عليها مجلس الوزراء وذلك لحين المصادقة على الميزانية العامة⁽³¹⁾. وافق مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة في 25 إبريل (نيسان) 1935 على دفع مبلغ قدره (250) ديناراً شهرياً لقاء مرتبات الأميرتين خصماً على التسليفات المتنوعة انتظاراً لصدور قانون الميزانية العامة للسنة 1935 المالية⁽³²⁾.

ولا بد من الإشارة إلى أن الميزانية العامة لا يجري إقرارها في أغلب الأحيان في شهر إبريل (نيسان) من كل عام وهو بدء السنة المالية، لذا يصدر في كل شهر تتأخر فيه الميزانية، قانون الميزانية العامة الوقتية لشهر مايو (مايس) أو يوليو (حزيران) لحين صدور قانون الميزانية العامة بتخصيصاتها الكاملة، وقد تأخر إقرار ميزانية السنة المالية 1935. ففي أغسطس (آب) صدر قانون الميزانية العامة الوقتية لشهر أغسطس (آب) 1935 رقم 31 لسنة 1935 الذي رصد مبلغاً قدره (362780) ديناراً على حساب ميزانية السنة 1935 المالية لسد نفقات الدولة في شهر أغسطس (آب) 1935 وخصص لميزانية البلاط من هذا المبلغ لسد نفقات البلاط مبلغ قدره (4780) ديناراً⁽³³⁾ كما صدرت ميزانية وقتية لشهرى سبتمبر وأكتوبر (أيلول وتشرين الأول) رصد فيها مبلغ قدره (713074) ديناراً لسد نفقات الدولة ورصد منه لميزانية البلاط (9578) ديناراً⁽³⁴⁾.

وفي 5 سبتمبر (أيلول) 1935، صرفت رئاسة الديوان الملكي مبلغاً قدره 6.390 ديناراً إلى مخزن الكتب في بغداد عن شراء كتب إلى مكتبة الديوان الملكي وكانت على النحو الآتي:

دينار	فلس
دائرة المعارف الإسلامية رقم 51	450
سياسة الدول الخارجية	450
التراث الإسلامي	600
السياسي العالمي	630

العراق من الانتداب إلى الاستقلال، تاليف أرنست مين	960
لورنس ، أعمدة الحكمة السبعة- عدد 2 قيمة الواحد 650	300
المجموع ⁽³⁵⁾	390

كما صرفت في اليوم نفسه مبلغاً قدره ثلاثة دناتير عن اشتراك رئاسة الديوان الملكي بعدد واحد في جريدة العقاب وهي جريدة يومية سياسية تصدر في بغداد ولمدة سنة واحدة⁽³⁶⁾. وكان من السياقات المعمول بها في دوائر الدولة أن يتم إعداد تخمينات الميزانية الجديدة في سبتمبر (أيلول) من كل عام، لذا أعدت رئاسة الديوان الملكي تخمينات ميزانية السنة المالية 1936 مع عدم صدور قانون الميزانية لسنة 1935 بشكل نهائي، وقد استمرت عملية إعداد الميزانية على وفق السياقات المحددة من قبل وزارة المالية وهي إعداد الاستثمارات الخمس وكانت خلاصة الميزانية المقترحة لسنة 1936 للبلاد الملكي وهي أن قدر مجموع المدخولات المقدرة بمبلغ (350) ديناراً، أما مجموع المصروفات المقدرة بمبلغ (60.800) ديناراً وهو يزيد على تخمينات مصروفات ميزانية 1935 بمبلغ (3000) دينار وهذه الزيادة هي لسد رواتب الأميرتين الشهرية البالغة (250) ديناراً والتي وافق عليها مجلس الوزراء والتي يكون مجموعها سنوياً (3000) دينار ولم يجر أي تغيير في الملاك الوظيفي للديوان الملكي⁽³⁷⁾.

استمرت رئاسة الديوان الملكي بإجراء المناقصات للمواد التي تحتاج إلى شرائها من السوق. ففي نوفمبر (تشرين الثاني) 1935 أعلنت عن مناقصة تجهيز كسلاوي لفراشي الديوان الملكي، وبعد إجراء المناقصة في 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 1935، رست على الخياط مجيد سلطان على وفق الأسعار والأعداد الآتية:

فلس	دينار	عدد	نوع التجهيز	السعر بالمفرد
840	0	12	سداير وطنية	70 فلساً
200	1	12	قميص بولين	100 فلس
080	1	24	فانيلات قطن	45 فلساً
504	0	36	جواريب ماركة	14 فلساً

	المروحة			
8 فلوس	مناديل	12	0	096
			3 المجموع	720

ووضعت رئاسة الديوان شروطاً على متعهد التجهيز وهي أن تكون هذه الملابس جديدة وليست قديمة وأن دفع ثمن التجهيز يكون بعد استلام الملابس المذكورة⁽³⁸⁾.

وفي 28 نوفمبر (تشرين الثاني) 1935 صدرت الميزانية المؤقتة لشهر ديسمبر (كانون الأول) للسنة المالية 1935 والتي رصد فيها مبلغ مقداره (362780) ديناراً لسد نفقات الدولة وكان نصيب ميزانية البلاط منها مبلغاً قدره (4780) ديناراً⁽³⁹⁾.

ومن الأمور التي كانت تعبر في إجراءاتها عن دقة الحسابات المالية في البلاط الملكي هي قوائم الهاتف، ففي نهاية عام 1935 وردت إلى البلاط قائمة أجور الهاتف للمدة المنتهية في 31 ديسمبر (كانون الأول) 1935 وكان مجموع مبلغ القائمة 59/447 ديناراً وكان العاملون في البلاط يتحملون ثمن هواتفهم الخصوصية التي لا علاقة لها بأعمال البلاط الملكي والتي كانت تسجل يومياً من قبل داود عزرة مأمور التلفون في البلاط، لذا خصم من مبلغ قائمة الهاتف المبالغ المدونة أدناه عن أجور نداءاتهم الخصوصية على أن تستقطع من رواتبهم على الوجه الآتي:

فلس	دينار	
135		عبد الكريم الأزري معاون رئيس الديوان الملكي
530		تحسين قدري رئيس التشريعات الملكية
060		الشيخ عبدالله المضايقي
623		الخزينة الخاصة
813		سرية الحرس الملكي
161	2	خصم هذا المبلغ من القائمة الأصلية ودفعت رئاسة الديوان الملكي مبلغاً قدره 57/286 ديناراً عن قائمة الهاتف ⁽⁴⁰⁾ .
المجموع		

وفي 22 فبراير (شباط) 1936 صدر قانون الميزانية العامة لسنة 1935 رقم (16) لسنة 1936 والتي رصد فيها مبلغ قدره (4,494,496) ديناراً كميزانية للدولة رصد منه إلى ميزانية البلاط المبالغ الآتية:

55650

الفصل 3 المرتبات الملكية

3522

الفصل 4 الرواتب (الديون الملكي)

الفصل 5 المخصصات والخدمات (الديوان الملكي) 1600

وهي التخصيصات نفسها التي اقترحت من رئاسة الديوان الملكي⁽⁴¹⁾، ويلاحظ تأخر صدور الميزانية بشكل غير طبيعي والسبب الأساس لتأخر إقرار الميزانية هو أن الملك غازي أصدر في 9 إبريل (نيسان) 1935 إرادة ملكية بحل مجلس النواب، نتيجة تصاعد الخلاف بين وزارة ياسين الهاشمي التي شكلت في 17 مارس (آذار) 1935 ومجلس النواب، ولم تلتئم اجتماعات المجلس الاعتيادية للمجلس النيابي الجديد إلا في نهاية شهر أكتوبر (تشرين الأول) 1935، وإقرار الميزانية يتطلب عرضها على اجتماعات المجلس لإقرارها⁽⁴²⁾.

ميزانية عام 1936-1937م:

استمرت رئاسة الديوان الملكي تعمل بنفس هيكلها الإداري القليل نسبياً مع كثرة المهام المطلوب إنجازها في البلاط الملكي وكذلك بنفس الرواتب المحددة في قانون الدولة، ففي شهر مارس (آذار) 1936 كان العاملون في البلاط الملكي ورواتبهم على الوجه الآتي:

م	اسم الموظف	الوظيفة	راتبه	دينار
1	رستم حيدر	رئيس الديوان الملكي	500	85
2	عبد الكريم الأزري	معاون رئيس الديون الملكي	200	34
3	تحسين قدري	رئيس التشريعات الملكية	-	57
4	محمد باقر سرکشك	مساعد رئيس التشريعات الملكية	200	34
5	فيكتور بحوشي	ملاحظ الديوان	750	23
6	توماس ميخائيل	كاتب الديوان	250	14
7	ياسين محمد طاهر	كاتب الديوان	500	9

			الراضي	
7	600	مأمور التلغون	داود عزرة	8
3	562	قواص	محمد عبدالله	9
3	562	قواص	عبد الرزاق بكر	10
3	206	قواص	محمد أمين	11
3	206	قواص	يعقوب جرجيس	12
3	206	قواص	علوان حسين	13
3	206	قواص	عبدالكريم حمادي	14
1 ⁽⁴³⁾	042	قواص	رشيد سالم	15

في 1 (إبريل) نيسان 1936 صدر لأول مرة قانون الميزانية العامة في موعد بدء السنة المالية فقد صدر قانون الميزانية العامة لسنة 1936 المالية رقم (25) لسنة 1936 والذي رصد في الميزانية مبلغاً قدره (4727335) ديناراً لسد نفقات الدولة من أول إبريل (نيسان) 1936 ولغاية 31 مارس (آذار) 1937 وكانت تخصيصات ميزانية البلاط ضمن الباب الثاني من الميزانية العامة وهو باب (المخصصات الملكية) مبلغاً مقداره (60800) دينار وحسب الفصول المحددة في الميزانية وهو المبلغ نفسه المقترح من قبل رئاسة الديوان الملكي⁽⁴⁴⁾.

وطالبت رئاسة الديوان الملكي في كتاب إلى وزارة المالية بتاريخ 23 يونيو (حزيران) 1936 بتعديل درجة وظيفة رئيس التشريعات الملكية من الدرجة الثانية إلى الدرجة الأولى لأن حدود راتب الدرجة الثانية (60) ديناراً بينما كان راتب رئيس التشريعات الملكية ناجي الأصيل الذي باشر بوظيفته الجديدة صباح يوم 23 (يونيو) حزيران 1936 هو (75) ديناراً⁽⁴⁵⁾. كما طالبت باستحداث وظيفة من الدرجة (الثامنة) براتب 21 ديناراً لتعيين موظف يجيد اللغات الأجنبية علاوة على اللغة العربية لحاجة رئاسة التشريعات لهذه الوظيفة⁽⁴⁶⁾.

في منتصف سبتمبر (أيلول) 1936 أعدت رئاسة الديوان الملكي تخمينات ميزانية البلاط للسنة المالية 1937 وقدرت مجموع مدخولاتها بمبلغ (456) ديناراً ومجموع مصروفاتها بمبلغ (59661) ديناراً وعلى وفق نفس الفصول والمواد المعتادة لميزانية البلاط⁽⁴⁷⁾.

ويلاحظ أن تخمينات ميزانية البلاط للسنة المالية 1937 قد تم تقليلها مع العلم أن وزارة المالية قد وافقت على تغيير راتب وظيفة رئيس التشريفات الملكية إلى (75) ديناراً والسبب الرئيسي لتقليل التخمين هو إلغاء راتب الأميرة عزة التي تزوجت من خادم فندق يوتاني عند سفرها مع شقيقتها الأميرة راجحة إلى أوروبا في مايو (آيار) 1936⁽⁴⁸⁾. وقد وافقت وزارة المالية على مقترح رئاسة الديوان الملكي لميزانية سنة 1937 دون تغيير⁽⁴⁹⁾.

في 1 أكتوبر (تشرين الأول) 1936 طلبت رئاسة الديوان الملكي من وزارة المالية الموافقة على تعيين مراسل لتوزيع المكاتب الخاصة بدائرة التشريفات الملكية لتوسع أعمالها وزيادة مخابراتها. وقد وافقت وزارة المالية على إضافة وظيفة مراسل براتب شهري قدره 3.375 ديناراً إلى ملاك رئاسة الديوان الملكي واعتباراً من أول أكتوبر (تشرين الأول) 1936⁽⁵⁰⁾.

استمرت رئاسة الديوان الملكي بتجهيز فراشي البلاط سنوياً بتجهيزاتهم من الملابس والأحذية، ففي نوفمبر (تشرين الثاني) 1936 أعلنت رئاسة الديوان الملكي عن مناقصة تجهيز ثمان بدلات للفراشين وتتألف من سترة شتوية وسروال طويل وكذلك تجهيز ثمانية أحذية وطنية سوداء. وبعد إجراء المناقصة رست عملية تجهيز البدلات على محل الخياط الباريسي في شارع الرشيد لصاحبه رحمين يعقوب لآوي بسعر دينارين للبدلة الواحدة، ورست عملية تجهيز الأحذية على معمل النسيج الجديد للأحذية الوطنية بسعر (325) فلساً للحاء الواحد⁽⁵¹⁾.

في 13 يناير (كانون الثاني) 1937 أبلغ وزير المالية جعفر أبو التمن رئاسة الديوان الملكي بالموافقة على تخمينات ميزانية البلاط للسنة المالية 1937 حسب مقترح الميزانية الوارد إلى الوزارة من رئاسة الديوان. بعد أن أضافت (70) ديناراً للفصل (4) من الميزانية (الرواتب - الديوان الملكي) وذلك من أجل تعديل درجة معاونية رئيس الديوان الملكي من الدرجة الخامسة إلى الدرجة الرابعة⁽⁵²⁾. وقد ردت رئاسة الديوان على كتاب وزير المالية جعفر أبو التمن بأهمية تعديل درجة معاونية رئيس الديوان الملكي إلى الثالثة وجاء في الرد "لم نطلب تعديل درجة معاون رئيس الديوان الملكي من الدرجة الخامسة إلى الثالثة إلا بعد أن حصلت لنا القناعة التامة لما عليها هذه الوظيفة من أهمية بالنظر لمركزها الدقيق عند غياب الرئيس"⁽⁵³⁾. وطالبت الوزارة بإعادة النظر في كتابها آنف الذكر والموافقة على إجراء

التعديل إلى الدرجة الثالثة، وقد رفضت المالية طلب الديوان بإعادة النظر في تعديل الدرجة إلى الثالثة، وأبلغت رئاسة الديوان ملائمة الدرجة الرابعة المقررة لوظيفة معاونية رئيس الديوان الملكي وأن الأمر قد رفع مع لائحة الميزانية إلى مجلس الوزراء⁽⁵⁴⁾.
في نهاية مارس (آذار) 1937 صدر قانون الميزانية العامة الوقتية لشهري إبريل ومايو (نيسان وأيار) سنة 1937 وقد رصد مبلغ قدره (931,632) ديناراً لسد نفقات الدولة، وكان نصيب ميزانية البلاط الملكي (9870) ديناراً⁽⁵⁵⁾. كما صدر في مايو (مايس) 1937 قانون الميزانية العامة الوقتية لشهر يونيو (حزيران) والذي رصد فيه مبلغ مقداره (472,581) ديناراً على حساب ميزانية السنة 1937 لسد نفقات الدولة في شهر يونيو (حزيران) وكانت تخصيصات البلاط الملكي (4935) ديناراً موزعة كما يأتي:

دينار	
4512	الفصل 3 المرتبات الملكية
290	الفصل 4 الرواتب (الديوان الملكي)
133	الفصل 5 المخصصات والخدمات (الديوان الملكي)
<u>4935</u> ⁽⁵⁶⁾	المجموع

ولا بد من الإشارة إلى أن الرواتب التي كانت تدفع للعاملين في رئاسة الديوان الملكي من ميزانية البلاط كانت تضم القائمين بالأعمال الكتابية والفراشين أما بقية العاملين كالسفرائية ومساعدتهم الذين يقومون بخدمة الملك داخل البلاط أو الجنينائية الذين يقومون بإدارة حديقة البلاط فكانت تدفع من الخزينة الخاصة لعدم وجود مخصصات في ميزانية الديوان الملكي لاستخدام ما يحتاج إليه البلاط الملكي من عاملين. لذا نجد ناظر الخزينة الخاصة سعيد حقي يخاطب رئيس الديوان الملكي ويبلغه أن الخزينة الخاصة لا تزال تصرف من نفقاتها على العاملين الآتية أسماؤهم.

م	الاسم	عنوان الوظيفة	الراتب والمخصصات	
			فلس	دينار
1	نعومي عسكر	سفرائي (خادم)	450	12
2	احمد إبراهيم	= =	-	12
3	يعقوب جرجيس	= =	450	6

4	-	مساعد سقراتي	علي سعيد	4
2	750	= =	فاضل محمد	5
2	750	= =	ظه محمد	6
3	250	جنيناتي (فلاح)	خضير عباس	7
3	-	= =	جواد رضا	8
1	950	= =	عباس علي	9
1	950		سلمان محي	10
50	550	المجموع		

وأعمال هؤلاء هي لخدمة الملك داخل البلاط الملكي وتنظيم حدائق البلاط وأن أعمالهم ليست لها علاقة بالخزينة الخاصة وأن هذه الخزينة أصبحت في غير إمكانها الاستمرار على دفع هذه الرواتب والمخصصات وعليه المطلوب اتخاذ التدابير المقتضية لدرج وظائفهم في ميزانية الديوان الملكي وتخليص الخزينة الخاصة من نفقاتهم⁽⁵⁷⁾.

ميزانية عام 1938م:

في 6 نوفمبر (تشرين الثاني) أعدت رئاسة الديوان الملكي تخمينات ميزانية الديوان الملكي للسنة المالية 1938 وقد قدرت رئاسة الديوان المدخولات بمبلغ (450) ديناراً والمصروفات بمبلغ (59468) ديناراً⁽⁵⁸⁾. وقد وافقت وزارة المالية على التخصيصات الآتية:

دينار	
53850	الفصل 3 المرتبات (الملكية)
4060	الفصل 4 الرواتب (الديوان الملكي)
1290	الفصل 5 المخصصات والخدمات
59200	المجموع

وإن التعديلات التي أجريت على التخمينات هي كما يأتي:

أ- حذف الزيادة المقترحة للفصل 4 (الرواتب) ودرج عين الاعتماد المخصص في السنة 1937.

ب- خصم (23) ديناراً من الفصل 5 (المخصصات والخدمات) حسب التفاصيل المبينة في أدناه بعد أخذ المصروفات الحقيقية للسنة 1936 والوضع المالي بنظر الاعتبار.

دينار	
20	المادة 2 أثاث
30	المادة 3 شراء كتب
15	المادة 4 نفقات الطبع
75	المادة 5 قرطاسية
50	المادة 8 ماء وكهرباء وتنوير
40	المادة 10 مصروفات متنوعة
⁽⁵⁹⁾ 230	المجموع

في مارس (آذار) 1938 خمنت رئاسة الديوان الملكي بأن مصروفاتها ستكون لسنة 1938 (58000) ديناراً اعتماداً على ما تم تخصيصه لشهر أبريل (نيسان) 1938 في الميزانية وعلى الوجه الآتي:

دينار	فلس	المادة	الفصل
4387	500	مخصصات جلالة الملك	3
338	000	الرواتب (الديوان الملكي)	4
		المخصصات والخدمات	5
دينار	فلس	المادة	الفصل
5	500	أثاث	2
10	500	شراء كتب	3
1	200	نفقات طبع	4
6	500	القرطاسية	5
33	300	بريد وبرق وتلفونات	6
22	000	إيجارات	7
19	000	ماء وكهرباء وتنوير	8

9 000	10
(60)4832 500	مصرفات متنوعة المجموع

في 1 مايو (مايس) 1938 صدر قانون الميزانية العامة لسنة 1938 المالية (37) لسنة 1938 وقد تم رصد مبلغ لسد نفقات الدولة مقدارها (5469113) ديناراً وخصص من هذا المبلغ كميزانية للبلاط الملكي مقدارها (58000) وهي نقل عن ما أقرته وزارة المالية بمبلغ (1200) دينار بعد أن حذفت تخصيصات راتب الأميرة راجحة البالغة (100) دينار شهرياً⁽⁶¹⁾. ويلاحظ أن نسبة تخصيصات ميزانية البلاط تشكل 1% من تخصيصات الميزانية العامة للدولة بينما كان مجموع تخصيصات وزارة الدفاع (1544300) دينار أي بنسبة 28.23% وتخصيصات وزارة الداخلية (1083079) ديناراً أي بنسبة 19.8%.

استمرت مديرية المحاسبات العامة في وزارة المالية بتدقيق حسابات رئاسة الديوان الملكي شهرياً ، وعند تدقيق حسابات شهر أغسطس (آب) 1938 ثبتت المديرية الملاحظات الآتية:
أ- صرف مبلغ (990) فلساً في 27 أغسطس (آب) 1938 عن شراء أدوات لدراجة الديوان سجلت كتبويب على المادة (2) أثاث بينما يجب أن تبوب على المادة (10) مصرفات متنوعة.

ب- إن قائمة القرضات التي تم شراؤها من قبل رئاسة الديوان في 28 أغسطس (آب) 1938م من مخازن أورزدي باك تبلغ بعد تخريج السماح 5% 6/216 دنائير وليس 6/212 دنائير كما تم دفعه، فعليه يدور مبلغ (4) فلوس في حساب الديوان⁽⁶²⁾.

ميزانية عام 1939:

في 30 أكتوبر (تشرين الأول) 1938م أعدت رئاسة الديوان الملكي تخمينات ميزانية البلاط للسنة المالية 1939. والتي خمنت مدخولاتها بمبلغ (520) ديناراً ومصرفاتها بمبلغ (58525) ديناراً⁽⁶³⁾. ثم خاطبت رئاسة الديوان الملكي وزارة المالية بأن يضاف إلى الميزانية المقترحة لسنة 1939 مبلغ قدره (1200) دينار باسم (مرتبات سمو ولي العهد) باعتبار (100) دينار شهرياً اعتباراً من أول أبريل (نيسان) 1939⁽⁶⁴⁾ وقد وافقت وزارة المالية على تخصيص مبلغ (58270) ديناراً أي بتخفيض مبلغ (255) ديناراً من الميزانية المقترحة من رئاسة الديوان وخفض هذا المبلغ من الفصل 5 (المخصصات والخدمات) وذلك استناداً إلى

الخطة العامة لميزانية الدولة وهي المراعاة بشأن الإقتصاد فسي مختلف مواد فصول الميزانية⁽⁶⁵⁾.

فاتحت رئاسة الديوان في 12 مارس (آذار) 1939م وزارة المالية وبينت حاجتها إلى مبالغ لسد احتياجاتها في الفصل الخامس (المخصصات والخدمات) لأن مخصصات هذا الفصل (1290) ديناراً ولم يبق من اعتمادها سوى (105) دينار مع أن المبالغ المتراكمة على الديوان والواجبة الدفع هي (267) ديناراً وأن هناك حاجة لصرف مبالغ أخرى لغاية 31 مارس (آذار) 1939 وهو تاريخ انتهاء السنة المالية 1938، واقترحت إجراء مناقلة من مصاريف أخرى في الميزانية مع أنها مصاريف ضرورة⁽⁶⁶⁾.

في 29 مارس (آذار) 1939 صدر القانون رقم (5) لسنة 1939 الذي جاء في مادته الأولى إضافة مبلغ مقداره (320340) ديناراً إلى فصول ميزانية سنة 1938 وكان نصيب البلاط الملكي من هذه الإضافة مبلغاً قدره (300) ديناراً لسد العجز الحاصل في مصروفات المخصصات والخدمات⁽⁶⁷⁾.

لقد توفي الملك غازي في 3 إبريل (نيسان) 1939 أي قبل إقرار الميزانية الجديدة للبلاط الملكي.

الخاتمة:

كانت تخصيصات ميزانية البلاط في عهد الملك غازي تخصيصات متواضعة جداً لا تتسجم مع المهام الكثيرة الموكلة إلى رئاسة الديوان الملكي، وكانت مصروفاتها تتم على وفق التعليمات المالية الصادرة من وزارة المالية التي كانت تتعامل مع البلاط كما تتعامل مع دوائر الدولة الأخرى فتقبل مقترحات رئاسة الديوان الملكي التي تجدها وزارة المالية لا تثقل كاهل ميزانية الدولة بأعباء مالية إضافية وترفض مقترحات البلاط المالية التي تحمل ميزانية الدولة أعباء جديدة. وكانت مصروفات البلاط تخضع للتدقيق المالي الشهري من قبل مديرية المحاسبات العامة لمتابعة انتظام حساباتها وعدم التجاوز على تخصيصاتها أو على فصول الميزانية. ولم تسجل على البلاط أي تجاوز مالي كبير طيلة حكم الملك غازي، ويلاحظ أن رئاسة الديوان الملكي كانت تحرص على إتباع كل الوسائل التي تسهم في تقليل الإنفاق من خلال متابعة المصروفات يومياً وإتباع أسلوب تقديم العروض لضمان الحصول على المواد بأرخص الأسعار وبنوعيات جيدة وتدقيق الوصولات المالية والتوقيع عليها من قبل رئيس الديوان الملكي ومحاسب البلاط قبل صرفها. كما أن رواتب العاملين في البلاط لم تثقل ميزانية البلاط لقلّة عدد العاملين في البلاط مع كثرة الأعمال التي كانوا يقومون بها فضلاً عن أن رواتبهم كانت تصرف أسوة ببقية دوائر الدولة الأخرى.

المصادر والمراجع
الوثائق غير المنشورة

المختصر

د. ك. و

أ- وثائق دار الكتب والوثائق بغداد

1- ملفات البلاط الملكي:

موضوع الملف	تسلسل الملف
موظفو البلاط	5
ميزانية البلاط	43
ميزانية البلاط	44
ميزانية البلاط	45
ميزانية البلاط	46
ميزانية البلاط	47
ميزانية البلاط	48
ميزانية البلاط	49
الخزينة الخاصة	75
حسابات	2991
مستندات صرف	3046
مصرفات الديوان الملكي	4047
مستندات صرف	3099
جداول شهرية حسابية	3100
مستندات صرف 1935 - 1936	3101
مستندات الصرف لسنة 1936 - 1937	3103
مستندات الصرف لسنة 1936 - 1937	3104

ب- الوثائق المنشورة:

- 1- وزارة العدلية ، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1933 ، مطبعة الحكومة، بغداد، 1934.
- 2- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1934 ، مطبعة الحكومة، بغداد ، 1935.
- 3- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1935، مطبعة الحكومة، بغداد، 1936.
- 4- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1936، مطبعة الحكومة، بغداد، 1937.
- 5- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1937 ، مطبعة الحكومة، بغداد ، 1938.

6- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1938، مطبعة الحكومة، بغداد، 1939.

الصحف:

1933	الوقائع العراقية ، يونيو(حزيران)
1934	أبريل (نيسان)
1935	أغسطس (آب)
1935	نوفمبر (تشرين الثاني)
1936	فبراير (شباط)
1937	مايو (آيار)

الكتب:

- 1- عبدالرزاق الحسن، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الرابع، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة السابعة، بغداد، 1988.
- 2- غازي دحام فهد المرسومي ، البلاط الملكي في العراق ودوره في الحياة السياسية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2002.

الهوامش

1. غازي دحام فهد المرسومي، البلاط الملكي في العراق ودوره في الحياة السياسية، اذار العربية للموسوعات، بيروت، 2002.
- مرتبات ومخصصات الملك السنوية.
- 2- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1933، مطبعة الحكومة، بغداد، 1934، ص 363.
- 3- الوقائع العراقية، العدد 1265، 26 يونيو (حزيران) 1933.
- 4- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 75، الخزينة الخاصة، الوثيقة 20، كتاب من وزير المالية وكالة حكمت سليمان إلى دائرة المحاسبات العامة في 27 سبتمبر (أيلول) 1933م، ص 21.
- 5- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 3046، مستندات صرف، الوثيقة 187، ص 190.
- 6- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 43، ميزانية البلاط، الوثيقة 70، كتاب من حكمت سليمان وزير المالية وكالة إلى رئيس الديوان الملكي في 7 أكتوبر (تشرين الأول) 1933، ص 90.
- 7- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 5، موظفو البلاط، و 101، كتاب من علي جودت، رئيس الديوان الملكي إلى وزارة المالية في 16 ديسمبر (كانون الأول) 1933، ص 111.
- 8- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 3046، مستندات صرف، الوثيقة 75، إن دفع مبلغ 100 فلس لخط أحرف أسم الملك غازي وتصليح دراجة هوائية في 28 ديسمبر (كانون الأول) 1933، ص 76.
- 9- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 3046، مستندات صرف، الوثيقة، 81، ص 82.
- 10- الملفة نفسها، الوثيقة 32، ص 33.
- 11- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 44، ميزانية البلاط، الوثيقة 110، استمارة ميزانية رقم 2 (1934)، ص 145.
- 12- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 44، ميزانية البلاط، الوثيقة 110، استمارة الميزانية رقم 2، 3، 4، 5، لسنة 1934، ص 145 - 148.
- 13- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 44، ميزانية البلاط، الوثيقة 110، استمارة الميزانية رقم 2، 3، 4، 5 لسنة 1934، ص 145 - 148.
- 14- د. ك. و، ملفات البلاط الملفة 44، ميزانية البلاط، الوثيقة 109، كتاب وزارة المالية إلى رئاسة الديوان الملكي في 21 يناير (كانون الثاني) 1934، ص 142.
- 15- د. ك. و، ملفات البلاط الملفة 2991، حسابات 1934، الوثيقة 5، ص 5.
- 16- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 3099، مستندات صرف، الوثيقة 141، كتاب من علي جودت رئيس الديوان الملكي إلى صاحب مجلة الرابطة الإسلامية في 24 فبراير (شباط) 1934، ص 154.
- القواص هو عامل خدمات.
- 17- د. ك. و، ملفات البلاط، الملفة 3099، مستندات صرف، الوثيقة 145، ص 158.
- 18- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1934، مطبعة الحكومة، بغداد، 1935، ص 102.
- 19- الوقائع العراقية، العدد 1352، 30 أبريل (نيسان) 1934.

- 20- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 5، موظفو البلاط، الوثيقة 87، ملك موظفي الديوان الملكي ، كتاب وزير المالية ناجي السويدي إلى سكرتارية مجلس الوزراء في 12 مايو (أيار) 1934، ص 92 .
- 21- د. ك. و ، ملفات البلاط ، الملفة 44، ميزانية البلاط، الوثائق ، 38، 55، 56 ، ص ص 49 ، 72 ، 73 .
- 22- د. ك. و ، ملفات البلاط ، الملفة 3047، مصروفات الديوان الملكي ، الوثيقتان، 61، 62 ، كتاب من رئيس الديوان الملكي إلى لجنة إسالة الماء لمنطقة بغداد ، في 17 أغسطس (آب) 1934م ، ص 71-72 .
- 23- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 3046، مستندات صرف، الوثيقتان 103، 104، ص 118 - 119، د. ك. ملفات البلاط، ملقة الديوان الملكي، الوثيقة 3047 ، مصروفات الديوان الملكي، الوثيقة رقم 2 ، ص 2.
- 24- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 44، ميزانية البلاط الوثيقة 32 ، ص 44.
- 25- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 5، موظفوا البلاط وثيقة 58، كتاب وزارة المالية إلى رئاسة الديوان الملكي في 17 سبتمبر (أيلول) 1934، ص 62.
- 26- د. ك. و ، ملفات البلاط ، الملفة 44، ميزانية البلاط، الوثيقة 21، استثمار ميزانية رقم 3 لسنة 1935، ص 32.
- 27- د. ك. و ، ملفات البلاط ، الملفة 44، ميزانية البلاط، الوثيقة 12، كتاب وزير المالية يوسف غنيمه إلى رئيس الديوان الملكي في 19 نوفمبر (تشرين الثاني) 1934، ص 18.
- 28- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1934، ص 98.
- 29- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 3100، جداول شهرية حسابية، الوثيقة 3، ص 3.
- 30- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 45، ميزانية البلاط، الوثيقة 101، القرار 28 من قرارات مجلس الوزراء المتخذة في جلسته المنعقدة في 19 فبراير شباط 193، ص 132.
- 31- الملفة نفسها، الوثيقة 86، كتاب رستم حيدر، رئيس الديوان الملكي إلى وزارة المالية في 16 إبريل (نيسان) 1935، ص 110.
- 32- الملفة نفسها، الوثيقة 70، ص 94.
- 33- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1935، مطبعة الحكومة، بغداد، 1936، ص 144.
- 34- الوقائع العراقية، العدد (1451) ، 29 أغسطس (آب) 1935.
- 35- د. ك. و ، ملفات البلاط ، الملفة 3101، مستندات صرف 1935 - 1936 الوثيقة 101، ص 119.
- 36- د. ك. و ، ملفات البلاط ، الملفة 3101، مستندات صرف 1935 - 1936 الوثيقتان 101، 104، ص ص 122-199.
- 37- د. ك. و ، ملفات البلاط ، الملفة 45، ميزانية البلاط، الوثيقة 26، استمارات الميزانية 1-5 لسنة 1936 ، ص ص 36-40.
- 38- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 3101، مستندات صرف 1935 - 1936 ، الوثيقتان، 15، 17، ص ص 17، 19.
- 39- ' الوقائع العراقية' العدد 1474 ، 28 (نوفمبر) تشرين الثاني 1935.
- 40- د. ك. و ، ملفات البلاط، الملفة 3103، مستندات الصرف لسنة 1936 - 1937 الوثيقتان، 217-218 ، ص ص 226 ، 227.

- 41- الوقائع العراقية العدد 1492، 22 فبراير (شباط) 1936.
- 42- عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الرابع، دار الشؤون الثقافية العامة، طبعة السابعة، بغداد، 1988، ص 101-102.
- 43- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة، 3103، مستندات الصرف 1936-1937 ، الوثائق 72-77 ، ص 72-77.
- 44- وزارة العدلية، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1936، مطبعة الحكومة، بغداد، 1937، ص 167.
- 45- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 46، ميزانية البلاط، الوثيقة 7 ، ص 9.
- 46- الملفة نفسها، الوثيقة 20 ، كتاب رئيس الديوان الملكي إلى وزارة المالية في 14 سبتمبر (أيلول) 1936، ص 27.
- 47- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 46 ، ميزانية البلاط، الوثيقة 20 ، استمارة الميزانية رقم السنة 1936 ، ص 28.
- 48- للتفصيل عن الموضوع راجع عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق، ص 202 - 204 .
- 49- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 46 ، ميزانية البلاط، الوثيقة 7 ، كتاب رؤوف البحرائي وزير المالية إلى رئاسة الديوان الملكي في 23 سبتمبر (أيلول) 1936، ص 21.
- 50- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 46 ، ميزانية البلاط، الوثيقة 20 ، استمارة لميزانية رقم 1 لسنة 1936 ، ص 28.
- 51- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 3104 ، مستندات صرف 1936 - 1937. الوثائق 78 ، 92 ، 93 ، 94 ، ص 90-94.
- 52- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 47 ، ميزانية البلاط ، الوثيقة 97 ، ص 141.
- 53- الملفة نفسها، الوثيقة 100 ، كتاب رئيس الديوان الملكي إلى وزارة المالية بتاريخ 18 يناير (كانون الثاني) 1937 ، ص 144.
- 54- د. ك. و. ، ملفات البلاط ، الملفة 47، ميزانية البلاط، الوثيقة 98، كتاب من وزير المالية جعفر أبو الحسن إلى رئاسة الديوان الملكي في 23 يناير (كانون الثاني)، ص 142.
- 55- وزارة العدلية ، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1937، الجزء الأول ، مطبعة الحكومة، بغداد ، ص 4.
- 56- الوثائق العراقية ، العدد 1571، 29 مايو (أيار) 1937، د. ك. و. ملفات البلاط ، الملفة 47، ميزانية البلاط، الوثيقة 71، ص 108.
- 57- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 47 ، ميزانية البلاط ، الوثيقة 28 كتاب ناظر الخزينة الخاصة سعيد حفي إلى رئيس الديوان الملكي رشيد الخوجة بتاريخ 27 أكتوبر (تشرين الأول) 1937 ، ص 39.
- 58- الملفة نفسها، الوثيقة 22 ، استمارات الميزانية لسنة 1938 ، ص 33-35.
- 59- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 47، ميزانية البلاط ، الوثيقة 10، كتاب وزارة المالية إلى رئاسة الشيوخ الملكي في 1 ديسمبر (كانون الأول) 1937 ، ص 15.
- 60- د. ك. و. ، ملفات البلاط، الملفة 48، ميزانية البلاط، الوثيقة 4، اعتماد حساب شهر أبريل (نيسان) 1938م، ص 4.
- 61- وزارة العدلية ، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1938 ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1939 ، ص 241.

- 62- د. ك. و. ملفات البلاط، الملفة 49 ، ميزانية البلاط، الوثيقة 6 ، كتاب مديرية المحاسبات العامة إلى رئاسة الديوان الملكي رشيد الخوجة في 12 أكتوبر (تشرين الأول) 1939 ، ص 9.
- 63- الملفة نفسها، الوثيقة 12، استمارات الميزانية لسنة 1939، ص 17 – 23.
- 64- الملفة نفسها، الوثيقة 9، كتاب رئيس الديوان الملكي رشيد الخوجة إلى وزارة المالية بتاريخ 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 1938، ص 33 .
- 65- د. ك. و. ملفات البلاط ، الملفة 49 ، ميزانية البلاط، الوثيقة 26 ، كتاب وزارة المالية إلى رئيس الديوان الملكي في 10 ديسمبر (كانون الأول) 1938، ص 42.
- 66- د. ك. و. ملفات البلاط ، الملفة 49 ، ميزانية البلاط ، الوثيقة 49 ، كتاب رئاسة الديوان الملكي رشيد علي الكيلاني إلى وزارة المالية في 16 مارس (آذار) 1939، ص 72.
- 67- وزارة العدلية ، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1938 ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1939 ، ص 241.

استقالة المنهج في كتاب [الوهابيون والعراق] للدكتور رسول محمد رسول



أ.د. وليد محمود خالص*

وكتّاني أنظر إلى ما قرّره الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه [تكوين الفكر العربي] من [استقالة العقل] في بعض مراحل الثقافة العربية وهي تؤسس لنفسها منهجاً فكرياً تتبعه يقوم على الحدس والتخمين والإلهام في مقابل العقل، وإن كان ما قرّره الدكتور الجابري محتاجاً إلى وقفات، فكذلك كتاب د. رسول محمد رسول محتاج هو الآخر إلى وقفات، ومن هنا [استعرت] كلمة الاستقالة لأطلقها على المنهج العلمي الواجب اتباعه، والسير على هداه وخصوصاً في تلك الدراسات التي يكتبها حملة الدرجات العلمية العالية لنلا يختلط الحابل بالنابل، والشوك بالشجر، وتنتهي القضية إلى أسئحة من العلم والإعلام والدعاية مما يقدم صورة ضبابية توحى للمتلقى الاعتقادي أنها الحقيقة وهي أبعد ما تكون عنها، ومردّ ذلك كله البعد الواضح عن المنهج الذي يفترض الموضوعية، والاستقصاء، ونبذ الآراء الجاهزة، والافتراضات التي تبنى عليها نتائج خطيرة في حين لم يحفظها مصدر معتبر، مع دراسة وافية للمصادر ومعرفة مقدار وثوقيتها، ومرجعية أصحابها الفكرية والعقدية إلى آخر ما يقول به المنهج الذي ولد في حال تطبيقه تلك الدراسات الرصينة الناضجة التي ما تزال حية تعاند الزمن رغم قدمها، وظهور تيارات وأفكار جديدة؛ لأن سبب بقائها نابع من منهجها

* كلية الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة السلطان قابوس

الرصين الذي يقرأ، ويحاكم، ويقبل، ويرفض ملتزماً بدقائق المنهجية مبتعداً عن الضجيج الإعلامي، والأضواء الزائلة التي تمنح بريفاً خلباً سرعان ما يذوى ويتلاشى.

وأقول هذا الكلام ليس انتقاصاً من جهد د. رسول محمد رسول فليس بيننا من خلاف سابق، أو موقف نؤاخذ عليه، ويكمن الخلاف في هذا الكتاب وحده، وهو خلاف فكري بحث ليست له أبعاد أخرى، والقضية ببساطة أنه كتب ونشر فأصبح ما كتبه ملكاً للآخرين أكثر مما هو ملكه كما يقرّر أستاذي علي جواد الطاهر تغمده الله برحمته، وما دمت قد قرأت، وبذلت الجهد في القراءة، وكونت رأياً فمن حقي أن أكتب وهذا ما يقرّره أيضاً الأستاذ العقاد في إثبات حق النقد للقارئ سابقاً، وما أفاضت به نظرية التلقي في مفاصلها المهمة حاضراً.

جعل المؤلف [إضاءة: أينما وردت كلمة المؤلف في هذا البحث فيراد بها د. رسول محمد رسول صاحب الكتاب] كتابه في قسمين كبيرين سبقتهما مقدمة. ضمّ القسم الأول فصلين اثنين، بينما احتوى الثاني أربعة فصول، ولعله يريد بـ [القسم] هنا ما اصطلح عليه في منهج البحث بـ [الباب] الذي يضمّ فصلاً تزيد وتنقص وفق حاجة البحث، والمادة العلمية المجموعة له، المهم أن المؤلف اختار كلمة [القسم] ليشير إلى أن كتابه ذو قسمين كبيرين تحتها مباحث، وستضوي الملاحظات التي رأيتها على الكتاب تحت نوعين اثنين، أولهما: ملاحظات عامة تنتظم الكتاب كله وهي أشبه بالظواهر، وثانيهما: ملاحظات جزئية لا تتضح إلا بربطها في سياق المكان الذي وردت فيه. وسأبدأ بالنوع الأول.

تمكن الباحث من رصد ثلاث ظواهر تنتشر انتشاراً واضحاً في الكتاب، ويعتمدها المؤلف كآليات عمل لا ينفك عن الرجوع إليها، والالتكاء عليها دوماً، وهي التي عملت عملها في خلخلة المنهج، والتوقف بعدها عن الركون إلى النتائج التي توصل إليها، وهذه الظواهر هي:

1- المصادر: من المعروف أن المصادر هي عماد أي بحث منهجي مع نقاط تفصيلية داخل هذه الكلمة الكبيرة وهي [المصادر]، منها استيقاء الباحث، قدر الطاقة لمصادره، ونوعية هذه المصادر، أمي أصيلة أم وسيطة، والمعرفة الدقيقة بصاحب المصدر: عقيدته، وجهته الفكرية، قربه أو بعده عن الحدث المدروس، هذه كلها تشكل عوامل هامة في الثقة بمصدر ما، أو ترك الثقة به، وفوق ذلك كله كيفية تعامل الباحث مع المصدر نفسه وطريقة اجتزائه

النصوص منه، وقد لمسنا خمس حالات واضحة في تعامل المؤلف مع مصادره جانب فيها الأسس المنهجية الرصينة، الأولى أنه يغفل إغفالاً واضحاً مجموعة من المصادر كان عليه أن يعود إليها وهو بصدد الكتابة عن [الوهابيين والعراق] إذ يعتمد مثلاً سبعة كتب ورسائل لسبعة مؤلفين تحت ما يطلق عليه [نسق التمثيل النقدي]، وهذه الكتب والرسائل هي:

- منهج الرشاد لمن أراد السداد. جعفر كاشف الغطاء.
- مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود. عثمان بن سند البصري.
- عيون المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد. إبراهيم الحيدري البغدادي.
- المنحة الوهبية في الرد على الوهابية. داود بن جرجيس.
- الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق. جميل صدقي الزهاوي.
- الرد على الوهابية. محمد جواد البلاغي.
- رسالة نقض فتاوى الوهابية وردّ كلية مذهبهم. محمد حسين كاشف الغطاء.
- ومعلوم أنّ ما كتب في الردّ على الوهابية كثير جداً نستطيع إحصاء أكثر من خمسين كتاباً ورسالة في هذا الموضوع، ولكننا نقدم ثبناً ينقصه الاستقصاء الكامل يتضمن بعض الكتب والرسائل التي أغفلها المؤلف وهي لمؤلفين عراقيين، ويتضمن الثبت الأسماء الآتية:
- البراهين الجلية في دفع الوهابية. للعلامة الحائري. وهو مطبوع.
- التحفة الوهبية في الرد على الوهابية. للنقشبندي. وهو مطبوع.
- المشكاة المضية في الرد على الوهابية. علي بن عبدالله السويدي. وهو مطبوع.
- صلح الأخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفران في الرد على الوهابية. داود النقشبندي. وهو مطبوع.
- الآيات الجلية في ردّ شبهات الوهابية. مرتضى كاشف الغطاء. وهو مطبوع.
- الأوراق البغدادية والجوابات النجدية. إبراهيم الراوي. وهو مطبوع.
- صدق الخبر في خوارج القرن الثالث عشر. عبدالله الفضلي. وهو مطبوع.

- المواهب الرحمانية في الردّ على الوهابية. أحمد بن داود النقشبندي. وهو مطبوع.

- منشأ كلمة الوهابية. أحمد بن علي الكاظمي. وهو مطبوع.

- الصواعق والرعود في الردّ على الوهابية. عبدالله بن داود. وهو مخطوط.

فهذه عشرة كتب ورسائل يغفلها المؤلف وكان من الممكن أن تغني كتابه، وتقدّم له من الأيادي الشيء الكثير، وقد تمكنت من الوصول إليها بعد مراجعة سريعة لبعض ما يسمى في علم المنهج بـ [الكتب المفاتيح]، ومن المؤكد أن كتباً أخرى قد فاتتني إذ لست هنا في مجال الاستقصاء الكامل كما ذكرت، ولعلّ مرّة هذا الإغفال إلى التعجيل، وهو عدوُّ البحث العلمي اللدود، ومما يضاف هنا أن الكتابين الثاني والثالث في مسرد المؤلف لم يؤلّفاً خصيصاً للردّ على الوهابية بل جاء الحديث عنها ضمن مباحث الكتاب الكثيرة التي هي أقرب إلى التاريخ والسيرة الغيرية منها إلى الردّ الكلامي كما هو الحال في الكتب والرسائل الأخرى.

وتتمثل الحالة الثانية في سرد المؤلف حوادث تاريخية هي بحاجة ماسّة إلى توثيق ابتغاء الوصول إلى نتائج يريد إثباتها مهما كانت الوسيلة، ولكنّه يلقبها هكذا بلا مصدر يسندها، مثال ذلك الصفحات الآتية: 32-33، 36-37، 41-42، 65-66، 72-73، 75-76، 80-81، 95-96، 98، 102، 137 وغيرها، وأودّ أن أقف عند موضعين فقط من تلك المواضع الكثيرة لتجلية هذا الموضوع المهم، يقول مثلاً في ص 40: تعود نشأة الوهابية التقليدية في العراق إلى الفترة التي كان فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب مقيماً في مدينة البصرة... في هذه المدينة وجد الشيخ الماء والخضراء، ووجد أيضاً من الناس من اهتم بحاله كضيف قادم من مكان آخر، ويستمر على هذا المنوال في وصف حياة الشيخ في البصرة بمقدار صفحة ونصف بلا أي مصدر يرجع إليه مع أن المادة تاريخية صرفة، ولا يفوتنا التعريض الذي يرد في سياق كلامه عن الماء والخضراء، ولا ينقصه سوى الوجه الحسن الذي أضفناه من عندنا، فمادامت الأمور تجري هكذا فلتعمل الزيادة عملها، وليشتغل جهاز النقصان فليس من ضابط هناك مادامت المصادر غائبة.

ويقول في ص 95: في كلّ هذه المناصب العلمية القيادية التي تدرّج فيها كان

الآلوسي - يقصد محمود شكري - يدعو إلى المنهاج الوهابي في قراءة العقيدة الإسلامية،

وأسمى ذائع الصيت في هذا المجال. كان أنموذجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتابه المفضل بعد [القرآن] هو كتاب [التوحيد] للشيخ الوهابي، وكان كلما يذكر هذا الشيخ يقول: رضي الله عنه، وقد تمكن من التعبير عن هذه التبعية المذهبية أو الفرقة الغربية على المجتمع البغدادي من خلال مسارين، ثم يذكر المسارين، هكذا بلا مصدر، وقولته عن الألووسي إن كتاب الوهابي كان المفضل لديه، وإنه يترضى عليه، أقول إن هذا محتاج إلى مصدر، أو إلى معاصرة وسماع مباشر، ولم يتحقق هذان الأمران فكيف نصدق؟

أما الحالة الثالثة فهي تكراره قوله: "... حيث أشارت المصادر" [ص 56] و"إذ ذكرت المصادر" [ص 57]، وهي تفيد وفرة في المصادر التي ساقته الحادثة التاريخية التي يؤدّ الحديث عنها. وعند الكشف عن إحالاته ننسب أن هناك [مصدراً] واحداً فقط، فلماذا هذا التكثر غير الواقعي للمصادر؟ أهو لإيهام القاريء أن ما يقدمه من مادة تاريخية هي مادة موثقة مع أنها ليست كذلك؟

ونلمس الحالة الرابعة في تعامل المؤلف مع [المصادر] فيما نستطيع تسميته بـ [الانتقائية]، فهو يتبنى رأي [المصادر] التي وقفت على الضد من الوهابية بسرعة وبلا أدنى تمهل، بينما يسارع ليهتهم [مصادر] الوهابية بـ [التحامل] و [محاولات التجميل]، ومعلوم أن الباحث المنهجي في أمثال هذه المواقف الحساسة يلتزم الحذر الشديد في قبول أو رفض أي من الروايات وذلك بالموازنة بين ما ورد في المصادر جميعها مع محاولة الاجتهاد للخروج بنتيجة متوازنة هي أقرب إلى الحقيقة، وإن كانت الحقيقة الكاملة بعيدة المنال، والغريب أن المؤلف يتهم الشيخ محمد بهجت الأثري باعتماده [النزعة الاصطفائية] [ص 110] في قراءة التاريخ، ويستنكر على محمد بن عبد الوهاب من أن تعامله مع المراجع كان تعاملاً انتقائياً واصطفائياً متطرفاً [ص 122]، مع أنه يقع مثلهما - مع الأسف - في هذا الأمر، وسأقف في موضع لاحق عند هذا الأمر، وأكتفي هنا بالإشارة إلى الصفحات الآتية التي وقع فيها هذا الاصطفاء: ص 47-48، 69، 101، 122، 141، وغيرها، وسأقف عند شاهدين اثنين لهذه الحالة، أولهما ورد في ص 47-48 وهو قوله: "لا نريد أن نذهب أبعد من معطيات الروايات التاريخية التي وصلتنا وأكثرها موثوق به؛ لأن كل الوقائع ليست غائرة في القدم، إنما هي قريبة، ووصلت إلينا في نصوص تاريخية على رغم

أن بعض مؤرخة الوهابية أنفسهم حاولوا تجميل الوقائع بتجميل النصوص الواصلة إلينا إلا أن تنوع المصادر كان غالباً ما يفضح أكثر عمليات التجميل حنكة تلك التي جرت على النصوص من خلال تخفيف حدة بعض الكلمات الواردة في متون الوهابية الرئيسية أو نصوص الروايات التاريخية الخاصة بها، أتفق مع المؤلف في ضرورة التوقف عند معطيات الروايات التاريخية، وليته فعل هذا، غير أنه سارع إلى توثيق تلك الروايات بلا أعمال منهج التوثيق الذي يعتمد نقد الخبر داخلياً وخارجياً، والتثبت من المصدر الذي نقله، بينما يسارع مرة أخرى إلى إلغاء عمل [مؤرخة الوهابية] الذين حاولوا تجميل الوقائع، راح بعدها يوهمنا أنه اطلع على [متون الوهابية الرئيسية]، وعند التفتيش والتنقيب لم نجد سوى مصادر ذات اتجاه واحد تعتمد الانتقائية التي أشرنا إليها، وثاني الشاهدين هو نقده اللاذع لكتاب محمود شكري الآلوسي [المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر] الذي يصفه بأنه موسوعة لعدد غير قليل من المثقفين العراقيين كتب عنهم الآلوسي مؤرخاً لحياتهم وأعمالهم وأدوارهم الفكرية والثقافية والدينية والسياسية [ص 101] غير أنه يستدرك قائلاً: "ومن المعلوم أن الكتابة في هذا النمط من التأليف تفترض الموضوعية، هكذا فعل ابن النديم عندما كتب [الفهرست]، وهكذا فعل ابن أبي أصيبعة عندما كتب [عيون الأنباء في طبقات الأطباء] قديماً، وهكذا فعل الزركلي في كتابه [الأعلام] حديثاً، أما الآلوسي فأبى إلا أن يمارس دوراً مذهبياً - طائفياً حتى في أعماله البيبلوغرافية مثل المسك الأذفر، ثم ينقل قسماً من ترجمة واحدة هي للشيخ عبدالله السويدي، ويترك الكتاب كله الذي يقع بـ [450] صفحة في إحدى طبعاته، وقد أدخلت [الانتقائية] المؤلف في مداخل صعبة، إذ هو يحاول الخوض في بحر خضم من بحور الثقافة العربية الإسلامية هو [علم التراجم] الذي بدأ الاهتمام به مبكراً في عصر الثقافة العربية الإسلامية، وهو يوهمنا هنا مرة أخرى أنه قد قرأ تلك الكتب الثلاثة قراءة انتقائية وتوصل إلى تلك النتائج، وإلا فما معنى الموضوعية التي يدعيها لتلك الكتب وهي مختلفة في أهدافها، ومناهجها، وطرائق تأليفها، يعرف هذا من له مساس ضعيف بمصادر التراث العربي، فالفهرست كما يشير اسمه مسرد عام للكتب، والرسائل التي وضعها العرب وغير العرب إلى عصر المؤلف، وكتب عنه المستشرقون والباحثون العرب مباحث كثيرة في نقده، أما كتاب ابن أصيبعة فهو في [تراجم الأطباء] وحدهم، وقد أغفل جمهرة

منهم كانوا قبله أو من معاصريه مما حدا بالدكتور أحمد عيسى وهو يؤلف معجمه [معجم الأطباء] أن يشير إلى هذا الأمر لأنه أراده [نيلاً] لكتاب ابن أبي أصيبعة فهل نعتبر هذا الإغفال مؤكداً للموضوعية أم نافياً لها؟ أما أعلام الزركلي فله خبر آخر، فقد تناولته أقلام الباحثين بالنقد والتصويب، ووصل الأمر بالأستاذ المدقق أحمد العلوانة أن ينهد إلى تأليف كتاب كبير الحجم عظيم الفائدة في هذا الموضوع سماه [نظرات في كتاب الأعلام] يقع بـ [277] صفحة من القطع الكبير تعقب فيه الزركلي رحمه الله، وبين جواتب من أوهامه، وعثراته، ولا أريد الإطالة في هذا الموضوع فهو متشعب المسالك، وعر المخارج، يعرف دارسه أن كتب التراجم تفصح عن مواقف مؤلفيها، واتجاهاتهم الفكرية، وليس الآلوسي بدعاً في هذا، وإلا ماذا نقول في تلك الكتب التي جعلها أصحابها لمذهب واحد كطبقات الحنفية، أو الشافعية، أو الحنابلة، وماذا نقول في [أعيان الشيعة] و [طبقات المعتزلة]، و [معجم علماء الإباضية]، إن الدارس المنهجي حين يترك [الانتقائية] وينظر بعين [الموضوعية] إلى تلك الكتب سيجد فيها أشياء وأشياء، وهو مما لم يفعله المؤلف فأدخل نفسه في تلك المداخل الضيقة وكان في مندوحة عنها.

أما الحالة الأخيرة وهي الخامسة في تعامل المؤلف مع المصادر فتظهر في اعتماده على [مراجع] وسيطة للتدليل على رأيه، وقامت تلك المراجع بالإحالة إلى المصادر التي كان من المفترض بالمؤلف أن يكون قد اطلع عليها أو قرأها. وهذا ما يصطاح عليه بـ [حجاب المرجع الوسيط] ومن مظاهر هذا الحجاب سلطة المرجع الوسيط في توجيه المؤلف إلى قراءته الخاصة المستمدة من رؤية المرجع نفسه لا من رؤية المصدر الأصلي بالإضافة إلى الانتقائية التي يعتمدها المرجع الوسيط - وهذا شأنه - في اجتزاء النصوص مما يشكل غياب الصورة المتكاملة التي أراد المصدر رسمها للحدث بلا ضغوط من سلطات أخرى. مثال ذلك: ص 54، ص 80، ص 95، ص 98، ص 132، ص 139-140، ص 191 [إحالة رقم 31]، وستوقف عند ثلاثة شواهد على هذه الحالة، الأول تلك المجزرة المريعة التي قام بها الوهابيون حين استباحوا مدينة كربلاء سنة 1802، فنرى المؤلف ينقل عن كاتب روسي هو فاسيليف تفاصيل تلك المجزرة ويأتي في سياق الوصف قوله: "... لأنهم - الوهابيين - يعتقدون بأن الحجر الذي بنيت منه القباب مصبوب من ذهب ويضيف نقلاً عن [منجيين] أن

الوهابيين حصلوا على سيوف مرصعة... [ص 54] إلى آخر الوصف، فمن هو [منجيين] الذي ينقل عنه فاسيلييف؟ وما اسم كتابه أو دراسته؟ إن هذا كله لم يكن في حساب المؤلف، بل القصد هو نقل المشهد وكفى. أما الثاني فقد ورد في ص 80 حين يقول المؤلف: "... ولكن السيد نعمان - الألو سي - كان قد وضع كتاباً نشر في مصر عام 1880 عنوانه [جلاء العينين في محاكمة الأحمديين] وهو كتاب حوار، وكان يقصد بالأحمديين: أحمد ابن حجر، وأحمد بن تيمية على ما يقول عبدالعزيز نوار"، ويحيل إلى كتاب د. عبدالعزيز [تاريخ العراق الحديث]، وهذا يعني أن المؤلف لم يطلع على كتاب جلاء العينين بنفسه كي يتثبت من وصف د. نوار له بل اكتفى بالمرجع الوسيط، وهو غير جائز في المنهج العلمي. أما الشاهد الثالث فهو يلخص تماماً ما سفتناه سابقاً من قضية تعامل المؤلف مع المصادر، وذلك حين ينقل نصاً من كتاب [مطالع السعود] لعثمان بن سند وهو قوله: "لقد صنّف في مناقب ابن عبدالوهاب من مال إلى الباطل... وتداول كتابه هذا أراذل، لا يفرقون بين القويم والمائل... لم أر الكتاب بطرف، ولم أود أن أسمع عنه حرف، ولكن نقل إليّ من لا أتهمه في دينه ونقله... أنه كتاب اشتمل على قبائح ومعائب على أهل الإسلام... [ص 139]، يبني المؤلف على نص عثمان بن سند نتائج ونتائج يبد أنه لم يلتفت إلى الخطأ المنهجي القاتل الذي ارتكبه عثمان بن سند من إهماله قراءة [الكتاب] معتمداً على السماع وحده، راح بعده يكيل ما يكيل من الأوصاف، ولست معنياً هنا بالدفاع عن أحد بقدر رغبتني في قيام المؤلف بتصحيح خطأ عثمان بن سند، والإطلاع بنفسه على الكتاب فضلاً عن كتب محمد بن عبدالوهاب الأخرى، ولو فعل هذا لاعتدل الميزان، وجاءت الأحكام أكثر قرباً من الصواب، ولكن للمؤلف انشغالاته الأخرى التي ليس من ضمنها هذا الانشغال.

2- الافتراض وبناء النتائج عليه: هذه هي الظاهرة الثانية التي تنتظم الكتاب وهي من أخطر المشاكل التي تصيب مقتلاً في المنهج العلمي، ويلجأ الباحث - أي باحث - إلى الافتراض حين تعوزه المصادر، أو القرينة الواضحة الدالة، عند ذلك يلجأ إلى الافتراض والتخمين، وربما شطح به الخيال فتصوّر أموراً لم تقع، وحمل النصوص مالا تحتمل، ولوى أعناق تلك النصوص لتنفاد له وربما أدى هذا الليّ إلى الكسر الذي لا تجبار بعده، وقد كثر هذا الأمر في الكتاب منذ صفحاته الأولى مثال ذلك، ص 28، ص 85، ص 92، ص 85، ص 86-85، ص 91-92،

ص 94، ص 103، ص 117، ص 158، وغيرها، ويكمن الخلل المنهجي الواضح في هذا الموضوع حين يرتب المؤلف نتائج غريبة على هذا الذي افترضه محاولاً بهذا كله إضفاء طابع من الاتساق والاتساجم على مقدماته فننتج، والاتساق والاتساجم أمران مطلوبان في منهجية البحث تشيران إلى مهارة الباحث وقدرته على التلقّي الذكي للنصوص، وبعد هذا تنظيم هذه النصوص وفق عمليات تراتبية تؤدي إلى النتائج المستقاة من النصوص نفسها، أما النتائج المبنية على الافتراض فتفتقر إلى هذا كله إذ سرعان ما تنهار لأنها كانت أشبه بـ [مدن الملح]، مثال ذلك ما جاء في ص 92 حيث يقول: "ما أريد أن أصل إليه هنا أن علاقة متينة بين الشيخين تبقى رهن ما هو افتراضي، ولكن افتراض علاقة مذهبية - مرجعية بينهما هو أمر مرجح لديّ، علاقة فكرية عن بُعد تأثر بها الشيخ السويدي بفكر شيخ الدرعية ولمشروعه الديني، وتواصل معه عبرها من دون لقاء معلوم"، والشيخان المقصودان في النص هما عبدالله السويدي ومحمد بن عبدالوهاب، ويلخ المؤلف في مواضع أخرى في سبيل إثبات علاقة، أي علاقة من نوع ما بين السويدي وعبدالوهاب ليقدّم بالاستناد إلى هذه العلاقة نسباً موثقاً به لتاريخ دخول الوهابية إلى العراق، وحين أعوزه الدليل الواضح لجأ إلى [افتراض] علاقة مذهبية - مرجعية بينهما على حدّ قوله مع أن الحقائق التاريخية تضعف هذا الافتراض، فقد ولد السويدي سنة 1692، وتوفي سنة 1760، وولد محمد بن عبدالوهاب سنة 1702 وتوفي سنة 1791، أي إن السويدي توفي قبل وفاة شيخ الوهابية بنحو خمسة وثلاثين عاماً [ص 86]، كما يقول المؤلف وهذا يجعل من قبول فكرة التأثر صعبة للغاية، كما إن الرواية التي تذهب إلى أن عبدالوهاب قد زار بغداد رواية يعتمدها الشك، [ينظر ص 69] يضاف إلى هذا أن بغداد وهي تحت الحكم العثماني كانت تعيش مناخاً معادياً تماماً لدعوة الشيخ عبدالوهاب، فلم يكن بمكنته أن يفعل شيئاً وإلا سيكون مصيره كمصيره في البصرة، وهذا يؤكد أن السويدي نفسه وهو المقرب من الوالي العثماني لم يكن له أن يعتنق فكراً أو عقيدة هي على خلاف عقيدة أو فكر الحاكم، ومما يعزّز هذا الرأي ما رأيناه في المسرد الذي قدمناه آنفاً، وفيه أن واحداً من الكتب التي ألغت في الرد على الوهابية كان لعلي بن عبدالله السويدي وهو [المشكاة المضية في الرد على الوهابية]، ولعله ابن عبدالله السويدي نفسه، مما يعني أنّ [العائلة] كانت مشغولة بهذا الطاريء الجديد على المجتمع

البغدادي فقابليته بالتحفظ والنقد لا بالاحتضان والتبني كما حاول المؤلف أن يصل إليه، وما يدعم هذا الرأي ذلك الردّ الشديد الذي جوبه به كتاب [التوحيد الذي هو حق الله على العبيد] لمحمد بن عبد الوهاب حين وصل إلى بغداد مصحوباً برسالة من الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فقد كلف الوالي سليمان باشا الكبير أحد علماء بغداد وهو الشيخ عبد الله أفندي الراوي بالرد عليه، فقام بالمهمة خير قيام، [ينظر الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحمن، 192/1]، مما يؤكد أن السويدي وغيره من علماء بغداد كانوا يدورون في فلك هو بعيد جداً عن فلك الوهابية ودعوتها الوافدة إليهم.

ونكتفي بالشاهد الآتي على هذا الموضوع وهو قول المؤلف [ص 103]: "وكان اختيار الباب العالي للآلوسي كرسول إلى آل سعود فيه مقصد كبير، فالآلوسي صاحب حظوة لدى آل سعود لأن الأول كان قد تماهى مع عقيدة الوهابية التي تبناها آل سعود تباعاً مما يعني أن دعماً معنوياً ومادياً أخذ ينهال على السيد محمود إكراماً له من آل سعود لسضيه قدماً في ما يريده الوهابيون وساستهم في نجد لنشر وتصريف الدعوة الوهابية بالسراق"، ومن الواضح أن المؤلف يعرض هنا بالآلوسي تعريضاً بعيداً عن المنهجية، ومردّ هذا إلى [الافتراض]، فمادام الآلوسي يؤمن بمذهبهم فلا بدّ من أن يعطوه، ولي على هذا [الافتراض] ذي الخيال الجامح ثلاثة ردود، أولها إن الأمراء السعوديين في ذلك الزمن الذي تمت فيه الوساطة وهو سنة 1914 لم يكونوا بذلك الثراء المعروف عنهم اليوم، إذ حتى عام 1930 لم يكن لهم من الموارد سوى تلك الغزوات المتكررة خارج الحدود بالإضافة إلى ما يجنونه في موسم الحج، حتى بدأ التنقيب عن البترول الذي ظهر سنة 1938 [ينظر تفصيل هذا في لمحات اجتماعية، د. علي الوردي، ملحق 348/6، وما بعدها]، ولهذا فلم يكن لهم ما يعطونه لا للآلوسي ولا لغيره، وثاني الردود هو إن د. علي الوردي في كتابه لمحات اجتماعية، 101/4 وما بعدها مع مصادره يجمعون على أن تلك الوساطة التي قام بها الآلوسي قد فشلت فشلاً ذريعاً بسبب تكوين الآلوسي العلمي السذي يفتقر إلى الدبلوماسية، وبهذا الصدد يقول د. الوردي: "ويخيل لي أن إرسال الآلوسي لمفاوضة ابن سعود كان كمثل إرسال أبي موسى الأشعري لمفاوضة عمرو بن العاص عقب معركة صلطين". [103/4]، كما لم يرد أي ذكر في تلك المصادر لدعم ما دي انهال على الآلوسي حسب تعبير

المؤلف، والسبب معروف بجيء على هيئة سؤال هو: لماذا يعطون الألووسي أي شيء والمهمة نفسها قد فشلت؟ وثالث الردود هو الوصف الدقيق الذي حفظه لنا العلامة انستاس ماري الكرملي لصديق عمره محمود شكري الألووسي الذي كان مطلعاً إطلاعاً قريباً على أوضاعه اليومية. يقول الأب انستاس: "... ومما دلّ على تدينه وزهده أنه كان يأكل فقط ما يسد به الرمق ومن الأكل البخس الثمن، وكان لا يلبس إلا الرث البالي... والخلاصة: كان الرجل آية في التواضع والفقر، كما كان آية في العلم والدين" [ينظر أعلام العراق، ص209]، ولو صح ما توهمه المؤلف من تلك العطايا التي انتهالت عليه لوجب أن تظهر آثارها عليه لا أن ينزوي في بيته قانعاً بالقليل القليل، ومن يقرأ كتاب [أدب الرسائل بين الألووسي والكرملي] بتحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد يجد مصداق ما نذهب إليه، تفقده رسائل الألووسي وحتى ردود الكرملي تشير إلى حال ضيقة، وعسر مستديم مما لا يستقيم بحال مع تلك العطايا المزعومة، ولكنّه [الافتراض] الذي يؤدي إلى تلك النتائج، وحق له أن يصنع هذا وأكثر.

3- غياب الوسط التاريخي: والمراد به افتقاد الكتاب للحسن التاريخي من حيث ربط الأحداث بسياقاتها التاريخية، والقوى الكبرى الحاكمة في ذلك الوقت، وإلقاء الأحداث والقوى المزمنة فيها إلقاء يوحى أنها تتحرك في فضاء فارغ إلا من تلك الأحداث، ولا يقوم المؤلف بربط الأحداث بسياقها إلا حين يضطر اضطراراً إلى ذلك، وإلا فمجرى الكتاب وخصوصاً في قسمه التاريخي يؤكد المقولة السابقة، وقد رأينا شاهداً على هذا فيما سبق مع الألووسي حين نستلّ وساطة الألووسي من سياقها التاريخي وألقاها هكذا محاولة منه لإثبات شيء ما، وإلا فإن وساطة الألووسي جرت ضمن خطة قامت بها الدولة العثمانية لاستمالة المسلمين إلى جانبها في حربها مع الحلفاء [ينظر تفصيل هذا في لمحات اجتماعية، د. علي الورد، 101/4، وما بعدها]، ولم تنجح تلك الخطة في أغلب الأحوال، يضاف إلى هذا الصفحات الآتية على غياب الوسط التاريخي: ص30، ص35، ص37، ص44، ص56-57، ص115، وما بعدها، وغيرها، ولعلّ شاهدين من بين تلك الصفحات يوضح ما نقصده، يقول المؤلف في ص37: أما البعد الديني في هذه الاستراتيجية فيمكن تلخيصه بوصفه غاية، ففي السنة ذاتها التي رحل فيها الشيخ إلى الدرعية 1743 - 1744 وعلى نحو صاحب أخذت المآذن في مكة تلحن

الرافضة، والمقصود بهم [الشيعة] وفي الواقع أن الوهابيين غالباً ما يعمون اللقب [الرافضي، الرافضة، الروافض، الأرفاض] على كل المسلمين الشيعة في العالم، وهذا خطأ استراتيجي وقع فيه أهل الخطاب الوهابي، اتفق مع المؤلف في خطأ إطلاق كلمة [الروافض] على الشيعة اتفاقاً تاماً ولكن ما علاقة الوهابية وما يؤمنون به بمكة المكرمة سنة 1743، أو سنة 1744؟ ومكة في ذلك التاريخ كان يحكمها الأشراف بالاتفاق مع الدولة العثمانية وهم على عداة دائم مع الوهابيين. ولم يستطع الوهابيون فتح مكة للمرة الأولى إلا في سنة 1803 في عهد حكم الشريف غالب الذي كانت مكاتباته في تلك الفترة تصل إلى استانبول وإلى مختلف الجهات تصف آل سعود بأنهم كفار خارجون عن الدين، وتجب محاربتهم والقضاء على بدعتهم [الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحمن، 145/1]، ومما يذكر هنا أن الوهابيين فتحوا المدينة المنورة سنة 1803 و 'خربوا المسجد النبوي ونهبوا التحف التي فيه وهي هدايا من ملوك الهند ومصر والسلجوقيين والعثمانيين' [ينظر لمحات اجتماعية، د. علي الورد، 194/1]، وكان الدخول الأخير لمكة قد وقع سنة 1924 في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود بعد معارك ضارية مع الأشراف بسطت الحديث فيها كتب التاريخ. أقول مرة أخرى ليست هناك من علاقة البتة بين ما يسوقه المؤلف وبين الوهابية من حيث لعن [الرافضة] على حد قوله، فهم ما يزالون في بواكير حركتهم، ويحتاجون إلى وقت طويل ليمدوا أبصارهم خارج حدودهم كما سيفعلون بمكة والمدينة كما ذكرنا أو العراق، ولكن الوسط التاريخي المعلوم هو الذي يؤدي إلى هذه النتائج، ونرى هذا واضحاً في ص 56-57 تحت عنوانين هما: غزو النجف... ولكن، وبغداد... أيضاً. وهنا يتكرر المشهد أيضاً من حيث تغييب الدولة العثمانية التي كان العراق يرزح تحت نيرها، ويقدم الأحداث وكأنها حرب بين الوهابيين من جهة وأهل النجف وبغداد من جهة أخرى، ولكنه يضطر بعد حين إلى القول: "... وفي الصباح طالت الوهابيين نيران مدافع المدينة [النجف] فخسروا نحو خمسمائة مقاتل" ومعلوم أن هذه هي مدافع الجيش العثماني الذي كان يحتل سائر أرجاء العراق ومنها النجف، ولم يشأ المؤلف الاقتراب من هذا الوسط التاريخي ليضع الأمور في نصابها بل آثر لكتابه أن يسبح في فضاء بعيد منقطع عن السياق التاريخي، وهذا ليس من المنهج في شيء.

هذه هي الظواهر العامة التي انتظمت الكتاب، وهي بمجموعها تشير إلى توجه من نوع ما اعتمده المؤلف مما أدى إلى الكثير من الشك في النتائج التي توصل إليها، وننتقل الآن إلى الملاحظات الجزئية التي لا تفهم إلا في مواضعها من الكتاب، وسنقف عندها واحدة فواحدة، وهي:

1- من الضروري أن نشير هنا إلى أمر بات قريباً من المسلمات، لانتشاره في المصدر على اختلاف اتجاهاتها وهو إن "الوهابية كلمة أطلقها الخصوم على هذه الدعوة، أما أنصار الدعوة فيسمون أنفسهم الموحدين أو المسلمين" [ينظر الاتجاهات الفكرية عند العرب، د. علي المحافظة، ص 39 مع مصادره]، ومن هنا وجبت الملاحظة إلى أن عنوانات الكتب التي وردت في الثبت المتقدم تلك التي ألفت في الرد على هذه الدعوة كانت تحمل كلها اسم [الوهابية] كأنها تبدأ الهجوم منذ الكلمة الأولى، وقد أخذ المؤلف بهذه التسمية، وجارسته فيها لانتشارها. غير أن التنويه هنا أمر يفرضه المنهج.

2- تبدأ المقدمة بتقرير أمر هو أشبه بـ [الحقيقة] من وجهة نظر المؤلف، وهو قوله في خلال عقود فائتة من القرن العشرين ظل الحديث عن الخطاب الوهابي في العراق من قبيل غير المرغوب في خوض غماره وذلك لأسباب كثيرة [ص 9]، وليعزرنى القاريء الكريم عن ذكر تلك الأسباب الكثيرة لسبب بسيط هو إن المؤلف لم يذكرها بل تعدها إلى قضايا أخرى، والنص الذي سقتاه يحمل ضعفه بين جنباته، فما هو المقصود بالعقود الفائتة، أهي من أوائلها أم أواسطها أو أواخرها، يضاف إلى هذا مخالفة النص السابق لواقع الحال، فهناك كتب ودراسات عالجت هذا الموضوع بروح علمية أو بروح دعائية، ولعل أقربها ما صنعه د. علي الورداني نغمده الله برحمته في كتابه المهم [لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث] إذ أفسح لعلاقة الوهابية بالعراق صدر صفحات كثيرة من كتابه منذ بدء صدوره سنة 1969، وحتى توقف أجزاء كتابه، مع التنبيه إلى أنه يفرد جزءاً خاصاً من الكتاب يقع بـ 366 صفحة عنوانه الفرعي [قصة الأشراف وابن سعود]، وهو حديث

مسهب عن الوهابية وحروبهم مما يشير إلى ضعف مقولة المؤلف. ولعل محاولة ربطها بالخطاب السياسي هو الذي حدا به إلى ذلك القول.

3- يعقد المؤلف موازنة جيدة في بابها بين الوهابيين والمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية [ص 17] فكلاهما جذروي في تصريف خطابه، وكلاهما يتوسل الكونية في طموحاته لبسط القوة والسيطرة، وكلاهما أيضاً يعمل بنفس إمبراطوري سلطوي متعولم، وكلاهما عابر للجغرافيا، وكلاهما يحارب الشر من منظوره الخاص، وكلاهما يسعى إلى تحقيق العدالة والأمن في العالم مع فارق الخصوصية المرجعية لكل منهما، إن هذه الموازنة تشير إلى خلاصة تجربة المؤلف مع فكر الوهابية والمحافظين الجدد كليهما بالإضافة إلى تطبيقات ذلك الفكر على الحياة بمختلف مناحيها: السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وحتى العسكرية، ومن الممكن اعتبارها نقطة مضيئة في الكتاب لم تتكرر كثيراً بسبب اتجاه الرؤيا الواحدة الذي عرقل من عمل المنهج وآلياته.

4- تنتهي المقدمة بقوله [ص 20]: "إن تناول موضوع (الوهابيون والعراق: سياسات التوهيب وأنساق التلقي) يبدو بكرة حتى اللحظة"، فهل هذا عنوان آخر للكتاب؟

5- جعل المؤلف عنوان القسم الأول هو [عقائد الشيخ وسيوف المحارب] ويريد بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، أما المحارب فهو الأمير محمد بن سعود، وقد عقدا حلفاً مشتركاً بينهما يقوم الشيخ بموجبه بنشر أفكاره التي بدأ التبشير بها في وقت مبكر، بينما يقوم الأمير بدعم هذه الأفكار بقوة السلاح، وضم هذا القسم فصلين اثنين يكادان يكونان مسردين تاريخيين لنتائج ذلك الحلف وما جلبه من غزو، وتدمير لبعض مدن العراق خصوصاً. وما يهتما هنا هو ما ختم به المؤلف الفصل الأول وهو قوله [ص 44]: "... لذا سعى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلى نحو مبكر إلى مذ صلاته مع أتباعه في العراق لممارسة ضغوط عدة بقصد كسب جانب من شرائح المجتمع السني هناك، فكان يرسل الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السويدي، وكان والد هذا الرجل قد عقد مؤتمراً بين السنة والشيعية في النجف الأشرف عام 1743،

إلا أنه لم يكن نظيفاً في مسعاه إذ مال إلى ما هو طائفي، أقول: هكذا يكتب المؤلف التاريخ القريب، فكيف بالتاريخ البعيد، ولعلني أستحضر بيت الرصافي:

نظرنا بأمر الحاضرين فرابنا

فكيف بأمر الغابرين نصدق

وهذا شاهد آخر على [انتقائية] المؤلف، و [توجيه] النصوص وجهة هي بعيدة عن مقاصدها، فكلمة [أتباع] الواردة في النص تقتضي ثلاثة فأكثر فأين البقية وهو لم يذكر سوى واحد فقط؟ وفي قوله إن عبدالله السويدي [عقد مؤتمراً] مغالطة كبيرة سيتناقض معها بنفسه في [ص 86]، ومؤدى كلامه أن السويدي هو الذي رتب لهذا المؤتمر، ودعا إليه من دعا، وانتهى فيه إلى نتائج يريدتها، ومعلوم أنه يقصد بذلك المؤتمر مؤتمر النجف الذي عقد بإرادة قوية، وتصميم متين من نادر شاه ملك إيران في ذلك الوقت، وقد أحضر معه إلى النجف سبعين عالماً شيعياً، وسبعة علماء من تركستان، وسبعة من أفغانستان، واستدعى من كربلاء السيد نصرالله الحائري، كما طلب من والي بغداد أحمد باشا أن يرسل أحد علماء بغداد فأرسل إليه الشيخ عبدالله السويدي، [لمحات اجتماعية، د. علي الوردي، 131/1، وما بعدها]، هذا ما يقوله د. علي الوردي رحمه الله بهذا الصدد، وهو يختلف اختلافاً بيناً عما قرره المؤلف سابقاً، وأضيف هنا متسائلاً هل كان بمكنة عالم في بغداد أن يعقد مؤتمراً بهذا الحجم، وهذه الكثافة من الحضور وخصوصاً أن المؤلف نفسه يصف السويدي بأنه مثقف سلطه [ص 93]، فهو تابع للسلطة يقول بقولها، ويأتمر بأمرها، ومن المفيد أن نورد هنا رأي د. علي الوردي بهذا الصدد فهو جلاء لهذا الموضوع، يقول: "... أرجح الظن أن العامل الأساسي في نجاح مؤتمر النجف على الرغم من عقم طريقة الجدل فيه هو ما يمكن أن نسميه بـ (إرادة الجبار)، ونعني بها إرادة نادر شاه، فقد كان هذا الرجل يريد نجاح المؤتمر بأية صورة، والظاهر أنه أوعز قبيل انعقاد المؤتمر إلى الملا باشي، وسائر علماء الشيعة بأن لا يكثروا من الجدل مع السويدي، ولا يعاندوه " [لمحات اجتماعية، 136/1]، هذا هو لب الموضوع وجوهره بالإضافة إلى الدوافع السياسية والأحلام العريضة التي كان

نادر شاه يتمنى تحقيقها لتوحيد سائر مملكته، ولهذا لم يعد من معنى لقول المؤلف بعدم نظافة السويدي فالمسألة أكبر من السويدي ومن العلماء الذين أحضرهم نادر شاه معه.

6- يذكر المؤلف في إحالات الفصل الأول [ص 45] اسم الدكتور إبراهيم الوائلي، وينسب له كتاباً هو [هوية التشيع]، ومن المعلوم أن [هوية التشيع] للشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله، الخطيب المنبري المعروف، أما إبراهيم الوائلي رحمه الله فلم يحصل على درجة الدكتوراه، وإن كان أكبر منها بكثير بما استوعب من علوم، وأدى من أدوار ثقافية، وتربوية، وهو من الأساتذة الذين تشرفت بالجلوس إليهم في كلية الآداب - جامعة بغداد في سبعينات القرن الماضي، ولي عنه كتاب صدر حديثاً، وسيكرر المؤلف هذا الأمر في [ص 76] حين يعود إلى كتاب الأستاذ إبراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، ويصفه بـ [الشيخ]، وهو يقصد [الشيخ] أحمد الوائلي وسيعود إليه في [ص 84] رقم [26] حين يقول: "قال الشيخ الدكتور إبراهيم الوائلي... في هوية التشيع"، فما معنى هذا التكرار؟

7- يقول المؤلف في ص [48]: "إن الوهابيين في إحدى غزواتهم للبصرة دمروا القباب المضروبة على مرقد طلحة والزبير، وكلاهما سني"، وقد وقعت بدهشة إزاء هذا النص، فهو يسوقه أولاً هكذا بلا مصدر، والأمر الأبلق فيه ثانياً هو نسبة طلحة والزبير إلى [التسنن] مما يشي بإغفال واضح لموضوع نشأة المذاهب الإسلامية، وحراكها السياسي والاجتماعي، فكيف يعقل أن ينسب صحابي إلى تسنن، أو اعتزال أو خروج، اللهم غير ما رأيناه من [تشيع] بعض الصحابة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مما هو مبسوط مفصل في كتاب الدكتور كامل مصطفى الشيببي [الصلة بين التصوف والتشيع] في جزئه الأول وسواه من الكتب التي اهتمت بهذا الموضوع، ولم تستقر المذاهب الإسلامية ومرجعياتها العقدية إلا في وقت متأخر بعد وفاة الصحابة بمدة ليست بالقصيرة.

8- يقول المؤلف في [ص 49]: "في ضوء تحليل الوقائع، وتشخيص مقاصد الأمكنة وجدنا ببساطة أن نظام القيم الذي كان يتحرك بمقتضاه الوهابيون يحدّد تصريح الدعوة في المدن الدينية العراقية الشيعية على نحو خاص"، يقرّر هذا الأمر بعد الكلام السابق مباشرة حين مرّ الوهابيون مرقد طلحة والزيبر [السنين !!!] على حدّ قوله. والقضية برمتها تحتمل تفسيراً آخر غير الذي ذكره، وهو روح البداوة المسيطر على الوهابيين، وعشق الغزو، والجنوح دوماً إلى الخروج على القانون، وقد أدرك د. علي الوردي بثاقب نظره، وطول أناته في التتبّع هذا الأمر حين قال: "أدخل الشيخ محمد في عقول أتباعه مبدأ الجهاد المقدس باعتباره أهم الفروض الدينية، وبذا وضع إصبعه على النقطة الحساسة في المجتمع البدوي، وهي الغزو والغنيمة، فصارت القبائل تتهافت على الانضمام إلى الدعوة الجديدة، وكان كل نصر تناله الدعوة في غزواتها يزيد من عدد أتباعها، ومن حماسهم لها" [لمحات اجتماعية، 1/180]، فالمسألة ليست مذهبية في أعماقها، بل هي تعبير عن نزعة بدوية أصيلة وجدت متنفساً لها في هذه الدعوة التي تجيز قتل من يخالفها كأنها من كان، ولا ننسى هنا أن الدولة العثمانية كانت في حروب متصلة مع الوهابيين بحسبان أن الأتراك مشركون يحلّ قتلهم على حدّ قول الوهابيين عنهم، ومن هنا رأينا ذلك الانتهاك البشع لحرمة المدينة المنورة، ومكة المكرمة، وكربلاء، والبصرة، وهي مدن تختلف في اتجاهاتها المذهبية ذات تنوع سكاني متباين.

9- ومما ينضوي تحت الموضوع السابق قول المؤلف في [ص 54]: "... ومن المحتمل كذلك أن حاكم كربلاء حينها، وهو سني متعصب لم يتخذ الإجراءات اللازمة للدفاع عن هذه المدينة"، إذ يترك المؤلف هذا الأمر بلا مصدر يسوقه للتوثيق، بالإضافة إلى صيغة الاحتمال التي يفتتح بها كلامه، وهي توميء إلى [التمريض] أي الشك في الخبر، وأعتقد أن مصدره هو د. علي الوردي الذي يسوق الخبر بشكل مختلف تماماً حين يقول: "... ويذكر السائح الهندي مرزا أبو طالب خان - وكان قد زار كربلاء بعد الواقعة - أن الناس كانوا يتهمون عمر أغا حاكم البلدة بأنه كان متواطئاً مع الوهابيين، وقام بمكاتبتهم، ولم يعمل شيئاً لحماية البلدة" ويطلق د. الوردي بقوله:

... والثابت أنه هرب إلى قرية قريبة من كربلاء أول ما علم بالخطر فلم يدافع قط، وقد قتله سليمان باشا أخيراً، [لمحات اجتماعية، 190/1]، إن هروب هذا الحاكم هو المفتاح لفهم القضية، فقد هرب لاعتقاده أن الوهابيين سيقتلونه أسوة بسكان المدينة بسبب الخلاف الجذري بينهم وبين الدولة التي يمثلها، وجاء قتله بأمر الوالي قصاصاً عادلاً لخيانته واجبه في الدفاع عن المدينة، وهو المنتظر من الحاكم المخلص.

10- يقول المؤلف في [ص 99]: '... وفي سياق مخاوف الآلوسي - محمود شكري - من تداعيات رفض المجتمع العراقي لمشروعه التوحيبي أثار الرجل عندما ألف كتابه (غاية الأمان في الرد على النبهاني) عدم كتابة اسمه الصريح عليه، وبدلاً من ذلك كنى نفسه كمؤلف بـ (أبي المعالي الحسيني)، وزاد عليها (السلامي الشافعي) لنلا يتضح اسمه خوفاً على نفسه، وهذه هي التقية التي كان الآلوسي يعيها على الشيعة'. يشكّل محمود شكري الآلوسي هاجساً مقلقاً للمؤلف، فهو يتتبعه في مواضع كثيرة من كتابه، وقد وقفنا عند واحد منها فيما سبق، وهنا يعرض المسألة بصورة غريبة، فبالإضافة إلى أنه لم يرَ الكتاب المشار إليه وهو يقع بمجلدين، وهو مطبوع في القاهرة، أقول بالإضافة إلى ما سبق فإن استخدام (كنية) أو (لقب) بدل الاسم الصريح لا علاقة له بالتقية التي يتحدث عنها المؤلف، فهي ظاهرة شائعة في الوسط الثقافي يومذاك، لا ينفرد العراق بها، بل هي موجودة في الوطن العربي، ولها أسباب كثيرة. ويكفي أن نشير هنا إلى أن الأب انستاس ماري الكرملني اللغوي والمحقق المعروف كان قد استخدم أكثر من أربعين اسماً مستعاراً كما يسميها الأستاذ كوركيس عواد في التوقيع على مقالاته مثال ذلك: عراقي بغدادي - الجزويتي - الماروني - منتهل - ابن الخضرة - ساتسنا - محب الفجر - ابن العصر - بيعث الخضري - الماريني، وغيرها [ينظر انستاس الكرملني، كوركيس عواد، ص 20، وما بعدها]، فهل نصف هذا الذي صنعه الكرملني بالتقية أيضاً؟

11- يعود المؤلف إلى الآلوسي في [ص 104] قائلاً: '... وهو عندما سار في اتجاه وهبنة المجتمع السني في بغداد إنما كان يريد استكمال المشروع الذي بدأه أسلافه،

يترك المؤلف النص كعادته بلا مصدر، وقد أعيانا التفتيش عن هؤلاء [الأسلاف] فلم نجد سوى عبدالله السويدي الذي وقفنا عنده فيما سبق مع شك كبير حول علاقته بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، والأسلاف تقتضي عدداً كبيراً من الناس آمنوا بدعوة الشيخ، وروجوا لها، وكتبوا عنها، واستقبل الأوسى هذا كله ليكمل الطريق، غير أن شيئاً من هذا لم يحصل إلا في [افتراضات] المؤلف الكثيرة التي أشرنا إليها سابقاً، وهو يصنع الصنيع نفسه في [ص 68] حين يذهب إلى أن أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البصرة كانوا "عدداً غير معروف من الناس" بالإضافة إلى ستة أسماء يذكرها. إن هذا التعميم الفضفاض لا يقصد منه سوى تقرير النتائج المعدة سلفاً، وهو بعيد عن المنهج كثيراً كثيراً.

12- يقول المؤلف في [ص 122] متحدثاً عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنه "اعتمد في فهمه العقيدة الإسلامية على صحاح أحاديث أهل السنة والجماعة، لكن حتى تعامله مع هذه المراجع كان تعاملًا انتقائياً واصطفائياً متطرفاً"، لا اختلف كثيراً مع المؤلف في هذا الموضوع غير أن الشيخ لا ينفرد وحده بهذه (الانتقائية) فهي سمة كل صاحب فكرة أو عقيدة يريد الترويج لها، فهو يختار من المصادر ما يلائمه لتثبيت عقيدته، وتسفيه عقائد الآخرين، ومن هنا وجبت التفرقة الدقيقة بين [الداعية] و [الباحث] فكل منها منطلق ووجهة تختلف عن صاحبه، وتاريخ علم الكلام، والخلاف بين المذاهب الإسلامية شاهد واضح على هذه [الحقيقة]، فهذا [الاصطفاء] ركن ركين من عمل الشيخ لا غنى عن الاتكاء عليه مادام قد اختار لنفسه دور [الداعية]، وتبقى مهمة [الباحث] أثقل وأدق في الفرز، والتدقيق وهو ما وقفنا عند أطراف منه فيما سبق.

13- يتوقف المؤلف في [ص 115]، وما بعدها [عند رسالة الشيخ جعفر كاشف الغطاء تغمده الله برحمته وعنوانها [منهج الرشاد لمن أراد السداد] لينتهي بقوله: "... إلا أن مفعول هذه الرسالة التقاربية، والقائمة على أسس معرفية وفقهية علمية لم يدم سوى خمس أو ست سنوات فقط حتى فوجيء الشيعة بالغزوة السعو - وهابية على كربلاء"، ويترك الأمر هكذا بلا تعليق، أقول هل كان المؤلف ينتظر من كتاب أو حتى

كتب أن تغير من الواقع شيئاً، ومن المفترض أن يدرك هذا وهو الخائض في غمار الفلسفة، إذ لم تستطع الأئمة [العقلية] بتاتاً أن تقنع شخصاً، أو فئة بتغيير ما درجت عليه، وهذا التراث الجدلي بين الفرق الإسلامية يشهد على هذا، إذ لم نسمع أن أحداً غير موقفه بسبب جدال، أو كتاب، بل إن تاريخ الجدل نفسه يشهد على الضد من هذا، إذ أدى إلى التمسك بالرأي والتعصب له، وهو الذي يسميه د. علي الوردي بـ [الجدل العقيم] الذي لا يؤدي إلى نتيجة مثمرة، المهم أن الشيخ كاشف الغطاء قد حاول ولكن محاولته معروفة النتائج سلفاً، ومادامنا في حضرة الشيخ كاشف الغطاء فقد لجأ المؤلف إلى [الافتراض] الذي أشرنا إليه سابقاً وهو بصدد الحديث عن علاقة ما بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ نراه يقول في [ص 116]: تتميز تجربة الشيخ جعفر كاشف الغطاء مع الوهابية بأكثر من خصوصية، فلو سلمنا بوجود علاقة بين الشيخين الغطاء والوهابي، وهذا مؤكد عندما كان الأخير مقيماً في بغداد، أو في الموصل، أو في العين، أو الدرعية فذلك يعني...، ثم يقول مرة أخرى في [ص 117]: 'المرحلة الأولى: علاقة اللقاء المفترض أو المكاتبة والمراسلات بينه وبين شيخ الوهابية عندما كان الأخير في البصرة، أو في بغداد، أو في الموصل، أو في نجد، أقول: كان أمر اللقاء مؤكداً للوهلة الأولى، ثم صار افتراضاً في المرة الثانية، ثم اتخذ في المرة الثالثة مساحة واسعة تشمل العراق على اتساعه، ونجد على بعدها، وسبب هذا الخلل المنهجي معروف مردّه إلى إهمال التوثيق من جهة، ومحاولة ملحة لفرض نتائج معدة سلفاً من جهة ثانية.

14- يصف المؤلف في [ص 128] عثمان بن سند البصري بأنه 'مالكي الاتجاه، والمالكية - كما هو معروف - ليست اتجاهاً بل مذهباً فقهياً معروفاً، وله أتباع كثيرون، فالدقة في مثل هذه المواضع مطلوبة.

15- وآثرت تأخير هذه النقطة لأختم بها هذه الدراسة، وذلك حين يقول المؤلف في [ص 71] نقلاً عن د. علي الوردي إن الدعوة الوهابية بدأت تنتشر بين العشائر والمدن إذ كان الدعاء 'يرتادون مضائف الشيوخ في الفرات ليخطبوا فيها... وفي

المدن أيضاً... بدأت الدعاية الوهابية تنتشر هنا وهناك فتؤثر في بعض الأفراد لاسيما في رجال الدين من أهل السنة، وأعتقد أن المسألة ليست بهذه البساطة التي يقدمها المؤلف، فتقبل الدعوة محتاج إلى استعداد وقناعة يختلط فيه المذهبي بالسياسي بالمصلحة الخاصة، ومن هنا وجدنا د. علي الوردي نفسه يشير إلى قضية هامة أغفلها المؤلف وهي إن الشعراء المعاصرين لواقعة كربلاء المأساوية قد أدانوا تلك الواقعة على اختلاف مذاهبهم سوى شاعر واحد هو السيد عبدالجليل الطباطبائي الذي 'مدح الوهابية، وعدّها إحياءً للدين وتشبيهاً لأركانه وقمعاً للبدع' [لمحات اجتماعية، 193/1]، ويردّ د. الوردي هذا الموقف إلى أن هذا الشاعر كان من تجار اللؤلؤ وكثيراً ما كانت أعماله تضطره إلى السفر إلى الكويت والاحساء والبحرين وغيرها من المناطق التي احتلها ابن سعود، فهو ضدّ الوهابيين حين يكون في البصرة، وهو معهم حتى يكون في ديارهم" [المرجع السابق، 192/1]، ولعلّه لم يكن الوحيد في هذا السلوك غير أن الشعر الذي تركه صار وثيقة على موقفه.

لم يكن ما تقدّم سوى قراءة متأنية [موضوعية] في كتاب [الوهابيون والعراق] للدكتور رسول محمد رسول الصادر عن دار رياض الريس للكتب والنشر، يوليو 2005م، وهي دعوة صادقة للباحثين، وخصوصاً أولئك الذين يحملون الشهادات الجامعية العليا بحسبان أنهم يشتغلون تحت مظلة المنهج الأكاديمي الصارم، أقول هي دعوة صادقة للباحثين إلى مزيد من الصرامة المنهجية، والابتعاد عن التأثر بالسياسي، واليومي ومن سماتهما التغير السريع، والتبدل المستمر، والالتزام بأسس منهج البحث المعروفة فلا منجاة اليوم إلا بها ونحن في خضمّ هذا الفيضان الهائل من المعلومات الذي تطالعنا به وسائل الاتصال كل يوم، ولعلّ القاريء الذكي قد التفت إلى آليات التعامل مع موضوع واحد هو [الوهابية] عند المؤلف المحترم هنا، وعند د. علي الوردي هناك وهو في عليائه، حين نبذ د. الوردي الآراء الجاهزة، والنتائج المسبقة، واعتمد عدداً وافراً من المصادر أجاد في قراءتها، والاجتزاع منها، فجاجت معالجته للوهابية موضوعية خالصة لوجه العلم، مع اجتهاده الشخصي وهو مطلوب، ولو أخذ المؤلف هنا بتلك الخطوات لجاؤ كتابه إضافة حقيقية لدرس [الوهابية]، ومتابعة مستمرة لمفاصلها، وسدّاً للفجوة التاريخية بينه وبين الدراسات السابقة، والأهم من

ذلك كله ربط هذا الفكر الذي نراه ماثلاً بيننا اليوم وهو يأخذ بأسباب التطرف، وإلغاء الآخر مهما كانت عقيدة ذلك الآخر، أو مذهبه، أقول ربطه بمنابعه الأولى وفق نظرة موضوعية، تقع ولا تحوم، وترى الكل ولا تنتقي، وتعتمد المصادر جميعها ولا تختار قسماً منها، ومعلوم أنّ هذه النظرة التكاملية ركن منهجي أصيل يرى أن البحث العلمي يقوم على فلسفة تراكمية يضيف اللاحق إلى السابق استمراراً وكشفاً جديدين، ولكن المؤلف المحترم اختار طريقاً آخر، واجتهاداً مختلفاً، وليس لي إلا أن أحترم اجتهاده، ومما ورد في كتاب الكلم الروحانية لأبي الفرج بن هندو، ص 66، أنه قيل لأرسطو: لماذا تناقض صديقك أفلاطون. فقال: أفلاطون صديق، والحق أولى بالصدقة منه. ولم نكتب ما كتبنا إلا لتجلية الوجه الآخر للموضوع، وليس هناك من غاية سواها.

التجارة الخارجية للجمهورية اليمنية دراسة جغرافية

د/ مارش أحمد سعيد العديني *



المقدمة.

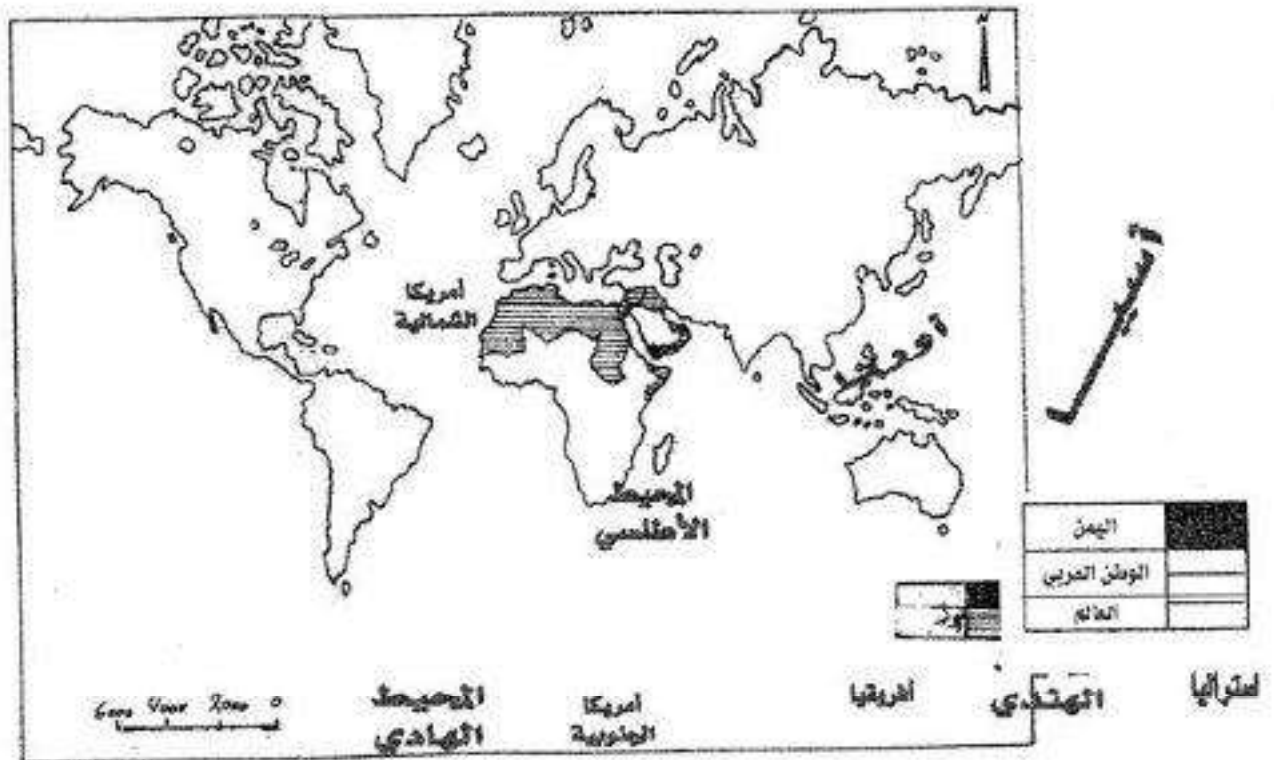
قامت الجمهورية اليمنية في 22 مايو عام 1990م على إثر إعلان الوحدة الاندماجية الكاملة بين شطري اليمن ، ومن أهم مبادئها ومنطلقاتها السياسية والاقتصادية العمل على تطوير علاقات التعاون مع دول الجوار في شبه الجزيرة العربية والخليج بشكل خاص، وجميع الدول العربية بشكل عام والانفتاح على جميع دول العالم وكتله الاقتصادية لما يخدم المصالح المشتركة ، وفي سبيل تحقيق ذلك عملت على إصدار التشريعات والقوانين خلال السنوات الماضية لتحقيق هذه الأهداف والغايات.

تحتل الجمهورية اليمنية المنطقة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية ، وتشغل الرقعة الجغرافية الممتدة فيما بين المملكة العربية السعودية في الشمال وخليج عدن وبحر العرب من الجنوب، وسلطنة عمان في الشرق والبحر الأحمر في الغرب ، وتمتد بين دائرتي عرض 12 و 19 شمالا ، وخطي طول 41°5 و 53,1 شرقا، وتشغل حوالي نصف مليون كيلومتر مربع ، وتشكل نحو (20%) من مساحة دول مجلس التعاون الخليجي البالغة (2مليون كيلومتر مربع) ، وتستأثر المملكة العربية السعودية وحدها على (84%) من إجمالي هذه المساحة ، وتشرف الجمهورية اليمنية على البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب الذي يتصل بالمحيط الهندي عند أرخبيل سقطرى وتمتلك 2000 كم من سواحل

* رئيس قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة ذمار .

تلك البحار ، كما تشرف على مضيق باب المندب الذي يفصلها عن دول القرن الإفريقي ويعد من أهم الممرات المائية لنقل التجارة العالمية بين شرق العالم وغربه (1) .

خريطة (1) موقع اليمن بالنسبة لدول الوطن العربي والعالم



K

الحفيان ، عوض إبراهيم عبد الرحمن ، الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية ، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء لعام 2004م . ص 19 . (11)

لقد ساعد الموقع الجغرافي الاستراتيجي الهام على قيام سكان اليمن منذ القدم بدور الوسيط التجاري بين الإقليم الموسمي في الشرق ، ودول حوض البحر الأحمر والمحيطين الهندي والأطلسي في الغرب والشمال ، كما فرضت أهمية الطرق التجارية التي تمر عبرها وبجوارها الدول العظمى إلى التنافس من أجل السيطرة عليها منذ القدم حتى الوقت الحاضر، كما زاد من أهميتها ظهور النفط واستخراجه بكميات تجارية منذ منتصف عقد

الثمانينيات من القرن العشرين بحيث أصبح يعد استثماره وتصديره يمثل السلعة الرئيسية للتصدير وقد احتل نحو 95% من حجم الصادرات و94% من قيمتها لعام 2004م .

تتميز الأراضي اليمنية بتنوع تضاريسها مما جعلها أكثر أجزاء شبه الجزيرة العربية استقبالا للأمطار الموسمية الصيفية واعتدال حرارتها صيفا على المرتفعات الجبلية الممتدة من الشمال إلى الجنوب، حيث يتركز أكثر من ثلثي السكان والأنشطة الاقتصادية الزراعية والصناعية والسياحية وغيرها ، وتنتشر فيها المدن الكبيرة والمتوسطة الحجم ، كما تتميز اليمن بمعدل مرتفع لنمو السكان، الذي يبلغ 3.5% سنويا⁽²⁾ ، والذي يعود بدرجة أساسية إلى ارتفاع معدل الخصوبة والتحسين في تقديم الخدمات الطبية للأم والطفل والسيطرة على الأمراض المستوطنة التي كانت منتشرة في أوساط الرضع خصوصا والأطفال عموما ، لقد أوجد هذا النمو في صفوف الفئة العمرية القادرة على العمل البطالة السافرة والمقتعة والموسمية مما دفع بهم للهجرة من الريف إلى المدن الرئيسية والثانوية بحثا عن فرص العمل ، مما نتج عنه ارتفاع في حجم تلك المدن بشكل متسارع وبرزت العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية على مستوى الريف والحضر ، وهذا الوضع جعل الجهات الرسمية غير قادرة على توفير الخدمات الأساسية بشكل يكفي حاجة للسكان⁽³⁾ .

إن النمو السكاني الكبير يفوق نمو الموارد الاقتصادية المتاحة ولذلك أصبحت المشكلة السكانية تشكل عبئاً على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، بحيث أصبحت تلقي بظلالها على مختلف جوانب الحياة في الدولة والمجتمع وبالأذات في الجوانب البيئية كالمياه والصرف الصحي والكهرباء والتعليم وغير ذلك من الجوانب الحيوية الهامة ، فضلا عن تزايد العجز بشكل مستمر في ميزان المدفوعات للدولة وتدهور القيمة الشرائية للعملة المحلية ، والنقص المستمر في العملة الصعبة التي بحوزة الدولة بسبب تصاعد الاستيراد لمواجهة متطلبات السكان وخاصة في توفير المواد الغذائية للسكان ، وتدهور مستوى المعيشة وتزايد نسبة الفقراء⁽⁴⁾ .

يمارس معظم سكان اليمن النشاط الزراعي بفروعه النباتي والحيواني والنشاط السمكي حيث يستوعب 70% من قوة العمل بينما بقية الأنشطة تستوعب 30% وأهمها القطاع الصناعي والتجاري والخدمات الاجتماعية ، وكانت عائدات المغتربين تشكل أهم

مصدر لدعم الدخل القومي قبل حرب الخليج الثانية ، ثم احتلت عائدات النفط والغاز هذا الموقع منذ عام 1990م ، الأمر الذي يجعل مشروعات التنمية تتأثر بدرجة كبيرة نتيجة تذبذب أسعار النفط في الأسواق العالمية لأسباب سياسية واقتصادية ، فضلا عما يعانيه الدخل القومي والفردى ومستوى المعيشة من آثار سلبية ، الأمر الذي يجعل اليمن يعاني من التبعية الاقتصادية للخارج ولاسيما الدول الصناعية المتقدمة المستوردة للنفط الخام مثل الدول العربية النفطية في الخليج وشمال أفريقيا التي تعتمد على النفط في دخلها القومي .

ومن جهة أخرى فإن سكان اليمن يشكلون سوقا استهلاكية للمنتجات المستوردة من الخارج نظرا لضعف الإنتاج الزراعي المحلي ، وهشاشة القطاع الصناعي التحويلي الذي لازال في بداية نموه .

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع تطور التجارة الخارجية للجمهورية اليمنية منذ قيامها حتى عام 2004م من حيث الحجم والقيمة وأصناف السلع المستوردة والمصدرة وتوزيعها الجغرافي على الكتل الاقتصادية في العالم وتطور حجم التبادل التجاري بين الجمهورية اليمنية ودول مجلس التعاون الخليجي خلال الثمان السنوات الأخيرة (1997-2004م) .

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من موضوعها وميدانها على حد سواء ، فالتجارة الخارجية تعد جزءا مكملا للدراسات في الجغرافية الاقتصادية ، إذ إن الإنتاج والتسويق نشاطان اقتصاديان يكمل أحدهما الآخر ، ويتضافران معا لإشباع حاجات المستهلك من السلع والخدمات ، فضلا عما تقوم به التجارة الخارجية من دور أساسي في تمتين العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الدول وتطويرها نحو الأفضل ، ولاسيما بين الدول المتجاورة كالجمهورية اليمنية ودول مجلس التعاون الخليجي أولا ثم بقية الدول العربية ثانيا للوصول إلى تحقيق التكامل الاقتصادي بينها ومن هنا جاءت أسباب اختيار موضوع هذه الدراسة ، فالجمهورية اليمنية تتمتع بعدد غسير قليل من الخصائص والمزايا التي ترشحها لأن تصبح من أهم الدول العربية الشريكة لدول المجلس تجاريا واقتصاديا وسياسيا لما يربطهما من علاقات تاريخية وأخوية أساسها الجوار والدين والتاريخ والجغرافيا، فضلا عن الحجم السكاني الذي يعد من أهم الأسواق الاستهلاكية في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج .

وسيتم استخدام المنهج الجغرافي الموضوعي المتبع في دراسات جغرافية التجارة في إطار إقليمي يضم الجمهورية اليمنية ومجلس التعاون لدول الخليج العربية والوطن العربي وكتل العالم الاقتصادية الأخرى ، فضلا عن استخدام الأسلوب الكمي لمعالجة البيانات الإحصائية ، والأسلوب الكارتوجرافي الذي يساعد على توضيح توزيع الظواهر الجغرافية " الصادرات والواردات" بين الدول موضوع الدراسة.

وتضاف هذه الدراسة إلى غيرها من الدراسات والأبحاث التي اهتمت بمناقشة تطورا لتجارة البينية بين الجمهورية اليمنية ومختلف دول العالم وكتله الاقتصادية وتحديد حجمها وتشخيص المشكلات التي تواجهها واقتراح الحلول المناسبة لمساعدة أصحاب القرار في المجالين الاقتصادي والسياسي .

وستناقش الدراسة المواضيع الآتية :-

1- المقدمة تناولت لمحة موجزة عن جغرافية الجمهورية اليمنية والمنهجية العلمية.

2- تطور التجارة الخارجية اليمنية بحسب الحجم والقيمة.

3- التصنيف السلعي للتجارة الخارجية اليمنية .

4- التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية اليمنية.

5- المشكلات التي تواجه التجارة الخارجية اليمنية .

أولا : تطور التجارة الخارجية اليمنية 1990 - 2004م:

تختلف الصورة الحالية للتجارة الخارجية اليمنية عن الصورة التي كانت سائدة قبل عام 1990م إذ أخذت تلك الصورة تتغير ملامحها بشكل ايجابي بعد قيام الوحدة اليمنية والأخذ بمبدأ التخطيط الموجه على طريق تحقيق التنمية الشاملة في البلاد ، وقد ساعد على ذلك عدد من العوامل الايجابية الداخلية والخارجية أهمها الاستقرار السياسي والاستفادة من الطفرة في أسعار النفط في الأسواق العالمية التي كان لها لكير الأثر على التنمية اليمنية فضلا عن الدعم المادي الذي قدمته الدول المانحة لليمن والمتمثل بالمساعدات والقروض الميسرة ، فضلا عن فتح تلك الدول أبوابها للمنتجات اليمنية مما ساهم في رفد الدخل القومي بالعملات الصعبة ، ولقد انعكست تلك التطورات على تطور حجم وقيمة التجارة الخارجية اليمنية باعتبارها جزءا مهما من مكونات الاقتصاد الوطني .

أ - تطور التجارة الخارجية بحسب الحجم :

لقد شهدت التجارة الخارجية اليمنية تطورا ملحوظا بشقيها الصادرات والواردات من حيث الحجم خلال المدة 1990-2004م ويمكننا معرفة التطور الذي حدث في قطاع التجارة الخارجية خلال المدة المذكورة بدراسة الجدول (1) وكما يأتي:

1- اتسم الحجم الكلي للتجارة الخارجية خلال السبع السنوات الأولى بالتذبذب الواضح وعدم الاستقرار سواء بالانخفاض أو الارتفاع ، وبشكل عام فقد انخفض من 12626 ألف طن عام 1990م إلى 8658 ألف طن عام 1996م ونسبة 31.4 % وبمعدل سنوي 4.5 % ويعود سبب ذلك إلى تذبذب كمية النفط الخام المصدر إلى الخارج إذ انخفضت من 8891 ألف طن إلى 4659 ألف طن خلال نفس المدة .

2- أخذ حجم التبادل التجاري اليمني بالارتفاع المتسارع والمطرّد خلال النصف الثاني من فترة الدراسة حيث ارتفع من 8658 طن في عام 1996م ليصل إلى 23328 طن عام 2004م ونسبة زيادة قدرها 169.4 % وبمعدل زيادة سنوية قدرها 18.8 % ، ويعود سبب ذلك إلى زيادة حجم النفط الخام المصدر إلى الخارج من جهة والسلع الجافة المصدرة بما فيها إعادة الصادرات من جهة أخرى.

3- ما نكر عن الحجم الكلي يمكن قوله عن تطور حجم الواردات اليمنية ، فقد ارتفع حجمها من 3735 ألف طن عام 1990 م إلى 8729 ألف طن عام 2004 م ونسبة زيادة 133.7 % وبمعدل زيادة سنوية قدرها 8.9 %

وتعود أسباب زيادة حجم الواردات اليمنية خلال مدة الدراسة إلى ما يأتي :

أ- الزيادة المتسارعة في حجم السكان الناتجة عن ارتفاع معدل النمو السنوي البالغ 3.5 % وهو من أعلى المعدلات في الوطن العربي * ، وقد صاحب ذلك ارتفاع موازي في حجم الطلب المحلي على السلع الاستهلاكية المستوردة ولاسيما المواد الغذائية الأساسية .

ب- النهضة العمرانية وتنفيذ المشاريع الخدمية والتنمية في مختلف المجالات وتطلب ذلك زيادة الطلب على استيراد مواد البناء والإتشاءات والأثاث والتجهيزات المختلفة .

- ج - النشاط الذي شهده القطاع الخاص ولاسيما في المجالات الصناعية والزراعية والمقاولات استدعى استيراد الآلات والمعدات اللازمة لذلك .
- د- إتباع الحكومة لسياسة حرية التجارة والرفع الجزئي من القيود على النشاط التجاري في الجوانب الإدارية والمالية .
- هـ - تغير أذواق الناس وعاداتهم وتقاليدهم ولا سيما سكان المدن الكبيرة وعواصم المحافظات ولاسيما العائدين من الخارج والذي ساهم في تنوع السلع المستوردة وزيادة أصنافها وكمياتها .
- 4- لم ينم قطاع الصادرات اليمنية بنفس المعدل الذي نما فيه قطاع الواردات ولم يصل حتى إلى النصف منه ، إذ ارتفع حجم الصادرات من 8891 ألف طن عام 1990م إلى 14595 ألف طن عام 2004م وبنسبة زيادة قدرها 64.2% وبمعدل زيادة 4.3% سنويا .
- ومن الواضح أن الصادرات لم تلق نفس الاهتمام الذي حظيت به الواردات باستثناء صادرات النفط التي أصبحت تشكل 92-95% من إجمالي حجم الصادرات اليمنية السنوية إلى الخارج ، بينما لم يتجاوز حجم الصادرات من السلع الجافة نصف مليون طن على الإطلاق في أي سنة من سنوات الدراسة ، نظرا لمحدودية الإنتاج المحلي الزراعي والصناعي⁽⁵⁾.

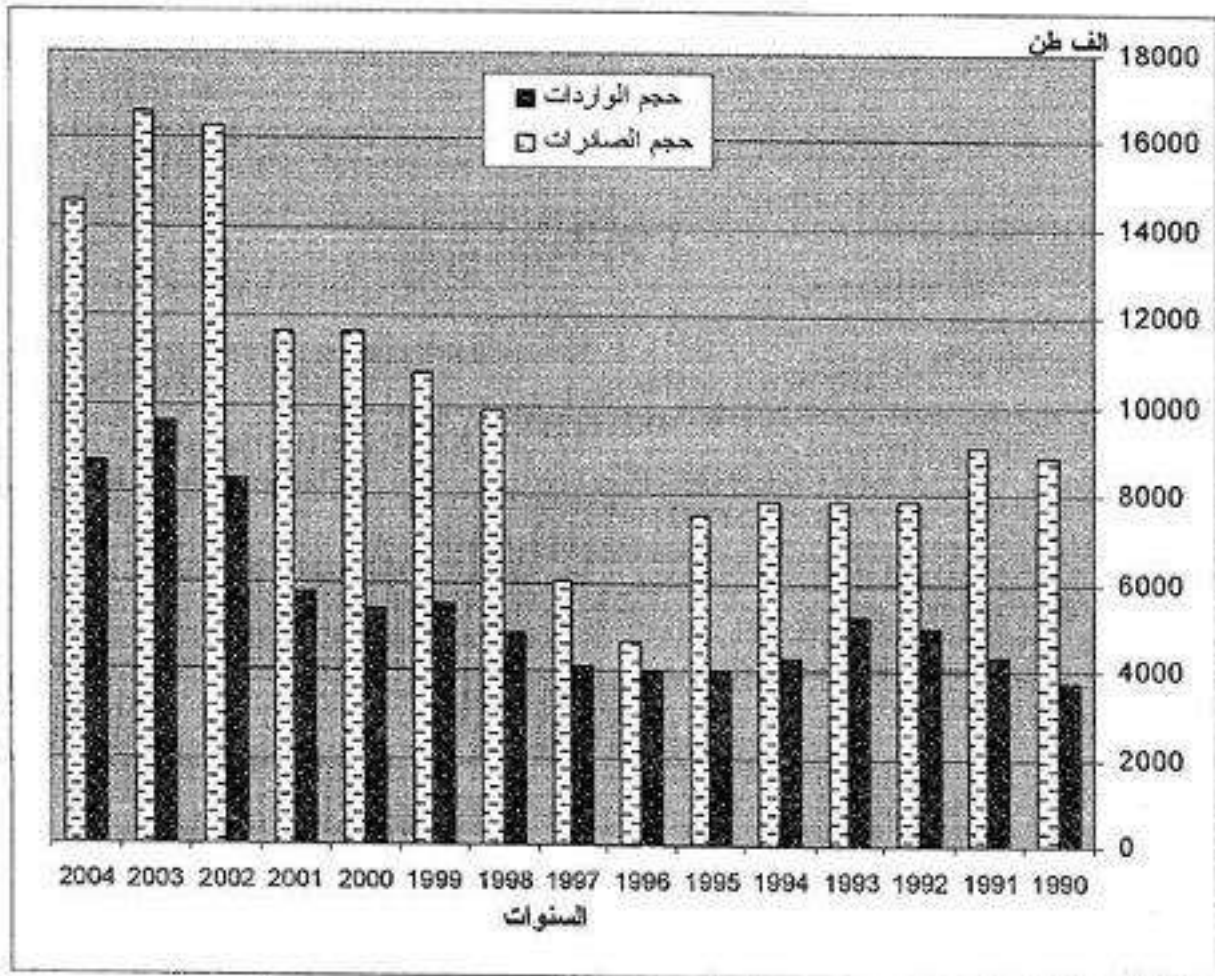
جدول (1) تطور التجارة الخارجية اليمنية بحسب الحجم بألف طن والقيمة بالمليون دولار للفترة 1990-2004م

السنوات	حجم الواردات	حجم الصادرات	الحجم الكلي	قيمة الواردات	قيمة الصادرات	الميزان التجاري
1990	3735	8891	12626	1357	598	759 -
1991	4316	9088	13404	1099	275	824 -
1992	4945	7846	12791	1090	139	951 -
1993	5235	7859	13094	858	114	744 -
1994	4266	7839	12105	454	203	251 -
1995	4015	7554	11569	647	794	147
1996	3999	4659	8658	1499	1967	468
1997	4089	6060	10149	2034	2529	495
1998	4835	9892	14727	1964	1511	453
1999	5500	10714	16214	2009	2441	432
2000	5374	11655	17029	2324	4079	1755
2001	5762	11651	17413	2465	3373	908
2002	8328	16273	24601	2922	3337	415
2003	9603	16612	26215	3674	3733	59
2004	8729	14595	23328	3986	4078	92

7 - الجهاز المركزي للإحصاء كتب الإحصاء السنوية للأعوام 1998م و 2001م و 2003م و 2005م ،

فصل التجارة الخارجية ، صفحات متعددة .

شكل (1) تطور حجم التجارة الخارجية اليمنية للفترة 1990م-2004م بالآلاف طن



تم إعداد الشكل اعتماداً على الجدول (1)

بتطور التجارة الخارجية بحسب القيمة:

يوضح الجدول (1) التطور الذي حدث للتجارة الخارجية اليمنية بشقيها الواردات

والصادرات والتحسن في الميزان التجاري خلال الفترة 1990-2004م وكما يأتي:

1- ارتفعت قيمة الصادرات من 598 مليون دولار إلى 4078 مليون دولار خلال نفس الفترة ونسبة زيادة قدرها 582% وبمعدل زيادة سنوية قدرها 39% .

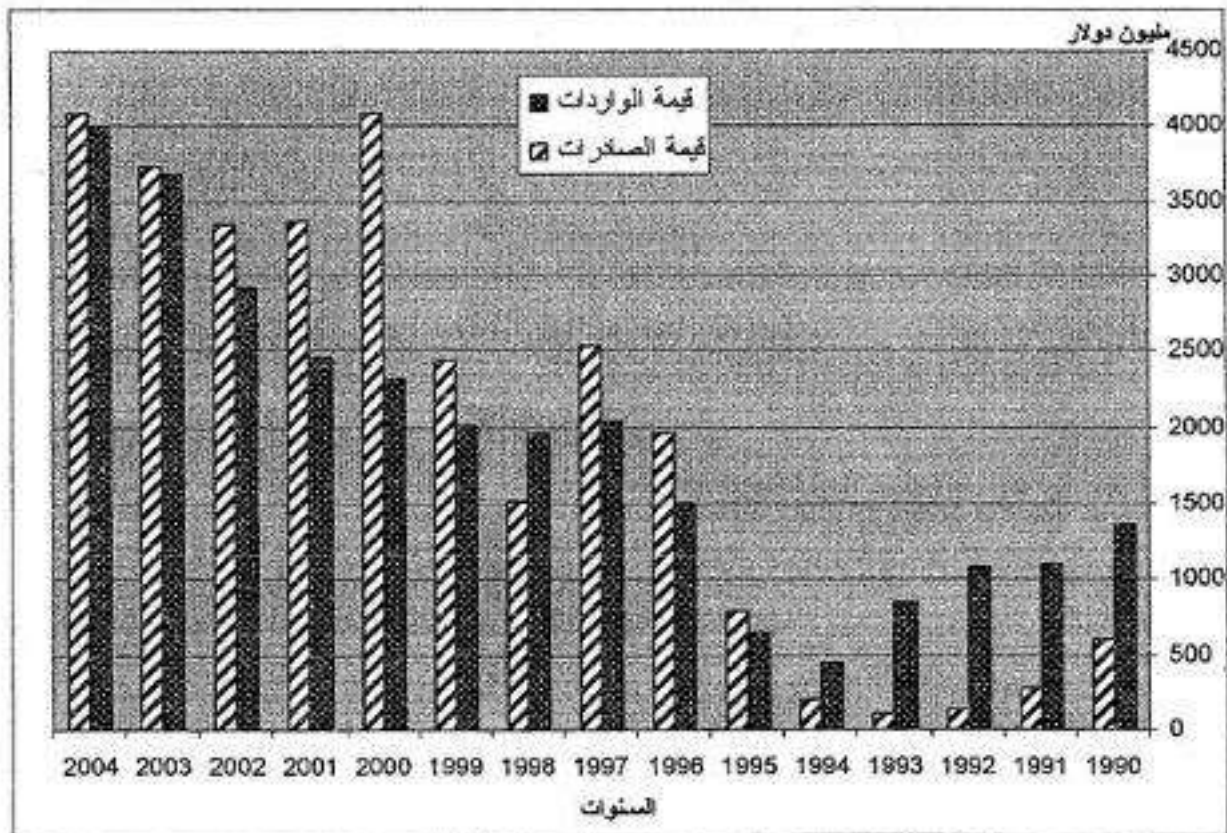
2- يعود سبب ارتفاع نسبة قيمة الصادرات مقارنة بقيمة الواردات إلى إضافة قيمة صادرات النفط الخام إليها منذ عام 1995م ، أما السنوات السابقة فإن قيمة صادرات النفط كانت غير مضافة .

3- مر الميزان التجاري بمرحلتين خلال مدة الدراسة هما :

- الميزان التجاري السالب: خلال المدة 1990-1995م ويعود السبب إلى عدم إضافة قيمة النفط إلى قيمة الصادرات الكلية .

- الميزان التجاري الموجب خلال المدة 1996-2004م بعد إضافة قيمة صادرات النفط باستثناء عام 1998م الذي كان فيه الميزان التجاري سالبا نظرا لانخفاض أسعار النفط عالميا ، كما أن الميزان التجاري خلال هذه المرحلة لم يستقر سواء عند الارتفاع أو الانخفاض ويعود سبب ذلك إلى تذبذب الكمية المصدرة من النفط وتذبذب الأسعار في الأسواق العالمية ، وبما أن صادرات النفط تشكل نسبة عالية من قيمة الصادرات فإن أي تأثير عليه سواء في الحجم أو القيمة يبدو واضحا في الميزان التجاري اليمني. شكل (2) تطور قيمة التجارة الخارجية اليمنية بالمليون دولار

تم إعداد الشكل اعتمادا على الجدول (1)



ثانيا : التصنيف السلعي للتجارة الخارجية اليمنية :

تبين دراسة التصنيف السلعي الصورة العامة لمكونات الحركة التجارية بين الجمهورية اليمنية ودول العالم ممثلة بأهم الكتل الاقتصادية ومدى مساهمة كل سلعة في إجمالي حركة الصادرات والواردات اليمنية.

أ- التصنيف السلعي للصادرات :

- 1- الوقود المعدني ومشتقاته : يتصدر الوقود المعدني قائمة الصادرات اليمنية إلى دول العالم وقد ارتفعت قيمته من 531 مليون دولار عام 1990 م ونسبة 88% من قيمة الصادرات اليمنية إلى 3724 مليون دولار عام 2004م ونسبة 92% وقد بلغت نسبة الزيادة خلال فترة الدراسة 601% وبمعدل سنوي 40% ويعود ذلك إلى ارتفاع كمية الإنتاج وأسعار النفط في الأسواق العالمية .
- 2- الأغذية والمشروبات والحيوانات الحية : احتلت هذه المجموعة من السلع المركز الثاني بعد الوقود المعدني وقد ارتفعت قيمتها من 39 مليون دولار بنسبة 7% من قيمة الصادرات عام 1990م إلى 174 مليون دولار ونسبة 4% عام 2004م ، وبلغت نسبة الزيادة 346% خلال مدة الدراسة وبمعدل زيادة سنوية قدرها 23% ، وعلى الرغم من ارتفاع نسبة الزيادة السنوية إلا أن نسبة مساهمتها في قيمة الصادرات قد انخفضت نظرا لارتفاع نسبة مساهمة الوقود المعدني في الصادرات اليمنية .
- 3- بقية أصناف السلع المصدرة بمختلف أنواعها: ساهمت بما قيمته 29 مليون دولار ونسبة 5% من الصادرات لعام 1990م وارتفعت هذه القيمة إلى 181 مليون دولار ونسبة 4% من الصادرات لعام 2004م ، وتشمل هذه الأصناف " المواد الخام ، والمواد الكيماوية ، والمصنوعات ، والآلات ومعدات النقل " ، ويلاحظ انخفاض نسبة مساهمة المواد الخام من 4-1% خلال فترة الدراسة ، وبالعكس من ذلك ارتفعت نسبة مساهمة الآلات ومعدات النقل من 1-2% لعامي 1995 و 2004 م على التوالي . وهذا الصنف من السلع يدخل ضمن إعادة الصادرات لأن اليمن لا تنتج الآلات ومعدات النقل فضلا عن تصديرها إلى الخارج .

جدول (2) التصنيف السلعي للتجارة الخارجية للفترة 1990-2004م بالمليون دولار

الأقسام	البنود	الصادرات						الواردات					
		%	1990	%	1995	%	2004	%	1990	%	1995	%	2004
1	الأغذية و الحيوانات الحية	39	7	20	2	174	4	639	40	25	373	28	109 8
2	الوقود المعدنية و الزيوت	53	88	74	86	372 4	92	179	11	12	190	12	484
3	المواد الخام	22	4	9	1	39	1	44	3	3	44	3	100
4	المواد الكيماوية	1	-	9	1	13	-	114	7	8	126	8	311
5	المصنوعات	6	1	78	9	42	1	337	25	29	451	21	854
6	الألات ومعدات النقل	-	-	7	1	87	2	262	16	23	354	28	113 8
	الإجمالي	599	100	872	100	4079	100	1611	100	100	1537	100	3985

8 - لجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2004م .

ب- التصنيف السلي للواردات:

تتكون تجارة الواردات اليمنية من أصناف كثيرة ومتنوعة من السلع إلا أن الأهمية النسبية لكل منها متباينة من سلعة لأخرى، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها:

مدى الطلب على بعض السلع في الأسواق المحلية، ونوعية السلع وتباين الأسعار بين الدول المصدرة إلى اليمن ومدى قرب مناطق الإنتاج وسهولة النقل من الدولة المصدرة إلى الجمهورية اليمنية، يوضح الجدول (2) تطور قيمة الواردات بحسب أصنافها والأهمية النسبية لكل مجموعة سلعية، للفترة 1990-2004م بالمليون دولار أمريكي، ومن خلاله يمكننا استخلاص الحقائق الآتية:

1- سجلت كافة الأصناف نموا كبيرا خلال فترة الدراسة مع اختلاف في نسبة النمو من صنف إلى آخر.

2- احتل صنف الأغذية والحيوانات الحية والمشروبات المركز الأول بين أصناف الواردات اليمنية، وارتفعت قيمتها من 639 مليون دولار وبنسبة 40% من إجمالي قيمة الواردات لعام 1990م إلى 1098 مليون دولار وبنسبة 28% لعام 2004م، ويتضح أن أهميتها النسبية قد انخفضت من 40 إلى 28% خلال الفترة المذكورة نظرا لمنافستها من قبل أصناف أخرى من السلع المستوردة ولا سيما الآلات ومعدات النقل التي تطورت في السنوات الأخيرة بشكل واضح نظرا لطلب السوق عليها.

3- احتلت السلع الصناعية المركز الثاني عام 1990م والثالث عام 2004م وارتفعت قيمتها من 337 مليون دولار وبنسبة 25% إلى 854 مليون دولار وبنسبة 21% على التوالي، ويعود انخفاض نسبتها للتطور الذي حدث في قطاع الصناعة التحويلية اليمنية وإحلال عدد من السلع المصنعة محليا محل السلع المستوردة ولو جزئياً كالاسمنت والأدوات المعدنية والمنزلية وغيرها.

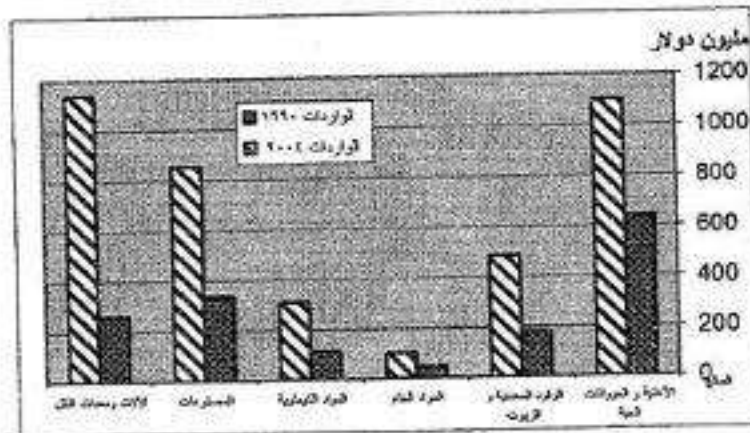
4- سجلت الآلات ومعدات النقل أعلى نسبة في ارتفاع قيمتها خلال فترة الدراسة حيث ارتفعت قيمتها من 262 مليون دولار وبنسبة 16 % عام 1990م إلى 1138 مليون دولار وبنسبة 28% من القيمة الإجمالية للواردات عام 2004م ، وبلغت نسبة الزيادة 334% وبمعدل سنوي قدره 22% ، ويعود ذلك إلى زيادة طلب السوق اليمني لاستيراد الآلات الخاصة بالنشاط الصناعي التحويلي ومعدات البناء والإشاعات وشق وبناء الطرق ووسائل النقل المختلفة خلال الفترة موضوع الدراسة .

5- ارتفعت قيمة الوقود المعدني والزيوت والشحوم من 179 مليون دولار عام 1990م وبنسبة 11% من قيمة الواردات إلى 484 مليون دولار وبنسبة 12 % عام 2004 م وبنسبة زيادة قدرها 170% وبمعدل زيادة سنوية 11.4% ، وقد حافظت على أهميتها النسبية بين الواردات خلال تلك الفترة .

6- ارتفعت مساهمة المواد الكيماوية في قيمة الواردات من 114 مليون دولار عام 1990م إلى 311 مليون دولار عام 2004م وبلغت نسبة الزيادة 173% وبمعدل زيادة سنوية قدرها 11.5% خلال المدة المذكورة، كما حافظت على أهميتها النسبية خلال تلك الفترة ولم تزد عن 8% من قيمة الواردات طول الفترة 1990-2004م.

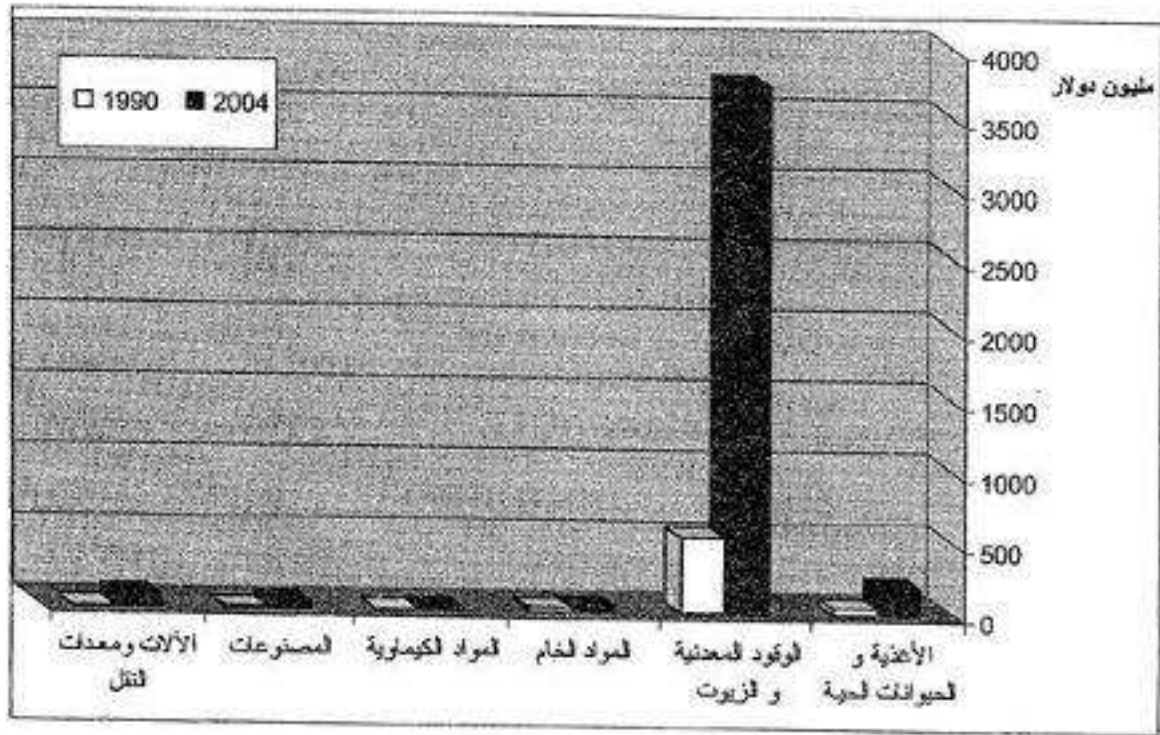
7- احتلت المواد الخام المركز الأخير في قائمة الواردات وبنسبة 3% على امتداد فترة الدراسة، وقد ارتفعت قيمتها من 44 مليون دولار عام 1990 إلى 100 مليون دولار عام 2004م.

شكل (3) التصنيف السلمي لواردات 1990 و2004م بالمليون دولار



تم إعداد الشكل اعتماداً على الجدول (2)

شكل (4) التصنيف السلعي لواردات 1990م / 2004م بالمليون دولار



تم إعداد الشكل اعتماداً على الجدول (2)

ثالثاً : التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية اليمنية:

ترتبط المبادلات التجارية للجمهورية اليمنية إلى حد كبير بالتجارة العالمية ، وبخاصة مع الدول الصناعية الكبرى ، وفي هذا الجزء من الدراسة سيتم إلقاء الضوء على أهم الشركاء التجاريين للجمهورية اليمنية ، ومدى وزن كل منهم بالنسبة لتجارة الصادرات والواردات . ويوضح الجدول (3) التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية اليمنية مع كتل العالم الاقتصادية خلال المدة (1990 - 2004 م) ، ويتضمن كلا من الصادرات والواردات من حيث القيمة والنسبة المئوية وكما يأتي :

أ- التوزيع الجغرافي للصادرات :-

توجهت معظم الصادرات اليمنية عام 1990م إلى الدول الصناعية في القارتين الأوروبية والأمريكية ، إذ بلغ نصيب دول أمريكا الشمالية 242 مليون دولار وبنسبة 40% من قيمة الصادرات اليمنية ، كان للولايات المتحدة الأمريكية النصيب الأكبر والذي بلغ 223 مليون دولار وبنسبة 92% من تلك الصادرات .

احتلت مجموعة دول الاتحاد الأوروبي المركز الثاني في استقبال الصادرات اليمنية التي بلغ قيمتها 219 مليون دولار ونسبة 37% من قيمة الصادرات ومن أهم الدول المستوردة في هذه المجموعة إيطاليا التي استوردت ما قيمته 140 مليون دولار ونسبة 64% من الصادرات إلى هذه المجموعة .

جاءت الدول الآسيوية الغير عربية والدول الخليجية في المركز الثالث والرابع على التوالي إذ استوردت ما قيمته 84 مليون دولار ونسبة 7% لكل منهما من إجمالي قيمة الصادرات ، ومن أهم الدول الآسيوية المستوردة الهند بقيمة 14 مليون دولار ونسبة 32% من قيمة الصادرات اليمنية إلى تلك الدول بينما تعد المملكة العربية السعودية أكبر دولة مستوردة من اليمن بقيمة 17.5 مليون دولار ونسبة 44% من الصادرات العربية اليمنية إلى دول مجلس التعاون الخليجي وتليها البحرين والإمارات ونسبة 27% و 25% على التوالي ، وبذلك تحتكر الدول الثلاث 96% من صادرات اليمن إلى دول المجلس.

ساهمت بقية الدول العربية باستيراد ما قيمته 20 مليون دولار ونسبة 3% بينما بلغ قيمة الصادرات إلى الدول الأفريقية الغير عربية 9 مليون دولار ونسبة 2% ، ودول أمريكا الجنوبية 5 مليون دولار ونسبة 1% من قيمة الصادرات اليمنية ، كما تم تصدير ما قيمته 14 مليون دولار إلى عدد من الدول الأخرى ونسبة 2% من القيمة في عام 1990م .

تغير التوزيع الجغرافي للصادرات اليمنية في عام 1995م عما كان عليه في عام 1990م حيث ارتفعت قيمة الصادرات اليمنية إلى الدول الآسيوية الغير عربية من 44 مليون دولار ونسبة 7% إلى 589 مليون دولار ونسبة زيادة مقدارها 2239 % نظرا لتصدير النفط اليمني إلى دول جنوب شرق آسيا ولاسيما الصين وكوريا الجنوبية واليابان وسنغافورة التي احتلت المراكز الأربعة الأولى في قائمة هذه المجموعة على الترتيب . بينما انخفضت قيمة الصادرات اليمنية إلى الدول العربية الخليجية من 40 مليون دولار ونسبة 7% إلى 19 مليون دولار ونسبة 2% فقط من قيمة الصادرات اليمنية نظرا لإغلاق الأسواق الخليجية أمام السلع اليمنية بعد

حرب الانفصال التي نشبت عام 1994م ونتج عنها تدهور العلاقات اليمنية الخليجية بشكل واضح وخصوصا مع المملكة العربية السعودية ودولة الكويت .

جدول (3) التوزيع الجغرافي لتجارة اليمن الخارجية للفترة 1990 - 2004م وبحسب الكتل الاقتصادية بالمليون دولار

م	الكتل الاقتصادية	1990				1995				2004			
		الصادرات	%	الواردات	%	الصادرات	%	الواردات	%	الصادرات	%	الواردات	%
1	دول الخليج العربية	40	7	200	15	19	2	180	28	272	7	1332	33
2	الدول العربية الأخرى	20	3	113	8	75	10	32	5	66	1	198	5
3	آسيا غير العربية	44	7	329	24	589	74	182	28	3394	83	1002	25
4	أفريقيا غير العربية	9	2	3	-	26	3	7	1	119	3	40	1
5	الاتحاد الأوروبي	219	37	436	32	9	1	147	23	47	1	741	19
6	أوروبا الشرقية	6	1	72	5	-	-	10	1	-	-	59	2
7	دول أوروبا الأخرى	-	-	29	2	-	-	10	1	24	1	162	4
8	دول أمريكا الشمالية	242	40	82	6	3	-	52	8	48	1	209	5
9	دول أمريكا الجنوبية	5	1	11	1	68	9	24	4	-	-	176	4
10	دول أوقيانوسيا	-	-	76	6	-	-	3	1	98	2	82	2
	الإجمالي	599	100	1358	100	795	100	647	100	4096	100	4003	100

9 - الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي لعام 1995م . ص 337-342 .
10 - الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2004م . ص 412-418 .

لح تغيرت الحالة في عام 2004م تماما في توزيع الصادرات اليمنية كما يظهر من الجدول (3) وأصبح الوضع كما يأتي :

أ - ارتفعت مساهمة الدول الآسيوية الغير عربية في قيمة الصادرات اليمنية والتي بلغ قيمتها 3394 مليون دولار وبنسبة 83% من قيمة الصادرات البالغ مجموعها 4096 مليون دولار عام 2004 م . وأصبحت من أهم المجموعات المستوردة للسلع اليمنية

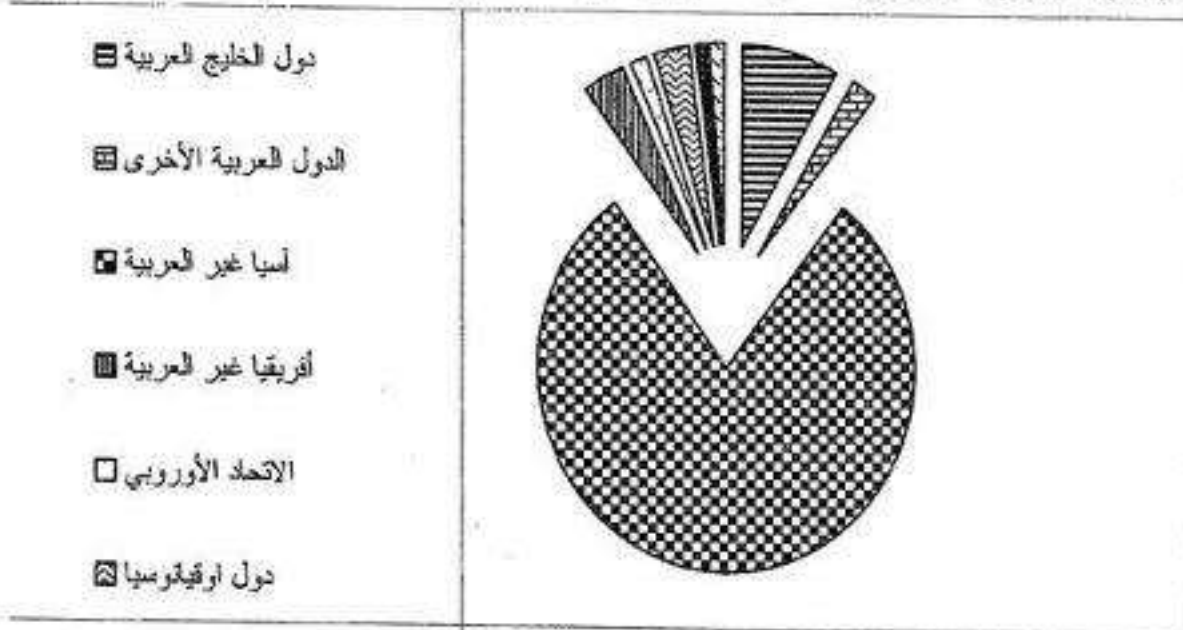
ولا سيما النفط وتصدرت هذه المجموعة كل من تايلاند والصين والهند وبنسب 29 % و 28.7% و 13.3 % على التوالي بحيث أصبح نصيبها ما نسبته 71% من قيمة الصادرات اليمنية إلى مختلف دول العالم .

ب- احتلت دول مجلس التعاون الخليجي المركز الثاني في قائمة الكتل الاقتصادية المستوردة من اليمن بقيمة 272 مليون دولار وبنسبة 7% من قيمة الصادرات اليمنية ، وقد تضاعفت هذه القيمة حوالي 7 مرات عما كانت عليه عام 1990م ولكن نسبة المساهمة ظلت ثابتة ولم تتجاوز ال 7% من قيمة الصادرات بل حققت ارتفاعا كبيرا عام 2004م مقارنة بعام 1995م إذ تضاعفت أكثر من 14 مرة ، وتعود أسباب هذه الزيادة إلى تحسن العلاقات السياسية بين الجمهورية اليمنية ودول مجلس التعاون بشكل عام والسعودية والكويت بشكل خاص بعد زوال الخلاف الذي حدث نتيجة غزو العراق لدولة الكويت عام 1990م ، والحرب الأهلية اليمنية عام 1994م . وتصدرت دولة الإمارات العربية المتحدة جميع الدول العربية بما فيها الخليجية بالاستيراد من الجمهورية اليمنية بقيمة 109 مليون دولار وبنسبة 2.7 % تلتها المملكة العربية السعودية التي استوردت بما قيمته 96 مليون دولار وبنسبة 2.4 % من قيمة الصادرات اليمنية لعام 2004م .

ج- ارتفعت قيمة الصادرات اليمنية إلى الدول الإفريقية الغير عربية إلى 119 مليون دولار وبنسبة 3% من قيمة الصادرات محتلة المركز الثالث بعد الدول العربية الخليجية.

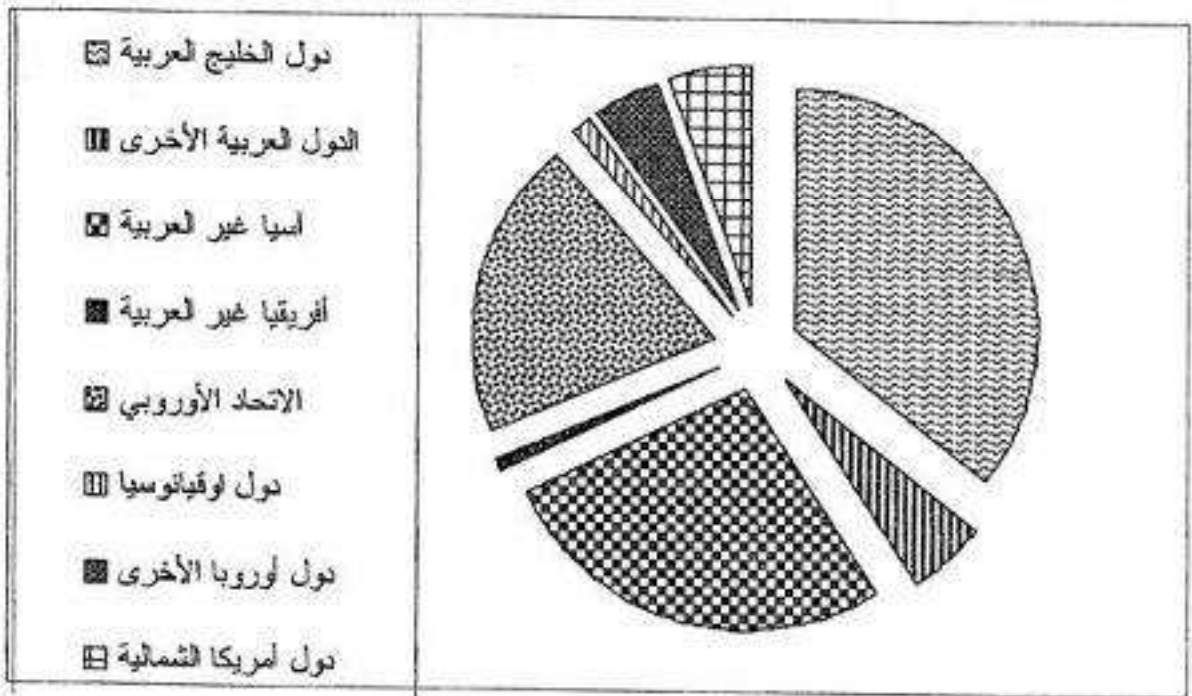
د- استوردت بقية الكتل الاقتصادية ما قيمته 311 مليون دولار وبنسبة 7% من قيمة الصادرات اليمنية ، وكان نصيب الدول الاوقيانوسية 2% بينما انخفضت مساهمة دول أمريكا الشمالية إلى 1% فقط ومثلها دول الاتحاد الأوروبي والدول العربية غير الخليجية ، مما يشير إلى إقبال تلك الكتل على الصادرات اليمنية من النفط على عكس الدول الصناعية الكبرى في أمريكا وأوروبا التي تعتمد على النفط الخليجي.

شكل (5) التوزيع الجغرافي لصادرات اليمن لعام 2004م (مليون دولار)



تم إعداد الشكل اعتمادا على الجدول (3)

شكل (6) التوزيع الجغرافي لواردات اليمن لعام 2004م (مليون دولار)



تم إعداد الشكل اعتمادا على الجدول (3)

أما على مستوى الدول فقد كان توزيع الصادرات اليمنية كما يأتي :

يوضح الجدول (4) قائمة بأهم عشرين دولة استوردت من الجمهورية اليمنية لعام 2004م وبقيمة 3980 مليون دولار وبنسبة 97% من قيمة الصادرات اليمنية ، بينما بلغ نصيب بقية دول العالم 116 مليون دولار فقط وبنسبة 3% فقط، وهذا يعني أن الصادرات اليمنية اتحصرت إلى تلك الدول فقط من جهة ، ولم تتوزع عليها بشكل متوازن من جهة أخرى بل كان التباين بينها كبيرا وكما يأتي بيانه :

تصدرت هذه القائمة كل من تايلاند والصين إذ استوردت الأولى بقيمة 1181 مليون دولار والثانية بقيمة 1169 مليون دولار وبنسبة 29% لكل منها وبذلك فقد استوردتا أكثر من نصف الصادرات اليمنية والتي تمثل 58% ، بينما بقية الدول وعددها 18 دولة لم تساهم إلا بنسبة 42% فقط ، كان نصيب الهند 540 مليون دولار بنسبة 13% ، وبذلك يصبح نصيب الدول الآسيوية الثلاث (تايلاند والصين والهند) 71% من قيمة الصادرات اليمنية لعام 2004 م ، وإذا أضفنا ما استوردته كل من سنغافورة بقيمة 193 مليون دولار وبنسبة 5% وكوريا الجنوبية 131 مليون دولار واليابان 111 مليون دولار وبنسبة 3% لكل منهما فإننا نجد أن الصادرات اليمنية من النفط تتوجه بشكل أساسي إلى الدول الآسيوية الغير عربية والتي بلغت قيمتها 3325 مليون دولار وبنسبة 84% من الصادرات اليمنية إلى الدول الست الأولى ، باستثناء جنوب أفريقيا التي جاءت في المركز السادس قبل اليابان مستوردة ما قيمته 113 مليون دولار وبنسبة 3% من قيمة الصادرات اليمنية.

احتلت الإمارات العربية المتحدة و المملكة العربية السعودية ودولة الكويت المراكز الثامن والتاسع والحادي عشر إذ استوردت بالقيم 109 و 96 و 59 مليون دولار وبالنسب 3 و 2 و 2% من قيمة الصادرات اليمنية على التوالي، وجاءت نيوزلندا بالمركز العاشر وبقيمة 69 مليون دولار وبنسبة 2% من قيمة الصادرات اليمنية ، واحتلت الولايات المتحدة الأمريكية المركز الثاني عشر بقيمة 47 مليون دولار وبنسبة 1% فقط من قيمة الصادرات اليمنية لعام 2004 م بينما تحتل المركز الأول بين الدول المصدرة للجمهورية اليمنية .

ب - التوزيع الجغرافي للواردات :

بلغ إجمالي قيمة الواردات اليمنية لعام 1990م (1358) مليون دولار موزعة على مختلف دول العالم وكتله الاقتصادية، ثم انخفضت هذه القيمة في عام 1995م إلى 647 مليون دولار حيث بلغ مقدار النقص 711 مليون دولار وبنسبة قدرها 110% وبمعدل سنوي مقداره 18% خلال السنوات الست موضوع الدراسة.

أ- ارتفعت قيمة الواردات إلى 4003 مليون دولار في عام 2004م حيث تضاعفت أكثر من 6 مرات عما كانت عليه في عام 1995م حيث بلغت الزيادة 3359 مليون دولار وبنسبة 519% وبمعدل سنوي 57% مما يدل على أن الجمهورية اليمنية تشهد نهضة اقتصادية متسارعة منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي وأصبح السوق اليمني يتابع أسواق الدول العربية النفطية من حيث معدل نمو الواردات نوعا وكما نظرا لتعدد الأنشطة الاقتصادية وتطورها ساعد على ذلك الارتفاع الكبير في قيمة الصادرات اليمنية من النفط في ضوء ارتفاع الأسعار العالمية .

يوضح الجدول (3) تطور التوزيع الجغرافي لواردات الجمهورية اليمنية خلال الأعوام 1990-2004م وذلك كما يأتي :

ب- استوردت الجمهورية اليمنية معظم احتياجاتها من السلع المختلفة من ثلاث كتل اقتصادية خلال السنوات الماضية من عمرها (1990-2004م) هي : دول الوطن العربي والدول الآسيوية الغير عربية ودول الاتحاد الأوروبي بحيث بلغت نسبة كل منها 23% و 24% و 32% على الترتيب وبإجمالي 79% من قيمة الواردات لعام 1990م ، وبنسب 33% و 28% و 23% على التوالي وبإجمالي 84% من قيمة واردات عام 1995م ، و 38% و 25% و 19% وبإجمالي قدره 82% من قيمة الواردات اليمنية لعام 2004م . ويلاحظ تبادل المراكز بين دول الوطن العربي ودول الاتحاد الأوروبي، فقد تصدرت الدول العربية جميع الدول المصدرة إلى اليمن خلال الفترة 1995-2004م. أما على مستوى الدول المصدرة إلى الجمهورية حسب بلد المنشأ خلال عام 2004م فقد احتلت الولايات المتحدة الأمريكية المركز الأول بقيمة 322 مليون دولار و بنسبة 8.1% ، تلتها جمهورية الصين بقيمة 281 مليون دولار وبنسبة 7.1% ثم جاءت السعودية محتلة المركز الثالث

بقیمة 252 مليون دولار وبنسبة 6.3 % ، واحتلت الكويت المركز الرابع بقيمة 247 مليون دولار وبنسبة 6.2 % ، جاءت اليابان في المركز الخامس بنسبة 6.1 % ثم الإمارات العربية بنسبة 5.3% من قيمة الواردات اليمنية الكلية لعام 2004م.

1- الواردات من دول مجلس التعاون الخليجي :

احتلت الواردات اليمنية من دول مجلس التعاون الخليجي المركز الأول بين جميع كتل العالم وقد أخذت الواردات اليمنية من دول المجلس بالارتفاع المستمر خلال ال 10 السنوات الماضية (1995-2004م) حيث ارتفعت قيمتها من 180 مليون دولار عام 1995م وبنسبة 28% إلى 1332 مليون دولار وبنسبة 33% من قيمة الواردات اليمنية لعام 2004م ، نتيجة تشجيع الدولة اليمنية للتجارة البينية ولا سيما بين اليمن ودول الجوار وأهمها دول مجلس التعاون الخليجي ، ولا بد من الإشارة إلى أن معظم السلع المستوردة من هذه الدول هي عبارة عن سلع أعيد تصديرها من ميناء جبل علي بدبي وميناء جدة بالمملكة العربية السعودية ، فضلا عن البضائع المنقولة برا . وقد احتلت دولة الإمارات العربية المتحدة المركز الأول بين دول المجلس حيث صدرت إلى اليمن ما قيمته 665 مليون دولار وبنسبة 50 % وتشكل نصف صادرات دول المجلس إلى الجمهورية اليمنية لعام 2004 م ، بينما احتلت المملكة العربية السعودية المركز الثاني حيث صدرت ما قيمته 355 مليون دولار وبنسبة 26% وبذلك ساهمت بأكثر من ربع صادرات دول المجلس إلى اليمن . وجاءت دولة الكويت في المركز الثالث إذ صدرت ما قيمته 247 مليون دولار وبنسبة 19% ويصل إلى ما يقارب خمس صادرات دول المجلس إلى اليمن . وبذلك فإن الجمهورية اليمنية استوردت من الدول الثلاث المذكورة ما نسبته 95% من إجمالي قيمة الواردات اليمنية من دول مجلس التعاون ، بينما استوردت من الدول الثلاث الأخرى وهي عمان وقطر والبحرين ما قيمته 65 مليون دولار كان نصيب سلطنة عمان منها 60 مليون دولار وبنسبة 4.5% وقطر 3 مليون دولار والبحرين 2 مليون دولار فقط ، والدولتان الأخيرتان ساهمتا بنسبة 0.5% من قيمة الواردات اليمنية من دول مجلس التعاون الخليجي لعام 2004 م .

2. الواردات من دول آسيا غير العربية:

احتلت الواردات اليمنية من الدول الآسيوية الغير عربية المركز الثاني بعد مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي خلال سنوات الدراسة ، فقد بلغت قيمتها 329 مليون دولار عام 1990م ونسبة 24% من قيمة الواردات اليمنية من مختلف دول العالم ، وبإضافة هذه النسبة إلى نسبة ما ساهمت به الدول العربية تكون اليمن استوردت حوالي نصف وارداتها لعام 1990م من تلك المجموعتين .

ونظرا للانخفاض العام بإجمالي قيمة الواردات اليمنية لعام 1995م إلى أقل من النصف عما كانت عليه في عام 1990م فقد انخفضت معها قيمة الواردات من الدول الآسيوية الغير عربية إلى 182 مليون دولار ولكنها شكلت أهمية نسبية عالية بلغت 28% من قيمة إجمالي الواردات اليمنية لعام 1995م ثم شهدت الواردات اليمنية من المجموعة الآسيوية ارتفاعا كبيرا بلغت قيمتها 1002 مليون دولار في عام 2004م ونسبة 25% من إجمالي القيمة وتمثل هذه النسبة ربع قيمة الواردات الإجمالية لعام 2004م ونسبة نقص قدرها 44.7%.

3. الواردات من مجموعة الاتحاد الأوروبي :

تصدرت دول هذه المجموعة قائمة الواردات اليمنية عام 1990م حيث تم استيراد ما قيمته 436 مليون دولار ونسبة 32% من قيمة الواردات اليمنية ، وعلى الرغم من ارتفاع قيمة الواردات السنوية خلال فترة الدراسة إلا أن نسبة مساهمة هذه المجموعة أخذت بالتناقص التدريجي بعد ذلك ، ولقد استوردت اليمن عام 1995م ما قيمته 147 مليون دولار ونسبة 23% من القيمة الإجمالية للواردات اليمنية محتلة المركز الثالث بعد الدول الآسيوية الغير عربية ودول مجلس التعاون الخليجي ، وحافظت على نفس المركز في عام 2004م مع ارتفاع قيمة صادراتها إلى الجمهورية اليمنية إلى 741 مليون دولار ونسبة 19% من القيمة الكلية للواردات اليمنية

4. الواردات من دول أمريكا الشمالية :

تحتكر الولايات المتحدة الأمريكية كل الواردات اليمنية من دول أمريكا الشمالية باستثناء مساهمة محدودة جدا لحكومة كندا ، وكما سبقت الإشارة عند الحديث عن الصادرات اليمنية إلى الولايات المتحدة بأنها تدهورت بشكل واضح من 40% عام 1990م إلى 1% عام

2004م ، وبالمثل فإن الواردات اليمنية تدهورت بشكل مماثل من هذه الدولة حيث لم تزيد عن 5% فقط من قيمة الواردات اليمنية لعام 2004م ، إذ توجهت اليمن للاستيراد بشكل رئيسي من الدول العربية ولا سيما دول مجلس التعاون الخليجي والدول الصناعية في جنوب وشرق آسيا نظرا لرخص السلع الصناعية والزراعية الآسيوية التي تتلاءم مع مستوى المعيشة السائد في اليمن.

أما على مستوى الدول فقد كان توزيع الواردات كما يوضحها الجدول (4) وكما يأتي :

جدول (4) أهم 20 دولة مصدرة ومستوردة في عام 2004م بالمليون دولار

المستوردة من اليمن			م	المصدرة إلى اليمن (بحسب بلد المنشأ)			م
%	القيمة	الدولة		%	القيمة	الدولة	
29	1181	تايلاند	1	8	322	الولايات المتحدة الأمريكية	1
29	1169	الصين	2	7	281	الصين	2
13	540	الهند	3	6	252	السعودية	3
5	193	سنغافورة	4	6	247	الكويت	4
3	131	كوريا الجنوبية	5	6	242	اليابان	5
3	113	جنوب أفريقيا	6	5	213	الإمارات	6
3	111	اليابان	7	5	203	الهند	7
3	109	الإمارات	8	5	177	فرنسا	8
2	96	السعودية	9	4	171	ألمانيا	9
2	69	نيوزلندا	10	4	156	بريطانيا	10
1	59	الكويت	11	4	145	سويسرا	11
1	47	الولايات المتحدة	12	3	135	البرازيل	12
1	30	ماليزيا	13	3	114	مختلفة المنشأ	13
1	29	أستراليا	14	3	102	تركيا	14
1	24	سويسرا	15	2	94	مصر	15
-	22	تموين السفن	16	2	87	إيطاليا	16
-	19	الصومال	17	2	80	ماليزيا	17
-	17	ليونان	18	2	68	أستراليا	18
-	11	العراق	19	2	68	تايلاند	19
-	10	هونغ كونج	20	2	67	هولندا	20

97	3980	الإجمالي	81	3224	الإجمالي
3	116	بقية دول العالم	19	779	بقية دول العالم
100	4096	الإجمالي العام	100	4003	الإجمالي العام

1- الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2005 . ص 410- 411 .

تصدرت عشرون دولة قائمة الدول المصدرة إلى الجمهورية اليمنية بحسب بلد المنشأ لعام 2004م موزعة على جميع قارات العالم ، والتي صدرت بقيمة 3224 مليون دولار وبنسبة 81% من قيمة الواردات اليمنية الإجمالية ، بينما ساهمت بقية دول العالم المختلفة بما قيمته 779 مليون دولار وبنسبة 19% فقط .

تصدرت الولايات المتحدة الأمريكية قائمة أهم الدول المصدرة إلى اليمن لعام 2004م بقيمة 322 مليون دولار وبنسبة 8% من إجمالي قيمة الواردات اليمنية. احتلت جمهورية الصين الشعبية المركز الثاني في قائمة أهم الدول المصدرة إلى اليمن بقيمة 281 مليون دولار وبنسبة 7% من إجمالي قيمة الواردات اليمنية بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

جاءت المملكة العربية السعودية ودولة الكويت في المركزين الثالث والرابع على التوالي في هذه القائمة بقيمة 252 و 247 مليون دولار وبنسبة 6% لكل منهما ثم اليابان التي احتلت المركز الخامس بقيمة 242 مليون دولار وبنفس النسبة.

أما دولة الإمارات العربية المتحدة فقد جاءت في المركز السادس بقيمة 213 مليون دولار وبنسبة 5% من إجمالي قيمة الواردات اليمنية لعام 2004م ، وقريبا منها جمهوريتا الهند وفرنسا اللتان صدرتا بقيمة 203 و 177 مليون دولار وبنفس النسبة تقريبا وصدرت كل من ألمانيا وبريطانيا وسويسرا بالقيم 171 و 156 و 145 مليون دولار وبنسبة 4% لكل منها من قيمة الواردات اليمنية وبذلك شغلت المركز التاسع والعاشر والحادي عشر في قائمة أهم الدول المصدرة إلى الجمهورية اليمنية لعام 2004

احتلت جمهوريتا البرازيل وتركيا المركزين الثاني عشر والرابع عشر في القائمة حيث صدرتا بما قيمته 135 و 102 مليون دولار وبنسبة 3% لكل منهما. بقية الدول احتلت المراكز من 15-20 وهي جمهورية مصر العربية 94 مليون دولار

وايطاليا 87 مليون دولار وماليزيا 80 مليون دولار واستراليا وتايلاند كل منهما 68 مليون دولار وأخيرا هولندا 67 مليون دولار وبنسبة 2% .

« تتوزع الدول العشرون الأولى في قائمة الدول المصدرة إلى الجمهورية اليمنية على الكتل الاقتصادية في العالم بشكل متباين حيث بلغت 6 دول من آسيا الغير عربية هي: (الصين واليابان والهند وتركيا وماليزيا وتايلاند) فقد صدرت هذه الدول بما قيمته 976 مليون دولار وبنسبة 30% من صادرات الدول العشرين الأولى ، كما بلغ عدد الدول الأوروبية 7 دول وهي : (فرنسا وألمانيا وبريطانيا وسويسرا وايطاليا وهولندا) ، والتي صدرت ما قيمته 803 مليون دولار وبنسبة 25% من صادرات الدول العشرين الأولى المصدرة إلى اليمن ، وشاركت أربع دول عربية فقط ضمن قائمة الدول العشرين الأولى هي : (السعودية والكويت والإمارات ومصر) وصدرت بما قيمته 806 مليون دولار وبنسبة 25% من صادرات الدول العشرين الأولى.

« وساهمت الولايات المتحدة والبرازيل من القارتين الأمريكية الشمالية والجنوبية بتصدير بما قيمته 457 مليون دولار وبنسبة 14% من صادرات الدول العشرين الأولى، وصدرت أيضا استراليا بما قيمته 68 مليون دولار وبنسبة 2% من صادرات الدول العشرين الأولى.

رابعا: التجارة البيئية بين اليمن ودول الخليج العربية .

أ. الواردات اليمنية من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية:

تشير الإحصاءات الخاصة بالتجارة الخارجية للجمهورية اليمنية بأن قيمة الواردات اليمنية أخذت بالتمو السريع خلال ال 15 سنة الماضية، ويتبين من الجدول (5) أن قيمة الواردات اليمنية ارتفعت في عام 2004 م بأكثر من 6.6 مرة عما كانت عليه عام 1990م فقد زادت من 200,3 مليون دولار عام 1990م إلى 1326,3 مليون دولار أمريكي عام 2004م بزيادة قدرها 1126 مليون دولار وبنسبة زيادة 562% وبذلك ارتفعت نسبة مساهمة دول المجلس من 14.8% من إجمالي الواردات اليمنية عام 1990م إلى 33.3% في عام 2004م . وهذا يعني أن ثلث الواردات اليمنية من دول مجلس التعاون الخليجي سواء من

السلع الخليجية المنشأ أو إعادة التصدير إلى اليمن ولا سيما من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة .

على مستوى الدول :

أ- احتلت المملكة العربية السعودية المركز الأول بين دول المجلس من حيث قيمة الواردات اليمنية التي بلغت 109 مليون دولار عام 1990م ومثلت 55% من مجموع قيمة الواردات اليمنية من دول الخليج ، بينما جاءت دولة الإمارات في المركز الثاني بعد المملكة إذ بلغت قيمة صادراتها إلى اليمن 50.5 مليون دولار ونسبة 25% من مجموع قيمة الواردات اليمنية من دول المجلس في عام 1990م ، وبذلك فإن السعودية والإمارات يساهمان بـ 80% من قيمة الواردات اليمنية في دول المجلس الست ثم جاءت دولة الكويت التي صدرت ما قيمته 23.5 مليون دولار ونسبة 12% محتلة المركز الثالث وساهمت دولة قطر بنسبة 5% ومملكة البحرين 3% ، أما سلطنة عمان فقد صدرت ما قيمت 1.3 مليون دولار ولم يشكل هذا المبلغ نسبة تذكر من مجموع قيمة الواردات اليمنية من دول المجلس لعام 1990م .

تغير الوضع تماما في عام 2004م وتغيرت القيم والأهمية النسبية للدول الست ، حيث احتلت الإمارات المركز الأول محتكرة نصف قيمة الواردات اليمنية من دول الخليج ، بينما تأخرت السعودية إلى المركز الثاني بقيمة 349.7 مليون دولار ونسبة 26% وحافظت الكويت على مركزها إذ صدرت ما قيمته 246.7 مليون دولار ونسبة 19% من واردات الجمهورية اليمنية من دول الخليج العربية وتقدمت سلطنة عمان لتحتل المركز الرابع مصدرة ما قيمته 60.5 مليون دولار ونسبة 5% ، أما دولة قطر فساهمت بتصدير ما قيمته 3,1 مليون دولار والبحرين بقيمة 1.6 مليون دولار فقط .

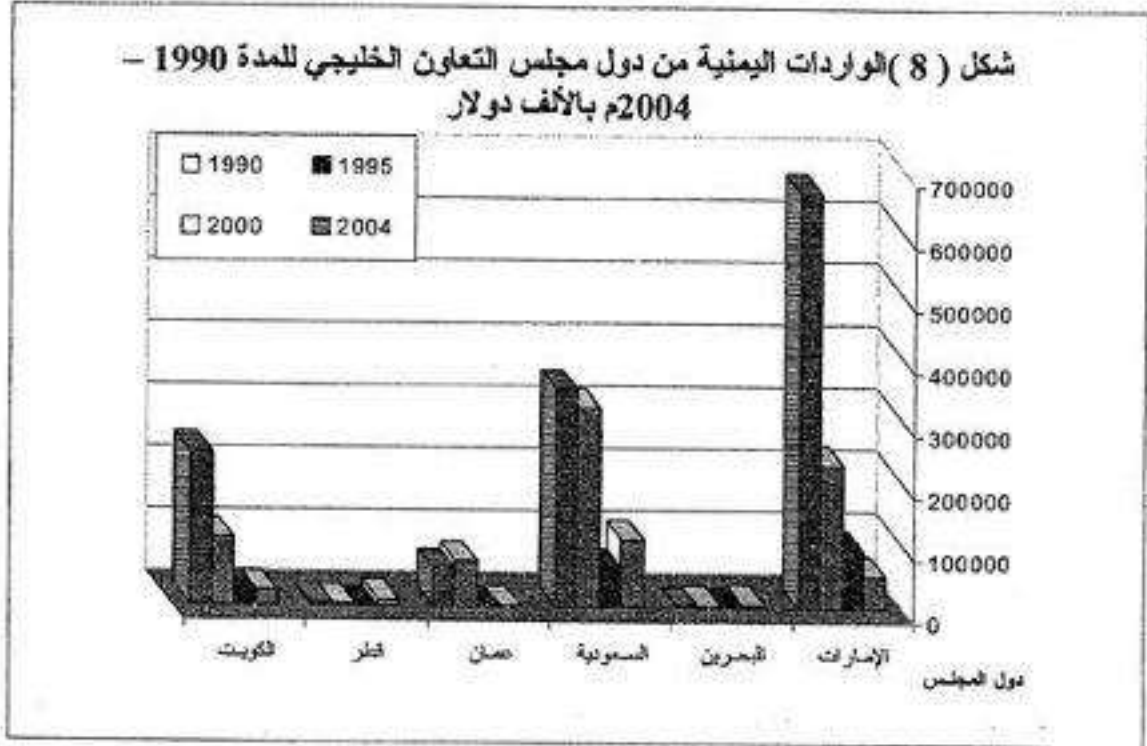
جدول (5) الواردات اليمنية من دول مجلس التعاون الخليجي وأهميتها النسبية للمدة 1990-2004م بالآلف دولار

م	الدولة	1990		1995		2000		2004	
		القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%
1	الإمارات	50476	25	91577	51	231204	31	664580	50
2	البحرين	5372	3	277	-	2914	-	1635	-
3	السعودية	109210	55	62536	35	319957	43	349733	26
4	عمان	1290	-	1069	1	72844	10	60545	5
5	قطر	10496	5	145	-	4041	1	3069	-
6	الكويت	23473	12	23951	13	108566	15	246675	19
	الإجمالي الخليجي	200317	100	179505	100	739526	100	1.326.237	100
	الإجمالي العالمي	1357345		645696		2323951		3985569	
	النسب المئوية %	14.8		27.8		31.8		33.3	

تم إعداد الجدول بالاعتماد على المصادر الآتية :

- 11- الجمهورية اليمنية ، وزارة التخطيط والتنمية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي لعام 1995م . صنعاء ، مارس 1996م . ص 336 .
- 12- الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتعاون الدولي ، الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2003م ، صنعاء ، يونيو 2004م . ص 402.
- 13- الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتعاون الدولي ، الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2004م ، صنعاء ، يونيو 2005م . ص 420.

شكل (8) الواردات اليمنية من دول مجلس التعاون الخليجي للمدة 1990 – 2004م
بالآلف دولار



ب: الصادرات اليمنية إلى دول المجلس :

الصادرات اليمنية إلى دول مجلس التعاون الخليجي متواضعة حجما وقيمة إذ بلغت قيمتها 40,4 مليون دولار عام 1990م ومثلت نحو 20% فقط من قيمة الواردات ، ولذلك فإن الميزان التجاري يميل لصالح دول المجلس بشكل واضح ، واستمرت هذه الحالة خلال السنوات اللاحقة على الرغم من ارتفاع قيمة الصادرات إلى 270.3 مليون دولار عام 2004م ومثلت نسبة 20.4% من قيمة الواردات اليمنية من هذه الدول أيضا واستمر الميزان التجاري على ما كان عليه قبل 15 سنة .

- وبالمثل استمرت نسبة مساهمة دول المجلس في الصادرات اليمنية شبه ثابتة خلال فترة الدراسة فقد بلغت عام 1990م 6.8% من إجمالي الصادرات اليمنية إلى مختلف دول العالم، بينما انخفضت بشكل محدود إلى 6.6% في عام 2004م على الرغم من ارتفاع القيمة من 40,4 مليون دولار عام 1990م إلى 270.3 مليون دولار عام 2004م ، وهذا يعود إلى

سيطرت النفط على السلع المصدرة من اليمن إلى الخارج ، وهذه المادة لا تحتاجها دول المجلس نظرا لأنها مصدرة لها .

أما على مستوى الدول : يوضح الجدول (6) أن المملكة العربية السعودية احتلت المركز الأول بين دول المجلس المستوردة من اليمن عام 1990م إذ استوردت ما قيمته 17.5 مليون دولار وبنسبة 43% من مجموع الصادرات اليمنية إلى دول المجلس ، بينما احتلت البحرين المركز الثاني بقيمة 10.7 مليون دولار وبنسبة 27% ، والإمارات 10.1 مليون دولار وبنسبة 25% ، والكويت بقيمة 2 مليون دولار وبنسبة 5% من مجموع صادرات الجمهورية اليمنية إلى دول المجلس الست .

- احتلت مملكة البحرين المركز الأول عام 1995م حيث استقبلت ما قيمته 11.2 مليون دولار من الصادرات اليمنية وبنسبة 58% من قيمة الصادرات اليمنية إلى دول المجلس ، وجاءت الإمارات في المركز الثاني بقيمة 540 ألف دولار وبنسبة 28% ، والكويت في المركز الثالث بنسبة 11% .

- وفي عام 2000م جاءت الكويت في المركز الأول مستوردة ما قيمته 71 مليون دولار وبنسبة 45% ثم السعودية في المركز الثاني بنسبة 30% والإمارات في المركز الثالث بنسبة 23% .

- احتلت دولة الإمارات العربية المتحدة المركز الأول بين دول المجلس المستوردة من اليمن حيث استوردت ما قيمته 108 مليون دولار وبنسبة 40% من صادرات اليمن إلى دول المجلس جاءت بعدها السعودية مستوردة ما قيمته 96.4 مليون دولار وبنسبة 36% ثم جاءت دولة الكويت ثالثا بقيمة 59.4 مليون دولار وبنسبة 22% من إجمالي الصادرات اليمنية إلى دول مجلس التعاون الخليجي .

جدول (6) الصادرات اليمنية إلى دول مجلس التعاون الخليجي وأهميتها النسبية للمدة
1990 - 2004 م بالآلف دولار

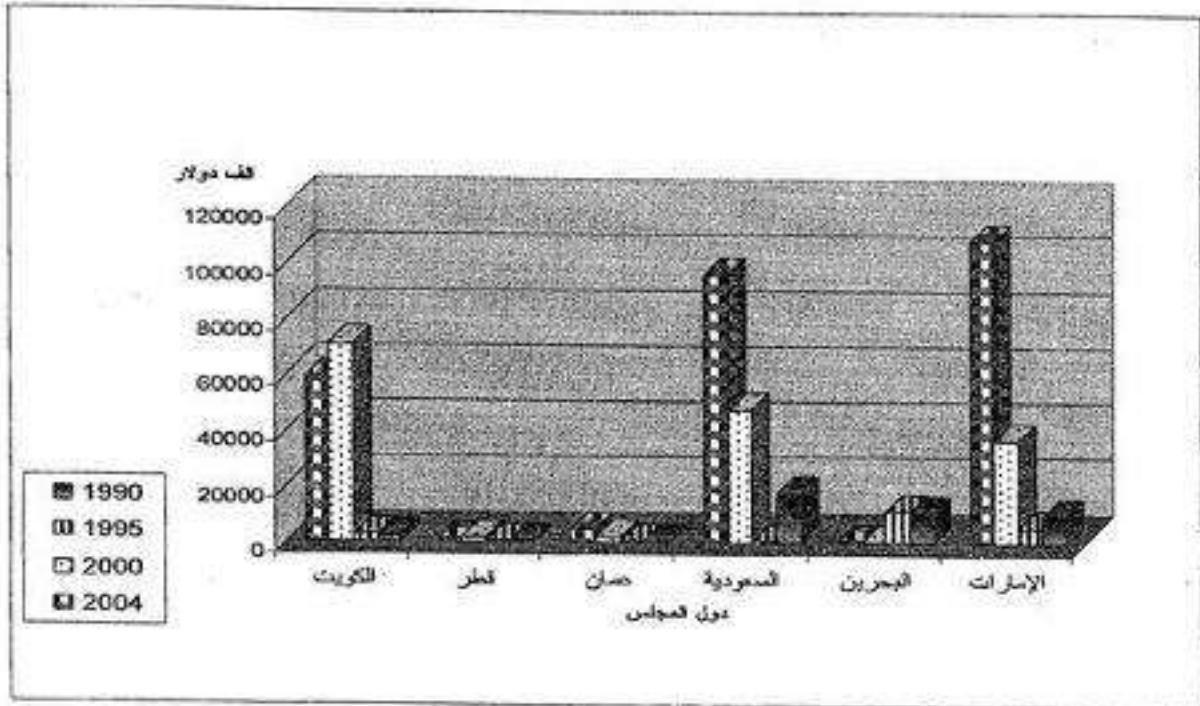
م	الدولة	1990		1995		2000		2004	
		القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%	القيمة	%
1	الإمارات	10108	25	5402	28	37079	23	108773	40
2	البحرين	10704	27	11231	58	4	-	357	-
3	السعودية	17482	43	108	1	47909	30	96378	36
4	عمان	-	-	352	2	1662	1	4678	2
5	قطر	82	-	27	-	1132	1	723	-
6	الكويت	2050	5	2264	11	71001	45	59409	22
	الإجمالي الخليجي	40426	100	19384	100	158787	100	270318	100
	الإجمالي العالمي	598238		794339		4079215		4077900	
	النسب المتلوية %	6.8		2.4		3.9		6.6	

تم إعداد الجدول بالاعتماد على المصادر الآتية :

- 1- الجمهورية اليمنية ، وزارة التخطيط والتنمية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي لعام 1995م ، صنعاء ، مارس 1996م ، ص 340 .
- 2- الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتعاون الدولي ، الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2003م ، صنعاء ، يونيو 2004م ، ص 415 .
- 3- الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتعاون الدولي ، الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2004م ، صنعاء ، يونيو 2005م ، ص 420 .

ويلاحظ عدم احتكار أي دولة من دول المجلس الصدارة في استقبال الصادرات اليمنية فقد تصدرت السعودية عام 1990م ثم البحرين عام 1995م والكويت عام 2000م والإمارات عام 2004م وبنسب متباينة .

شكل (9) الصادرات اليمنية إلى دول مجلس التعاون الخليجي 1990-2004م بالآلف دولار



تم إعداد الشكل اعتمادا على الجدول (6)

خامسا: المعوقات التي تواجه الصادرات اليمنية:

تواجه الجمهورية اليمنية أوضاعا اقتصادية تتسم بالصعوبة شأنها شأن الدول النامية نتيجة محدودية الموارد والاعتماد على إيرادات النفط الذي لم يتجاوز 380 ألف برميل يوميا يتم استهلاك جزء منه محليا نتج عنها ارتفاع عدد الفقراء والعاطلين عن العمل وانخفاض معدل دخل الفرد .

لقد نتج عن انتشار الفساد المالي والإداري والعجز عن مكافحته انخفاض معدل النمو الاقتصادي وارتفاع معدلات التضخم واستمرار العجز في الميزانية العامة للدولة وتدهور القيمة للعملة المحلية مقابل العملات الأخرى والحديث عن الجوانب المختلفة للاقتصاد اليمني توحى بإمكانية زيادة حجم وقيمة الصادرات غير النفطية بدرجة أساسية غير أن تلك الإمكانية لن تحقق إلا بعد اتخاذ الخطوات المناسبة وإنشاء البنية التحتية اللازمة للصناعات التصديرية وإزالة المعوقات الجمركية وتخفيض كلفة مدخلات الإنتاج التصديري ، مما يحقق

للمنتجين القدرة التنافسية في الأسواق الخارجية في ظل تطبيق اتفاقية منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى وانضمام الجمهورية اليمنية إلى منظمة التجارة العالمية التي هي بصدد التفاوض معها حاليا كما يجب على الحكومة اليمنية إعادة النظر في قانون الاستثمار وتوفير المقومات الأساسية لتطبيقه في الواقع وعدم الاكتفاء بالنصوص القانونية والاستفادة القصوى من مشروع المنطقة الحرة بعدن وميناء الحاويات وإنشاء المناطق الحرة الجديدة في المدن اليمنية الكبرى لتحقيق هذا الهدف والاستثمار في الجزر اليمنية مثل سقطرى وكرمان وميون وحنيش وغيرها ، إن السياسة الاقتصادية والتجارية المتبعة في الوقت الحاضر القائمة على حماية المنتجات المحلية من منافسة السلع المستوردة بوضع القيود الجمركية بزيادة معدل التعريفة الجمركية على المواد المستوردة المماثلة لبعض المنتجات المحلية لكي توفر قدرا من الحماية للمنتج المحلي ، إن هذه السياسة غير مجدية في ظل المتغيرات العالمية الجديدة، خاصة أن الدول أخذت في تحرير التجارة وإتباع سياسة تشجيع الصادرات باستخدام الميزة النسبية للمنتجات المحلية ، مع الأخذ بعين الاعتبار المواصفات القياسية اللازمة للمنافسة في الأسواق الخارجية ، وإذا أرادت الحكومة تطوير هذا الجانب فما عليها إلا الاهتمام بجانبين هما توفير جودة المنتج الصناعي وقيمه المنافسة للمنتجات المماثلة عن طريق رسم سياسة اقتصادية تقوم على أساس دعم وتشجيع القطاع الخاص المحلي والعربي والعالمي وحمايته من الابتزاز وتوفير عوامل الاستقرار وعلى رأسها استقلال القضاء فعليا وحماية رأس المال الوافد من الخارج وتفعيل قانون الاستثمار .

أما بالنسبة للمنتجات الزراعية فإن وضعها يختلف عن المنتجات الصناعية التي سبق الإشارة إليها ، فمن الملاحظ أن حجم وقيمة الصادرات اليمنية من المنتجات الزراعية المصدرة لم تتزايد ولم تحقق النجاح المتوقع منها خلال فترة الدراسة 1990-2004م ، حيث تواجه تلك المنتجات في أسواق دول الخليج العربية منافسة شديدة من حيث المواصفات والجودة وكذلك المنافسة السعرية وارتفاع التكاليف أمام السلع المنافسة في تلك الأسواق ، نظرا لما تواجهه من معوقات أهمها:

- 1- ضعف كفاءة وإمكانية المؤسسات التسويقية التي تنقصها وسائل الخدمات الفنية كوسائل التعبئة والتغليف المناسبة والعبوات الملائمة للمستهلك، ووسائل الفرز والتدريج وكذلك افتقارها إلى وسائل التخزين المبرد
- 2- عدم وجود مراكز الفحص في المنافذ الجمركية الرئيسية للجمهورية والتي تحدد المواصفات والمقاييس اللازم توافرها في المنتجات المصدرة إلى الأسواق الخارجية، وضرورة مطابقتها للمواصفات الدولية، حتى تتمكن من القدرة التنافسية مع السلع الأجنبية المماثلة لها.
- 3- تعدد الجهات المسؤولة عن الصادرات مما يؤدي إلى إعاقة الإجراءات الخاصة بالتصدير وتعقيدها .
- 4- ارتفاع تكاليف النقل الجوي وعدم ضمان الرحلات المنتظمة لتسهيل انسياب نقل السلع الزراعية بشكل منتظم إلى الأسواق الخارجية وعدم توفر وسائل النقل البري المبرد أو النقل البحري المخصص للمنتجات الزراعية والسلمكية.
- 5- ارتفاع قيمة العبوات ومواد التغليف المصنعة محليا والمستوردة من الخارج .
- 6- عدم توفر المعلومات السوقية عن أسواق الدول المجاورة المستهدفة مثل الكميات والأصناف المطلوبة والمرغوبة والأسعار السائدة للسلع المماثلة المنافسة لمختلف السلع الزراعية والحيوانية والسلمكية، مما يخلق فجوة بين المصدرين والمستوردين
- 7- إهمال الجانب الرسمي لهذا النشاط كدور الملحقيات التجارية في الدول المستهدفة و دور وزارة التجارة والصناعة بقيام المعارض التجارية اليمينية في الخارج وعدم قيام الاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية بدوره في هذا المجال .

الخلاصة:-

نستخلص من الدراسة تزايد حجم وقيمة التجارة الخارجية للجمهورية اليمنية بشقيها الواردات والصادرات خلال مدة الدراسة 1990-2004م ، فقد ارتفع حجمها الكلي من 12.6 مليون طن عام 1990م إلى 23.3 مليون طن عام 2004م وتزايد قيمتها من 1955 مليون دولار أمريكي إلى 8064 مليون دولار خلال نفس المدة ، كما أن الميزان التجاري اليمني أصبح يميل لصالح الصادرات من عام 1995م بعد أن تم إضافة قيمة البترول المصدر إلى قيمة الصادرات الكلية ويلاحظ من تتبع تطور حجم التجارة اليمنية للمدة 1990-2004م إن الزيادة في قيمة الصادرات بلغت 3480 مليون دولار وبنسبة 582% وتغوق بكثير نسبة الزيادة في قيمة الواردات التي بلغت 194% خلال مدة الدراسة ويرجع ذلك إلى زيادة حجم الصادرات اليمنية من النفط الخام ومشتقاته التي نتج عنها زيادة في القوة الشرائية للسكان مما استدعى زيادة الواردات وتنوعها لسد الحاجة .

وتصدرت المنتجات الغذائية قائمة الواردات خلال النصف الأول من فترة الدراسة وكانت تشكل نسبة 40 %

عام 1990م، ثم أخذت مجموعة الآلات والمعدات المختلفة تشاركها هذا المركز في القائمة بعد ذلك وبنسبة 28% لكل منهما نظرا لما شهدته وتشهده البلاد من نهضة عمرانية. كما تصدر المنتجات النفطية ومشتقاتها بقية السلع اليمنية المصدرة إلى الأسواق العالمية الخارجية ، وقد ارتفعت قيمتها من 531 مليون دولار عام 1990م وبنسبة 86% من قيمة الصادرات إلى 3724 مليون دولار وبنسبة 91% عام 2004م ، ويرجع ذلك إلى هيمنة البترول الخام ومشتقاته على التجارة الخارجية اليمنية ، إذ يعد أهم السلع التي تتألف منها الصادرات ، يقابل ذلك تدهور حجم وقيمة السلع غير النفطية المصدرة والتي أصبحت لا تشكل إلا نسبة ضئيلة في الصادرات اليمنية . ومن تتبع التوزيع الجغرافي للصادرات والواردات اليمنية نجد أن الدول المصدرة إلى اليمن بلغت 142 دولة عام 2004م في حين بلغ عدد الدول المستوردة من اليمن 49 دولة فقط ، وهذا يعني أن التوزيع الجغرافي للواردات اليمنية أكثر اتساعا من التوزيع الجغرافي للصادرات اليمنية ، ويعود سبب ذلك إلى محدودية الكميات المصدرة من النفط الذي لا يزيد عن 300 ألف برميل يوميا في حين

يتم استهلاك بقية الكمية المنتجة محليا. وقد احتلت مجموعة الدول الآسيوية غير العربية المركز الأول بين الكتل الاقتصادية في العالم من حيث استقبال السلع اليمنية وأهمها النفط الخام وارتفعت نسبتها من 7% عام 1990م إلى 74% عام 1995م ثم إلى 83% من جملة قيمة الصادرات اليمنية عام 2004م ، ويرجع ذلك إلى سياسة الأسعار والعلاقات الاقتصادية المتميزة بين تلك الدول والجمهورية اليمنية ويعد البترول عماد التجارة الخارجية لليمن مع دول وكتل العالم الاقتصادية . كما تبين من تتبع التوزيع الجغرافي للواردات اليمنية باحتكار ثلاث كتل اقتصادية معظم الواردات اليمنية وهي تحتل المراكز الثلاثة الأولى في قائمة الكتل المصدرة إلى الأسواق اليمنية ، فقد احتلت دول الاتحاد الأوروبي المركز الأول بنسبة 32% تلتها الدول الآسيوية غير العربية بنسبة 24% ثم دول الخليج العربية بنسبة 15% من قيمة الواردات اليمنية لعام 1990م ثم تغير الوضع في عام 2004م إذ تقدمت الدول الخليجية إلى المركز الأول بنسبة 33% ثم الدول الآسيوية غير العربية بنسبة 25% ثم جاءت دول الاتحاد الأوروبي في المركز الثالث بنسبة 19% من قيمة الواردات اليمنية الكلية . ويعود السبب إلى تطبيق اتفاقية منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى وتثجيع التبادل التجاري مع دول الجوار العربية وفي مقدمتها دول مجلس التعاون الخليجي والاستفادة من قرب المسافة وسهولة النقل البري المباشر والاستيراد من ميناءي دبي الإماراتي وجدة السعودي ، أما على مستوى الدول فإننا نلاحظ أن هناك عشرين دولة ساهمت بالتصدير إلى اليمن وبنسبة تراوحت بين 8% من قيمة الواردات اليمنية والمتمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية تلتها جمهورية الصين بنسبة 7% ثم السعودية والكويت واليابان بنسبة 6% لكل منها والإمارات والهند وفرنسا بنسبة 5% وهكذا وجاءت المجموعة الأخيرة وشملت مصر العربية وإيطاليا وماليزيا وأستراليا وتايلاند وهولندا وبنسبة 2% لكل منها ، وقد كان نصيب الدول العشرين 81% من إجمالي قيمة الواردات اليمنية عام 2004م . أما أهم الدول المستوردة من اليمن فهي تايلاند والصين وبنسبة 29% لكل منهما ثم الهند 13% وسنغافورة 5% وكوريا الجنوبية وجنوب أفريقيا واليابان والإمارات وكان نصيب كل منها 3% ، والسعودية ونيوزلندا 2% لكل منهما ، واحتكرت هذه الدول العشر نحو 92% من قيمة الصادرات اليمنية لعام 2004م .

أما على مستوى التبادل التجاري بين الجمهورية اليمنية ودول مجلس التعاون الخليجي فإنه تبين من تتبع تطور حجم التجارة البينية اليمنية الخليجية ارتفاع أهميتها النسبية خلال مدة الدراسة 1990-2004م ، ففي حالة الواردات اليمنية من تلك الدول فقد نمت بشكل سريع حيث ارتفعت القيمة من 200.3 مليون دولار عام 1990م وبنسبة 14.8% من قيمة الواردات الكلية إلى 1326.2 مليون دولار وبنسبة 33.3% عام 2004م . وتصدرت السعودية دول المجلس بنسبة 55% عام 1990م تلتها الإمارات بنسبة 25% من الواردات اليمنية الخليجية، أما في عام 2004م فقد تصدرت الإمارات الدول الخليجية المصدرة إلى اليمن وبنسبة 50% تلتها السعودية بنسبة 26% والكويت في المركز الثالث بنسبة 19% من الواردات اليمنية من دول المجلس. أما في مجال الصادرات اليمنية إلى دول المجلس فقد ارتفعت قيمتها من 40.5 مليون دولار عام 2004م وبنسبة 6.6% . احتلت السعودية المركز الأول وبنسبة 43% من قيمة الصادرات اليمنية إلى دول المجلس لعام 1990م تلتها البحرين بنسبة 27% ثم الإمارات بنسبة 25% ، أما في عام 2004م فقد جاءت الإمارات في المركز الأول وبنسبة 40% تلتها السعودية 36% ثم الكويت بنسبة 22% من إجمالي قيمة الصادرات اليمنية . تبين أن قطاع التجارة الخارجية اليمنية يواجه عددا كبيرا من المعوقات التي تحد من تطوره ونموه مع دول العالم بشكل عام ومع دول مجلس التعاون الخليجي بشكل خاص وتواجه المنتجات الصناعية مشاكل تختلف عن المشكلات التي تواجه المنتجات الزراعية القابلة للتصدير إلى الخارج ، ويتطلب حل تلك المعوقات اتخاذ قرارات سياسية جادة تساهم في إنقاذ قطاع التجارة الخارجية من الانهيار وخصوصا بعد نفاذ الثروة النفطية التي تعتمد الدولة عليها في ردف ميزانيتها السنوية والدخل القومي وتنفيذ الخطط التنموية الشاملة . لذلك يقترح ضرورة التوصل إلى اتفاقية للتبادل التجاري الحر مع دول الخليج العربية وإلغاء ضريبة الرسوم الجمركية للسلع الوطنية المنشأ ومنه الزراعية والصناعية ، ومد جسور الثقة والحوار في سبيل الانضمام الكامل للجمهورية اليمنية لدول المجلس لتكوين كتل إقليمي قوي يمتلك عددا من المقومات الطبيعية والبشرية والاقتصادية التي تجعله قادر على مواجهة التكتلات الاقتصادية الأخرى .

المصادر والهوامش :-

- 1- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2005م ، مطابع مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر ، صنعاء . ص 404.
- 2- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمشاعات لعام 2004م.
- 3- احمد محمد شجاع الدين ، السكان والتنمية ،
- 4- المصدر نفسه . ص 45.
- 5- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، مسح القوى العاملة لعام 1999.
- 6- سبقت الإشارة إلى هذا الموضوع في المقدمة .
- 7- تم إعداد الجدول بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوية للأعوام 1998 و2001م و 2003 م و2004م و2005م. فصل التجارة الخارجية بصفحات متعددة.
- 8- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2004م
- 9- الجمهورية اليمنية، كتاب الإحصاء السنوي لعام1995م ص 337-342.
- 10- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي لعام 2004/ ص ص 412 - 418.
- 11- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء كتاب الإحصاء السنوي لعام 2005م ص 410 - 411،
- 12- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي لعام 1995م ص 336.

معلومات البحوث الميدانية في جامعة تعز

بحث سوسيولوجي ميداني للمعوقات من وجهة نظر

أعضاء هيئة التدريس

(الجزء الثاني)

د. عبدالرزاق محمود الهيتي *

1) الجنس:

تشير بيانات الجدول (1) أن أغلب أعضاء هيئة التدريس من الذكور وبنسبة تصل إلى (88%) في حين لا تشكل الإناث سوى (12%) من الباحثين. وهذا يحد ذاته يشير إلى تدني مشاركة المرأة في الهيئة الأكاديمية في جامعة تعز، وربما يعود ذلك إلى عوامل متعددة اجتماعية وثقافية مرتبطة بنسق القيم الاجتماعية التي لا تعطي المرأة مكانتها الملائمة في عملية التنمية بشكل عام، وبالرغم من دخول المرأة اليمنية في عملية التحديث والتنمية إلا أن هذه التجربة لازالت حديثة ولم تعط ثمارها في المجتمع اليمني بشكل واضح، وكل ذلك يسوثر بشكل كبير في تدني مساهمة المرأة في التعليم الجامعي والبحث العلمي بشكل عام.

جدول رقم (1)

يمثل توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الجنس

الجنس	التكرار	النسبة المئوية %
1 ذكر	95	88
2 أنثى	13	12
المجموع	108	100%

إن النقص الكبير من الإناث في أعضاء هيئة التدريس الذين يعدون المنفذ الفعلي للبحوث الميدانية يمثل إحدى العقبات في هذا المجال، وبخاصة وأننا نتحدث عن مجتمع تقليدي

محافظة، يرفض الاختلاط بين الذكور والإناث، فعملية البحث الميداني تتطلب جمع البيانات من أفراد المجتمع، والكثير من البحوث الميدانية تطبق على الإناث ولذا يتطلب وجود باحثات من الإناث حتى يكن قادرات على مقابلة الإناث والتحدث إليهن وجمع البيانات منهن سواء بالمقابلة أو الاستبيان أو أية وسيلة أخرى لجمع البيانات.

وقد وجد البحث أن الفرق بين عدد البحوث التي يجريها الباحثون الذكور وتلك التي تجريها الباحثات من الإناث، فقد اقترب متوسط البحوث المنجزة بين الذكور والإناث من أعضاء هيئة التدريس حيث بلغ لدى الذكور حوالي (4.42) بحوث وعند الإناث بلغ حوالي (4.00) بحوث، ولكن ارتفع المتوسط للبحوث الميدانية المنجزة لدى الذكور ليبلغ حوالي (7.04) بحوث في حين انخفض المتوسط لدى الإناث حيث بلغ حوالي (6) بحوث، وقد يشير ذلك إلى الصعوبات التي تواجهها الإناث الباحثات في إنجاز وتنفيذ البحوث الميدانية، بشكل أكبر مما يواجهه الذكور في هذا المجال، أو حداثة دخول المرأة في هيئة التدريس الجامعية.

2) العمر:

من خلال الجدول (2) يتضح أن أغلب أعضاء هيئة التدريس في جامعة تعز من الفئات العمرية المتوسطة، حيث بلغ الوسط الحسابي للأعمار حوالي (44) سنة في حين بلغ الانحراف المعياري للأعمار حوالي (7) سنوات، ولو عدنا للجدول لوجدنا أن المنتمين للفئات العمرية دون (48) سنة قد بلغوا أكثر من ثلاثة أرباع أعضاء الهيئة التدريسية بنسبة (77.8 %)، وكل ذلك يشير إلى جملة من الملاحظات، منها تدني متوسط العمر لأعضاء الهيئة التدريسية، وهو أمر إيجابي من ناحية توافر صفة الحماس والقدرة على العمل والاندفاع في إنجاز البحوث والدراسات الميدانية. ولكنه في الوقت نفسه يشير أيضاً إلى النقص في الخبرة البحثية والمتطلبات العملية للبحوث الميدانية، بسبب الافتقار للتجربة والتراكم المعرفي والعملية. وكل ذلك يتطلب المزيد من الدورات التدريبية في المجالات المتعددة والتي ربما هم بأمر الحاجة لها، فضلاً عن زيادة إشراك أعضاء هيئة التدريس في المؤتمرات العلمية الدولية والمحلية، والتركيز على الاستثمار الصحيح لسنوات التفرغ العلمي في جامعات عالمية وعربية مرموقة والاستفادة من تلك التجربة في بناء خبرة وتجربة بحثية متميزة، يمكن توظيفها في خدمة البحث العلمي الميداني.

جدول رقم (2)

يمثل توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الفئات العمرية

النسبة المئوية %	التكرار	الفئات العمرية	
19.4	21	38-29	1
58.4	63	48-39	2
19.4	21	58-49	3
2.8	3	68-59	4
%100	108	المجموع	

ومن خلال تحديد علاقة الارتباط بين العمر كمتغير مستقل وعدد البحوث كمتغير تابع نجد أن قيمة معامل الارتباط بيرسون بلغت حوالي (0.39) وهي علاقة قد يعتبرها البعض ضعيفة ولكننا في الدراسات الاجتماعية يمكن أن نعتبرها متوسطة القوة لأن الظاهرة تتداخل في خلقها عوامل عديدة، يلعب كل واحد منها دوراً بنسبة أو بأخرى وبالتالي تضعف القيمة الرقمية لهذه المتغيرات. علماً أن قيمة معامل الارتباط بيرسون كانت لها دلالة إحصائية عند معنوية (0.05).

3) عدد الأبناء وعدد أفراد الأسرة

قبل الدخول في تحليل البيانات الميدانية حول عدد الأبناء نود الإشارة إلى أن غالبية أفراد مجتمع الدراسة هم من المتزوجين وبنسبة تصل حوالي (98%) لذلك لم نضع جدولاً خاصاً بالحالة الزوجية لأنه لن يكون لها دلالة إحصائية وبالتالي ليس لها فائدة علمية بالتحليل حول الموضوع المدروس.

وفيما يخص عدد الأبناء في أسر أعضاء هيئة التدريس، فقد بلغ المتوسط الحسابي حوالي (4) أبناء، في حين بلغ الانحراف المعياري حوالي (2) أبناء، وهذا ما يشير إلى تدني عدد الأبناء في الأسرة الأمر الذي يخفف من الأعباء والمشاكل الأسرية لأعضاء هيئة التدريس، وقد انخفضت نسبة أفراد المجتمع المدروس الذين لديهم خمسة أبناء فأكثر والذين لم تصل نسبتهم أكثر من (27%)، في حين كان حوالي (73%) لديهم عدد أبناء لا يزيد عن أربعة.

من ناحية أخرى نجد أن متوسط عدد أفراد الأسر التي يعيها أعضاء الهيئة التدريسية حوالي (7) أفراد في حين بلغ الانحراف المعياري حوالي (3) أفراد. ويمكن اعتبار هذا

المتوسط مرتفعاً، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على الوقت الذي يمكن أن يخصصه عضو هيئة التدريس للقراءة والبحث وخاصة البحوث الميدانية. وذلك قد يمثل عائقاً أمام قدرة أعضاء الهيئة التدريسية في طريق إنجاز وتنفيذ البحوث الميدانية، بسبب ما تتطلبه هذه البحوث من وقت وجهد، يضاف لذلك الوقت الذي تتطلبه الأسرة كبيرة الحجم، وقد بلغت قيمة الارتباط بيرسون بين عدد أفراد الأسرة كمتغير مستقل وعدد البحوث الميدانية المنجزة كمتغير تابع حوالي (-0.14) وهو ما يشير إلى وجود علاقة عكسية ضعيفة بين المتغيرين، مما يعني أن كبر حجم الأسرة لأعضاء هيئة التدريس لا يؤثر إلا بشكل محدود في القدرة على إنجاز البحوث الميدانية، يضاف لما تقدم المشاغل التدريسية والإدارية التي تنقل كاهلهم، خاصة وأن نسبة كبيرة منهم تصل حوالي (55%) مولودون في الريف وهذا يعني تشعب علاقاتهم القرابية والاجتماعية. من ناحية أخرى يمكن القول أن ارتفاع حجم الأسرة لدى أفراد المجتمع المدرس قد يؤثر لحالة إيجابية في مجال الاهتمام بالعلاقات القرابية التي يلتزمون بها ويحرصون علىديمومتها واستمراريتها، وهذا ليس من اهتمام البحث.

4) المرتبة العلمية

يشير الجدول (3) إلى أن نسبة أعضاء هيئة التدريس ممن وصلوا إلى مرتبة الأستاذية لا تزيد نسبتهم على (7.4%) من المجتمع المدرس، في حين بلغ من يحملون مرتبة أستاذ مشارك حوالي (21.3%) وبلغ من هم في مرتبة أستاذ مساعد حوالي (67.6%) ومدرس مساعد بلغت نسبتهم حوالي (3.7%)، وكل ما سبق يشير إلى تدني نسبة أعضاء هيئة التدريس ممن يحملون مرتبة أستاذ وأستاذ مشارك، وزيادة نسبة من يحملون مرتبة أستاذ مساعد وهي أدنى مرتبة علمية لحملة الدكتوراه، وهذا الأمر يمثل مشكلة مركبة فهو مرة يمثل أحد العوامل المعوقة للبحث الميداني من خلال تدني مهارات وخبرات أعضاء هيئة التدريس في هذا المجال بسبب حداثة حصولهم على الدكتوراه، ومرة يمثل نتيجة لمعوقات البحث الميداني من خلال التأخير الذي يعانيه كل عضو في تنفيذ وإجراء البحوث الميدانية لأسباب متعددة، إن طول الفترة التي يقضيها عضو هيئة التدريس في المرتبة العلمية الأخيرة التي يحصل عليها، يتضح من خلال ارتفاع متوسط عدد السنوات التي يقضيها كل عضو هيئة تدريس في المرتبة العلمية الأخيرة، إذ بلغ المتوسط الحسابي لعدد السنوات التي قضاها أعضاء الهيئة التدريسية في المرتبة العلمية الأخيرة حوالي (5) سنوات وبانحراف معياري

حوالي (3) سنوات، وهو متوسط أعلى من المدة التي تتطلبها لوائح الترقية لمرتبة أستاذ مشارك، وإن كانت مساوية للمدة التي تتطلبها لوائح الترقية لمرتبة الأستاذية. ولو عدنا للجدول (3) لوجدنا أن المتوسط الحسابي لعدد البحوث الميدانية التي ينجزها أعضاء هيئة التدريس يتزايد كلما ارتفعت المرتبة العلمية لعضو هيئة التدريس، وهو أمر طبيعي لطول المدة التي يقضيها في الجامعة ولتراكم الخبرة والقدرة على إنجاز البحوث الميدانية في مجال تخصصه.

جدول رقم (3)

يمثل توزيع أفراد مجتمع البحث حسب المرتبة العلمية ومتوسطات البحوث الميدانية المنجزة

المرتبة العلمية	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي لعدد البحوث الميدانية المنجزة
		%	
1 مدرس مساعد	4	3.7	2
2 أستاذ مساعد	73	67.6	4
3 أستاذ مشارك	23	21.3	9
4 أستاذ	8	7.4	15
المجموع	108	100	المتوسط العام 6.8

الكلية

يتوزع مجتمع البحث على عدد من الكليات العلمية والإنسانية التي تهتم بإجراء البحوث الميدانية، فقد كانت نسبة أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب حوالي (18.5%) في حين بلغت نسبتهم في كلية العلوم (18.5%) وفي كلية العلوم الإدارية (22.3%) وفي كلية التربية حوالي (17.6%) وفي كلية الهندسة حوالي (4.6%) وفي كلية الطب حوالي (18.5%).

جدول رقم (4)

يمثل توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الكليات

ت	الكلية	التكرار	النسبة المئوية	متوسط البحوث الميدانية
			%	المنجزة
1	كلية الآداب	20	18.5	5.63
2	كلية التربية	19	17.6	5.13
3	كلية العلوم الإدارية	24	22.3	3.18
4	كلية العلوم	20	18.5	19.22
5	كلية الهندسة	5	4.6	5.25
6	كلية الطب	20	18.5	5.25
	المجموع	108	100%	المتوسط العام 6.8

والملاحظ على الجدول رقم (4) أن توزيع أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة تعز لا يتم بشكل متساو فالنسبة الغالبة من أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات الإنسانية حيث بلغت نسبتهم حوالي (58.4%) من المجتمع المدروس، في حين بلغت النسبة في الكليات العلمية البحتة حوالي (41.6%)، وقد يعود ذلك إلى تكديس أعداد كبيرة من الطلبة في هذه الكليات، فظلاً عن زيادة عدد المنح ودرجات الإيفاد للجامعات الخارجية أو المحلية في سبيل إكمال الدراسات العليا في التخصصات الإنسانية، في حين تكون حاجة الجامعة ماسة لأعضاء هيئة التدريس في تخصصات علمية بحتة كالهندسة والطب والعلوم مثلاً.

ولو عدنا للجدول (4) لوجدنا أن المتوسط الحسابي لعدد البحوث الميدانية المنجزة موزعة حسب الكليات التي ينتمي إليها عضو هيئة التدريس مرتفع بشكل كبير في كلية العلوم حيث وصل حوالي (19) بحثاً وهو متوسط أعلى بكثير من المتوسط العام لعدد البحوث على

مستوى المجتمع المدرس (6.8) بحوث، وقد يعود ذلك إلى ارتفاع عدد أعضاء هيئة التدريس من حملة مرتبة أستاذ وأستاذ مشارك في هذه الكلية حيث بلغ عددهم (11) أستاذ وأستاذ مشارك، في حين يكاد يكون المتوسط الحسابي لعدد البحوث الميدانية متساوياً في كليات الآداب والتربية والهندسة والطب بمتوسط حسابي يقترب من (5) بحوث وهو متوسط أقل من المتوسط العام لعدد البحوث على مستوى الجامعة (6.8) بحوث، في حين انخفض متوسط عدد البحوث الميدانية المنجزة في كلية العلوم الإدارية إلى حوالي (3) بحوث فقط، وهو أقل بكثير من المتوسط الحسابي لعدد البحوث على مستوى المجتمع المدرس (6.8) بحوث، وقد يفسر ذلك بارتفاع عدد أعضاء هيئة التدريس حديثي التخرج أو من حملة مرتبة أستاذ مساعد حيث بلغ عددهم حوالي (18) عضواً، الأمر الذي يعني قلة عدد البحوث الميدانية التي يقومون بها بسبب حداثة تخرجهم أو قلة خبرتهم وتجربتهم في البحوث الميدانية.

وعند إجراء اختبار مربع كاي (كا²) بين الكلية التي يعمل بها عضو هيئة التدريس ونوع البحوث المفضلة بلغت قيمته (27.61) وهذا يعني أن هناك فرقاً معنوياً بين الكلية التي ينتسب إليها عضو هيئة التدريس ونوع البحوث المفضلة لديه عند مستوى معنوية (0.05)، في حين بلغت قيمة معامل التوافق المعدل (Coefficient Contingency) حوالي (0.45) وهو يشير إلى وجود علاقة متوسطة القوة بين المتغيرين، وبلغت قيمة معامل كرامر (Cramer's V) حوالي (0.51) وهو يشير إلى وجود علاقة متوسطة القوة بين المتغيرين، وأن قيمة كل من المعاملين الإحصائيين التوافق المعدل ومعامل كرامر له دلالة إحصائية عند معنوية (0.05) وكل ذلك يدل على أن اختلاف الكلية يلعب دوراً بنوع البحوث المفضل لدى أعضاء هيئة التدريس فيها، مما يؤدي إلى تفضيل البحوث الميدانية في بعض الكليات بخاصة الكليات الإنسانية (الآداب والتربية والعلوم الإدارية) التي يرتفع فيها عدد البحوث المنجزة حيث بلغ المتوسط الحسابي لعدد البحوث النظرية والميدانية المنجزة في هذه الكليات حوالي (4) بحوث و (8) بحوث على التوالي. في حين بلغ المتوسط في الكليات العلمية (العلوم والهندسة والطب) للبحوث النظرية والميدانية حوالي (3) بحوث و (5) بحوث على التوالي.

من كل ما تقدم نستطيع القول أن هناك صعوبات ومعوقات يواجهها أعضاء هيئة التدريس في الكليات العلمية من حيث عدم توفر الأجهزة والمختبرات العلمية ونقص التمويل الكافي للبحوث الميدانية، بشكل أكبر مما تتطلبه البحوث الميدانية في التخصصات الإنسانية.

5) الدخل الشهري

بلغ المتوسط الحسابي للدخل الشهري لأعضاء هيئة التدريس حوالي (158) ألف ريال شهرياً، في حين بلغ الانحراف المعياري حوالي (44) ألف ريال، ويشير ذلك إلى أن الأجور التي يستلمها عضو هيئة التدريس جيدة، ويجب التنبيه إلى أن الوسط الحسابي للدخل في مجتمع البحث ارتفع بسبب ارتفاع الدخول الشهرية لأعضاء هيئة التدريس ممن يعملون في كلية الطب ويحملون مرتبة أستاذ مساعد بسبب العمل الذي يمارسونه في المستشفيات الخاصة والعامّة بعد الدوام الرسمي في الجامعة.

تشير بيانات البحث الميداني إلى ارتفاع نسبة أعضاء هيئة التدريس ممن يستلمون أجور تقل عن (100.000) ألف ريال شهرياً حيث تصل نسبتهم إلى حوالي (41.7%) من مجتمع البحث، في حين بلغت نسبة من يستلمون رواتب شهرية تقل عن (200.000) ألف ريال شهرياً حوالي (53.6%) من مجتمع البحث، ولا تزيد نسبة من يستلمون دخول تزيد عن (200.000) ألف ريال شهرياً سوى (4.7%). إن الدخل الشهري لأعضاء هيئة التدريس بالتأكيد يؤثر في قدرتهم للعيش بمستوى يليق بهم ويؤمن لهم الحياة الكريمة، من ناحية ويؤثر على اندفاعهم وحماسهم وصفاء أذهانهم وبالتالي إنجازهم وتنفيذهم للبحوث الميدانية، فمتى ما كانت هذه الدخول مرتفعة فإننا نتوقع إنجازاً أكثر وعدداً أكبر من البحوث.

وقد بلغت قيمة اختبار الارتباط بيرسون بين الدخل الشهري وعدد البحوث النظرية المنجزة حوالي (0.16) وهي تشير إلى علاقة ضعيفة بينهما، وكانت هذه القيمة غير دالة إحصائياً، في حين بلغت قيمة اختبار الارتباط بيرسون بين الدخل الشهري وعدد البحوث الميدانية المنجزة حوالي (0.25) وهي تعني أنه كلما زاد المرتب الشهري زادت البحوث الميدانية المنجزة، وكانت هذه القيمة دالة إحصائياً عند معنوية (0.05). وهذا يؤكد أن الدخل الشهري الذي يحصل عليه عضو هيئة التدريس قد لا يلعب دوراً كبيراً في إنجاز البحوث النظرية، ولكنه بحسب نتائج البحث الميدانية يلعب دوراً لا يستهان به في إنجاز البحوث الميدانية لما تتطلبه هذه البحوث من تكاليف ونفقات كثيرة قياساً بالبحوث النظرية.

6) الاشتغال بمناصب إدارية

تشير بيانات البحث إلى أن أغلب أعضاء هيئة التدريس في مجتمع البحث ممن سبق لهم فيما مضى أو حالياً أن شغلوا أو يشغلوا منصباً إدارياً في الجامعة، حيث بلغت نسبتهم حوالي (55%) من مجتمع البحث، في حين بلغت نسبة من لم يسبق لهم أن شغلوا منصباً إدارياً حوالي (45%) من مجتمع البحث، ومما لا شك فيه أن انشغال عضو هيئة التدريس في المناصب الإدارية سيؤثر بشكل أو بآخر في قدرتهم على إنجاز وتنفيذ البحوث الميدانية، لما يتطلبه المنصب الإداري عادة من جهد واهتمام مما سينعكس سلباً على إنجازهم لهذه البحوث، فضلاً عن قلة ما سيخصص من وقت للبحوث الميدانية التي بالأساس تتطلب وقتاً أطول وجهداً أكبر من البحوث النظرية.

ومن البيانات الميدانية يتضح ارتفاع متوسط إنجاز البحوث إلى (10.11) بحوث عند من لم يشغلوا حالياً ولا سابقاً أي منصب إداري، وتدني المتوسط الحسابي لمن سبق لهم أن شغلوا أو لازالوا يشغلون مناصباً إدارية حيث بلغ المتوسط حوالي (7.32) بحوث، ويزداد الفرق سعة فيما يخص تنفيذ البحوث الميدانية حيث وصل المتوسط عند الفئة الأولى حوالي (9.71) بحوث، في حين بلغ عند المجموعة الثانية حوالي (5.74) بحوث، وهذا يؤكد أن الأعباء الإدارية تثقل كاهل عضو هيئة التدريس وتشغله عن أداء دوره في إنجاز وتنفيذ البحوث العلمية عامة والميدانية منها خاصة.

7) البحوث المنجزة ونوعيتها والمفضلة

بسبب التفاوت الكبير في عدد البحوث بين أفراد مجتمع البحث فقد وجدنا أن من المناسب استخدام الوسيط بدل الوسط الحسابي، لأنه سيكون أدق من الوسط الحسابي في حالة التشتت الكبير في البيانات، إذ تشير بيانات البحث الميداني إلى أن الوسيط لعدد البحوث النظرية المنجزة لمجتمع البحث حوالي (3) بحوث في حين بلغ الانحراف المعياري حوالي (4.5) بحوث، وقد بلغ الوسيط لعدد البحوث الميدانية المنجزة حوالي (4) بحوث في حين بلغ الانحراف المعياري حوالي (8) بحوث. وهذا يعني أن إنجاز البحوث الميدانية في المتوسط أكبر من تنفيذ البحوث النظرية.

ومن الجدول رقم (5) نجد أن الإنجاز للفئة أقل من أربعة بحوث تكون فيه النسبة لصالح البحوث النظرية التي تزيد عن البحوث الميدانية، في حين ينعكس الأمر بعد فئة خمسة بحوث

فأكثر إذ يزداد عدد البحوث الميدانية المنجزة بشكل أكبر مما هو الحال في البحوث النظرية، وقد يفسر ذلك أن تراكم الخبرة لدى الباحث يلعب دوراً في دفعه ليصبح أكثر ميلاً للبحوث الميدانية، فكلما امتلك خبرة أكبر في مجال العمل الميداني أصبح أكثر ميلاً وقدرة على إتجاز عدد أكبر منها.

جدول رقم (5)

يمثل توزيع أفراد مجتمع البحث حسب عدد البحوث المنجزة

بحوث ميدانية		بحوث نظرية		العدد
النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	
38	41	52.8	57	صفر
14.8	16	16.7	18	2-1
18.5	20	20.4	22	4-3
10.2	11	3.7	4	6-5
6.5	7	—	—	8-7
3.7	4	2.8	3	10-9
8.3	9	3.7	4	أكثر من 11
% 100	108	%100	108	المجموع

إن البيانات أعلاه توضح أن أفراد مجتمع البحث يقومون بإتجاز البحوث الميدانية أكثر مما ينجزونه من البحوث النظرية في المتوسط، ويزداد وضوح ذلك إذا ما علمنا أنهم يفضلون البحوث الميدانية بشكل أكبر مما يفضلون النظرية منها، حيث يشير الجدول رقم (6) أن غالبيتهم ممن يفضلون البحوث الميدانية بنسبة حوالي (65.8%)، في حين لا تزيد نسبة من يفضلون البحوث النظرية عن (7.9%)، وأجاب حوالي (26.3%) بأنهم لا فرق عندهم بين البحوث النظرية أو الميدانية.

جدول رقم (6)

يمثل توزيع أفراد مجتمع البحث حسب نوع البحوث المفضلة

نوع البحوث المفضلة	التكرار	النسبة المئوية %
1 بحوث نظرية	6	7.9 %
2 بحوث ميدانية	50	65.8 %
3 لا فرق بينهما	20	26.3 %
المجموع	76	100 %

8) الاشتغال بعمل آخر غير أكاديمي.

يرتبط الإنجاز العلمي والبحثي لأي عضو هيئة تدريس جامعي بعدد من العوامل والمتغيرات من بينها كثرة الأعمال التي يقوم بها ومدى توافر الوقت اللازم لتنفيذ البحوث، سواء كانت هذه الأعمال داخل المؤسسة الأكاديمية أو خارجها، وبالرغم من أن أغلب أفراد المجتمع المبحوث (71.3%) يشيرون إلى أنهم لا يقومون بأي عمل آخر غير أكاديمي، حسب الجدول (7)، وهذا يعني تفرغهم بشكل أساس للعمل الأكاديمي والبحثي مما يعني توفر الوقت والجهد اللازم لعمل وتنفيذ البحوث فيما لو تفرغوا من شغل المناصب الإدارية، ويعني أيضاً أنهم يعتمدون بالأساس على دخولهم التي يحصلون عليها من الجامعة فقط، فسي حين كانت نسبة محدودة منهم لا تزيد عن (28.7%) يعملون إما بشكل دائم أو أحياناً، وقد يكون هؤلاء من المنتسبين لكليات الطب أو الهندسة أو العلوم التي يحصل أعضاؤها على فرص أكثر للعمل في المؤسسات الخاصة أو العامة العاملة خارج الجامعة.

جدول رقم (7)

يمثل توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الاشتغال بعمل آخر غير أكاديمي

الاشتغال بعمل آخر	التكرار	النسبة المئوية %
1 نعم	23	21.3 %
2 أحياناً	8	7.4 %
3 كلا	77	71.3 %
المجموع	108	100 %

ومع أن اشتغال عضو هيئة التدريس بعمل آخر غير أكاديمي ينعكس إيجابياً على وضعه المعاشي، إلا أنه ربما سيؤثر على ما يخصصه من وقت وجهد لعمل البحوث سواء منها النظرية أو الميدانية، ولكن بيانات الدراسة الميدانية لم تصل إلى نتيجة تثبت ذلك، بل العكس هو الذي توصلت إليه، فمن الجدول (8) يمكن ملاحظة أن متوسط عدد البحوث التي ينجزها أعضاء هيئة التدريس لا يرتبط سلبياً مع حالة اشتغالهم بعمل آخر غير أكاديمي، بل يشير الجدول إلى عكس ذلك، فقد تزايد عدد البحوث المنجزة عند من لديهم عمل آخر غير أكاديمي وتناقص عند من يعملون بشكل جزئي وانخفض أكثر عند من لا يمارسون أي عمل آخر. وفيما يخص متوسط عدد البحوث النظرية المنجزة لا يمكن ملاحظة تسأثير سلبي للاشتغال بأعمال أخرى خارج الجامعة على إنجاز هذا النوع من البحوث.

جدول رقم (8)

يمثل المتوسطات الحسابية لعدد البحوث المنجزة

موزعة حسب حالة عضو هيئة التدريس من حيث ممارسة عمل آخر غير أكاديمي

هل لديك عمل آخر بجانب التدريس في الجامعة	عدد البحوث المنجزة	عدد البحوث النظرية المنجزة	عدد البحوث الميدانية المنجزة
نعم	10.62	3.25	9.36
أحياناً	9.00	8.00	3.43
كلا	8.20	4.35	6.85
الإجمالي	8.20	4.35	6.85

أما تأثير العمل خارج الجامعة على البحوث الميدانية المنجزة فنجد أن متوسط عدد البحوث المنجزة لدى من يعملون بشكل دائم يصل إلى (9.36) بحوث، في حين انخفض المتوسط عند من لا يعملون إلى (6.85) بحوث. وقد يفسر ذلك بأن أغلب من يعملون خارج الجامعة هم من أعضاء الهيئات التدريسية للكليات العلمية (طب، هندسة، علوم) والذين يقومون بأعمال ترتبط بتخصصاتهم الأكاديمية الأمر الذي ينعكس إيجابياً على إنجازهم البحوث الميدانية والنظرية، لما توفره لهم من خبرة عملية وبنية تحتية ومستلزمات تخدمهم في هذا المجال. أو قد يفسر بأن ذلك العمل ساهم في رفع قدرتهم المالية مما يساعدهم على تحمل تكاليف إجراء البحوث الميدانية أكثر من غيرهم.

وعند إجراء اختبار التوافق المعدل (Contingency Coefficient) بين الكلية التي ينتسب إليها عضو هيئة التدريس واشتغاله بعمل آخر غير أكاديمي بلغت قيمته حوالي (0.52) وهي علاقة متوسطة القوة ولها دلالة إحصائية عند معنوية (0.05). في حين بلغت قيمة معامل كرامر (V Cramer's) حوالي (0.62) وهو يشير إلى أن العلاقة بين المتغيرين علاقة قوية نوعاً ما ولها دلالة إحصائية عند معنوية (0.05). وهذا ما يشير إلى ارتباط قوي نوعاً ما بين الكلية التي يعمل بها عضو هيئة التدريس وإمكانية اشتغاله بعمل آخر غير أكاديمي لصالح كليات الطب والهندسة وبنسبة أقل لكلية العلوم.

من ناحية أخرى يمكن القول أن ارتفاع نسبة من لا يشتغلون بأي عمل غير أكاديمي يعني اعتمادهم بشكل أساس على الجامعة كمصدر وحيد للدخل، الأمر الذي يفرض عليها رعايتهم وزيادة الاهتمام بهم مادياً بشكل يمكنهم من زيادة إنتاجهم العلمي في مجال البحوث الميدانية، وبما يخدم خطط الجامعة التي هي جزء من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة.

المحور الرابع:- تحليل البيانات الميدانية

أولاً: المعوقات الاجتماعية

تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية العديد من المعوقات من بين أهمها المعوقات الاجتماعية، حيث تلعب دوراً لا يستهان به في هذا المجال، ومن بين المعوقات الاجتماعية، الارتباطات الأسرية والعلاقات القرابية وعلاقات الصداقة ونسبة الأمية وتدني الوعي الاجتماعي بين أفراد المجتمع بأهمية ودور البحوث الميدانية في تنمية وتطوير المجتمع، والكثير من العوامل الأخرى التي تلعب دوراً بنسبة أو بأخرى، بحيث تتفاوت نسبة تأثير كل منها في إعاقه البحوث الميدانية، وقد سبق أن ناقشنا بعض هذه العوامل في خصائص مجتمع البحث وتوصلنا إلى أن الجنس والعمر يلعبان دوراً لا يستهان به في هذا المجال، فسي حين كان دور زيادة عدد أفراد الأسرة ضعيفاً، في إعاقه تنفيذ البحوث الميدانية، وحين طرحنا بعض العبارات على المبحوثين وطلبنا رأيهم في تحديد تأثير بعض العوامل في أعاقه البحوث الميدانية حسب خبرتهم في هذا المجال، تبين كما يشير الجدول (9) أن أهم الأوضاع والظروف الاجتماعية التي تلعب دوراً في هذا المجال كانت تدني مستوى الوعي لدى أفراد المجتمع بأهمية البحوث الميدانية في تطوير وتنمية البلد فقد اتفق مع العبارة بشكل تام أو

إلى حد ما حوالي (98%) من مجتمع البحث مما يعني أن هناك تأثير كبير لهذا العامل، ويمكن القول أن تدني الوعي بأهمية البحوث الميدانية يمثل أهم العوامل الاجتماعية في هذا الصدد، كما يجب القول أن مستوى الوعي يرتبط بعامل آخر وهو معدلات الأمية في أي مجتمع، فكلما تكدت معدلات الأمية كلما زاد مستوى الوعي بأهمية البحوث الميدانية، وكلما ارتفعت معدلات الأمية كلما تدنى الوعي بأهمية البحث الميداني، لذلك لا غرابة أن يتفق ما يقرب من (83%) من مجتمع البحث مع الرأي القائل أن ارتفاع معدلات الأمية بين أبناء المجتمع يتسبب في إعاقة البحوث الميدانية، وحصلت عبارة (تشكيك المبحوث في نوايا الباحث وأهداف الدراسة) باعتبارها أحد معوقات البحوث الميدانية على قبول كني أو جزئي بنسبة (96%)، وهو أمر طبيعي في الكثير من المجتمعات النامية التي تتصف بالانغلاق والتي لا تثق كثيراً بنوايا وأهداف الباحث أو البحوث الميدانية، كما أن هناك اتجاه لدى الكثير من أبناء هذه المجتمعات يتمثل بالشك والريبة من هدف جمع المعلومات التي يسأل عنها الباحث ويعتبرونها مواضيع خاصة تحاط بالسرية والكتمان خوفاً من المجهول الذي يتمثل بالباحث ونوايا وأهداف دراسته التي قد تعرضهم (حسب اعتقادهم) للمساءلة القانونية أو زيادة الضرائب المفروضة عليهم... إلخ، وكل ذلك يدفع أفراد المجتمع النامي إلى عدم الرغبة في التعاون مع الباحث في الإلقاء بالمعلومات المطلوبة للبحوث الميدانية حيث وافق على هذه العبارة بشكل تام أو إلى حد ما حوالي (93%) من مجتمع البحث، وفي مجال على صلة بهذا الموضوع فقد أكد أفراد مجتمع البحث إما كلياً أو جزئياً وبنسبة تصل إلى (89%) على أن الحذر من الباحث الغريب والذي تتميز به بعض المجتمعات يمكن أن يكون أحد المعوقات الاجتماعية في مجال تنفيذ البحوث الميدانية.

ومن القيم والعادات والأعراف الاجتماعية التي تؤثر سلباً في هذا المجال عدم السماح للباحث من الذكور بمقابلة الإناث وتدوين البيانات والمعلومات عنهن سواء كان بشكل مقابلة أو استبيان أو ملاحظة أو أية وسيلة أخرى من وسائل جمع البيانات، حيث اتفق مع هذا الرأي كلياً أو جزئياً حوالي (80%) من مجتمع البحث، أما عن التمييز القائم في بعض المجتمعات على أساس الجنس والعمر والمكانة الاجتماعية، فقد تبين أن أغلب أفراد المجتمع المبحوث يتفقون جزئياً أو كلياً وبنسبة تصل إلى حوالي (76%) مع الرأي القائل أن عدم منح الباحثين

من جيل الشباب للمكثاة المرموقة واللائقة بهم في مجتمع يجل ويقدر كبار السن ويمنح المركز والمكثاة الاجتماعية على أسس معينة منها العمر. وهذا ما يمثل إحدى العقبات الاجتماعية التي تعيق تنفيذ الباحث الشاب لعملية جمع البيانات التي تتطلبها عملية تنفيذ البحوث الميدانية. كما أن أفراد المجتمع المبحوث اتفقوا جزئياً أو كلياً وبنسبة تصل إلى حوالي (70%) على الرأي القائل أن عدم منح المرأة (الباحثة) المكثاة اللائقة في المجتمع الأمر الذي يساهم في إعاقة استثمار جهود الباحثين ذكوراً وإناثاً في عملية جمع البيانات اللازمة لتنفيذ البحوث الميدانية، في حين اتفق جزئياً أو كلياً حوالي (65%) من مجتمع البحث على أن التمييز بين الباحثين على أساس مكثاتهم الاجتماعية يعيق تنفيذ البحوث الميدانية وهي أقل نسبة تحصل عليها عبارة في محور المعوقات الاجتماعية، واتفق جزئياً أو كلياً ما يقرب من (71%) من المجتمع المبحوث مع الرأي القائل أن المضايقات المباشرة أو غير المباشرة التي يمكن أن تمارسها بعض الفئات في المجتمع المدروس يمكن أن تمثل أحد المعوقات في طريق تنفيذ البحوث الميدانية.

أما الالتزامات الأسرية وكثرة مشاغلها التي تأخذ الكثير من وقت الباحث مما يتسبب في انشغاله عن تنفيذ البحوث الميدانية التي تتطلب أصلاً وقتاً أطول وجهداً أكبر فقد اتفق معها تماماً أو إلى حد ما حوالي (90%) من مجتمع البحث، وهذا يتفق مع النتائج التي توصل إليها البحث حول العلاقة بين حجم الأسرة وعدد البحوث الميدانية التي قام بتنفيذها أعضاء هيئة التدريس في الجامعة.

جدول رقم (9)

يمثل رأي أفراد مجتمع البحث حول الأوضاع والظروف الاجتماعية التي قد تمثل معوقات بوجه تنفيذ البحوث الميدانية

كلا		إلى حد ما		نعم		العبارة
%	عدد	%	عدد	%	عدد	
2	3	42	45	56	60	1. تدني مستوى الوعي الاجتماعي بأهمية البحث الميداني في تطوير البلد
4	4	70	76	26	28	2. التشكيك (من قبل المبحوث) في نوايا الباحث وأهداف الدراسة
7	7	53	57	40	44	3. عدم رغبة المبحوثين في التعاون مع الباحث في الإذلاء بالمعلومات المطلوبة
10	11	53	57	37	40	4. الارتباطات الأسرية وكثرة التزاماتها التي تأخذ الكثير من وقت الباحث
11	12	52	56	37	40	5. حذر بعض المجتمعات من الباحث الغريب عنهم
17	19	53	57	30	32	6. ارتفاع معدلات الأمية بين أبناء المجتمع
20	21	59	64	21	23	7. عدم السماح للباحث من الذكور بمقابلة الإناث أو العكس بهدف جمع البيانات
24	26	49	53	27	29	8. عدم منح الباحثين الشباب للمكاتب اللائقة في المجتمع الذي يجل ويقدر كبار السن
29	31	58	63	13	14	9. مضايقات مباشرة أو غير مباشرة تمارسها بعض الفئات في المجتمع المدروس
30	32	47	51	23	25	10. علاقات الصداقة والمجاملات التي تأخذ الكثير من وقت الباحث
30	32	52	56	18	20	11. عدم منح المرأة (الباحثة) المكانة اللائقة في المجتمع
33	36	44	25	23	25	12. تشعب العلاقات القرابية وضرورة إدامتها مما يتطلب الكثير من وقت الباحث
35	37	45	49	20	22	13. التمييز بين الباحثين على أساس مكانتهم الاجتماعية

يضاف لذلك ما تتطلبه علاقات الصداقة والمجاملات التي تفرض نفسها على أفراد مجتمع البحث وتأخذ الكثير من وقتهم فتشغلهم عن تنفيذ وإجراء البحوث الميدانية والتي اتفق معها كلياً أو جزئياً حوالي (70%) منهم، فضلاً عن الوقت الذي يخصصه المبحوث

للوفاء بالتزاماته في العلاقات القرابية المتشعبة والتي اتفق معها حوالي (67%) من مجتمع البحث، وبخاصة وأن نسبة تقدر بـ (55%) منهم ينحدرون من أصول ريفية، الأمر الذي يعزز إمكانية التزامهم بالعلاقات القرابية وعدم التفريط بها.

إن هذه النتائج تتفق مع أغلب الدراسات السابقة التي اهتمت ببحث وتحليل الأوضاع والظروف الاجتماعية، ومن مناقشة جملة هذه المتغيرات يمكن القول أنها تلعب دوراً متفاوتاً في إعاقه إجراء وتنفيذ البحوث الميدانية، وبغض النظر عن قوة تأثير كل متغير إلا إنها تمارس دوراً لا يستهان به في هذا المجال، وبالتالي يمكن القول أن بيانات البحث الميداني تتفق مع الفرضية الأولى التي ترى بأنه: (قد تساهم بعض المتغيرات الاجتماعية في إعاقه تنفيذ البحوث الميدانية)، ويمكن تلخيص هذه المتغيرات بما يأتي:

- 1- تدني الوعي الاجتماعي بأهمية البحوث الميدانية، وارتفاع معدلات الأمية.
- 2- العلاقات الاجتماعية المتمثلة في الأسرة كبيرة الحجم وتشعب العلاقات القرابية وعلاقات الصداقة.
- 3- القيم والعادات الاجتماعية التي تمنح الاحترام والتقدير حسب الجنس أو العمر أو المكانة الاجتماعية.
- 4- القيم والعادات الاجتماعية التي تدفع للحذر من الغرباء، والتشكيك في نوايا الباحث وأهداف بحثه، وعدم الرغبة بالإدلاء بالبيانات والمعلومات اللازمة للبحوث الميدانية.
- 5- القيم والعادات الاجتماعية التي تقف في وجه جمع البيانات من الميدان، من خلال عدم السماح للباحث الذكر من مقابلة الإناث.

ثانياً: المعوقات الاقتصادية.

تلعب الإمكانيات والموارد الاقتصادية دوراً هاماً في نجاح تنفيذ أي مشروع، وبحكم المؤكد فإن البحوث الميدانية تتطلب من بين ما تتطلبه الدعم المالي الذي ينبغي توفره إذا ما أردنا نجاحاً وفاعلية كبيرة لهذه البحوث في عملية التنمية والتطور، وقد تبين من خلال تحليل خصائص مجتمع البحث أن الدخل الشهري الذي يستلمه عضو هيئة التدريس يرتبط مع عدد البحوث الميدانية المنجزة بشكل ايجابي (طردي) بقوة علاقة تصل إلى (0.25) وكانت هذه القيمة دالة إحصائياً عند معنوية (0.05). وهذا يؤكد أن الدخل الشهري الذي يحصل عليه

عضو هيئة التدريس يلعب دوراً لا يستهان به في إنجاز البحوث الميدانية لما تتطلبه هذه البحوث من تكاليف ونفقات كثيرة قياساً بالبحوث النظرية.

ومن الجدول (10) نستطيع القول أن توافر الدعم المالي برز له التأثير الأكبر من بين كل العوامل والظروف حتى في المحاور الأخرى. فقد تبين أن جميع أفراد مجتمع البحث (100%) يؤيدون جزئياً أو كلياً الرأي القائل بأن تدني الدعم المالي الذي تقدمه الجامعة أو مؤسسات القطاع الحكومي الأخرى يتسبب في إعاقة البحوث الميدانية. وهذه النتيجة تتفق مع أغلب الدراسات السابقة التي أكدت أن تدني ما يخصص من دعم حكومي للبحث العلمي يعد من أهم العوامل التي تعيق إنجاز وتنفيذ البحوث بكل أشكالها.

جدول رقم (10)

يمثل رأي أفراد مجتمع البحث حول الأوضاع والظروف الاقتصادية التي قد تمثل معوقات تقف بوجه تنفيذ الدراسات الميدانية

العبارة	نعم		إلى حد ما		كلا	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
1 تدني الدعم المالي الذي تقدمه الجامعة للدراسات الميدانية	93	86	15	14	0	0
2 عدم وجود أو تدني الدعم المالي الذي تقدمه مؤسسات القطاع الحكومي	90	83	18	17	0	0
3 ارتفاع أجور الإقامة (بهدف جمع البيانات من المجتمع المدروس) في الفنادق والشقق	88	81	20	19	0	0
4 عدم وجود أو تدني الدعم المالي الذي تقدمه مؤسسات القطاع الأهلي	78	72	26	24	4	4
5 ارتفاع أجور تحكيم ونشر البحوث الميدانية	57	53	45	42	6	5
6 عدم وجود أو تدني قيمة المكافآت المالية التي ترصد للدراسات الميدانية من قبل المؤسسات الحكومية	86	80	15	14	7	6
7 تدني المرتب الذي يستلمه الباحث عن عمله	67	62	33	31	8	7
8 ارتفاع أجور النقل للوصول لمكان البحث	65	60	34	32	9	8
9 عدم وجود أو تدني الدعم المالي الذي تقدمه المؤسسات الدولية	62	57	37	35	9	8
10 ارتفاع أجور مساعدي الباحث الذين يجمعون البيانات من المجتمع المدروس	48	45	51	47	9	8
11 ارتفاع أجور تفريغ البيانات وإجراء التحليل الإحصائي في الكمبيوتر	53	49	43	40	12	11
12 ارتفاع تكاليف الطباعة	50	46	39	36	19	18

في حين أكد كلياً أو جزئياً ما يقرب من (94%) من مجتمع البحث أن عدم وجود أو تدني قيمة المكافآت المالية التي ترصدها المؤسسات الحكومية للبحوث الميدانية، وبنسبة مقاربة اتفق جزئياً أو كلياً أفراد مجتمع البحث وبنسبة (93%) مع العبارة القائلة بأن تدني المرتب الذي يستلمه الباحث عن عمله يعد من بين المعوقات التي تقف في سبيل تنفيذ البحوث الميدانية.

وقد اتفق جميع أفراد مجتمع البحث (100%) جزئياً أو كلياً مع الرأي حول أثر ارتفاع أجور الإقامة بالفنادق والشقق في المجتمع المبحوث بهدف جمع البيانات والمعلومات اللازمة للبحوث الميدانية، كما اتفق جزئياً أو كلياً ما يقرب من (95%) من مجتمع البحث على أن ارتفاع أجور تحكيم ونشر البحوث الميدانية في المجلات العلمية المحكمة يمثل أحد المعوقات الاقتصادية التي تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية، في حين أكد جزئياً أو كلياً ما يقرب من (92%) منهم أن ارتفاع أجور التنقل لوصول الباحث إلى المكان الذي يرغب بجمع البيانات منه حول بحثه الميداني يمثل أحد هذه المعوقات الاقتصادية، وفيما يخص ارتفاع أجور مساعدي الباحث الذين يجمعون البيانات من المجتمع المدروس فقد أكد ما يقرب من (92%) من مجتمع البحث أنهم يتفقون جزئياً أو كلياً مع هذه العبارة، واتفق جزئياً أو كلياً ما يقرب من (89%) من مجتمع البحث مع الرأي حول ارتفاع أجور تفريغ البيانات وإجراء التحليل الإحصائي في الكمبيوتر، ولكن ارتفاع تكاليف الطباعة لم يتفق معها جزئياً أو كلياً سوى حوالي (75%) من مجتمع البحث، وهي أقل نسبة تأييد لعبارة في هذا المجال.

وينبغي القول أنه في مجال تنفيذ البحوث الميدانية فإن الأمر يتطلب تعاون وتكاتف الجهود والموارد التي تبذلها أو ترصدها الدولة والمؤسسات الحكومية (العامة) مع الجهود والموارد التي تبذلها أو ترصدها المؤسسات الأهلية (الخاصة)، وفي هذا الشأن فقد اتفق جزئياً أو كلياً حوالي (96%) من مجتمع البحث مع الرأي حول عدم وجود أو تدني الدعم المالي الذي تقدمه مؤسسات القطاع الأهلي للبحوث الميدانية، وهذا الأمر يعد منطقياً بسبب محدودية نشاط القطاع الخاص في هذه المجالات التي يعدها غير مربحة ولا جدوى من الاستثمار فيها، واتفق جزئياً أو كلياً حوالي (92%) من مجتمع البحث مع الرأي حول عدم وجود أو تدني الدعم المالي الذي تقدمه المؤسسات الدولية التي تعنى بالبحوث الميدانية.

ومن مناقشة العوامل الاقتصادية التي يمكن أن تلعب دوراً سلبياً في مجال تنفيذ البحوث الميدانية، يمكن التوصل إلى نتيجة تتفق مع الفرضية الثانية في هذا البحث والقائلة: (قد تساهم بعض المتغيرات الاقتصادية في إعاقة تنفيذ البحوث الميدانية). ويمكن القول أن الظروف والأوضاع الاقتصادية التي تلعب هذا الدور في إعاقة البحوث الميدانية تتمثل فيما يأتي:

- 1- عوامل خاصة بالمؤسسات الحكومية، ومنها تدني دعم الجامعة، وتدني الدعم من تكاليف أو مكافآت والذي ينبغي أن تقدمه المؤسسات الحكومية، فضلاً عن تدني المرتبات التي يستلمها الباحثون لقاء عملهم.
 - 2- عوامل خاصة بالأوضاع الاقتصادية والمستوى المعاشي، كارتفاع أجور إقامة الباحث (بهدف جمع البيانات من المجتمع المدروس) في الفنادق والشقق، وارتفاع أجور تحكيم ونشر البحوث في المجلات المحكمة، وارتفاع أجور التنقل للوصول إلى المكان المزمع دراسته، وارتفاع أجور مساعدي الباحث الذين يجمعون البيانات من المجتمع المبحوث، أو الذين يقومون بالتفريغ وإجراء التحليل الإحصائي للبيانات الميدانية، وارتفاع تكاليف الطباعة للبحوث الميدانية التي تتطلب تكوين الجداول والخرائط والأشكال والصور والتي تكلف مبالغ أكبر مما هو عليه الحال في البحوث النظرية.
 - 3- عوامل خاصة بالقطاع الأهلي (الخاص). ومنها تدني مستوى الدعم المالي الذي ينبغي أن تقدمه المؤسسات الخاصة، وتدني ما تقدمه هذه المؤسسات من مكافآت للقائمين بهذه البحوث.
 - 4- عوامل خاصة بالمؤسسات الدولية، ومنها عدم وجود أو تدني الدعم الذي ينبغي أن تقدمه المؤسسات الدولية للبحوث الميدانية وللقائمين على تنفيذها.
- وفي هذا المجال يمكن القول أن نتائج البحث الميداني هذا تتفق مع أغلب ما توصلت إليه الدراسات السابقة في أهمية وتأثير الدعم المالي الذي يجب أن يقدم لدعم البحوث الميدانية من كافة الجهات ذات العلاقة.

ثالثاً: المعوقات الإدارية.

تزايد اعتماد مؤسسات القطاع الحكومي ومؤسسات القطاع الأهلي بعد الثورة الصناعية على الإدارة في تنفيذ المشاريع المتعددة، ويمكن أن تكون الإدارة عاملاً فاعلاً وأساسياً في

نجاح أو فشل هذه المشاريع في تحقيق أهدافها، ويتوقف النجاح والفشل على الخصائص التي تتسم بها الإدارة في مجتمع ما، فمتى كانت تتسم بالتسلط والبيروقراطية والجمود فبها ستساهم في زيادة ما يعانيه المجتمع من مشكلات اجتماعية واقتصادية، والعكس صحيح، متى ما اتسمت بالحماس والإبداع والإنجاز فبها ستكون عاملاً مساعداً للتطور والنهوض بالمجتمع.

وفي مجال المعوقات الإدارية التي تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية، وعند مناقشة خصائص العينة تبين أن ممارسة عضو هيئة التدريس لعمل إداري بجانب عمله في التدريس والبحث العلمي يتسبب في تخصيص نسبة من وقته وجهده لهذا العمل الإداري وسينعكس ذلك سلباً على إنجاز البحوث الميدانية، وقد أوضح البحث في فقرة سابقة مدى الفرق الكبير في متوسط عدد البحوث الميدانية التي ينجزها من لا يشغلون أي منصب إداري سابقاً أو حالياً مقارنة بمن شغل أو يشغل منصباً إدارياً، حيث وصل المتوسط عند الفئة الأوسى حوالي (9.71) بحوث، في حين بلغ عند المجموعة الثانية حوالي (5.74) بحوث. وينبغي القول أن المعوقات الإدارية لا تشمل اشتغال أعضاء هيئة التدريس بمناصب إدارية فقط وإنما تشمل مجموعة لا يستهان بها من الظروف والأوضاع التي تصاحب عملية البحث الميداني أو تكون مسئولة عنها أو ترتبط بها بعلاقة مهما كانت قوة هذه العلاقة. لذلك لجأ الباحث إلى طرح مجموعة من العبارات حول هذا الموضوع على مجتمع البحث لمعرفة رأيهم فيها، وكانت النتيجة كما يأتي:

فيما يخص رأي مجتمع البحث حول الظروف والعوامل الإدارية التي تمثل معوقات تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية، حصل الرأي حول طول مدة الانتظار لتحكيم ونشر البحوث الميدانية في المجلات العلمية المحكمة، حصل على الموافقة الأعلى في هذا المحور الأمر الذي يعني أن هذه المشكلة تمثل أهم المعوقات الإدارية في هذا المجال، حيث اتفق معها كثيراً أو جزئياً حوالي (98%) من مجتمع البحث، أما العبارة الخاصة بتعقيد الإجراءات الإدارية للحصول على الموافقة لتحكيم ونشر البحوث في المجلات العلمية المحكمة فقد اتفق معها كلياً أو جزئياً حوالي (96%) من مجتمع البحث. ومن خلال ذلك يمكن القول أن الإجراءات النسبي

ترافق نشر البحوث الميدانية والمدة التي تتطلبها من بين أهم العوامل التي تعيق تنفيذ هذه البحوث.

وفيما يخص عمل أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة، فقد اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (94%) من مجتمع البحث مع الرأي حول زيادة أعباء التدريس (النصاب) لعضو الهيئة التدريسية بالجامعة، حيث يتم التركيز في إدارة الجامعة على النصاب الأسبوعي ويجري إهمال أو عدم احتساب العمل في مجال تنفيذ البحوث الميدانية ضمن هذا النصاب، فضلاً عن النقص الذي تعاني منه الجامعة في درجات أعضاء هيئة التدريس مما يضطرها للاعتماد على الموجود منهم في تغطية هذا النقص، مما يتسبب في تراكم عدد كبير من الساعات الأسبوعية لدى كل عضو هيئة تدريس، وبالتالي ينعكس ذلك سلباً على ما يمكن أن يخصصه من وقت للقيام بالبحوث الميدانية، فضلاً عما تقدم فإن زيادة أعباء الواجبات والمناصب الإدارية، سيؤدي إلى انشغاله بها وابتعاده عن عملية البحث الميداني، وهذا ما دفع غالبية أفراد مجتمع البحث وبنسبة تصل إلى حوالي (92%) من مجتمع البحث للاتفاق كلياً أو جزئياً مع هذا الرأي.

جدول رقم (11)

يمثل رأي أفراد مجتمع البحث حول الأوضاع والظروف الإدارية التي قد تمثل معوقات تقف بوجه الباحث في سبيل تنفيذ الدراسات الميدانية

العبارة	نعم		لا	
	عدد	%	عدد	%
1. طول مدة الانتظار لتحكيم ونشر الدراسات الميدانية في المجلات العلمية المحكمة	71	66	35	32
2. تعقيد الإجراءات الروتينية للحصول على الموافقة لتحكيم ونشر الدراسات الميدانية	47	43	57	53
3. تعقيد إجراءات الموافقة في بعض المؤسسات على الدعم المالي لإجراء الدراسات الميدانية	59	54	44	41
4. التكلفة بإجراء الدراسات الميدانية من قبل المؤسسات المختلفة يتم بشكل شخصي وليس مؤسسي	70	64	30	29
5. زيادة أعباء التدريس (النصاب التدريسي) لعضو الهيئة التدريسية بالجامعة	62	57	40	37
6. تعقيد الإجراءات الروتينية التي تفرضها بعض المؤسسات للحصول على الموافقة لإجراء الدراسات الميدانية	66	61	33	31
7. زيادة الأعباء الإدارية لنوي المناصب الرسمية في الجامعة	61	57	38	35
8. انتشار الرشوة بين الموظفين والإداريين في بعض المؤسسات	64	59	31	29
9. وجود موظفين يتخوفون من تحمل مسؤولية تسهيل مهمات الباحث الميداني	54	50	41	38
10. انتشار المحسوبية والوساطة بين الموظفين والإداريين في بعض المؤسسات	63	58	30	28
11. وجود اللوائح والتعليمات التي تمنع تداول المعلومات والبيانات	46	43	34	31

أما العوامل الخاصة بالمؤسسات الأخرى خارج الجامعة، فقد اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (95%) من مجتمع البحث مع الرأي القائل بأن تعقيد إجراءات الموافقة في بعض المؤسسات على الدعم المالي لإجراء البحوث الميدانية يمثل أحد المعوقات الهامة في سبيل تنفيذ البحوث الميدانية، في حين اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (91%) من مجتمع البحث مع الرأي القائل بأن التكلفة بإجراء البحوث الميدانية من قبل المؤسسات المتعددة والذي يتم بشكل شخصي وليس

مؤسساتي مما ينعكس سلباً على إجراء هذه البحوث، حيث أن مثل هذه المؤسسات تستغل عملية تكليف الباحثين بما يخدم مصالحها الشخصية فتحولها إلى صفقات تجارة أو مقاولات لا يمكن أن ترسو إلا على من يدفع لها نسبة معينة متفق عليها مسبقاً، أو تتم عملية التكليف بإجرائها من خلال علاقات القرابة أو الصداقة والمحسوبية التي يتزايد انتشارها بين بعض الموظفين، وكل ذلك يرتبط بشكل أو بآخر بالفساد الذي ينتشر بين بعض الموظفين والإداريين، والذي يمثل خطراً حقيقياً على عملية الدراسة والبحث الميدانية، لذلك اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (68%) من مجتمع البحث مع العبارة حول انتشار الرشوة بين الموظفين والإداريين في بعض المؤسسات، وبنسبة مقاربة اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (86%) من مجتمع البحث مع العبارة حول انتشار المحسوبية والوساطة بين الموظفين والإداريين في بعض المؤسسات. فضلاً عن تعقيد الإجراءات الروتينية التي تفرضها بعض المؤسسات للحصول على الموافقة لإجراء الدراسات الميدانية والتي اتفق معها كلياً أو جزئياً حوالي (92%) من مجتمع البحث، ويرتبط هذا الأمر بالجمود البيروقراطي والوظيفي الذي تتسم به الكثير من المؤسسات العامة (الحكومية)، وهذا ما دفع غالبية أفراد مجتمع البحث للاتفاق كلياً أو جزئياً بنسبة (88%) مع العبارة التي ترى أن وجود موظفين يتخوفون من تحمل مسؤولية تسهيل مهمات الباحث الميداني يؤثر بشكل أو بآخر في إعاقه البحوث الميدانية، كما اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (74%) من مجتمع البحث مع الرأي حول وجود اللوائح والتعليمات التي تمنع تداول المعلومات والبيانات.

ومن خلال بيانات البحث حول دور العوامل الإدارية في إعاقه البحوث الميدانية يمكن للتوصل إلى نتيجة تتفق مع الفرضية الثالثة والفائدة (قد تساهم بعض المتغيرات الإدارية في إعاقه تنفيذ البحوث الميدانية).

ويمكن تلخيص العوامل الإدارية المسؤولة عن إعاقه البحوث الميدانية حسب هذا البحث فيما يأتي:-

1- عوامل خاصة بالجامعة تتمثل في زيادة أعباء عضو هيئة التدريس من المقررات التي يدرسها (النصاب الأسبوعي)، وزيادة الأعباء الإدارية لمن يشغل منهم منصباً إدارياً.

2- عوامل خاصة بالمجلات العلمية المحكمة، مثل طول مدة الانتظار لتحكيم ونشر البحوث الميدانية في هذه المجلات التي عادة ما تكون داخل الجامعات أو مراكز البحوث العلمية، وتعقيد الإجراءات الروتينية للحصول على الموافقة لتحكيم ونشر البحوث الميدانية.

3- البيروقراطية، مثل تعقيد إجراءات الموافقة في بعض المؤسسات على الدعم المالي لإجراء الدراسات الميدانية وتعقيد الإجراءات الروتينية التي تفرضها بعض المؤسسات للحصول على الموافقة لإجراء الدراسات الميدانية ووجود موظفين يتخوفون من تحمل مسؤولية تسهيل مهمات الباحث الميداني ووجود اللوائح والتعليمات التي تمنع تداول المعلومات والبيانات.

4- الفساد الإداري، مثل التكاليف بإجراء الدراسات الميدانية من قبل المؤسسات المتعددة الذي يتم بشكل شخصي وليس مؤسسي، وانتشار الرشوة أو المحسوبية أو الوساطة بين بعض الموظفين والإداريين في المؤسسات.

رابعاً: المعوقات العلمية.

يقصد بالمعوقات العلمية كل المشكلات والصعوبات العلمية التي إذا ما وجدت في طريق البحوث الميدانية فإنها ستلعب دوراً سلبياً وستكون بمثابة عقبات تحد من القدرة على إنجاز هذه البحوث، وفي مجال المعوقات العلمية وحسب بيانات البحث الميداني هذا حول خصائص مجتمع البحث تبين أن هناك تأثير كبير للمرتبة العلمية التي يحملها عضو هيئة التدريس في هذا المجال، مما يعني أن ارتفاع هذه المرتبة سيدفع في أغلب الظن إلى زيادة اندفاع وإنجاز حاملها لعدد أكبر من البحوث الميدانية.

ومن خلال بيانات الجدول (12) فقد اتفق كلياً أو جزئياً جميع أفراد مجتمع البحث (100%) حول قلة أعداد المجلات العلمية المحكمة والدور الذي يمكن أن يلعبه ذلك في إعاقه البحوث الميدانية، وبنسبة مقاربة لذلك اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (98%) من مجتمع البحث حول عدم وجود أو قلة عدد المراكز العلمية التي تهتم بإجراء البحوث الميدانية، في حين اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (96%) حول قلة عدد المؤتمرات والندوات العلمية التي تهتم بالبحوث الميدانية، وقد يرتبط هذا النقص في المجلات أو المراكز والمؤتمرات والندوات العلمية التي تهتم بالبحوث الميدانية إلى النقص الكبير في الموارد المادية والخبرات البشرية التي ينبغي أن ترصد وتتوافر لمثل هذه الأنشطة.

وحول تدني مستوى تأهيل وتدريب بعض الباحثين في مجال البحوث الميدانية وأثر ذلك في إعاقه هذه البحوث فقد اتفق كلياً أو جزئياً جميع أفراد مجتمع البحث (100%) مع هذا الرأي، واتفق كلياً أو جزئياً حوالي (96%) من مجتمع البحث مع الرأي حول النقص في الخبرة اللازمة في تصميم وتنفيذ أدوات جمع البيانات الخاصة بالبحوث الميدانية ودور ذلك في إعاقه هذه البحوث، وهو ما يرتبط بعملية الإعداد والتأهيل التي يمر بها الباحث الميداني، والتي قد تكون نتاج قلة الخبرة وحدائث العمل في هذا المجال من ناحية، والتركيز في التعليم الجامعي على الأسلوب النظري وإهمال الأسلوب التطبيقي والميداني من ناحية أخرى، حيث اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (94%) من مجتمع البحث مع عبارة طرحت عليهم حول دور هذا العامل في إعاقه البحوث الميدانية. أما عدم توظيف البحوث الميدانية في تطوير المجتمع وعدم الاستفادة من نتائجها من قبل الجهات ذات العلاقة وأثر ذلك في إعاقه هذه البحوث فقد اتفق معها كلياً أو جزئياً حوالي (98%) من مجتمع البحث، حيث يتم إهمال العديد من هذه البحوث والدراسات التي تنجز لتبقى حبر على ورق ولا تأخذ طريقها للتطبيق أو الاستثمار والتوظيف سواء من المؤسسات الحكومية أو المؤسسات الأهلية.

جدول رقم (12)

يمثل رأي أفراد مجتمع البحث حول الأوضاع والظروف العلمية التي قد تمثل معوقات تقف

بوجه الباحث في سبيل تنفيذ الدراسات الميدانية

العبارة	نعم		إلى حد ما		كلا	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
1 قلة أعداد المجلات العلمية المحكمة التي يمكن أن تنشر البحوث الميدانية	76	70	32	30	0	0
2 تدني مستوى تأهيل وتدريب بعض الباحثين في مجال البحوث الميدانية	64	59	44	41	0	0
3 عدم توظيف هذه البحوث أو الاستفادة منها من قبل الجهات ذات العلاقة في تطوير المجتمع	88	81	18	17	2	2
4 عدم وجود أو قلة عدد المراكز العلمية المهمة بإجراء البحوث الميدانية	77	71	29	27	2	2

4	4	29	31	67	73	5	قفة المؤتمرات والندوات العلمية التي تهتم للبحوث الميدانية
4	4	39	42	57	62	6	نقص الخبرة اللازمة في تصميم وتنفيذ أدوات جمع البيانات للبحوث الميدانية
6	6	21	23	73	79	7	التركيز في التعليم الجامعي على الجانب النظري وإهمال الجانب الميداني

ومن خلال بيانات البحث حول دور العوامل العلمية في إعاقه البحوث الميدانية، يمكن القول أنها تتفق مع الفرضية الرابعة القائلة (قد تساهم بعض المتغيرات العنسية في إعاقه تنفيذ البحوث الميدانية).

ويمكن تلخيص العوامل العلمية التي تلعب دوراً سلبياً في إعاقه البحوث الميدانية كما يأتي:-

1- عوامل خاصة بالمجالات والمراكز والمؤتمرات، حيث النقص الكبير في الأنشطة العلمية المتمثلة في المجالات العلمية المحكمة، والمراكز العلمية والمؤتمرات والندوات العلمية المهمة بالبحوث الميدانية.

2- عوامل خاصة بتأهيل وتدريب الباحثين، حيث أن هناك نقص في تأهيل وتدريب بعض الباحثين، ونقص في خبرات بعضهم في مجال تصميم وتنفيذ أدوات جمع البيانات، والتركيز الحاصل في التعليم الجامعي على الأساليب النظرية أكثر من الأساليب العملية والميدانية.

3- إهمال نتائج البحوث الميدانية وعدم الاستفادة منها أو توظيف نتائجها في سبيل تطوير وتنمية المجتمع.

خامساً: المعوقات الفنية.

تعد المستلزمات والأجهزة والإمكانات الفنية أو ما يمكن أن يصطلح عليه بـ (البنية التحتية) من بين أهم مقومات نجاح البحث العلمي سواء كان نظرياً أو ميدانياً، ولكن تزداد الحاجة لهذه المستلزمات بالنسبة للبحوث الميدانية بشكل كبير مما هي عليه الحال في البحوث النظرية، بسبب الحاجة الماسة لهذه المستلزمات المادية منها والمشرية في عملية إجراء وتنفيذ هذه البحوث، لذلك يتوقف نجاح وفاعلية هذه البحوث على مدى توافر البنية التحتية من عدمه، ومما يشار إليه في هذا الصدد أن أغلب الدول النامية واليمن بصمونها تفقر إلى

الكثير من هذه الإمكانيات والمستلزمات، وكلما زاد النقص الحاصل فيها ستتزايد المعوقات الفنية التي تعرقل تنفيذ وإنجاز البحوث الميدانية، والعكس صحيح كلما توافرت هذه المستلزمات كلما تقلصت المعوقات الفنية التي يمكن أن يواجهها البحث الميداني.

من خلال الجدول (13) نلاحظ أن غالبية أفراد مجتمع البحث وبنسبة تصل إلى (99%) تتفق كلياً أو جزئياً مع الرأي حول النقص الحاصل في المختبرات والمعامل اللازمة لإجراء البحوث الميدانية، ويعود ذلك إلى النقص الكبير في الإمكانيات والتخصيصات المالية للجامعات مما يؤثر في قدرتها على بناء المعامل والمختبرات، ولكنه قد يعود أيضاً إلى التركيز في التعليم الجامعي على الأسلوب النظري وإهمال الأسلوب التطبيقي والميداني، وفي كل الأحوال فإن نتائج هذا النقص ستعكس سلباً على تنفيذ وإجراء البحوث الميدانية، وفي موضوع على صلة اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (97%) من مجتمع البحث مع العبارة القائلة بأن نقص الأجهزة والمعدات اللازمة لتحليل بيانات البحوث الميدانية يلعب دوراً في إعاقة تنفيذ وإجراء هذا النوع من البحوث.

ومن جهة أخرى فقد اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (96%) من مجتمع البحث مع الرأي القائل بأن نقص الخبرة اللازمة لاستخدام برامج الحاسوب الخاصة بتفريغ وتحليل البيانات إنما يؤثر سلباً على تنفيذ وإجراء البحوث الميدانية، وبنسبة مقاربة اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (93%) من مجتمع البحث مع العبارة القائلة بأن عدم وجود مساعدين للباحث لإجراء البحوث الميدانية، ولا شك أن هذا يؤثر إلى النقص الكبير في خبرات بعض الباحثين في التعامل مع التقنيات والتكنولوجيا الحديثة الخاصة بتفريغ وتحليل البيانات الميدانية، كما يشير إلى النقص الكبير في الكادر البحثي الواسع الذي يتولى عملية تنفيذ البحوث الميدانية وجمع المادة الميدانية من المجتمع المدروس من مساعدين وفنيين مما ينعكس سلباً على قدرة الباحث الأساس لتنفيذ البحوث الميدانية.

جدول رقم (13)

يمثل رأي أفراد مجتمع البحث حول الأوضاع والظروف الفنية التي قد تمثل معوقات تكف بوجه الباحث في سبيل تنفيذ الدراسات الميدانية

العبارة	نعم		إلى حد ما		كلا	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
1. نقص المختبرات والمعامل اللازمة لإجراء الدراسات الميدانية .	76	70	31	29	1	1
2. عدم دقة الإحصائيات والبيانات التي تصدرها بعض المؤسسات	63	58	43	40	2	2
3. نقص الأجهزة والمعدات اللازمة لتحليل الدراسات الميدانية	71	66	34	31	3	3
4. نقص الخبرة لاستخدام برامج الحاسوب الخاصة بتفريغ وتحليل البيانات	64	59	40	37	4	4
5. عدم وجود مساعدين للباحثين لإجراء الدراسات الميدانية	79	73	22	20	7	7
6. تعدد مصادر البيانات والمعلومات مما يؤدي إلى	56	52	41	38	11	10

اختلافها وتناقضها في بعض الأحيان

وفيما يخص الإحصائيات والبيانات التي ينبغي توافرها لأجراء البحوث الميدانية فقد اتفق كلياً أو جزئياً حوالي (98%) من مجتمع البحث مع الرأي القائل بأن عدم دقة هذه الإحصائيات والبيانات والتي تصدر عن المؤسسات المتعددة إنما يشكل عقبة من عقبات تنفيذ البحوث الميدانية، وفي موضوع على صلة، فقد اتفق غالبية الباحثين كلياً أو جزئياً وبنسبة (90%) من مجتمع البحث مع الرأي القائل بأن تعدد مصادر البيانات والمعلومات والذي

يؤدي إلى اختلاف وتناقض هذه البيانات يسهم في إعاقه البحوث الميدانية، إذ كما هو معروف فإن عملية البحث والدراسة الميدانية تعتمد من بين ما تعتمد عليه ما يتوافر لديها من إحصائيات وبيانات، تساعد على معرفة حجم وبعض خصائص المجتمع المدروس لكي يسهل عليها اختيار العينات وتحديد حجم وشكل هذه العينات، وعلى ضوء ذلك فإن عدم دقة البيانات أو تناقضها يمثل إحدى أهم المعوقات التي تقف في سبيل تنفيذ البحوث الميدانية، وهذا الأمر تعاني منه غالبية الدول النامية التي تفتقر أغلبها لقاعدة بيانات وطنية تخدم في هذا المجال.

ومن خلال مناقشة المعوقات الفنية التي تتفق أغلبها مع الفرضية الخامسة والقائلة (قد تساهم بعض المتغيرات الفنية في إعاقه تنفيذ البحوث الميدانية).

ويمكن تلخيص أهم المعوقات الفنية للبحوث الميدانية بما يأتي:-

- 1- معوقات تخص المختبرات والمعامل والأجهزة، حيث النقص الحاصل في المختبرات والمعامل العلمية، والأجهزة التي تستخدم في تحليل الدراسات الميدانية.
- 2- معوقات تخص الباحثين ومساعدتهم، حيث أن هناك نقص في الخبرات اللازمة في مجال استخدام برامج الحاسوب الخاصة بتفريغ وتحليل البيانات، وعدم وجود مساعدين للباحثين للقيام بعملية جمع البيانات اللازمة للبحوث الميدانية.

المحور الخامس:- ملخص النتائج والتوصيات

أولاً: ملخص النتائج

بالرغم من أن البحث تضمن ملخصاً لنتائجه في ختام مناقشة كل فقرة ولكن وجدنا أن نford فقرة تجمع ملخصاً لأهم نتائج البحث تركيزاً للفائدة، ويمكن إجمال ملخص لأهم نتائج البحث حول أهم معوقات البحوث الميدانية وكما يأتي:-

- 1- تكدى مستوى الوعي الاجتماعي بأهمية البحوث الميدانية، وارتفاع معدلات الأمية.
- 2- العلاقات الاجتماعية المتمثلة في الأسرة كبيرة الحجم وتشعب العلاقات القرابية وعلاقات الصداقة.
- 3- القيم والعادات الاجتماعية التي تمنح الاحترام والتقدير حسب الجنس أو العمر أو المكاة الاجتماعية.

- 4- القيم والعادات الاجتماعية التي تدفع الأفراد للحذر من الغرباء، والتشكيك في نوايا الباحث وأهداف بحثه، وعدم الرغبة بالإدلاء بالبيانات والمعلومات اللازمة للبحوث الميدانية.
- 5- القيم والعادات الاجتماعية التي تقف في وجه جمع البيانات من الميدان، من خلال عدم السماح للباحث الذكر من مقابلة الإناث.
- 6- تدني الدعم المادي الذي تقدمه الجامعة، وتدني الدعم المالي الذي تقدمه المؤسسات الحكومية سواء من كلفة البحوث أو من مكافآت للباحثين، فضلاً عن تدني المرتبات التي يستلمها الباحثون لقاء عملهم.
- 7- ارتفاع أجور إقامة الباحث بهدف جمع البيانات من المجتمع المدروس في الفنادق والشقق، وارتفاع أجور تحكيم ونشر البحوث في المجلات المحكمة، وارتفاع أجور التنقل للوصول إلى المكان المزمع بحثه، وارتفاع أجور مساعدي الباحث، أو الذين يقومون بالتفريغ وإجراء التحليل الإحصائي للبيانات الميدانية، وارتفاع تكاليف الطباعة للبحوث الميدانية التي تتطلب تكوين الجداول والخرائط والأشكال والصور والتي تكلف مبالغ أكثر مما هو عليه الحال في البحوث النظرية.
- 8- تدني مستوى الدعم المالي الذي تقدمه المؤسسات الخاصة، وتدني ما تقدمه هذه المؤسسات من مكافآت للقائمين على هذه البحوث.
- 9- عدم وجود أو تدني الدعم الذي تقدمه المؤسسات الدولية للبحوث الميدانية وللقائمين على تنفيذها.
- 10- زيادة أعباء عضو هيئة التدريس من المقررات التي يدرسها (النصاب الأسبوعي)، وزيادة الأعباء الإدارية لمن يشغل منهم منصباً إدارياً.
- 11- طول مدة الانتظار لتحكيم ونشر البحوث الميدانية في المجلات العلمية المحكمة، وتعقيد الإجراءات الروتينية للحصول على الموافقة لتحكيم ونشر البحوث الميدانية.
- 12- البيروقراطية، مثل تعقيد إجراءات الموافقة في بعض المؤسسات على الدعم المالي لإجراء الدراسات الميدانية وتعقيد الإجراءات الروتينية التي تفرضها بعض المؤسسات للحصول على الموافقة لإجراء الدراسات الميدانية ووجود موظفين يتخوفون من تحمل

مسئولية تسهيل مهمات الباحث الميداني ووجود اللوائح والتعليمات التي تمنع تداول المعلومات والبيانات.

13- الفساد الإداري، مثل التكليف بإجراء الدراسات الميدانية من قبل المؤسسات المتعددة الذي يتم بشكل شخصي وليس مؤسسي، وانتشار الرشوة أو المحسوبية أو الوساطة بين بعض الموظفين في المؤسسات.

14- نقص الأنشطة العلمية المتمثلة في المجالات العلمية المحكمة، والمراكز والمؤتمرات والندوات العلمية المهمة بالبحوث الميدانية.

15- نقص في تأهيل وتدريب بعض الباحثين، والنقص في الخبرات في مجال تصميم وتنفيذ أدوات جمع البيانات، والتركيز في التعليم الجامعي على الأساليب النظرية أكثر من الأساليب العملية والميدانية.

16- إهمال المؤسسات المتعددة لنتائج البحوث الميدانية وعدم الاستفادة منها أو توظيف نتائجها في سبيل تطوير وتنمية المجتمع.

17- نقص المختبرات والمعامل العلمية، والأجهزة التي تستخدم في تحليل الدراسات الميدانية.

18- نقص الخبرات اللازمة لتنفيذ البحوث الميدانية في مجال استخدام برامج الحاسوب الخاصة بتفريغ وتحليل البيانات، وعدم وجود مساعدين للباحثين للقيام بعملية جمع البيانات اللازمة للبحوث الميدانية.

ثانياً: التوصيات

بعد الانتهاء من تحديد أهم المعوقات التي تقف بوجه تنفيذ البحوث الميدانية، أصبح من الضروري أن نقوم بتحديد أهم التوصيات، من أجل تفادي هذه المعوقات ومعالجتها والتخلص من تأثيرها السلبي، ومن أجل دعم وتفعيل البحث الميداني، وبالتالي تحقيق أحد أهم أهداف الجامعة في دعم البحث العلمي، ومن خلال النتائج التي توصل إليها البحث يمكن تقديم بعض التوصيات كما يأتي:-

1- القضاء على الأمية، ويجب أن تتضافر جهود وزارة التربية ووزارة التعليم والمؤسسات الإعلامية بكل أشكالها ومؤسسات القطاع الخاص (الأهلي)، في حملة وطنية شاملة تهدف

- إلى القضاء على الأمية، على وفق خطة محددة تقوم على أساس بيانات ميدانية وواقعية، وتراعي الجوانب الاجتماعية والثقافية للمجتمع.
- 2- القيام بحملات التوعية بأهمية البحوث الميدانية، حيث يقع على عاتق جامعة تعز ومراكز البحث التابعة لها دور نشر الوعي بأهمية البحث الميداني من خلال الندوات والمهرجانات والأنشطة العلمية التي يفترض أن تقوم بها، في كافة المناطق والمدن. يساعدها في ذلك وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وكافة منظمات ومؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الجماهيرية.
- 3- إحداث تغيير حقيقي في بعض أنماط القيم الاجتماعية السلبية التي تعيق تنفيذ البحوث الميدانية، من خلال إعطاء دور فاعل لأقسام علم الاجتماع وعلم النفس في الجامعات، في إقامة الندوات والدورات التوعوية حول أهمية التعاون مع الباحثين الميدانيين الذين يسعون لجمع البيانات، التي تعد أساسية في عملية البحث الميداني.
- 4- تفعيل دور المرأة الباحثة في التخصصات التي تقوم بالبحوث والدراسات الميدانية والتي يمكن أن تنوب عن الرجل في جمع البيانات من العنصر النسائي في المجتمعات المدروسة. وزيادة عدد الدرجات الوظيفية التي تخصصها جامعة تعز للعنصر النسائي في مجال البحوث الميدانية وإكمال الدراسات العليا.
- 5- تحديد ميزانية خاصة بالبحوث الميدانية من قبل جامعة تعز، أو زيادة هذه الميزانية أن كانت موجودة، على أن يتم صرف هذه الميزانيات للقيام بالبحوث الميدانية فعلاً وليس لأغراض أخرى ثانوية وجانبية.
- 6- زيادة الدعم المالي الذي تقدمه الوزارات والمؤسسات الحكومية الأخرى (غير الجامعة) سواء في تمويل عملية البحث الميداني، أو تخصيص المكافآت المالية للقائمين على تنفيذ مثل هذه البحوث.
- 7- زيادة دخول الأفراد القائمين على إجراء وتنفيذ البحوث الميدانية، وضمان حياة كريمة لهم من ناحية وضمان تفرغهم للبحث الميداني من ناحية أخرى، وزيادة نسبة المكافآت التي تخصص لقاء قيامهم بمثل هذه البحوث.

- 8- تفعيل دور إمكانيات وموارد جامعة تعز والمراكز البحثية التابعة لها في عملية إجراء وتنفيذ البحوث الميدانية، من خلال مشاركة ما تمتلكه الجامعة من أجهزة ومعدات ومطبعة ومختبرات في البحوث الميدانية.
- 9- زيادة مساهمة القطاع الأهلي (الخاص) في الدعم المالي للبحوث الميدانية، وزيادة المكافآت المالية التي يرصدها هذا القطاع لمثل هذه البحوث.
- 10- على الجامعة أن تتعامل مع البحوث الميدانية كأولوية من أولوياتها في سبيل دراسة المجتمع المحيط بها ومعرفة أهم نقاط القوة وما يمكن تسميته بالمقومات التي تتوافر في هذا المجتمع، وكذا تحديد أهم المعوقات أو نقاط الضعف التي يعاني منها هذا المجتمع، وبالتالي تحديد أفضل السبل التي يمكن لجامعة تعز أن تسلكها لخدمة هذا المجتمع.
- 11- تفعيل دور جامعة تعز بجميع كلياتها ومراكزها (ذات العلاقة) من أجل زيادة أعداد خريجها (الكادر البحثي الواسطي ومساعد الباحث) في مجال البحوث الميدانية، والتركيز على أن يكون هؤلاء الخريجون من ذوي التأهيل والكفاءة العالية في مجال جمع البيانات من المجتمع المدروس.
- 12- انفتاح جامعة تعز على المؤسسات الدولية التي يمكن أن تزيد من دعمها وتمويلها للبحوث الميدانية، وتخفيف الإجراءات الروتينية التي تتطلبها عملية التعاون مع هذه المؤسسات في سبيل تسريع وتيرة هذا التعاون وتفعيل مساهمة هذه المؤسسات في البحوث الميدانية وبما يخدم المصلحة الوطنية.
- 13- على جامعة تعز التخفيف من الأعباء التدريسية الملقاة على عاتق عضو هيئة التدريس فيها، واحتساب البحث الميداني جزءاً من هذا النصاب ووضع آلية محددة لتنفيذ ومراقبة ذلك، والتخفيف من الأعباء الإدارية التي يكلف بها أعضاء هيئة التدريس في الجامعة.
- 14- زيادة عدد المجلات العلمية المحكمة في جامعة تعز، وزيادة أعداد ما موجود من هذه المجلات بحيث تكون فصلية أو شهرية وحسب ما متوفر من بحوث يقدمها أعضاء هيئة التدريس في الجامعة أو تلك التي تصل لهذه المجلات من خارج الجامعة، والتخفيف من

الإجراءات الروتينية في مجال تحكيم ونشر البحوث الميدانية مع الحرص على الالتزام بالشروط العلمية التي تتطلبها عملية البحث العلمي.

15- على المؤسسات الحكومية التخفيف من الإجراءات الروتينية التي تتطلبها عملية الموافقة على إجراء البحوث الميدانية أو تقديم الدعم المالي لمثل هذه البحوث، وتوفير البيانات والمعلومات التي تخدم البحوث الميدانية.

16- البدء بالإصلاح الإداري في مؤسسات الدولة كافة للتخلص من كل ما يشوب الإدارة من فساد ومحسوبية ورشوة، وتقع مسؤولية ذلك على جميع المؤسسات من وسائل إعلام وجامعات ووزارات ومنظمات المجتمع المدني. كما ينبغي على هذه المؤسسات التزام العمل المؤسسي في تقديم وظائفها والقضاء على شخصنة هذا العمل.

17- زيادة الأنشطة العلمية التي تقوم بها جامعة تعز مثل المؤتمرات والندوات العلمية التي تهتم بالبحوث الميدانية وتفعيل ما يطرح في هذه المؤتمرات من توصيات ومقترحات تخدم تطوير عمل الجامعة وما تقدمه من وظائف في المجتمع.

زيادة نسبة التعليم الميداني أو التطبيقي في المقررات التي تدرس في الأقسام والكليات والمراكز في جامعة تعز، وتوفير ما يتطلبه ذلك من مختبرات ومعامل وأجهزة ومعدات.

المصادر

- 1) للمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إلى الندوات التي عقدت في الجامعات اليمنية حول هذا الموضوع وكما مبين في أفتاد:-
 - 1- الندوة العلمية حول واقع البحث العلمي في جامعة عدن والجامعات اليمنية الأخرى- الواقع وآفاق المستقبل، المنعقدة في عدن بتاريخ 4-6 ديسمبر 1999م، دار جامعة عدن، 1999م .
 - 2- وقائع وأبيات ندوة البحث العلمي ومشكلاته في الجمهورية اليمنية المنعقدة في صنعاء 27/2/2006م.. غير منشورة.
- 2) د/ربحي مصطفى عليان، د/ عثمان محمد غنيم، أساليب البحث العلمي .. الأسس النظرية والتطبيق العملي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2004م، ص 43.
- 3) ورد في إحصائية حصل عليها الباحث من مكتب نائب رئيس الجامعة للشئون الأكاديمية أن إجمالي عدد أعضاء هيئة التدريس في كافة كليات ومراكز الجامعة هو (539) عضواً، منهم (360) مدرساً ومعيداً، وهي إحصائية قد تكون غير حديثة.
- 4) د/ إحسان محمد الحسن، د/ عبدالمنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1981م، ص 64.
- 5) د/سامي سلطي عريفج ، الجامعة والبحث العلمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، 2001م ، ص ص 31-40.
- 6) د. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م، ص ص 149 – 184.
- 7) ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1995م، ص 333، ص 280.
- 8) د/أحمد مصطفى خاطر، تنمية المجتمعات المحلية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005م. ص 167.
- 9) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، المصدر السابق نفسه، ص 115.
- 10) د/ ربحي مصطفى عليان، د/ عثمان محمد غنيم، أساليب البحث العلمي، مصدر سابق، ص ص 13-14.
- 11) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة، القاهرة 1968م، ص 4.
- 12) <http://www.ghamid.net/vb/showthread.php?t=12932>
- 13) المصدر السابق.
- 14) <http://www.alazhar.edu.ps/staff/Skills.doc31>
- 15) د/أحمد مصطفى خاطر وآخرون، البحث الاجتماعي في محيط الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص 48.
- 16) د/نوافل عبيدات، د/ سهيلة أبو السميد، البحث العلمي/ البحث النوعي والبحث الكمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص 147.
- 17) انظر على سبيل المثال:

1- د/ ربحي مصطفى عليان، د/ عثمان محمد غنيم، أساليب البحث العلمي ، مصدر سابق، ص 29.

مقترحات تطبيقية لآلية العمل الميداني

في دراسة تنمية الأراضي الزراعية

لمنطقة معينة

(دراسة في جغرافية التنمية)

الدكتور/ عصام طالب السالم*



المقدمة :

يهتم الجغرافي بالمواضيع التنموية التي يحتضنها مسرحه الجغرافي بنواحيها الطبيعية والبشرية ، وعملنا كجغرافيين يتعدى كوننا أداة لجمع المعلومات وإن كانت هذه لبنتنا الأولى - لنصل في خطوتنا التالية إلى التحليل في توزيع الظاهرة وفهم علاقاتها المشتركة مع العلاقات الجغرافية الأخرى في ذلك المحيط . وبما أن ظواهرنا الجغرافية ظواهر متحركة - والتنمية هي في الأصل تعني الديناميكية في الحركة - لذلك تأتي جغرافية التنمية في دراسة الظواهر الجغرافية وفق واقعها ومسبباتها ومن ثم بيان أفضل الطرق لتنميتها نحو الأحسن كما ونوعا وحجما . ويعلم كل الجغرافيين أن الأساس في أية دراسة جغرافية هو الميدان ، فكلمنا ارتبط الجغرافي بالميدان وقف على حقيقة ظاهرتيه و أوجد أفضل السبل لدراستها ومعالجتها وطرح أفكاراً وطرقاً للنهوض بها . لذا جاءت هذه الدراسة لتضع منهجية متواضعة وبرنامج عمل تطبيقي من خلال طرحها مقترحات عن الآلية التي يمكن أن يستخدمها الباحث الجغرافي عندما يريد أن يكتب عن تنمية الأراضي الزراعية لمنطقة ما . حيث نعتقد أن الأسلوب والطريقة التي يستخدمها الباحث في جمع معلوماته من الميدان وكيفية تصميم عمله ووضع خطة واضحة لأسلوب تحليله

لنتلك المعلومات ، تعد أموراً أساسية في نجاح مهمته البحثية من جهة ، وتمنحه إمكانيات جيدة في طرح أفضل السبل للنهوض بها بما يتلاءم مع الواقع والإمكانات المتاحة بعيداً عن الحلول الخيالية التي يكون من الصعب تنفيذها أو الأخذ بها .

وتهدف هذه الدراسة - كما ذكرنا- إلى وضع برنامج عمل تطبيقي يدور حول محاور التنمية الرئيسية التي استخدمها الباحث كنقاط شروع أساسية عندما تفكر في مناقشة ودراسة إمكانيات التنمية الزراعية في منطقته معينة وهذه المحاور هي:

- 1 - إمكانيات التوسع الأفقي للأرض الزراعية .
- 2 - رفع الكفاءة الإنتاجية للأرض والمحصول والمزارع .
- 3 - زراعة المحاصيل التي تتلاءم مع الظروف الطبيعية والبشرية للمنطقة المدروسة.

وجاءت الدراسة لوضع منهجية تطبيقية يمكن أن تستخدم من قبل الباحث الجغرافي. ولكل محور من المحاور الثلاثة من أجل الحصول على أفضل النتائج الميدانية التي في ضوئها يمكن أن يناقش ويحلل كل محور ومن ثم تعطى التوصيات الخاصة للنهوض به.

لقد جاء الاهتمام بموضوع تنمية الأراضي الزراعية لأنها من الدراسات المهمة وذلك لما تعانيه أراضينا الزراعية من تدهور وضياع مما سبب فقدان الكثير منها بعد أن كانت أراضي مزروعة وذات إنتاجية عالية . لذا فإن استثمار هذه الأراضي يعد من الأمور الواجب الوقوف عليها وتكاتف الجهود للنهوض بها من أجل الحفاظ عليها وإعادة تأهيل ما طالتها المشاكل وجعلتها خارج العطاء الزراعي ، لأن وطننا العربي الكبير بحاجة ماسة إلى كل شبر صالح للزراعة يمكن استثماره لأن هنالك الكثير ممن هم في حاجة كبيرة لإنتاجية هذه الأرض .

آليات دراسة محاور تنمية الأراضي الزراعية:

أولاً: إمكانات التوسع الأفقي للأرض الزراعية :

يهدف التوسع الأفقي إلى زيادة المساحة في الأراضي المزروعة من خلال استثمار الأراضي المتوفرة في المنطقة المراد التوسع في زراعتها، بعد أن كانت تلك الأراضي خارج نطاق الاستثمار الزراعي لأسباب يمكن التغلب عليها. ووفقاً لذلك ينبغي معرفة تلك الأسباب وإيجاد أفضل السبل لتذليلها . وهنا يأتي دور الدراسة الميدانية لترتيب الأسباب حسب أولوياتها واختيار أفضل الطرق لمعالجتها كما يلي:

1_ الاستثمار الأمثل للموارد المائية في المنطقة : إذا كانت الموارد المائية - بسبب قلتها- هي إحدى العقبات التي تقف في وجه التوسع الأفقي في الزراعة فهنا يمكن أن نتخطى هذه المشكلة وفق الموارد المائية المتاحة وذلك من خلال استخدام طرق ري يمكن من خلالها أن توفر المقنن المائي للنبات وغسل التربة بكميات مائية أقل من الطرق التي كانت تستخدم في المنطقة ، ومن هذه الطرق طريقة الري بالرش أو الري بالتنقيط . على أن يبين الباحث الطرق الصحيحة في تطبيق هذه الأساليب في الري وذكر مزايا وعيوب كل طريقه وبالتالي ترجيح الأفضل وفق خواص تربة المنطقة وسماتها ونوعية المورد المائي . وفي حالة الاستخدام المسبق لإحدى الطرق المشار إليها مع وجود قلة في كميات المياه ، هنا لابد من جدولة الري من حيث أوقاته وكمياته وفقاً للمقتنات المائية لكل محصول .

2_ التوسع في استخدام الميكنة الزراعية : أثبتت التجارب الحقلية أن الاستخدام الأمثل للآلات الزراعية في كل العمليات الزراعية يعمل إلى الحصول على أفضل النتائج مع اختصار في الوقت والجهد إضافة إلى إمكانية التوسع في إضافات جديدة للمساحات المزروعة ، أكثر مما لو كان ممارسة تلك العمليات من خلال الجهد العضلي للإنسان أو باعتماده على الأدوات القديمة . يمكن أن يناقش الباحث هذا الموضوع وفق ما توفر لديه من معلومات عن الميدان كما يلي :

أ_ يطرح الباحث تفصيلاً لأهم الآلات التي تستخدم في كل عمليات تهيئة التربة للزراعة ويعطي تفاصيل لمزايا استخدامها. والتي منها: محارث التربة ، مكائن

تنعيم التربة، الجرارات المخصصة لفتح السواقي ، آلات الحصاد ، مع الأخذ في نظر الاعتبار الطريقة التي يتم بها توفير هذه الآلات لتكون تحت تصرف المزارع ، ومعرفة أسعارها بالسوق المحلية وأسعارها عندما توفرها الدولة من خلال الجمعيات الزراعية أو الدوائر المختصة بذلك .

ب_ تفصيل الطرق العلمية لاستخدام هذه الآلات لأن الاستخدام الخاطئ لها يؤدي إلى نتائج سلبية على تركيب التربة وحركة الماء والهواء فيها ، وبالتالي التأثير السلبي على النباتات المزروعة .

ج_ مكننة الري وهنا لا بد أن تكون لدى الباحث معلومات عن المنطقة فيما إذا كانت قريبة من التيار الكهربائي أم لا لكي يوصي باستخدام مكائن تعمل بالتيار الكهربائي أو بالديزل ليضع خطة في إمكانية توصيل الوقود لأي نوع يمكن استخدامه.

3_ طرح برنامج تطبيقي للدورات الزراعية - يتوافق مع نوع التربة والمناخ السائد - من أجل المحافظة على خصوبة التربة واستمرارية الإنتاج الزراعي للأرض، وهنا سيكون الاستثمار أكثر جدوى وهذا ما يدفع المزارع لزيادة المساحة المزروعة.

4_ تقديم برنامج واضح يجعل من المنطقة المراد التوسع بها منطقة جذب سكاني ، وهذا يعتمد كثيرا على نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث مسبقا ورصد خلاله الأسباب التي جعلت من المنطقة منطقة طرد سكاني والتي قد يكون منها:

أ_ قلة الخدمات المتوفرة بالمنطقة وانخفاض أداء الموجود منها .

ب_ انخفاض كفاءة طرق النقل وقلة وسائله المتاحة للسكان .

ج_ ضعف الإمكانيات المادية للمزارعين وانخفاض مستوى الدخل .

د_ انخفاض صلاحية التربة للإنتاج الزراعي .

فعلى ضوء الأسباب التي تجمعت لدى الباحث ، ومن خلال نزوله المباشر للميدان يضع خطة عمل يمكن تطبيقها على مرحلتين ، الأولى تكون لمعالجات يمكن أن تطبق بشكل سريع ، والثانية تمنح فترة زمنية أطول لتطبيقها لأنها قد تحتاج إلى وقت وجهد مع ضرورة الإعلان عن هذه الخطة والفترة التي سيتم المباشرة بتطبيقها على الواقع . من أجل تشجيع السكان الموجودين على البقاء في المنطقة ،

ولتكون المنطقة محط أنظار من يريد أن يأتي ويستثمر فيها. ويمكن إيجاز بعض المعالجات وطرق التطبيق كما يلي :

أ_ فيما يخص الواقع الخدمي : يتم طرح أولويات لتحسين الواقع الخدمي لمؤسساته الموجودة حاليا ، وما هي الخدمات التي يجب أن تتوفر في الوقت الحاضر ومستقبلا وفقا للحاجة الملحة لها ومنها : الخدمات التعليمية (ما هو عدد المدارس الموجودة حاليا وفقا لمستوياتها ؟ ما هو العدد الكلي لطلبة هذه المدارس ؟ وعدد كادرها التعليمي ؟ وما هي مشاكلها بالنسبة للطلاب والمعلم والمسألة التعليمية بكل جوانبها؟ وكم نحتاج من مدارس إضافية الآن ومستقبلا ؟ هل الكادر التدريسي الآن يكفي أم لا ؟ وكم نحتاج الآن ومستقبلا وحسب التخصص ؟) ، الخدمات الصحية (ما هو عدد المؤسسات الصحية الموجودة الآن؟ مستوصف - مستشفى - عيادات خاصة ؟ هل تغطي هذه المؤسسات بعدها وحجمها وكادرها حاجة المنطقة ؟ كم هي الحاجة الحالية للتوسع بها الآن ومستقبلا ؟) . الخدمات الترفيهية: هل هي موجودة ؟ ما هو نوع الخدمات التي من الضروري أن تتوفر للمنطقة ؟

ب_ فيما يخص ضعف الإمكانيات المادية : يطرح الباحث جملة من المعالجات لرفع المستوى المادي للمزارعين معتمدا على الواقع الميداني لمنطقة الدراسة :

1_ منح المزارعين القروض والسلف الزراعية وتحديد منافذ هذه القروض مع بيان فترة التسديد وشروطها من قبل الجهة المانحة للقروض سواء من الدولة أو من مصارف القطاع الخاص وبيين أفضلية أي جهة مانحة للقروض.

2_ المنح المقدمة من قبل الدولة لمن يستثمر الأرض زراعيا في هذه المنطقة.

3_ دعم وتنمية الحرف الصناعية المحلية لتشجيع القائمين عليها (بعد التعرف على أهم الحرف الصناعية التي يمارسها الأفراد في المنطقة) ، مع إيجاد منافذ لتصريف هذه السلع ، والتخطيط لإنشاء صناعات صغيرة تعتمد على الإنتاج الريفي. إن هذا يرفع من المستوى المادي لسكان هذه المنطقة ويشجع الناس على البقاء وزراعة الأرض وخصوصا للمنتجات التي تكون مواد أولية لتلك الصناعات.

جـ. فيما يخص طرق النقل ووسائله: يستطيع الباحث أن يعمل استمارة خاصة بهذا الموضوع لكي يعطي معالجات على ضوء ما تتوفر لديه من معلومات في الميدان وتتضمن هذه الاستمارة

- 1_ المسافة بين منطقة الدراسة وأقرب مركز حضري.
 - 2_ أطوال الطرق المستخدمة في المنطقة الرئيسية والفرعية.
 - 3_ درجة كثافة الاستخدام ، (للبشر والمركبات) للطرق الرئيسية والفرعية ، حسب اليوم وحسب المواسم الزراعية .
 - 4_ هل الطرق معبدة أم ترابية (أطوال كل صنف) . وما هي الأطوال الواجب تعبيدها ورصفها وفقاً للحاجة .
 - 5_ ماهي وسائل النقل المتوفرة (عدها، أنواعها، افترات عملها ، عائداتها)
- د_ التحديد العلمي للمشاكل التي تعاني منها تربة منطقة الدراسة : يتم تحديد مشاكل التربة في ضوء الدراسة الحقلية وفحص عينات التربة مختبرياً لمعرفة تلك المشاكل وآثارها ودرجة تأثيرها على الإنتاج الزراعي فعندما تكون مشكلة التربة هي الملوحة هنا يأتي دور الباحث في تحديد أسباب تلك الملوحة وعمل خارطة لتوزيع التربة حسب ملوحتها ووضع برنامج لاستصلاح هذه التربة وفق الطرق العلمية الحديثة وحث المزارعين على زراعة محاصيل تتعايش مع الوضع الحالي لملوحة التربة كمرحلة تسبق عمليات الاستصلاح . أما إذا جاءت مشكلة التربة هي التعرية ، أيضا يتم تحديد أسباب هذه المشكلة وكيفية الحد منها ثم وضع آليات للحد من هذه المشكلة مثل الحراثة الكنتورية أو التقليل من الرعي الجائر أو التشجير وغيرها كعلاجات للمسببات. وإن كانت المنطقة تعاني من وجود مستنقعات نضج برنامجاً لردم هذه المستنقعات وخفض مستوى الماء الجوفي ، وذلك لكي تكون هذه الأراضي جاهزة للزراعة .

ملخص الاستبيان الميداني للنقطة أولاً:

- 1- ما هي مساحة أرضك الزراعية : دونم () 2 دونم () أكثر ()
- 2- هل تزرع كل المساحة سنوياً: نعم () لا ()
- 3- إذا كان الجواب بلا فما هي الأسباب: مادية () مشاكل تتعلق بالتربة مشاكل تتعلق بقلة مياه الري ()
- 4- هل تعتمد في ري حقلك على مياه : جوفية () سطحية () أمطار ()
- 5- هل تروي حقلك رياً : سحياً () بالواسطة ()
- 2- ما هو نوع الواسطة المستخدمة في الري: الدلو () الشادوف () مكانن أخرى ()
- 3- هل تستخدم الطرق الحديثة بالري مثل: الرش () التنقيط ()
- 4- هل يمكن أن تستخدم طرق الري الحديثة لو توفرت لك: نعم () لا ()
- 5- هل تعاني المنطقة من قلة المياه: نعم () لا () إذا كان الجواب بنعم فمتى ؟

- ما هي الآلات التي تستخدمها في الحراثة : المسحاة () المحراث البلدي ()
المحراث الآلي ()
- هل تستخدم المكانن في تنعيم التربة وفتح السواقي نعم () لا ()
- هل الذي يقوم بعملية الحراثة يتقنها : نعم () لا ()
- هل تسكن في دار : ملك () إيجار ()
- ماهي مساحة المسكن ؟

- ماهي مادة بناء المسكن : طين () قصب () طابوق ()
- عدد غرف المسكن : 2 () 4 () أكثر ()
- 18- هل ترغب ببناء دار حديثة : نعم () لا ()
19. هل تفضل أن تبني لك الدولة مسكناً: نعم () لا ()
- إذا كان الجواب بلا فهل تفضل استلام قرض وأنت من تقوم بالبناء: نعم () لا ()
20. - هل ترغب في أن تفرضك الدولة لمعاونتك في زراعة الأرض: نعم () لا ()

21. هل يؤثر النقل على تسويق المحصول : نعم () لا ()
إذا كان الجواب بنعم فهل ذلك يعود : للطريق () للواسطة ()

أسئلة يمكن أن يطرحها الباحث على مسئولين في المنطقة التعليمية:

- 1_ ما هو عدد المدارس المتوفرة في المنطقة حسب المستويات ؟
- 2_ ما هو عدد الطلبة في كل مستوى ؟
- 3_ ما هو عدد المدرسين الموجودين لكل مستوى ؟
- 4_ عدد المدرسين من سكان المنطقة أو من خارجها ؟
- 5_ هل يتوفر للمدرسين من خارج المنطقة سكن خاص أم أنهم يمارسون رحلة يومية لمناطق سكنهم ؟
- 6_ هل تعاني المدارس نقصاً في الكادر ؟
- 7_ ما هو الاحتياج للمدرسين حسب التخصص ؟
- 8_ هل تعاني المدارس من نقص في الكادر ؟
- 9_ هل المدارس الموجودة بناؤها حديث أم قديم ؟

أسئلة الجهات الصحية:

- 1_ ما هو عدد المؤسسات الصحية ؟ مستوصف..... مستشفى..... عيادات خاصة.....
- 2_ الطاقة الاستيعابية لكل مؤسسة صحية في النقطة واحد.....
- 3_ عدد الكادر التخصصي في المؤسسات الصحية في النقطة واحد.....
- 4_ هل المعدات الصحية في المؤسسات الموجودة كافية أم لا ؟
- 5_ ما هو مقدار النقص في الكادر الصحي التخصصي وكم هو الاحتياج الآن ومستقبلاً ؟

أسئلة الموجهة للدائرة الزراعية:

- 1_ ماهي المساحة القابلة للزراعة في المنطقة ؟
- 2_ ما هي مساحة الأراضي المزروعة فعلا ؟
- 3_ ما هي مساحة الأراضي المتروكة ؟
- 4_ ما هي أهم الأسباب التي أدت إلى إهمال هذه الأراضي ؟
- 5_ ما هو الدور الذي تقوم به الدوائر الزراعية في المنطقة من حيث، السلف الزراعية، المعدات الزراعية، الإرشاد الزراعي ، الخطة الزراعية ، مكافحة الآفات ، التسويق ، تزويد المزارع بالبذور ، الأسمدة ؟

6_ ما هي التوجهات المستقبلية للدائرة الزراعية في المنطقة ؟

ثانياً: رفع الكفاءة الإنتاجية للأرض والمحصول والمزارع :

إن العملية الإنتاجية وجدواها الاقتصادية، ترتبط بثلاثة متغيرات أساسية لا يمكن الفصل بينها وهي، الأرض والمحصول والمزارع. وأن أي خلل في أحدها يعمل على عرقلة العملية الزراعية والإنتاجية. لذا سيطرح الباحث طرقاً وأساليب علمية تشترك فيها المحاور الثلاثة يمكن أن تكون دليل عمل واضح تدرس وفقه إمكانيات التنمية الزراعية في المنطقة وعلى الوجه التالي :

1 الطرق العلمية لإضافة الأسمدة :

هذه من المسائل المهمة وذلك لأن التسميد الجيد يساهم في زيادة الحاصل والمجموع الجذري والخضري للنبات ، ويمكن أن يبقى جزءاً كبيراً من أجزاء النبات في التربة فيزيد من المواد العضوية فيها وبالتالي المحافظة على خصوبتها . بعد أن تتوفر لدى الباحث نتائج تحليل تربة المنطقة لخواصها الفيزيائية والكيميائية ، ومعرفة أهم المحاصيل التي يتم زراعتها ، سيطرح الباحث الأفضلية في إضافة نوع الأسمدة ، هل العضوية أم الكيماوية ويعطي المقارنات التالية:

أ_ إذا كانت عضوية :

هل الأفضل أسمدة : الأبقار () دواجن () أغنام () خيول ()

يتم جدولة المحتويات والرطوبة لكل نوع من هذه الأسمدة اعتمادا على تحاليل مختبرية لهذه الأسمدة ، وبيان أفضلية السماد الذي سيتم اختياره وفقا لخواص التربة ومتطلبات المحصول ويضاف لذلك إمكانية توفر السماد وسعره والسماد البديل الأقرب في تلبية الاحتياجات المذكورة أعلاه .

ب_ إذا كانت كيميائية:

يتم تحديد نوع الأسمدة الكيميائية الواجب إضافتها وكمياتها اعتمادا على نتائج تحليل التربة وهذه النتائج تكون مطلوبة أكثر من الحاجة في الأسمدة العضوية لأن أي إضافات غير صحيحة يمكن أن تعطي نتائج عكسية ويتحول العنصر بدلا من عنصر مغذٍ إلى عنصر سام ، كما أن خواص التربة تؤثر على السلوك الكيميائي للسماد المضاف. وعموما يتحدد نوع السماد اعتمادا على مقدار نقصه في التربة ونوع المحصول المزروع وفترة نموه . فمثلا تضاف الأسمدة النتروجينية لتعويض التربة عن النقص بالنتروجين ، كما أن هذه الأسمدة مطلوبة لزيادة النمو الخضري للخضراوات ، ويوصى بإضافتها في بداية موسم النمو ، أما الأسمدة المركبة NPK فتكون لزيادة النمو الثمري للخضراوات والفاكهة والحبوب .

ج_ إيضاح الطرق العلمية لإضافة الأسمدة :

مشاهدات للطرق التي تتم فيها إضافة الأسمدة في المنطقة ونسبة استخدام أي طريقه . ثم يقوم الباحث بطرح مجموعة من الطرق الحديثة في إضافة الأسمدة مع إيضاح الطريقة العلمية التي يجب أن تتبع في الإضافة ، ومن هذه الطرق (النثر السطحي ، خلط السماد بالتربة أثناء الحراثة وتحديد السماد العضوي ، خلطها مع مياه الري وتركها تتدوب فيه ، تترك في حفر وأخاديد بجانب النبات)

د_ إيضاح الأوقات التي يفترض أن تضاف خلالها الأسمدة:

بيان وقت إضافة السماد حسب نوعه وحسب المحصول ومرحلة النمو مع توضيح فوائد كل طريقة ، ومن هذه الأوقات (قبل الزراعة بشهرين للأسمدة العضوية لكي تعطى فرصة كاملة للتحلل لتكون عناصره جاهزة للامتصاص من قبل النبات أثناء فترة الزراعة ، قبل ري الحقل ، بعد الري وعندما تكون التربة عند السعة الحقلية ، أثناء الري) .

2. عمليات خدمة التربة للنبات خلال مرحلة الاستزراع :

تحتاج التربة والنبات في فترة الزراعة ونمو المحصول إلى جملة من الأمور التي يجب اتباعها لكي يعطي النبات مردوداً جيداً بالإنتاجية ، يتم مشاهدة هذه الأمور هل تنطبق أم لا وما هو تأثير عدم تطبيقها ، وما هو الأثر الإيجابي عند تطبيقها وانعكاسات ذلك على التوسع الزراعي ، ومن هذه الأمور (العرق والتعشيب ، الخف ، مواعيد الري ، مكافحة الآفات والأمراض ، الصيانة المستمرة لقتوات الري) .

3. الأساليب التي يمكن اتباعها لرفع كفاءة المزارع :

لكي ننجح في التوسع الزراعي ، يجب أن تتم هذه العملية بجهود مزارع ذي كفاءة عالية ولدية إمكانية جيدة في كيفية التعامل مع التربة والمحصول الذي يزرعه . وعلى ضوء ذلك يمكن للباحث أن يطرح السبل الكفيلة التي يمكن أن تقود بالمزارع إلى هذه الكفاءة والتي نذكر منها (الدورات التدريبية الخاصة بزراعة وتربية المحاصيل الزراعية ، تنشيط إصدار النشرات والدوريات الزراعية التي تتضمن فترات زراعة المحاصيل وخدماتها ، تنشيط برامج الإرشاد الزراعي) .

4. طرح أفضل الأساليب لاستثمار الأرض زراعياً :

يطرح الباحث أفضل الأساليب العلمية لاستثمار الأراضي وحسب طبوغرافية المنطقة ، سواء أكانت جبلية أم صحراوية أم سهلية ، استناداً إلى معلومات يجب أن تتوفر لديه والخاصة بالآتي :

أ_ معرفة مناخ المنطقة بشكل تفصيلي ، وذلك من خلال ما يحصل عليه من جداول للعناصر المناخية ، والتي في ضوئها يمكن أن يضع الخطة الزراعية لزراعة المحاصيل وفقاً لاحتياجاتها المناخية وتحديد أفضل الأوقات لذلك .

ب_ معرفة المصدر الأساسي للموارد المائية التي تستخدم لري المحاصيل الزراعية في المنطقة (جوية ، سطحية ، جوفية) ، وتحديد كمياتها حسب المواسم ، وإجراء التحاليل الكيماوية (التوصيل الكهربائي EC ، نسبة أد مصاص الصوديوم SAR ، كمية المواد العالقة TDS) لمعرفة خواصها ومدى صلاحيتها للري .

جـ معرفة نوع التربة وخواصها اعتمادا على نتائج تحاليل التربة التي يقوم بها الباحث ، من أجل اختيار أفضل السبل للتعامل معها من حيث (الحراثة ، كمية مياه الري ، نوع الأسمدة) .

استبيان للمزارع يمكن أن يلحق بالاستبيان الأول:

- 1_ المستوى التعليمي للمزارع أمي () يقرأ ويكتب () ابتدائي () إعدادي () جامعي ()
 - 2_ عدد سنوات الخبرة في ممارسة الزراعة 2سنة () 5سنة () أكثر من 5 سنوات ()
 - 3_ هل يزورك مرشد زراعي من الدائرة الزراعية : نعم () لا ()
 - 4_ هل تضيف أسمدة إلى حقلك : نعم () لا ()
 - 5_ ما هو نوع الأسمدة التي تضيفها : حيوانية () كيميائية ()
إذا كانت حيوانية : أبقار () دواجن () خيول () أغنام ()
إذا كانت كيميائية : نايتروجينية () بوتاسية () فوسفاتية ()
- يمكن طرح أسئلة للمزارعين عند مقابلتهم:

- 1_ ما هو مصدر الأسمدة التي تستخدمها (للحيوانية والكيميائية) ؟
- 2_ ما هي أسعارها (من الدولة أو السوق المحلية.....) ؟
- 3_ وضح الطريقة التي تستخدمها في إضافة أي سماد ؟
- 4_ ما هي الأوقات التي تضيف فيها الأسمدة ؟
- 5_ هل للدائرة الزراعية دور في (الخطة الزراعية، الإرشاد الزراعي، توفير مستلزمات الزراعة، متابعة مشاكلكم الزراعية)؟
- 6_ هل تستخدم المبيدات لمكافحة الآفات والأمراض ؟
- 7_ هل لديك خبرة في استخدام المبيدات ؟
- 8_ وضح الطريقة التي تستخدمها في استخدامك لتلك المبيدات ؟

ثالثاً زراعة المحاصيل التي تتلاءم مع الظروف الطبيعية والبشرية لمنطقة الدراسة :

النجاح في اختيار المحصول وفقاً لمعطيات البيئة الجغرافية يعد واحداً من الأمور الرئيسية التي تؤثر في مدى نجاح الزراعة في أي منطقة ، وإذا أردنا أن نتوسع الزراعة في أي منطقة كما ونوعاً ومساحة لا بد أن نزرع وفقاً للظروف المتوفرة ، وهذا يعتمد كثيراً على ما يتوفر لدينا من معلومات تخص البيئة الطبيعية والبشرية . وعليه فإن الباحث لا بد أن تتوفر لديه المعلومات التالية بالتفصيل:

- 1_ التركيب الجيولوجي ، على الباحث أن يجمع خرائط جيولوجية وصوراً جوية
- 2_ السطح ، يجمع الباحث خرائط طبوغرافية وكنتورية وبمقاييس صغيرة
- 3_ المناخ ، يجمع الباحث جداول تخص كل عناصر المناخ ومن أقرب محطة مناخية وبتسجيلات يومية ومعدلات شهرية ولمدة لا تقل عن خمس سنوات .
- 5- التربة ، يقوم الباحث بجمع عينات للتربة من مواقع يتم اختيارها ضمن منطقة الدراسة (أراضي مزروعة ، أراضي متروكة) وبواقع ثلاثة مواقع للدونم الواحد وثلاثة نماذج للموقع الواحد وبعمق 0_30 للعمق الأول ، 30_60 للعمق الثاني ، 60_90 للعمق الثالث . وتحلل العينات مختبرياً (النسجة ، التركيب ، المحتوى الرطوبي ، التوصيل الهيدروليكي ، غيض الماء ، درجة حرارة التربة ، المادة العضوية ، درجة تفاعل التربة PH ، السعة التبادلية الكاتيونية CEC ، الأيونات الذائبة ، التوصيل الكهربائي EC) .
- 5_ الموارد المائية، تؤخذ عينات من المياه المستخدمة في الري وإجراء التحليل لها مختبرياً لمعرفة ($EC < SAR < TDS$) . كذلك جمع معلومات وخرائط من دائرة الموارد المائية لمعرفة التصاريح وغيرها من الأمور التي تتعلق بهذه الموارد .
6. النبات الطبيعي، من المشاهدات الحقلية لا بد أن تتوفر لدى الباحث معلومات كافية عن أنواع النباتات السائدة في المنطقة، درجة انتشارها، درجة منافستها للنبات المزروع، مواسم نموها. مع متابعة تأثيرها على مراحل نمو النبات و إيضاح الطرق المتبعة في إزالتها من قبل المزارعين .
- 7_ معلومات عن سكان المنطقة من حيث ، عددهم ، توزيعهم الجغرافي ، العاملين بالنشاط الزراعي (العاملين فعلاً ، المسجلين ولا يمارسون الزراعة) معرفة

العادات والتقاليد ، الخبرة في ممارسة الزراعة ، ملاحظة ميدانية للطرق التي يتبعها المزارعون في العمليات الزراعية .

8_ التعرف على طرق النقل ووسائله وبيان الإيجابيات والسلبيات التي تواجه انتقال المزارعين والتسويق الزراعي وحجم السوق في المنطقة والأسواق المحلية المجاورة.

9_ معرفة المحاصيل السائدة حالياً والمساحات المزروعة لكل محصول وإنتاجية الدونم الواحد لكل محصول .

تم بحمد الله

ملخص البحث:

تعد الدراسة الميدانية والتطبيقية إحدى الدراسات المهمة في حقل الجغرافيا ، لما تعكسه من نتائج إيجابية للمشكلة المراد دراستها . وتتوقف نتيجة نجاح الدراسات الميدانية من حيث إعطاء تصور واضح ودقيق عن واقع منطقة البحث للطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته الميدانية تلك ، والأساليب التي يستخدمها في الحصول على المعلومات من الميدان . وتبين الدراسة أنه كلما كان الباحث متبعاً الطريقة الأفضل في آلية دراسته الميدانية توصل إلى نتائج واقعية وصادقة لأنه تعرف على أصل المشكلة عن قرب وأخذ يفكر في طريقة الحل الأمثل في ضوء ما توفر لديه من معلومات ميدانية.

لقد وضعت الدراسة بتواضع منهجية وبرنامج عمل تطبيقي يمكن أن يتبعه الباحث في موضوع جغرافية التنمية عندما يفكر في كتابة بحث عن إمكانية تنمية الأراضي زراعياً لمنطقه معينة. وصنفت هذه الآلية لمحاور التنمية الرئيسية التي ستكون محور البحث و هي:

- 1 _ إمكانات التوسع الأفقي للأرض الزراعية.
- 2_ رفع الكفاءة الإنتاجية للأرض والمحصول والمزارع.
- 3_ زراعة المحاصيل التي تستلزم مع الظروف الطبيعية والبشرية للمنطقة المدروسة.

وجاءت الدراسة لوضع منهجية تطبيقية يمكن أن تستخدم من قبل الباحث الجغرافي لكل محور من المحاور الثلاثة من أجل الحصول على أفضل النتائج الميدانية التي يمكن في ضوئها أن يناقش ويحلل كل محور ومن ثم تعطى التوصيات الخاصة للنهوض به. علما بأن الأساليب والآليات التطبيقية التي وضعت تعتمد كلياً على الدراسة الميدانية لواقع المنطقة التي يمكن اختيار أفضلها بما يتلاءم مع الظروف الطبيعية والبشرية لمنطقة الدراسة.

بين البحث آليات مقترحة يمكن لمن يبحث في موضوع تنمية الأراضي الزراعية أن يتبعها في دراسته الميدانية وفقاً للمحاور التي تم إيضاحها مسبقاً كما يلي:

أولاً: الأساليب التطبيقية لدراسة رفع إمكانات التوسع الأفقي للأرض الزراعية.

تناولت منهجية الدراسة الميدانية التي يمكن أن ندرسها:

أ- التوسع باستخدام المكننة الزراعية .

ب- برنامج الدورة الزراعية.

ج- برنامج للسبل التي تجعل من المنطقة المراد استثمارها زراعياً منطقة جذب سكاني .

د- التحديد العلمي للمشاكل التي تعاني منها التربة.

ثانياً : الأساليب التطبيقية لدراسة رفع الكفاءة الإنتاجية للأرض والمحصول والمزارع.

تناولت تطبيقات للدراسة الميدانية في :

1- الطرق العلمية لاختيار نوع الأسمدة وطرق وأوقات إضافتها.

2- الأساليب المتبعة في رفع الكفاءة الإنتاجية للمزارع .

3- الأساليب العلمية في استثمار الأرض زراعياً .

ثالثاً: الأساليب العلمية في زراعة المحاصيل التي تتلاءم مع الظروف الطبيعية والبشرية للمنطقة

لقد اعتمد الباحث في وضع هذه الآلية - وبعد التوكل على الله عز وجل - على ما تراكم لديه من خبرة متواضعة في التدريس والبحث العلمي والدراسات الحقلية لدراسات مشابهة فيما يخص الجوانب الزراعية والمحاصيل والطرق الأفضل في استثمار الأراضي سواء في تخصص الجغرافية الزراعية أو جغرافية التربة وصولاً إلى جغرافية التنمية ، والتي تهدف في منهجيتها إلى اختيار أفضل الأساليب للاستثمار ونجاح العملية التنموية والتي يكون القطاع الزراعي جزءاً منها .

ونقول ختاماً لكي يكون للجغرافيا مكان قوي بين العلوم الأخرى في عصرنا الحديث عصر المعلوماتية ، لابد للجغرافي أن يلاصق الميدان بطرق علمية صحيحة ليأخذ منه الواقع الحقيقي ، أرقاماً ومشاهدات ، ويحلل ذلك الواقع بأسلوب علمي من أجل الوصول إلى نتائج صائبة ودقيقة .

نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه و أرجوا أن تكون هذه الدراسة المتواضعة خدمة للباحث الجغرافي ، وما التوفيق إلا من عند العزيز الجليل .

اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية في محافظة حضرموت



سالم عبدالله باصريح*

المخلص :

يهدف البحث الى دراسة واقع التوزيع المكاني للمحاصيل الزراعية المختلفة ، وتحديد الاتجاهات المكانية لتوطن هذه المحاصيل ، وذلك من خلال دراسة وتحليل المؤشرات الانتاجية للمساحة والانتاج لمتوسط المدة من 2001-2005 م ، ويركز هذا البحث على عرض جغرافي تحليلي للمؤشرات الانتاجية لابرار صورة التباينات المكانية لتوطن المحاصيل الزراعية في محافظة حضرموت ، وابرار اهمية المناطق المختلفة في قدرتها على جذب وتوطن محاصيل معينة دون اخرى ، ويتضمن البحث مايلي :-

1. دراسة واقع التوزيع المكاني للمحاصيل الزراعية وانتشارها على مختلف مسدريات المحافظة من خلال عرض بيانات المساحة والانتاج للمحاصيل الزراعية .
2. تحليل احصائي جغرافي لمؤشرات المساحة والانتاج بهدف تحديد اتجاهات توطن كل محصول زراعي في محافظة حضرموت .
3. تحديد معالم الاقاليم الزراعية في المحافظة .

* استاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة :

يحظى النشاط الزراعي بأهمية خاصة في عملية التنمية الاقتصادية، كونه احد القطاعات الاقتصادية التي تلبي الحاجات الضرورية للسكان من الغذاء و المتطلبات الأخرى.

لقد أولت خطط التنمية الاقتصادية و الاجتماعية أهمية بالغة بتطوير القطاع الزراعي بهدف خلق قاعدة زراعية قوية تسعى لتحقيق متطلبات و حاجات المجتمع، لذلك تعددت و تنوعت المحاصيل الزراعية و إن تباينت مكانيا وفقا و الظروف الإنتاجية لكل محصول.

إن هذا البحث يهتم بدراسة واقع التوزيع المكاني للتركيب المحصولي و انتشاره على مختلف مديريات محافظة حضرموت و تحديد الاتجاهات المكانية لتوطن المحاصيل الزراعية من خلال دراستنا و تحليلنا لمؤشرات المساحة و الإنتاج للمدة من 2005/2001م ويركز هذا البحث على عرض جغرافي تحليلي للمؤشرات الجغرافية الزراعية بما يؤدي إلى إبراز التباينات المكانية في اتجاهات توطن كل محصول زراعي ، و بما يعطي صورة واضحة و جلية عن المناطق التي تختص بتوطن محاصيل معينة تمكن من جذب الاهتمام إلى هذه المناطق و العمل على تطوير و تنمية زراعة المحاصيل التي تتوطن بها أفقيا و رأسيا كي تتمكن تلك المناطق من تحقيق أقصى و أعظم المردودات الإنتاجية و الاقتصادية نتيجة لاستغلال الظروف الإنتاجية الملائمة و المناسبة لتوطن كل محصول زراعي .

و يتضمن هذا البحث محورين أساسيين يعرض الأول واقع التوزيع المكاني للمحاصيل الزراعية و انتشارها على مختلف مديريات محافظة حضرموت من خلال عرض بيانات المساحة و الإنتاج للمحاصيل الزراعية. و الثاني يعنى بتحليل إحصائي جغرافي لمؤشرات المساحة و الإنتاج لتحديد اتجاهات توطن كل محصول زراعي في حضرموت ، ثم نخلص بعد ذلك إلى تحديد معالم الأقاليم الزراعية التي يمكن أن نتبينها من تحليلنا لاتجاهات توطن المحاصيل الزراعية في حضرموت.

مشكلة البحث :

يتناول البحث اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية إذ تنتشر في حضرموت أنواع متعددة من المحاصيل الزراعية تتوزع مكانيا على مختلف المديريات، و تكمن مشكلة البحث في عدم وضوح الرؤية المكانية لتوطن المحاصيل الزراعية المختلفة في المحافظة.

أهداف البحث :

يسعى البحث إلى إعطاء صورة واضحة عن توطن المحاصيل الزراعية المختلفة و اتجاهاتها نحو مختلف مديريات محافظة حضرموت و يمكن أن نحدد هذه الاهداف فيما يأتي:-

- 1- إبراز واقع التوزيع المكاني للمحاصيل الزراعية .
- 2- التحديد المكاني لتوطن مختلف المحاصيل الزراعية في مديريات محافظة حضرموت .
- 3- تحديد الأقاليم الزراعية في محافظة حضرموت .

منهج البحث :

اتبع الباحث أسلوب المنهج المحصولي المتبع في جغرافية الزراعة من حيث دراسة التركيب المحصولي و حاول أن يقوم بعملية مزج مع المنهج الإقليمي من خلال تحديد اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية في أقاليم أو وحدات إدارية معينة ، متبعا للأسلوب الإحصائي في تحديد تلك الاتجاهات ، و التحليلي عند إبراز أثر المقومات الجغرافية الطبيعية و البشرية في توضيح أسباب اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية نحو مناطق معينة دون أخرى

حدود البحث :

تتمثل حدود البحث في محافظة حضرموت التي تعد أكبر محافظات الجمهورية اليمنية من حيث المساحة إذ تبلغ مساحتها 161749 كم² وهي بذلك تشكل نحو 36% من مساحة الجمهورية اليمنية و تقع محافظة حضرموت في الجزء الشرقي من الجمهورية اليمنية بين خطي طول 48 شرقا و 51 شرقا و خطي عرض 14 شمالا و 19 شمالا و تضم المحافظة (29) مديرية منها (6) مديريات تقع في النطاق الصحراوي .

1- واقع التوزيع المكاني للمحاصيل الزراعية في حضرموت :

يعد النشاط الزراعي من أبرز الأنشطة الاقتصادية التي تلبى احتياجات المجتمع المختلفة من الغذاء وغيرها من المتطلبات الأخرى ، لذلك فان مسألة تطوير وتنمية هذا القطاع يأتي في مقدمة أهداف واضعي خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية من أجل وضع الخطط المناسبة وضع الاستثمارات المطلوبة في المشاريع الزراعية التي تهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:-

- 1- استصلاح الأراضي القابلة للإنتاج الزراعي.

- 2- تحسين و تطوير عمليات الري التقليدية. و العمل على إقامة شبكات ري متطورة .
- 3- إقامة الأنشطة الزراعية التي تخدم الإنتاج الزراعي في مجال الإرشاد الزراعي و وقاية المزروعات.
- 4- إقامة شبكة طرق نقل ريفية لخدمة الإنتاج الزراعي .
- 5- إقامة مراكز الأبحاث الزراعية التي تعنى بتطوير الإنتاج الزراعي .
- 6- توفير كافة متطلبات العملية الزراعية الناجحة.
- 7- توفير الآلات و المعدات الزراعية المختلفة.
- 8- وضع القوانين الزراعية التي تساعد على جذب الاستثمارات المالية الكبيرة في تطوير القطاع الزراعي.

إن كل الأهداف الموضوعية لتطوير القطاع الزراعي، يمكن أن توجه بشكل علمي موزون في الاتجاهات التي يمكن أن تحقق أقصى المنافع و المردودات، من خلال إدراكنا و فهمنا لطبيعة الأقاليم الزراعية و طبيعة اتجاهات المحاصيل الزراعية نحو أقاليم محددة تتوفر فيها الظروف الإنتاجية الملائمة لزراعتها .

وفيما يلي يمكن أن نعرض واقع التوزيع المكاني للمحاصيل الزراعية و وزن و ثقل المحاصيل في محافظة حضرموت .

- 1- بلغ المعدل العام للمساحة المزروعة في حضرموت للمدة من 2001/2005م من المحاصيل الزراعية 32604.1 هكتار، و هو ما يشكل نسبة 2.8 % من معدل المساحة المزروعة في الجمهورية اليمنية للمدة نفسها .
- 2- بلغ معدل الانتاج العام من المساحة المزروعة في حضرموت للمدة من 2001/2005 م من المحاصيل 314112.2 طن و هو ما يشكل نسبة 8.6 % من معدل الإنتاج من المساحة المزروعة في الجمهورية اليمنية للمدة نفسها.
- 3- بلغ المعدل العام للمساحة المزروعة من الحبوب في حضرموت 8180.3 هكتار ، و من الخضار 355.1 هكتار و من الفواكه (12332.8) هكتار ، و من المحاصيل النقدية (885.7) هكتار ، و من الأعلاف (8232.1) هكتار و بنسب بلغت 25 % ، 9.3 % ،

37.8% ، 2.7% ، 25.2% من جملة المساحة المزروعة في المحافظة على التوالي .

4- بلغ معدل الإنتاج العام من المحاصيل الزراعية في حضرموت من الحبوب (8180.7) طن ، ومن الخضار (23257.1) طن ، و من الفواكه (5292.6) طن ، ومن المحاصيل النقدية (1735.7) طن ، و من الأعلاف (227974.8) طن و بنسب بلغت 2.6% ، 7.4% ، 16.8% ، 0.6% ، 72.6% من جملة الإنتاج في المحافظة على التوالي .

5- تصدر التمور المحاصيل الزراعية من حيث المساحة المزروعة إذ بلغت (11146.1) هكتار و بنسبة تصل إلى 34.1% من إجمالي المساحة الكلية المزروعة بالمحافظة و البالغة (32604.1) هكتار، فيما جاء محصول البرسيم بالمرتبة الثانية و بنسبة تصل إلى 13.8% ، و القمح في المرتبة الثالثة و بنسبة تصل إلى 12.9% من إجمالي المساحة المزروعة في المحافظة .

6- جاء البرسيم في المرتبة الأولى من حيث كمية الإنتاج التي بلغت (174774.9) طن و بنسبة تصل إلى 55.6% من إنتاج المحافظة البالغ 314112.9 طن ، فيما جاءت أعلاف الذرة بالمرتبة الثانية و بنسبة تصل إلى 15.8%، و التمور بالمرتبة الثالثة و بنسبة تصل إلى 11.8% من كمية الإنتاج من المحاصيل المزروعة .

7- تصدر القمح محاصيل الحبوب من حيث المساحة و الإنتاج إذ شكل ما نسبته 51.7% من جملة المساحة المزروعة بالحبوب و 48.8% من الكمية المنتجة من الحبوب ، فيما حلت الذرة الرفيعة ثانياً و بنسبة تصل إلى 42.4% من المساحة المزروعة بالحبوب ، و 44.3% من كمية إنتاج الحبوب بالمحافظة ()

8- تصدر محصولا البصل و الحبوب محاصيل الخضار من حيث المساحة و الإنتاج من الخضار بالمحافظة، إذ بلغت نسبتهما 33.4% ، و 14.9% من حيث المساحة المزروعة بالخضار و 47.3% ، و 13.8% من حيث كمية الإنتاج من الخضار بالمحافظة على التوالي .

9- تصدر محصولا التمور و الموز محاصيل الفواكه من حيث المساحة و الإنتاج من الفواكه و بنسبة تصل إلى 90.3% و 2.7% من المساحة المزروعة فواكه و ما نسبته 70.5% و 12.5% من كمية الإنتاج من الفواكه بالمحافظة على التوالي .

10- احتل محصولا التبغ و السمسم المقدمة من حيث المساحة و الإنتاج من المحاصيل النقدية بالمحافظة إذ بلغت نسبتهما 40.5% ، 28.3% ، من حيث المساحة و ما نسبته 71% و 13.2% من حيث كمية إنتاج المحاصيل النقدية بالمحافظة على التوالي 0

11- جاء البرسيم في مقدمة محاصيل الأعلاف من حيث المساحة و الإنتاج للأعلاف بالمحافظة و بنسبة تصل إلى 54.9% من المساحة و 76.6% من إنتاج محاصيل الأعلاف ، فيما حلت أعلاف الذرة في المرتبة الثانية و بنسبة تصل إلى 40.8% من حيث المساحة و 21.8% من كمية إنتاج الأعلاف بالمحافظة .

1- تحليل جغرافي لاتجاهات توطن المحاصيل الزراعية في حضرموت :

تحظى زراعة المحاصيل الزراعية بأهمية خاصة في العديد من مديريات محافظة حضرموت لما لإنتاجها من دور في توفير بعض متطلبات سكان هذه المحافظة. وفي إطار هذا البحث الذي يعرض الاتجاهات المكانية لتوطن المحاصيل الزراعية من خلال مؤشرات المساحة و الإنتاج الزراعية ، و من خلال عرض جغرافي تحليلي للمؤشرات الزراعية عن طريق استخدام الأساليب الكمية المتاحة بما يؤدي إلى إبراز التباينات المكانية للمحاصيل الزراعية و تحديد وزن هذه المحاصيل في تحديد معالم و اتجاهات توطنها نحو المديريات المختلفة في حضرموت .

كما نسعى في هذا البحث إلى إيجاد تحليل جغرافي لتعليل اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية المختلفة نحو مناطق محددة من المحافظة.

وفيما يلي عرض لتحليل المؤشرات الزراعية التي تهدف إلى إبراز اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية^(*) بالمحافظة كما يبينه الجدول رقم (2) .

* تم استخراج معامل التركيز للمحاصيل الزراعية وفق المعادلة الآتية:

النسبة المئوية لمؤشرات المساحة أو الإنتاج للمحاصيل الزراعية المعينة في المديريات

1-2 اتجاهات توطن الحبوب

تشكل الحبوب المادة الغذائية الأساسية للإنسان نتيجة لأهمية الحبوب كغذاء لاحتوائها على البروتينات والنشويات، و المواد الغذائية الأخرى لذلك فقد اهتم الإنسان بزراعة الحبوب و تحديد أصنافها و متطلبات و مقومات زراعتها ومن التحليل الإحصائي يمكن عرض اتجاهات توطن الحبوب كما يلي :-

1-1-2 القمح wheat :

يعد القمح أحد أهم المحاصيل الزراعية الغذائية التي تزرع في محافظة حضرموت و يعد من المحاصيل التي زرعت منذ زمن قديم لذلك تنتشر في المنطقة عدد من الأصناف المحلية و هي:

برحلي، مصيدقان ، هلبا ، بافطيم ، المصنف و أسود الغشمور . و تمتاز هذه الأصناف بالتبكير في النضج و إنتاجية التبن^(*) العالية ذات النوعية الجيدة ، و التحمل لظروف

النسبة المئوية لاجمالي المساحة او الانتاج للمحاصيل نفسها في المديرية

معامل التوطن =

النسبة المئوية لتوسعات المساحة او الانتاج لنفس المحاصيل في المحافظة

النسبة المئوية لاجمالي المساحة و الانتاج لنفس المحاصيل في المحافظة

ومن الجدول (2) فان :-

$$1 = \frac{\text{مساحة او انتاج المحصول المعين في المديرية}}{100}$$

اجمالي المساحة او الانتاج للمحاصيل في المديرية

* التبن:- وهي سيقان القمح وأوراقه ويستفاد منها في حضرموت في عملية البناء .اذ تخلط هذه السيقان مع الطين والماء لتشكيل قوالب بأبعاد محددة تستخدم في بناء المنازل وتقوم هذه السيقان بدور المواد اللاصقة التي تعمل على تماسك الطين الذي يشكل القوالب.

$$2 = \frac{\text{مساحة او انتاج المحصول المعين في المحافظة}}{100}$$

اجمالي المساحة او الانتاج للمحاصيل في المحافظة

م = معامل توطن المساحة او الانتاج للمحصول المعين في المديرية وينتج عن قسمة 1 + 2

فإذا كانت النتيجة (1) صحيح فأكبر فان ذلك يشير الى توطن المحصول في المنطقة .وان قلت النتيجة عن (1) صحيح فان ذلك يشير الى عدم توطن المحصول في المنطقة .

الملوحة في المنطقة⁽¹⁾ ، و قد ظلت الأصناف المحلية هي السائدة في المنطقة ح تى عام 1974م حيث تم استيراد أصناف عالية الإنتاج و هي : سونالیکا ، كالينسونا ، و هما من الأصناف التجارية الهندية عالية الجودة و قد نجحت زراعتها في وادي حضرموت و تفوقت على الأصناف المحلية⁽²⁾ . كما أضيفت أصناف مستوردة أخرى من أهمها صنف غنيمي .

و من خلال تحليلنا لإتجاهات توطن المحاصيل الزراعية نجد أن محصول القمح اتجه في توطنه نحو مديريات

سينون ، تريم ، شبام ، ساه ، السوم ، القطن ، حوره ، و حريضه . بمعامل توطن بلغ 1.13 ، 1.53 ، 1.49 ، 1.11 ، 1.60 ، 2.25 ، 2.07 ، 8.64 ، على التوالي .

ومن خلال قراءتنا لإتجاهات توطن محصول القمح وجدنا انه يتجه نحو مديريات بعينها تتخذ لها موقعا جغرافيا متميزا في حضرموت ، تمثل في وادي حضرموت الذي يمتد من قعوضه في الغرب وحتى قسم في الشرق و لمسافة تصل إلى 150 كم ، وقد جاء توطن هذا المحصول في هذه المنطقة التي تقع على ارتفاع ما بين (500-700) متر فوق سطح البحر⁽³⁾، حيث تتوفر الظروف المناخية الملائمة لزراعته فمن حيث درجات الحرارة فالقمح يتطلب درجة حرارة تتراوح بين 4-30 م⁴ و الدرجة المثلى لزراعته تتراوح بين 15-25 م⁽⁴⁾ ، وفي دراسة بوادي حضرموت أشارت مصادر وزارة الزراعة أن محصول القمح يتطلب درجة حرارة مثلى تتراوح بين 15-20 م⁵ أثناء النمو و تزداد تدريجيا أثناء تكوين الحبوب بحيث لا ترتفع عن 35 م⁽⁵⁾ ، و عليه فإننا نجد أن القمح في وادي حضرموت يزرع مع بداية فصل الشتاء في المدة بين شهري نوفمبر و ديسمبر، و يحصد في ما بين شهري فبراير و مارس و هي المدة التي تتراوح درجات الحرارة الدنيا فيها بين 10.1 م⁶ - 19.8 م⁶ ولا تزيد درجة الحرارة العظمى عن 36.7 م⁶ بينما يصل معدل درجات الحرارة طوال هذه المدة 19.8 م⁶ و لا تزيد عن 28.3 م⁽⁶⁾ ، في وقت حصاد محصول القمح . أما من حيث احتياجات القمح من المياه فإنه يحتاج إلى معدل من الأمطار يصل إلى 200 ملم على أن

معامل التوطن العظام = المعدل العام لمعامل توطن المساحة والإنتاج

تسقط خلال فصلي الشتاء و الربيع (7) ، و يستقبل وادي حضرموت في مدة زراعة القمح ما يصل إلى 45 ملم (8) من مياة الامطار ، وهي كمية لا تلبي احتياجات القمح من المياة لذلك نجد انه يعتمد في احتياجاته من المياة على المياة الجوفية المتوفرة في الوادي التي تُعد عماد الزراعة في المنطقة . أما من حيث التربة فان القمح ينمو في مختلف أنواع الترب غير انه يوجد في التُّرب التي ترتفع فيها نسبة الكالسيوم و الغنية بالمواد العضوية (9) ، و تقع معظم الأراضي الزراعية في وادي حضرموت في نطاق التُّرب حديثة التكوين و قوام هذه التربة يتفاوت بين مزيجي رملي إلى مزيجي غريني (10) ، و لذلك فان القمح يزرع في التربة الطينية الخفيفة التي تتميز بصرفها الجيد و بتهويتها (11) ، كما تتأثر التربة في وادي حضرموت بارتفاع نسبة الملوحة (12) ، و عليه فان التربة بمزاياها ساعدت على انتشار زراعة القمح ، و قد اكتسب القمح بحكم استمراريته منذ القدم نوع من التكيف يتحملة ارتفاع نسبة الملوحة في تُّرب بعض المناطق في حضرموت (13) .

وعلى ما تقدم من متطلبات زراعة القمح التي تتمثل في جو معتدل دافئ رطب مع بداية نموه و فصل دافئ جاف عند النضوج فقد كان لتوفر مثل هذه الظروف المناخية من ارتفاع درجة الحرارة في النصف الأخير من شهر يناير و فبراير الذي يتم بشكل تدريجي بحيث أثر ايجابياً على نجاح زراعة القمح فضلاً عن توفر المياة المطلوبة عن طريق الري المستديم و انخفاض الرطوبة النسبية في الجو في مدة نمو المحصول التي تتراوح بين 51% عند بداية زراعة محصول القمح و 44% مع بدء حصاده فقد مثلت مثل هذه الظروف في مديريات وادي حضرموت بيئة مناسبة و ملائمة لتوطن محصول القمح فيها .

2-1-2 الذرة الرفيعة و الدخن *sorghum & millet*

تعد الذرة الرفيعة و الدخن من المحاصيل التقليدية التي عرفت منذ وقت مبكر في حضرموت و يعتبران غذاءً أساسياً لعدد كبير من سكان الأرياف بالمحافظة و من أصناف الذرة : الصيفي ، أبو علي ، رباب ، غربه ، بيني ، السنيسله ، البيضاء ، السنيسله الحمراء ، عوبلي ، منزله (14) .

و بتحليل اتجاهات توطن الذرة نجدها تتجه في توطنها نحو مديريات : بروم ميفع ، و الريده الشرقية ، وغيل بن يمين ، و عمد ، و دوعن ، و الضليعه ، و بيعث ، و بمعامل توطن

بلغ 1.04 ، 1.74 ، 2.21 ، 15.61 ، 8.09 ، 6.06 ، 9.31 على التوالي . كما أن الدخن أتجه في توطنه نحو مديريات بروم ميفع ، عمد ، دوعن ، حجر و يبعث و هذه المديريات هي نفسها التي يتوطن بها زراعة الذرة أو تقع في إقليمها الجغرافي كما هو الحال في مديرية يبعث التي سجلت أعلى معامل توطن في محصول الدخن ، و يتطلب الدخن الشروط نفسها التي تتطلبها زراعة الذرة ، و على ذلك و من خلال استعراضنا لإتجاهات توطن الذرة الرفيعة و الدخن نجدهما قد اتجها نحو مديريات الأرياف الذي بلغ معامل التوطن في بعضها نسب عالية كما هو الحال في مديريات عمد و دوعن و الضليعة و يبعث وفي ذلك ما يشير إلى اعتماد سكان هذه المديريات على محصولي الذرة و الدخن غذاءً رئيسياً و قد ساعد على توطن هذين المحصولين توفر بيئة طبيعية مناسبة لذلك فالذرة و الدخن من المحاصيل المدارية التي تتحمل مدى حراري كبير يصل ما بين 8م - 40م و تشكل الدرجة من 32- 35 م الدرجة المثلى لزراعتها⁽⁵⁾ ، و لذلك فإن الذرة و الدخن يتحملان ارتفاع أو اعتدال و انخفاض درجة الحرارة مما وسع من نطاق زراعتها خلال فصلي الصيف الحار و الشتاء المعتدل في هذه المناطق أما من حيث احتياجاتهما من المياه فإن الذرة و الدخن من المحاصيل التي تتحمل الجفاف لخصائصهما الفيزيولوجية⁽¹⁶⁾ ، لذلك فإننا نجد توطن زراعتها في المناطق شبه الجافة التي تعتمد على مياه الأمطار الساقطة و السيول كما هو الحال في المديريات اللاتي يتوطنا بهما.

و من حيث احتياجات الذرة و الدخن للتربة فإنهما يزرعان في جميع أنواع الترب الثقيلة و الخفيفة و يتحملان الملوحة و القلوية أكثر من غيرهما من المحاصيل⁽¹⁷⁾ . و بذلك نجد أن هذه الظروف قد وُفرت بيئة ملائمة لتوطن الذرة الرفيعة و الدخن في المديريات اللاتي يتوطنا فيهما . أما ضعف زراعة الذرة في نطاق مديريات وادي حضرموت الزراعي فيعود لعدة أسباب منها⁽¹⁸⁾ :-

- 1- التحول في نمط الاستهلاك من الذرة إلى القمح قتل من الطلب عليها .
 2- تدنى إنتاجية الأصناف المحلية ، و عدم استغلال القدرات عالية الإنتاجية للأصناف المحسنة المستوردة

2-1-3 الذرة الشامية maize:

تتوطن زراعة الذرة الشامية في مديريات غيل باوزير ، و بروم ميفع ، والريدة الشرقية، و غيل بن يمين ، و عمد ، ودوعن ، و حجر ، و سقطرى و بمعامل توطن بلغ 1.03 ، 4.25 ، 2.40 ، 4.12 ، 10.04 ، 5.73 ، 1.14 ، 3.34 على التوالي و يسأتي توطن هذا المحصول في هذه المديريات التي يغلب عليها الطابع الريفي بما يؤشر إلى احتياجات سكان هذه المديريات لهذا المحصول كغذاء ، فضلاً عن توفر مقومات زراعته التي تتمثل في درجة حرارة لا تقل عن 21 م أثناء نموه دون اختلاف كبير فيها أثناء نمو المحصول في المنطقة ، و توفر كمية المياه المطلوبة التي تصل إلى 25 بوصة⁽¹⁹⁾ عن طريق مياه السيول المتدفقة في مواسم سقوط الأمطار أو العيون و تعد الذرة الشامية من المحاصيل التي تظهر تأثراً بالملوحة الزائدة في مياه الري المستعمله في المناطق الجافة و شبه الجافة مما يحد من التوسع في زراعتها⁽²⁰⁾، و هذا ما يفسر عدم زراعتها في شريط وادي حضرموت الزراعي الذي تتميز مياهه بارتفاع نسبة الأملاح فيها .

2-2 اتجاهات توطن الخضار:

تعد الخضار من المحاصيل الهامة التي لا غنى للإنسان عن توفرها في طعامه، و هي أما أن تطبخ أو تؤكل نيئة و تلبي محاصيل الخضار احتياجات الإنسان من الكربوهيدرات و الفيتامينات و الأملاح المعدنية الأخرى التي يحتاجها في غذائه . و يمكن عرض اتجاهات توطن الخضار كما يلي :

2-2-1 البصل onions :

يعد البصل من محاصيل الخضار التي احتلت مكانه متميزة في محافظة حضرموت و من أصنافه المزروعة بمبي رد ، ردكربول ، و هما صنفان مستوردان، فضلاً عن الصنف المحلي بافطيم . و قد أشارت نتائج الدراسات إلى تفوق الصنف المحلي بافطيم على

الأصناف الأخرى من حيث الإنتاجية والصفات النوعية و إلى إمكانية تعميم الصنف المحلي بافطيم بديلاً عن الأصناف المستوردة المتداولة⁽²¹⁾ و يمتاز البصل بافطيم المتداول محلياً بما يلي⁽²²⁾ :

1- ارتفاع إنتاجية الفدان.

2- تحمل الخزن في الظروف الطبيعية لمدة تتراوح بين 6-10 شهور .

3- تجانس النضج مما يساعد على الحصاد بالآلة .

و بقراءة اتجاهات توطن البصل نجده يتجه في التوطن نحو مديريات غيل باوزير ، الشحر، سينون ، شبام ، القطن ، حورة و حريضة ، و بمعامل توطن بلغ 2.14 ، 3.41 ، 2.13 ، 2.32 ، 1.28 ، 2.27 ، 8.02 على التوالي . و قد ساعدت الظروف المناخية بشكل عام على توطن محصول البصل في المديريات أعلاه التي تقع في مجملها في نطاق وادي حضرموت الزراعي فدرجات الحرارة لا تشكل عائقاً أمام زراعة البصل في المناطق المذكورة طوال العام ما عدا المدة بين سبتمبر - يناير التي يصعب إنتاج البصل فيها بشكل اقتصادي في ظروف وادي حضرموت⁽²³⁾ لانخفاض درجات الحرارة فيها، كما يحتاج البصل إلى كميات و فيره من المياه لذلك توطنت زراعته في المناطق التي يتوفر فيها احتياجاته من المياه عن طريق الري المستديم بواسطة الآبار أو العيون ، أما من حيث التربة فاته يزرع في التربة المزيجية متوسطة القوام، و الخفيفة التي تنتشر بوادي حضرموت التي تساعد على نمو البصل بشكل جيد تحت التربة . و قد كان لقدرة البصل على تحمل الملوحة بدرجة متوسطة⁽²⁴⁾ اثر ايجابي على نجاح زراعته في وادي حضرموت التي ترتفع نسبة الملوحة في تربته و مياه الري .

2-2-2 الثوم garlic :

اتجه الثوم في توطنه نحو مديريات غيل بن يمين ، وسينون و القطن و بمعامل توطن بلغ 11.01 ، 1.74 ، 1.23 على التوالي و قد حققت مديرية غيل بن يمين معامل توطن عالي بلغ 11.1 وفي هذا ما يشير إلى أن محصول الثوم وجد بيئة مناسبة في هذه المديرية التي تقع على سطح هضبة حضرموت الجنوبية التي يصل ارتفاعها في هذه المنطقة أكثر من

1000 متر فوق سطح البحر و اعتدال درجات الحرارة أثناء الصيف مع انخفاضها النسبي أثناء فصل الشتاء و كذلك توفر التربة الطمية خفيفة القوام ، فضلاً عن توفر كميات معقولة من مياه الأمطار الساقطة في مواسم سقوط الأمطار تصل إلى 300 ملم⁽²⁵⁾ في السنة ، كل ذلك وفر بيئة مناسبة لتوطن محصول الثوم في مديرية غيل بن يمين التي تشتهر فعلياً بزراعة الثوم و كذلك مديرتي سينون و القطن .

3-2-2 البطاطس potatoes:

و هو من المحاصيل التي أدخلت زراعتها حديثاً في حضرموت عام 1975م عن طريق مركز الأبحاث الزراعية بسينون الذي أجرى عليه عدة تجارب أدت إلى نتائج طيبة ساعدت على نشر زراعته منذ الموسم الزراعي 80/79 م⁽²⁶⁾ ، و كان من نتائج ذلك توطن محصول البطاطس في مديريات تريم ، و شبام و القطن و بمعامل توطن بلغ 2.19 ، 1.01 ، 3.01 على التوالي .

و من قراءتنا لاتجاهات توطن البطاطس نجده يتجه إلى مديريات تقع في نطاق وادي حضرموت الذي يتصف بظروفه المناخية المتميزة ، فمحصول البطاطس من المحاصيل الشتوية التي تحتاج إلى جو بارد خال من الصقيع و انصب درجات الحرارة لزراعته تتراوح بين 15-20 م⁽²⁷⁾ ، و هذا ما نجده يتلاءم مع جو وادي حضرموت الذي تصل فيه معدلات درجة الحرارة إلى نفس المستوى أثناء فصل الشتاء ، بينما لا نجد مثل هذه الظروف متوفرة في مديريات ساحل حضرموت لذلك لا نجد أي أثر لتواجد محصول البطاطس في المديريات الساحلية . أما من حيث التربة فالبطاطس من المحاصيل التي تنمو تحت التربة، لذلك يتلاءم في زراعته مع التربة المزيجية الخفيفة متوسطة القوام⁽²⁸⁾ التي نجدها تنتشر في وادي حضرموت ، كما أن محصول البطاطس في المناطق التي يتوطن بها يتحصل على احتياجاته من المياه عن طريق الري المستديم بواسطة الآبار .

4-2-2 الجزر carrots:

اتجه الجزر في توطنه نحو مديريات سينون و تريم و شبام و بمعامل توطن بلغ 2.49 ،

1.84 ، 2.14

و هي مديريات تتوسط وادي حضرموت الزراعي ، و يعد الجزر من المحاصيل الشتوية لذلك نجده يتجه إلى مديريات تتميز باعتدال درجات الحرارة مع انخفاض نسبي لها أثناء فصل الشتاء مما وفر جواً مناسباً لزراعته في هذا الفصل، فضلاً عن التربة المزيجية الخفيفة التي تنتشر في هذه المناطق و توفر المياه المطلوبة عن طريق الآبار . بينما لا نجد زراعته في مديريات ساحل حضرموت التي تمتاز بارتفاع درجة حرارتها طوال العام.

5-2-2 الشبرم :

من المحاصيل التي تنتشر زراعته في وادي حضرموت و قد توطن في مديريات تريم و شبام و القطن و حوره و حريضة ، بمعامل توطن بلغ 4.95 ، 1.18 ، 1.54 ، 3.79 على التوالي .

و الشبرم من المحاصيل الشتوية يتجه في توطنه نحو المديريات التي تقع في نطاق وادي حضرموت أو مداخل الوادي و قد وفر اعتدال و انخفاض درجات الحرارة أثناء فصل الشتاء ، فضلاً عن توفر مياه الري المستديم بواسطة الآبار و التربة الخصبة البيئة المناسبة لتوطن الشبرم في هذه المديريات .

6-2-2 الحبيب water-melons :

اتجه في توطنه نحو مديريات غيل باوزير ، وبروم ميفع ، والديس الشرقية ، وسقطرى وقد بلغ معامل التوطن 3.78 ، 21.43 ، 1.20 ، 1.17 على التوالي ومن قراءتنا لاتجاهات التوطن نجد أن محصول الحبيب يتجه في توطنه نحو مديريات تقع على الشريط الساحلي لحضرموت وقد تميزت بينها مديريه بروم ميفع بمعامل توطن عالي بلغ نحو 21.43 وهذا يعود الى ملاءمة هذه المديرية والمديريات الأخرى للظروف الانتاجية لمحصول الحبيب من حيث درجة الحرارة التي يصل معدلها نحو 29.1م صيفاً و 25.1م شتاءً⁽²⁹⁾ كما يحتاج الحبيب الى كميات معتدلة من المياه يحصل عليها عن طريق الري من وادي حجر دائم الجريان كما هو الحال في مديرية بروم ميفع أو مياه العيون والآبار في المديريات الأخرى . أو من حيث توفر التربة الخصبة ذات القوام المتوسط والخاليه من الملوحه⁽³⁰⁾ وهذه الصفات نجدها في تربة دلتا ميفع حجر التي تشتهر بانتاج أجود انواع الحبيب ومن اصنافه صنف شارلستوي جري الذي يتميز بشكله المستطيل وبالثمرة الكبيرة ذات اللون الأخضر

الفتاح ولون اللب يميل الى الأحمرار واحجام البذور كبيرة ذات لون غامق . الا أنه يعاب عليه الأصابه بمرض التعفن القمعي الذي يصيب طرف الثمرة ، وهناك صنف يعرف بكرمسون سويت ويمتاز بكبر حجمه وصغر بذوره ومذاقه الحلو وانتاجه الوفير ومحدودية اصابته بالامراض⁽³¹⁾

7-2-2 الشمام sweet-melons :

يتوطن الشمام في مديريات المكلا وغيل باوزير وبيروم ميفع ، والشحر والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وغيل بن يمين وسقطرى ، وبمعامل توطن بلغ 1.13 ، 10.8 ، 1.76 ، 5.47 ، 5.34 ، 1.38 ، 2.47 ، 2.43 على التوالي، وبقراءة اتجاهات توطن الشمام نجده يتجه الى نفس مواطن اتجاهات الحبيب مع اتساع انتشاره الى مديريات ساحليه أخرى مثل مديريات المكلا ، والشحر والريدة الشرقية ، بالإضافة الى غيل بن يمين مما يشير الى ملائمة المديريات الساحليه بطروفها المناخيه المميزه وتوفر مياه الري بواسطة الآبار ، والعيون فضلاً عن توفر التربة المناسبة مما جعل هذه المديريات بيئة ملائمة لتوطن زراعة الشمام دون غيرها من المديريات الأخرى .

8-2-2 محاصيل خضار ذات انتشار جغرافي واسع في حضرموت :

هناك عدد من المحاصيل الخضار تغطي مساحات جغرافية مختلفة ما بين ساحل حضرموت وواديها بحكم قدرتها على تحمل التباين للظروف الإنتاجية في هذه المناطق ويمكن عرض هذه المحاصيل مع تحديد اتجاهات معامل توطنها كما يلي :

1-8-2-2 الطماطم tomatoes :

ويتجه في توطنه نحو مديريات بروم ميفع والديس الشرقية ، وبمعامل توطن 1.4 ، 2.09 ، 1.13 ، 1.34 ، 1.63 ، 1.85 ، 3.02 على التوالي .

2-8-2-2 البامية okra :

وتتجه في توطنها نحو المديرية المكلا ، وغيل باوزير والشحر ، والديس الشرقية ، وسينون ، والقطن ، وحورة وحريضة وبمعامل توطن بلغ 1.91 ، 1.21 ، 1.76 ، 3.51 ، 1.81 ، 1.36 ، 4.03 ، 10.52 . على التوالي .

2-8-2-2 الفجل :

ويتجه في توطنه نحو مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، وبيروم ميفع ، والشحر ، والديس الشرقية ، وحجر وبمعامل توطن بلغ 4.51 ، 6.82 ، 4.32 ، 7.72 ، 7.61 ، 2.93 ، 1.86 ، على التوالي .

2-8-2-2 الكوسه vegetable marrow :

وتتوطن في مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، وبيروم ميفع ، والشحر ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وبمعامل توطن بلغ 5.21 ، 9.94 ، 2.92 ، 4.66 ، 6.72 ، 4.35 ، على التوالي .

2-8-2-2 البسباس green pepper :

ويتوطن في مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، والشحر ، والديس الشرقية ، وسينون ، وتريم ، والقطن وبمعامل توطن بلغ 1.16 ، 1.4 ، 1.93 ، 2.25 ، 2.18 ، 1.10 ، 1.14 ، على التوالي .

2-8-2-2 البذنجان eggplant :

ويتجه في توطنه نحو مديريات غيل باوزير ، والشحر ، والديس الشرقية ، وسينون ، والقطن ، وبمعامل توطن بلغ 1.16 ، 1.4 ، 1.93 ، 2.25 ، 2.18 ، 1.10 ، 1.14 ، على التوالي .

2-8-2-2 البطيطة sweet potatoes :

وتتوطن في مديريات غيل باوزير ، وبيروم ميفع ، والشحر ، والديس الشرقية ، والريده الشرقية ، وعمد والضليعة ، وبمعامل بلغ 9.9 ، 7.11 ، 5.32 ، 13.54 ، 3.27 ، 3.90 ، 2.04 على التوالي .

2-2-8-8 القرع :

ويتوطن في مديريات ، وبروم ميفع ، والشحر ، وغيل بن يمين ، وشبام ، وساه ، والقطن ، وحورة ، وحريضة وبمعامل تسوطن 1.28 ، 1.27 ، 1.70 ، 2.43 ، 2.70 ، 2.20 ، 2.04 ، 3.79 على التوالي .

ومن خلال عرضنا لاتجاهات توطن محاصيل الخضار السابقة ومع تغطيتها لمساحة جغرافية واسعة في اطار محافظة حضرموت فإن ذلك يرجع لما يلي :

- 1) ان الظروف المناخية من حيث الحرارة لا تشكل عائقاً امام زراعة هذه المحاصيل في المناطق المختلفة لقدرة هذه المحاصيل على تحمل مدى حراري أكبر ولعدم بروز ظاهرة التقلبات الحرارية الحادة في المنطقة التي تظهر محاصيل الخضار حساسية شديدة لها .
- 2) وفرة الاحتياجات المائية عن طريق الري المستديم بواسطة الآبار في مديريات وادي حضرموت او العيون والآبار في مديريات ساحل حضرموت .
- 3) توفر التربة الملائمة لزراعتها في مختلف المناطق .

وبنظرة شاملة على اتجاهات توطن محاصيل الخضار نجد انها اتجهت الى التوطن في نطاقين رئيسيين الأول ويقع على ساحل حضرموت وتتمثل في مديريات غيل باوزير ، وبروم ميفع ، والشحر ، وبمعامل 1.43 ، 2.65 ، 1.96 ، على التوالي، والثاني تضمن شريط وادي حضرموت وتمثل في مديريات سينون ، وشبام ، والقطن ، وحورة ، وحريضة وبمعامل توطن 1.50 ، 1.39 ، 1.12 ، 1.46 ، 4.86 على التوالي . ومن قراءتنا لاتجاهات تسوطن محاصيل الخضار ومع ملاءمة هذه المديريات للظروف الانتاجية المختلفة لمحاصيل الخضار فإننا يمكن أن نشير الى عامل مهم كان له الأثر البالغ في تحديد اتجاهات هذا التوطن في هذه المديريات ويتمثل في الطلب المتزايد على مختلف أنواع الخضار في مراكز الاستيطان والمدن الحضريه فبينما تشكل كل من مدن القطن ، وشبام ، وسينون ، وتريم ، والمدن الرئيسية في وادي حضرموت التي يتركز بها أعداد هائلة من السكان وتغطي احتياجاتها من الخضار من الأراضي الزراعية التي تنتشر على طول الوادي فإن الفائض من انتاج الخضار يتجمع في مدينة سينون التي تعد مركز التجميع الرئيسي ومن ثم التوزيع الى السوق الرئيسية في المكلا عاصمة المحافظة التي تقع على ساحل حضرموت وتعد أكبر منطقة استهلاكية في

المحافظة ، كما جاء توطن الخضار مديريات الساحل التي تتمثل في غيل باوزير ، وبروم ميفع ، والشحر ، كونها تعد ظهيراً جغرافياً واسعاً يمد السوق الرئيسية لمدينة المكلا بجزء من احتياجاتها من هذه المحاصيل

3.2 اتجاهات توطن الفواكه :

تعد الفواكه من المتطلبات الغذائية الرئيسية التي يحرص الانسان على توفرها على مائدة طعامه، لما لها من أهمية غذائية كبيرة ،لما تحتويه من مواد سكرية ونشوية ويمكن عرض اتجاهات توطن الفواكه في حضرموت كما يلي :

2-3-1 التمور dates:

تشكل التمور عنصراً غذائياً مهماً لسكان حضرموت فقد عرف نخيل التمر في المنطقة منذ القدم عنصراً غذائياً مهماً فضلاً عن منتجات النخيل الأخرى التي يستفاد منها ، وتنتشر في حضرموت عدد من الأصناف المحلية تزيد عن 30 صنفاً ومن أهمها جزاز ، وبطيظ ، وهجري ، ومجراف ، ومديني ، وحمراء وحاشدي ، وسقطري وعلى الرغم من اتساع انتشار النخيل في حضرموت إلا انه يتجه في توطنه نحو مديريات تقع في نطاق وادي حضرموت وفروعه الرئيسية وهي مديريات دوعن ، وسينون ، وتريم ، وشبام ، وساه والسوم ، وحريضة ، وبمعامل توطن بلغ 1.18 ، 1 ، 1.13 ، 1.34 ، 3.47 ، 1.37 ، 1.52 على التوالي، وكذلك إلى مديرية حجر ، وهي من مديريات ساحل حضرموت وبمعامل توطن بلغ 2.14 . ويعود توطن النخيل في المديريات المذكورة الى توفر الظروف الانتاجية من حيث درجة الحرارة المرتفعة والدرجة المثلى لزراعة بين 18 - 44 م⁽³²⁾ . ومن خلال قراءة معدلات الحرارة لفصل الصيف 29.1 م[°] و 30.5 م[°] للساحل والوادي على التوالي ومعدلات الحرارة لفصل الشتاء 25.1 م[°] ، 21.7 م[°] للساحل والوادي على التوالي⁽³³⁾ . تتبين الظروف المثلى لزراعة النخيل فان منطقه حضرموت تمتاز بالجفاف اذ لا تتجاوز كمية الأمطار الساقطة في المناطق الداخلية 73 ملم سنوياً ، والمناطق الساحلية 81.9 ملم⁽³⁴⁾ ، وبما أن تساقط الأمطار أثناء أشهر التلقيح ونضوج الثمار يؤدي الى إفساد عملية التلقيح والأضرار بنضج المحصول⁽³⁵⁾ فقد ساهم مناخ حضرموت الذي يتصف بأنه حار جاف من تقليل الإصابة بالآفات التي يتعرض لها النخيل، ومع قلة سقوط الأمطار فقد أقيم نشاط

زراعي تضمن زراعة النخيل معتمداً على مياه السيول كما هو الحال في مديريات دوعن ، وحريضة ، وعلى مياه الآبار في مديريات سينون ، وتريم ، وشبام ، وعلى مياه العيون والغول والسيول كما هو الحال في مديريات حجر ، وساه ، والسوم . كما وفرت الترب المزيجية الرملية والغرينية في وادي حضرموت بيئة ملائمة لزراعة النخيل وان الملوحة المرتفعة نسبياً فيها لم تقف عائقاً في زراعة النخيل بحكم قدرته على تحمل الملوحة كذلك التربة المزيجية الطينية الثقيلة القوام في الأودية الفرعية (دوعن ، وحريضة) ساعدت على نمو النخيل وتحمله قلة مياه الري بحكم اعتماد هذه المديريات على مياه السيول الموسمية وقدرة التربة الطينية الثقيلة على الاحتفاظ بالرطوبة⁽³⁶⁾ . وعلى ذلك فإن توفر الظروف الإنتاجية الملائمة في المديريات المذكورة وفر بيئة ملائمة لتوطن النخيل فيها .

2.3.2 محاصيل فواكه تتجه نحو نطاقات جغرافية محددة :

يتجه عددٌ من محاصيل الفواكه التي تتميز بظروف إنتاجية متشابهة نحو النطاق الساحلي لحضرموت الذي توطنت به تلك المحاصيل ويمكن عرض اتجاهات توطنها كما يلي :

1-3-3-2 الموز banana :

يتجه في توطنه نحو مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، وبروم ميفع ، والشحر ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وحجر وبمعامل توطن بلغ 15.40 ، 1.37 ، 2.15 ، 5.86 ، 1.95 ، 2.19 ، 1.23 على التوالي، وقد أظهرت مديريه المكلا توطن عال للموز بلغ 15.40 .

2-2-3-2 المانجو mangose :

يتجه المانجو في توطنه نحو مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، وبروم ميفع ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وبمعامل توطن 1.71 ، 2.61 ، 6.84 ، 4.52 ، 1.06 على التوالي، وقد تميزت المكلا بتوطن عال في زراعة المانجو بلغ 17.1 .

2-3-2 الليم الحامض lemon:

توطن الليم الحامض في مديريات المكلا ، وبروم ميفع ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وحجر ، وسقطرى وبمعامل توطن بلغ 8.09 ، 4.49 ، 2.56 ، 9.10 ، 1.07 ، 1.24 على التوالي .

2-3-2 الجوافة guava:

يتجه توطن الجوافة إلى مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، وبروم ميفع ، والشحر ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وحجر وبمعامل توطن بلغ 5.92 ، 4.83 ، 4.97 ، 5.39 ، 10.02 ، 5.92 ، 1.63 على التوالي .

2-3-2 جوز الهند coconut:

توطن جوز الهند في مديريات المكلا ، غيل باوزير ، وبروم ميفع ، والشحر ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وبمعامل توطن بلغ 5.92 ، 4.83 ، 4.97 ، 5.39 ، 10.02 ، 5.92 ، 1.63 على التوالي .

2-3-2 الباباي papayas:

توطن الباباي في مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، وبروم ميفع ، والديس الشرقية ، وشبام ، والقطن وبمعامل توطن بلغ 6.89 ، 2.72 ، 1.64 ، 1.28 ، 1.17 ، على التوالي .

2-3-2 الرمان pommel:

يتجه الرمان في توطنه نحو مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، ودوعن والضليعه وبمعامل توطن بلغ 3.62 ، 11.74 ، 7.45 ، 2.50 ، 1.08 ، 15.94 ، على التوالي .

2-3-2 دوم العلوب (نبق السدر) lotusjube:

يتجه دوم العلوب في توطنه نحو مديريات المكلا ، غيل باوزير ، وبروم ميفع ، وحجر والشحر ، والريدة الشرقية ، وغيل بن يمين ، ويبعن ، وعمد ، ودوعن ، والضليعه وبمعامل توطن بلغ 1.6 ، 1.61 ، 1.77 ، 2.02 ، 1.84 ، 7.93 ، 7.30 ، 11.12 ، على التوالي .

2-3-2-9 الموالح(*) citrus fruits :

وتتوطن الموالح في مديريات سينون ، وتريم ، وشبام ، وبمعامل توطن بلغ 1.86 ، 2.91 ، 1.20 ، على التوالي .

ومن قراعتنا لإنتاجات توطن محاصيل الفاكهه السابقة نخلص ماياتي :

أولاً : اتجهت محاصيل الموز والمانجو والليم الحامض وجوز الهند والباباي والجوافة والمان ودوم الطوب في توطنها نحو مديريات السهل الساحلي والأودية الساحليه لحضرموت .

ثانياً : إن محاصيل الفواكه سابقه الذكر هي محاصيل تنتمي بصفة إجمالية الى محاصيل الفواكه الاستوائية وشبه الاستوائية التي تتطلب ظروف إنتاجية محددة نعرضها كمايلي :

(1) إن محاصيل الفواكه الاستوائية وشبه الاستوائية تتطلب درجات حرارة مرتفعة، فهي يجب ألا تقل في محاصيل الموز والمانجو وجوز الهند عن 26 م⁽³⁷⁾ ومثل هذا المستوى من الحرارة يتواجد في المناطق الساحلية لحضرموت إذ تصل الحرارة أثناء فصل الصيف الى 301 م، مع اعتدال أثناء فصل الصيف إذ لا تقل عن 21 م ، وهذا الاعتدال يبعد تأثير انخفاض الحرارة عن هذه المحاصيل الذي يضر بها فمثلاً نجد أن انخفاض درجة الحرارة عن 10 م يضر بأشجار جوز الهند⁽³⁸⁾، كما أن المحاصيل الاستوائية من المحاصيل التي يساعد ارتفاع رطوبة الجو على نمو وإثمار الأشجار حيث تناسب زيادة الرطوبة النمو الخضري للأشجار⁽³⁹⁾ وقد وفر ارتفاع الرطوبة النسبية الى حد ما في المناطق الساحلية التي تصل الى 60-90 % جواً مناسباً لنمو أشجار الفواكه الاستوائية وشبه الاستوائية في المنطقة .

(2) إن هذه المحاصيل تتطلب كميات وفيرة من المياه وتحصل على متطلباتها من مياه العيون والآبار المتواجدة في المناطق التي تتوطن بها فضلاً عن مياه السيول التي تتدفق في مواسم سقوط الأمطار خصوصاً في الأودية الساحلية .

(3) تساعد توفر التربة الرملية السيليكية الجيرية التي تنتشر على السهل الساحلي لحضرموت على نمو وتوطن أشجار جوز الهند في هذه المناطق كما تساعد إنتشار التربة الطميية

* تشمل الموالح في وادي حضرموت قيرتقال البلدي واليوسفي ، والليم الحامض ولا توجد نباتات تفصيلية عن كل صنف على حده لذلك ظلت منفردة تحت هذه التسمية المعقدة في مكتب إداره الزراعة بوكدي حضرموت التي يشمل مديريات سينون وتريم وشبام والقطن وساد والسوم وجورة وحريضة

الرسوبية التي تكونت في بطون الأودية الساحلية ودالاتها على توفر ترب جيدة لنمو محاصيل الموز والمانجو والباباي والليم الحامض وغيرها من محاصيل المناطق الحارة (4) أن الظروف الإنتاجية السابقة وفرت بيئة ملائمة ومناسبة لتوطن محاصيل الموز والمانجو والليم الحامض وجوز الهند والباباي والرمان ودوم العلوب وغيرها في مديريات ساحل حضرموت

ثالثاً : لا يوجد أي انتشار أو توطن لهذه المحاصيل في مديريات وادي حضرموت وهي مديريات داخلية لا تتوفر فيها الظروف الإنتاجية الملائمة لزراعة هذه المحاصيل (باستثناء إشارة إلى توطن محصول الباباي في مديرتي شبام والقطن

رابعاً : تبين إنتشار توطن دوم العلوب خارج نطاق مديريات الساحل إذ بين اتجاهات توطن دوم العلوب إلى توطن عالي في مديريات بيعث ، وعمد ، ودوعن والضليعه وهذه مديريات ذات طابع ريفي تستخدم مسحوق الدوم بعد تجفيفه وسحقه كوجبة غذائية خفية أو تسويقة مجففاً إلى عاصمة المحافظة فضلاً عن الاستفادة من أزهار العلوب في تغذية عسل النحل الذي يعطي أفضل عسل منتج ، كما يستفاد من أوراق دوم العلوب كعلف للحيوانات ، أما في المناطق الساحلية فإنه يسوق طازجاً إلى المدن الرئيسية الساحلية .

خامساً : اتجهت الموالح في توطنها نحو مديريات تقع في شريط وادي حضرموت الزراعي تمثلت في مديريات سينون وتريم وشبام حيث تتوفر في هذه المنطقه البيئة الملائمة لتوطنها وقد تمثل ذلك في اعتدال درجة الحرارة خصوصاً في فصل الشتاء إذ تصل في المعدل 19.4 م كما تتوفر في المنطقة المياه المطلوبة عن طريق الري المستديم بواسطة الآبار ، فضلاً عن توفر التربة المزيجية الخصبة الملائمة لزراعة الموالح .

2-4 اتجاهات توطن المحاصيل النقدية

المحاصيل النقدية من المحاصيل التي تحظى بأهمية خاصة فهي إما أن تكون غذائية أو صناعية أو تحقق متطلبات أخرى ، وهذه المحاصيل تلعب دوراً كبيراً في تلبية احتياجات الإنسان وفي تطوير البنية الصناعية ، كون معظم المحاصيل النقدية تقام عليها صناعات وطنية متعددة ويمكن عرض اتجاهات توطن هذه المحاصيل كما يلي :-

2-4-1 التبغ tobacco.

ادخلت زراعة التبغ الى غيل باوزير في حضرموت منذ مئات السنين ويعتقد أنه استجلب من كينيا ويسمى محليا ((الحمي)) وهو من الأصناف غامقة اللون قوي الرائحة ويستخدم في تدخين المداعة⁽⁴⁰⁾ (الأرجيلة) وقد تم استيراد عدد من الأصناف الفرجينية لزراعتها في غيل باوزير وهي أصناف :

1)- whith gold

2)- hicks broad leaf

3)- N.C 95S

4)- KUTSAG 51

وصنف من البرلي وهو BURLEY 21 وقد نجحت زراعة هذه الأصناف في المنطقة⁽⁴¹⁾ ومن خلال انتشار زراعة التبغ في حضرموت نجده يتجه في توطنة نحو مديريات المكلا ، وغيل باوزير وبروم وميفع ، والشحر ، وغيل بن يمين وبمعامل توطن بلغ 6.13 ، 12.92 ، 5.03 ، 6.49 ، 4.21 على التوالي، مع ملاحظة توطن عالي للتبغ في مديرية غيل باوزير التي تشتهر بهذا المحصول ، ومن استعراضنا لاتجاهات توطن التبغ نجده يتوفر في مديريات ساحل حضرموت حيث تتوفر البيئة الملائمة لنموه فالتبغ من المحاصيل التي تتطلب درجة حرارة معتدلة دافئة وخالية من الصقيع وجو الرطب⁽⁴²⁾ ومثل هذه الظروف الانتاجية نجدها في النطاق الساحلي لحضرموت إذ يتراوح المعدل الحراري السنوي بين 25.1 م - 29.1 م ولا تقل أدنى معدلات درجة الحرارة في يناير عن 19.3 م⁵ وهذا ما يجعل هذا النطاق خالي من الصقيع وانخفاض الحرارة التي تضر بمحصول التبغ ، فضلا عن توفر الرطوبة الشبيهة في الجو تتراوح بين 60-90 % وانعدام الرياح القوية والجافة في المنطقة يساعد في المحافظة على تماسك أوراق التبغ وعدم جفافها ومن ثم تعرضها للتمزق والتلف الذي يقلل من جودتها ، كما أن محصول التبغ يتطلب مصدر ثابت للمياه وهو ما يتحصل عليه من الآبار أو العيون المنتشرة في مناطق زراعة التبغ سواء في منطقة غيل باوزير أو الأودية الساحلية ، اما من حيث نوع التربة، فالتربة لها اثر بالغ الأهمية في زراعة التبغ ويبدو أن التربة الجيرية في غيل باوزير والتربة السطحية الرسوبية في المناطق الأخرى كانت عاملاً ملائماً لزراعة وتوطن التبغ في النطاقات الساحلية لحضرموت .

2-4-2 القطن cotton :

يعد القطن من المحاصيل التي ادخلت زراعتها حديثا في حضرموت وقد زرع لأول مرة على نطاق واسع في منطقة ميفع حجر في الموسم الزراعي 75/74م⁽⁴³⁾ ومنذ ذلك التاريخ توطنت زراعة القطن في هذه المنطقة دون سواها، إذ بلغ معامل توطن القطن في مديرية بروم ميفع 30.3 ويأتي هذا التوطن في هذه المنطقة لتوفر الظروف الانتاجية الملائمة، فمن حيث درجات الحرارة فالقطن من المحاصيل المدارية الذي يحتاج إلى درجة حرارة لا تقل عن 25 م طوال مدة النمو كما يحتاج إلى مدة طويلة من الشمس المشرقة تساعد على نضجه وعلى أن تتراوح درجة حرارة شهر يوليو بين 27-32 م و مثل هذه الشروط نجدها متوفرة في منطقة ميفع الساحلية التي لا تقل فيها درجة الحرارة في المعدل عن 29.6 م⁵ (44) كما أن الرطوبة النسبية العالية في المنطقة تساعد في المحافظة على شعيرات القطن بعد تفتح اللوز أثناء النضج ، أما من حيث احتياجات القطن من المياه فهي تتراوح بين 20-40 بوصة⁽⁴⁵⁾ ومثل هذه المياه تتوفر عن طريق مياه وادي حجر دائم الجريان ، اما من حيث التربة فإن القطن يتطلب تربة خصبة خالية من الأملاح جيدة الصرف، وأفضل أنواع التربة هي التربة الغرينية الدلتاوية التي تتواجد في الأودية الفيضية⁽⁴⁶⁾ التي لديها القدرة على الاحتفاظ بالماء⁽⁴⁷⁾، وهذا النوع من التربة نجده في منطقة ميفع التي تشكل دلتا وادي حجر الذي يصب في البحر العربي ، ومما تقدم يتضح لنا توفر الظروف الانتاجية الملائمة لتوطن محصول القطن في منطقة ميفع التي تشتهر بهذا المحصول .

3-4-2 الحناء hina :

ويتوطن في مديرتي غيل باوزير التي سجلت معدل عالي للتوطن بلغ 32.22 ومديرية عمد بمعامل توطن

1.91 وفي ذلك ما يشير الى توفر الظروف الملائمة لتوطن الحناء وبشكل أساس في مديرية

غيل باوزير التي ترتبط شهرتها الزراعية لهذا المحصول

2-4-4 البقوليات lagumes (اللوبياء - الدجر):

اتجهت في توطنها نحو مديريات الدير الشرقية وغيل بن يمين وعمد ودوعن والضليعة

ويبعث وبمعامل توطن بلغ 1.10 ، 2.80 ، 43.16 ، 2.84 ، 1.36 ، 6.77 على التوالي،

وقد سجلت مديرية عمد معدلاً عالياً للتوطن بلغ 43.16 مما يبين أهمية هذا المحصول في هذه المديرية وبقراءة معامل توطن هذا المحصول نجده يتجه نحو المديرية الريفية على شكل قوس يمتد من مديرية الريدة الشرقية في الشرق مروراً بمديرية غيل بن يمين على الهضبة الجنوبية نحو مديريات دوغن و عمد التي تشكل الأودية الشمالية لهضبة حضرموت الجنوبية، صعوداً إلى الهضبة مرة أخرى إلى مديرتي الضليعة وبعث ، وتأتي أهمية هذا المحصول كونه يمثل وجبة ثانوية في هذه المديرية فضلاً عن تسويقه إلى الأسواق الرئيسية ، وتوجد زراعة البقوليات (اللوبياء) في المناطق الحارة وشبه الجافة وتتراوح احتياجاته الحرارية بين 15-24 م (48)، مما يعني أنه يزرع في المناطق المعتدلة وهي الصفة التي تتميز بها المديرية السابقة كونها تقع أما على سطح هضبة حضرموت الجنوبية أو على أودية منحدراتها الشمالية ، كما أن هذا المحصول من محاصيل المناطق شبه الجافة، ومن ثم فإنه يزرع على مياة الأمطار والسيول في المديرية التي يتوطن بها ، كما أن اللوبيا يزرع في مختلف أنواع التربة ويزدهر في التربة متوسطه القوام (49) ومن ثم فإن توفر التربة الطمية الرسوية ساعدت على توطن البقوليات (اللوبيات) في المديرية السابقة .

2-4-5 السمس السمس :sesame

وهو من المحاصيل الزيتية ويتوطن في مديريات بروم ميفع ، والريدة الشريفة ، وغيل بن يمين ، وتريم وبمعامل توطن بلغ نحو 3.24 ، 1.10 ، 1.45 ، 2.62 على التوالي ، ومن ذلك نجد أن السمس توطن في مديرتي بروم ميفع ، والريدة الشرقية الساحلتين ، ومديرية غيل بن يمين على سطح هضبة حضرموت الجنوبية ، ومديرية تريم في نطاق وادي حضرموت ، ومن ذلك نتبين إتساع النطاق الجغرافي الذي يزرع فيه السمس ما بين مناطق حارة دافئة في السهل الساحلي لحضرموت ومناطق حارة إلى معتدلة في المناطق الداخلية ، كما يحتاج السمس إلى كميات وفيرة من المياه في فترة الأزهار وتكوين الثمار مما يضمن عدم تساقط الأزهار وظهورها ومن ثم انخفاض إنتاجية المحصول (50) ، وهذا ما يتوفر بواسطة الري المسديم من الآبار أو العيون فضلاً عن مياة السيول المتدفقة في مواسم سقوط الأمطار ، كما أن السمس يزرع في التربة الخفيفة والأراضي جيدة الصرف والتهوية (51) التي تنتشر في المديرية التي يتوطن بها السمس .

2-5 اتجاهات توطن محاصيل الأعلاف .

تعد محاصيل الأعلاف من المحاصيل التي تلعب دوراً مهماً في الاقتصاد الوطني من خلال تنمية وتطوير الثروة الحيوانية وإنتاجها من اللحوم ومشتقات الألبان التي تغطي جزءاً من متطلبات السكان الغذائية ، ومن دراسة التحليل الإحصائي لتوطن محاصيل الأعلاف فإن اتجاهات توطنها نعرضه كما يلي :

2-5-1 الحشائش grss :

ويتوطن في مديريات بروم ميفع ، والريدة الشريفة ، وغيل بن يمين ، والضليعة ، وحجر وبمعامل توطن بلغ 17.74 ، 1.68 ، 1.60 ، 1.45 ، 3.04 على التوالي وبقراءة التوطن الحشائش نجدها تتجه الى مديريات ريفية تعتمد تربية الثروة الحيوانية التي تتغذى على المراعي الطبيعية التي تتكون أثر مواسم سقوط الأمطار وعلى ذلك جاء توطن الحشائش في هذه المناطق ليلبي بعض متطلبات هذه الثروة من الغذاء

2-5-2 البرسيم alfalfa :

ويتوطن في مديريات المكلا ، وغيل باوزير ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية ، وغيل بن يمين وسينون

وتريم والسوم ، والقطن وبمعامل توطن 1.30 ، 1.23 ، 1.69 ، 1.68 ، 1.84 ، 1.30 ، 1.26 ، 1.11 ، 1.39 على التوالي ، وباستعراض توطن محصول البرسيم نجده يغطي مديريات واسعة بين المناطق الساحلية والداخلية لحضرموت ويعود ذلك الى طبيعة البرسيم الذي تلائم زراعته المناطق الجافة وشبه الجافة وإتساع مدى تحمله لدرجات الحرارة بين 27-43 م صيفاً وبين 11-29 م شتاءً كما تتلائم زراعته مع التربة الطينية الخفيفة والغنية بالكلس (52) ومثل هذه الظروف الإنتاجية نجدها متوفرة في ساحل وادي حضرموت فضلاً أن زراعة البرسيم يعد من المحاصيل التي تعمل على امتصاص الملوحة والإقلال من نسبة تركيز كربونات الكالسيوم التي ترتفع في تربة ساحل وادي حضرموت (53) ، كما يأتي زراعة هذا المحصول ليلبي متطلبات الثروة الحيوانية التي تربي في مدن المناطق الساحلية أو المناطق الداخلية من الغذاء الذي

2-5-3 أعلاف الذرة *sorghum foddes*:

تتوطن أعلاف الذرة في مديريات الشحر ، وعمد ، ودوعن ، والضليعة ، وحجر ، وبيعث وسقطري ، والسوم وبمعامل توطن بلغ 1.17 ، 2.18 ، 2.92 ، 4.27 ، 1.35 ، 2.34 ، 5.27 ، 23.14 على التوالي، ويأتي توطن أعلاف الذرة في المديريات التي تحضى بها تربية الثروة الحيوانية بمكانة خاصة للاستفادة من هذا المحصول في تلبية جزء من احتياجات هذه الثروة ، كون هذه المناطق لا تتوطن فيها أو في معظمها محاصيل الأعلاف الأخرى مثل البرسيم أو الحشائش ، ويتوطن هذا المحصول في المديريات التي تعتمد على مياه الأمطار والسيول في زراعتها التي توفر القدر الكافي لزراعة أعلاف الذرة كونه من المحاصيل التي تتحمل قلة الأمطار ولديه القدرة على استغلال كمية المياه المتاحة .

الخلاصة conclusion :

من خلال دراساتنا لاتجاهات توطن المحاصيل الزراعيه بمختلف أنواعها في حضرموت يمكن لنا أن نخلص الى تحديد مناطق تؤثر الى جذب محاصيل معينة لتتوطن فيها نتيجة لتوفر الظروف الإنتاجية الملائمة والمناسبة . وبحكم كبر حضرموت من حيث المساحة، ومن حيث تنوع المظاهر التضاريسية ما بين سهول وأودية داخلية عظيمة فضلاً عن توفر التربة الملائمة والموارد المائية المتنوعة ما بين مياه آبار أو عيون أو سيول متدفقة أثناء مواسم تساقط الأمطار كل ذلك كان له الأثر العميق على طبيعة ونوع النشاط الزراعي . ومن ذلك التنوع في المظاهر والظروف الطبيعية وانعكاسه على اتجاهات توطن المحاصيل الزراعية يمكن أن نضع تحديداً لأقاليم زراعية تميزت بتوطن محاصيل معينة يمكن عرضها كما يلي :

أولاً : إقليم الحبوب :

من اتجاهات توطن الحبوب يمكن أن نميز نطاقين (خارطة 2) :

- 1) نطاق القمح : ويشكل هذا النطاق شريط على طول وادي حضرموت ويمتد من مديرتي حورة وحريضة اللتين تقعان عند أسفل الأودية الفرعية لوادي حضرموت في الغرب مروراً بمديريات القطن وشبام وتريم وساء حتى مديرية السوم في الشرق
- 2) نطاق الحبوب الأخرى : (الذرة والدخن) ويقع هذا النطاق الى الجنوب من نطاق القمح ويغطي هضبة حضرموت الجنوبيه في مديريات غيل بن يمين وبيعث والضليعه والأودية

الأخرى المتحدده شمالاً ومن هضبة حضرموت الجنوبيه الى وادي حضرموت ممثلة في مديريات دوعن وعمد وحورة وحريضة .

ثانياً: إقليم الخضار :

تميزت الخضار باتساع نطاقها الجغرافي ولذلك يمكن أن نميز نطاقين لتوطن الخضار (خارطة 3) تمثل في :

(1) النطاق الساحلي : ويتمثل في مديريات غيل باوزير ، وبروم ميفع والشحر (ومثل هذه المديريات الظهير الزراعي لتغطية حاجة السوق الرئيسي لمدينة المكلا عاصمة المحافظة من الخضار) .

(2) النطاق الداخلي : ويشمل النصف الغربي من وادي حضرموت في كل من مديريات سينون وشبام والقطن وحورة وحريضة (وهذا النطاق يغطي احتياجات المدن الرئيسية في هذه المديريات وينقل الفائض ليسوق في مدينة المكلا عاصمة المحافظة التي تقع على الشريط الساحلي

ثالثاً : إقليم الفواكه :

بين اتجاهات توطن الفواكه نطاقين (خارطة 4) ، نعرضها كما يلي :

(1) نطاق التمر : ويتمثل في نطاق جغرافي يشمل وادي حضرموت ويمتد من مديرية السوم في الشرق الى مديرية ساه وتريم وسينون وشبام حتى مديرتي حريضة ودوعن اللتين تشغلان جغرافياً الأودية الفرعية الجنوبية لوادي حضرموت في الغرب ، وبالإضافة الى هذا الشريط هناك نطاق وادي حجر الذي يخترق السلاسل الجبلية الساحلية وهي المنطقه الوحيدة التي يتوطن بها النخيل في النطاق الساحلي .

(2) نطاق الفواكه الأخرى: يبين اتجاهات توطن محاصيل الفواكه الأخرى المتمثلة في الموز والمانجو وجوز الهند والجوافه والباباي وغيرها إتجاهاً نحو المناطق الساحلية التي توفر الظروف الإنتاجية اللازمة لها ويتمثل ذلك في توطنها في مديريات المكلا ، والشحر ، وغيل باوزير ، والديس الشرقية ، والريدة الشرقية .

رابعاً: إقليم المحاصيل النقدية :

بيئت اتجاهات توطن المحاصيل النقدية التي تمثل في البقوليات ، والسهم ، والتبغ ، والقطن ، والحناء عند توطنها في نطاق جغرافي رئيسي يقع في الإقليم الساحلي لحضرموت

ويمتد من الشحر في الشرق الى غيل باوزير والمكلا حتى في مديرية بروم ميقع في الغرب ،
فضلاً عن ميريبي غيل بن يمين وعمد اللتين تقعان الى الشمال من النطاق السابق (خارطة 5).
خامساً: محاصيل الأعلاف :

أشارت إتجاهات توطن محاصيل الأعلاف بمختلف أنواعها الى توطنها فسي أغلب
المديريات الريفية التي تعتمد على تربية الثروة الحيوانية وتمثلت في ميريبي الديس الشرقية
والريدة الشرقية في الجزء الساحلي الشرقي ومديريات غيل بن يمين والضليعه وبيعث اللاتي
يقعن على جول وسيطان هضبة حضرموت الجنوبية . بالإضافة الى ميريبي السوم وتريم
اللتي تقعان في الجزء الشرقي من وادي حضرموت (خارطة 6) .

الهوامش :-

- 1- جيود ، احمد سعيد ، تقييم أصناف محلية من القمح من حيث الإنتاجية ، تقرير محطة الأبحاث الزراعية ، سينون 2002/2001 ، ص 9-12 .
- 2- بلغقيه ، عيدروس ، جغرافيه الجمهوريه اليمنية ، سلسلة لكتاب الجامعي ، جامعة عدن ، 1994 ص 204
- 3- فتهوم ، محمد احمد ، بامروف ، فولاد ، محاوله للتصنيف الجغرافي للزراعة في حضرموت ، ندوة لتركيب الجغرافي و الأهمية الاقتصادية للمحافظة حضرموت ، المكلا ، 1987 ص 8 .
- 4- هارون ، علي احمد ، جغرافيه الزراعة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001 م ، ص 90-135 .
- البرازي ، نوري المشهداني ، إبراهيم عبد الجبل ، الجغرافية الزراعية ، وزارة التنظيم العالي و البحث العلمي ، العراق ، 1980م ، ص 155 .
- 5- قنزل ، محسن ، بامؤمن ، عوض ، جيود ، احمد ، تقييم أصناف من القمح في الصفات الإنجابية و التكنولوجيا تحت ظروف وادي حضرموت ، المجلة اليمنية للبحوث الزراعية ، كلية ناصر للعلوم الزراعية ، جامعة عدن ، 2002م ، ص 16 .
- 6- باصريح ، سالم عبد الله ، زراعة التخليل و الاستثمارات الاقتصادية لإنتاجها في محافظة حضرموت ، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الآداب ، جامعة عدن ، 1997م ص 36 .
- 7- البرازي ، نوري المشهداني ، إبراهيم عبد الجبل ، مصدر سابق ص 154 .
- 8- باصريح ، سالم عبد الله ، مصدر سابق ص 39 .
- 9- البرازي ، نوري المشهداني ، إبراهيم عبد الجبل ، مصدر سابق ص 156 .
- 10- باموسى ، احمد سبيت ، ترب وادي حضرموت ، ندوة الترتيب الجغرافي و الأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت ، المكلا، 1987م ، ص 6-9 .
- 11- قمان ، علي جمعان ، لعوامل الطبيعية المؤثرة في الزراعة في إقليم وادي حضرموت ، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الآداب ، جامعة عدن ، 1996م ص 99-100 .
- 12- منسى ، غازي احمد ، دراسة ملوحة التربة و الماء و تأثيره على نمو النبات في ظروف وادي حضرموت ، مجلة العلوم التطبيقية ، سينون 2005م ، ص 72-75 .
- 13- باعيسى ، عبد العزيز احمد ، علاقة الأماكن الزراعية بالظواهر الطبيعية و البشرية في وادي حضرموت ، رسالة ماجستير (غير منشوره) كلية الآداب ، جامعة عدن ، 1995 ص 105 .
- 14- بلغقيه ، عيدروس ، مصدر سابق ص 207 .
- 15- هارون ، علي احمد ، مصدر سابق ص 90 .
- 16- بيثوب كارتر ، تشاهمان ، بيث ، علم المحاصيل و إنتاج الغذاء ، دار ماكجروهيل للنشر ، 1983 ، ص 273 .
- 17- قمان ، علي جمعان ، مصدر سابق ص 102 .
- 18- باعيسى ، عبد العزيز احمد ، مصدر سابق ص 28 .
- 19- هارون ، علي احمد ، مصدر سابق ص 152 .

- 20- سويد ، احمد صالح ، حسن ، عبد الله عبد الجبار ، دراسة تأثير أملاح الصوديوم على الإنبات و نمو بذرات نبات الذرة الشامية ، المجلة اليمنية للبحوث الزراعية ، العدد الأول ، كلية ناصر للعلوم الزراعية ، جامعة عدن ، نوفمبر 1994 م ص 22-27 .
- 21- عبد الحافظ ، علي محمد ، مقارنة الإنتاجية والصفات النوعية لبعض أصناف البصل المستورد مع الصنف المحلي بقطيم ، تقارير محطة الأبحاث الزراعية ، سينون 1985/1984 م .
- 22- باعيسى ، عبد العزيز احمد ، مصدر سابق ص 30 .
- 23- حسان ، عبد الرحمن أبو بكر ، دراسة إمكانية إنتاج البصل من البصيلات في العروة الصيفية بوادي حضرموت مجلة البحوث الزراعية ، العدد الأول ، نوفمبر 1994 ص 35 .
- 24- محطة الأبحاث الزراعية سينون التقارير البحثية للموسم الزراعي 2004/2003 ، تأثير تراكيز مختلفة من ملوحة الري على إنتاجية البصل أصناف بقطيم محسن و بقطيم اصفر .
- قمان ، علي جمعان ، مصدر سابق ص 106-107 .
- باعيسى ، عبد العزيز احمد ، مصدر سابق ص 105 .
- 25- عبد الباقي ، قادري ، موارد المياه في حضرموت ومشاكل استغلالها الاقتصادي ، بحث مقدم للجنة التركيب الجغرافي و الأهمية الاقتصادية لحضرموت ، المكلا ، 1987 ص 3 .
- 26- قمان ، علي جمعان ، مصدر سابق ص 104 .
- 27- باعيسى ، عبد العزيز احمد ، مصدر سابق ص 83 .
- 28- قمان ، علي جمعان ، مصدر سابق ص 105 .
- 29- باصريح ، سالم عبد الله ، مصدر سابق ص 36-37 .
- 30- قمان ، علي جمعان ، مصدر سابق ص 114 .
- 31- المصدر نفسه ، ص 114-115 .
- 32- السلمانى ، مخلف شلال ، إنتاجية الفاكهة في محافظة كربلاء ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 974 م ص 56 .
- 33- باصريح ، سالم عبد الله ، مصدر سابق ص 37 .
- 34- باصريح ، سالم عبد الله ، المصدر نفسه ص 39 .
- 35- جاسم ، صالح عتي ، تطور إنتاج التمور في العراق و صيانتها و تجارتها ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ص 14 .
- 36- باصريح ، سالم عبد الله ، مصدر سابق ص 35 .
- 37- هارون ، علي احمد ، مصدر سابق ص 89 .
- 38- المصدر نفسه ص 204 .
- 39- بن هامل ، عوض احمد ، إدارة زراعة و الري ، الهيئة العامة للبحوث و الإرشاد م/ حضرموت و الساحل الشرقي (المتجو) ص 2 .
- 40- بلغقيه ، عيروس ، مصدر سابق ، ص 201 .

- 41- المصدر نفسه ص 201 .
- 42- هارون، علي احمد ، مصدر سابق ص 276 .
- 43- بلقيه ، عيروس ، مصدر سابق ، ص 193 .
- 44- باصريح ، سالم عبد الله ، مصدر سابق ص 36 .
- 45- البرزي ، نوري المشهداني ، ابراهيم عبد الجبار ، مصدر سابق ص 182 .
- هارون ، علي ، مصدر سابق ص 248 .
- 46- باعيسى ، عبد العزيز احمد ، مصدر سابق ص 85 .
- 47- المصدر نفسه ص 105 .
- 48- المصدر نفسه ص 95 .
- 49- قمان ، علي جمعان ، مصدر سابق ص 104 .
- 50- المصدر نفسه ص 116 .
- باموسي ، احمد سبيبت ، مصدر سابق ص 9 .

Abstract

Trends of Agricultural Crops Localization in Hadhramout governorate

Dr.salem abdulla basreeh

Assistant professor Department of Geography , Faculty of Arts Hadhramout
University of Science & Technology

This research aims at studying location distribution of different agricultural crops & specifying location trends of these crops localization . this comes through studing & analysis the productive indicators of area & production of the average period 2001 – 2005 .

The research focuses in an analytical geographical study of the productive indicators to show location differences of agricultural crops localization in Hadhramout governorate ; & also to show the importance of the different regions & their ability to attract & localize specific crops .

This research deals with the following :

- 1) Astudy of agricultural crops location distribution & their spread at different provinces of Hadhramout governorate . this is done by studying area & production data of the agricultural crops of the period 2001 – 2005 .
- 2) Ageographical statistical analysis of area & production indicators to specify localization Trends of each crop in Hadhramout governorate .
- 3) specifying the agricultural regions features which appear Hadhramout governorate .

مشكلة الغذاء العالمي وحلها من خلال سورة يوسف (عليه السلام)



الدكتور غازي يوسف اليوسف *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الخلق، وكفل لهم أرزاقهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:6]. وقال عز وجل: ﴿وَكَايُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تُحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت:60].

والصلاة والسلام على النبي المصطفى، والرسول المجتبي محمد ﷺ القائل: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً»⁽¹⁾.

والرزق - في مفهومه الشائع لدى أهل العلم وغيرهم - يشمل كل ما يتغذى به الإنسان، أو ينتفع به⁽²⁾؛ فالغذاء - إذا - أحد أنواع الرزق التي كفلها الله - سبحانه - للإنسان وغيره من الكائنات الحية والغدو إلى الرزق من حيث المفهوم هو أحد أسباب طلب الرزق، وكذلك التوكل على الله، والمعروف أنه إذا ما توكل الإنسان على ربه حق التوكل - على ما أوضحه النبي ﷺ في الحديث السابق - رزقه الله الرزق الحسن.

والتوكل يقتضي الأخذ بالأسباب؛ التي من خلالها يحصل الإنسان على رزقه الذي قدره الله له من غذاء أو غيره؛ ومن هنا يظهر أنه لا بد للإنسان أن يسعى، ويجد من أجل توفير غذائه بالأسباب التي جعلها الله - عز وجل - موصلة إلى ذلك.

وقد قص الله - عز وجل - على خلقه في سورة يوسف - عليه السلام - نموذجاً للسعي من أجل توفير الغذاء؛ ليكون هذا النموذج مثالا يحتذى به، وعظة يعتبر بها؛ على ما

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمشق

أشار إليه الحق - سبحانه وتعالى - حيث يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: 111]. ومن هنا اتجه هذا البحث إلى هذه السورة الكريمة - سورة يوسف-؛ ليستخلص منها العبرة والعظة، ويبرز ما يستفاد منها من دروس فيما يتعلق بمسألة توفير الغذاء العالمي في ظل هذه التنبؤات، والتكهنات التي يذكرها الخبراء في الزراعة والاقتصاد؛ حيث يؤكدون أن العالم مقبل على مجاعات وحروب شرسة على الغذاء ونقطة الماء.

والإحساس بالمشكلة، أو التنبؤ بها يقتضي النهوض لمواجهتها والتصدي لها؛ كما كانت الحال في قصة يوسف - عليه السلام - حين تنبأ بمشكلة الغذاء التي ستعرض لها البلاد في غضون أربعة عشر عاماً؛ فتصدى للمشكلة وأدارها باقتدار؛ حتى وصل بالأمة إلى بر الأمان؛ بما اتخذته من إجراءات تنظيمية فيما يتعلق بالإنتاج والاستهلاك.

إذن، فما دام ثمة مشكلة، فلا بد من المواجهة، ووضع الحلول، والبحث هنا يحاول دراسة مشكلة توفير الغذاء العالمي، ومواجهتها، ووضع الحلول لها، مستلهماً ما جاء في سورة يوسف - عليه السلام - وقد اقتضى ذلك أن يأتي البحث في تمهيد وأربعة مباحث مستوحاة من السورة الكريمة.

أما التمهيد: فيبين خطورة مشكلة نقص الغذاء وأبعادها.

وأما المباحث الأربعة: فتتناول حلول المشكلة؛ كما أرشدت إليها سورة يوسف عليه

السلام؛ وقد تمثلت هذه الحلول في أربعة حلول رئيسة، أفرد البحث لكل منها مبحثاً خاصاً.

المبحث الأول: إدارة مشكلة توفير الغذاء، والتخطيط لحلها.

المبحث الثاني: توفير الغذاء بزيادة الإنتاج.

المبحث الثالث: توفير الغذاء عن طريق الاندثار، وترشيد الاستهلاك، والعدالة في التوزيع.

المبحث الرابع: توفير الغذاء عن طريق التبادل التجاري.

ثم ختمت هذه المباحث بخاتمة توضح أهم ما أبرزه البحث من نتائج.

وما توفيقى إلا بالله.

التمهيد :

وهذه العناية بأمر توفير الغذاء، والخوف من توقع نقصه أمر مفطور عليه الإنسان؛ ولعل فيما حدث لملك مصر حين رأى في منامه ﴿سَبَّعَ بِقَرَاتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبَّعٌ عَجَافٌ وَسَبَّعَ سَبَّالَاتٍ خُضِرَ وَأُخِرَ يَابَسَاتٍ﴾ [يوسف:43] ما يشير إلى ذلك؛ لأن المرء لا يعنى بكل أحلامه، ولا يهتم بتفسير كل ما يراه في منامه، وإنما يعنيه من ذلك ما يؤرقه ويقلقه، فيسعى إلى تفسيره، وبيان تأويله.

وهذا هو ما حدث لملك مصر، حين وجد رؤياه تتعلق بأمر الغذاء والأقوات، فخاف لذلك، وأقلقه الأمر، فسعى إلى بيانه، والكشف عن غوامضه، سائلاً - من حوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبِرُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف:43-44].

ولما كان الأمر على درجة كبيرة من الأهمية عند الملك؛ لتعلقه بالغذاء والقوت؛ فإنه لم يقنع بهذه الإجابة من هؤلاء الملأ، وظل يتساعل حتى دل على يوسف، فعبر له رؤياه. وكل هذا الاهتمام من الملك بهذه الرؤيا المتعلقة بالأطعمة والأغذية، يشير إلى أن كل ما كان فيه دلالة على نقص الغذاء يغدو ناقوس خطر يدق، فلا بد أن يستجيب لدقّه أولو الأبواب؛ ليسعوا جاهدين إلى توفير الغذاء.

والعجيب أن هذا الناقوس يدق بشدة في العصر الحديث، نكن ذوي الأبواب لا يستجيبون لدقّه؛ بالرغم من النداءات الكثيرة المحذرة من هذه المشكلة الخطيرة، وهذه النداءات ليست وليدة هذه الأيام، بل منذ عشرات الأعوام تنادي الأصوات المخلصة، وتكتب الأقلام المصلحة عن مشكلة نقص الغذاء، وما ينتظر العالم كله، لا سيما دول العالم الثالث من سيطرة شبح الجوع، والحرمان، الذي سيؤدي إلى تعطيل الطاقات الإنتاجية، بل إلى تدمير الإنسان نفسه؛ لأن الغذاء يعد بمثابة الوقود الذي يولد الطاقة لإدارة محركات الآلة الإنسانية؛ حتى تؤدي وظيفتها، ويمدها بما يلزم من عناصر صلاحها وصيانتها.

فقد قرر خبراء الزراعة أن احتياطي العالم من الحبوب قد بلغ عام 1960م (150) مليون طن، لكن هذه الملايين الاحتياطية قد أخذت في التناقص شيئاً فشيئاً مع مرور السنين والأعوام، حتى وصل عام 1974م إلى أقل مستوى، وأرجعوا ذلك إلى الانفجار السكاني والارتفاع في مستوى معيشة الفرد.

وتوقع هؤلاء الخبراء أنه لو بقي معدل الإنتاج الزراعي على ما هو عليه في هذه الآونة؛ فإن النقص في احتياطي العالم من الحبوب سوف يستمر إلى أن تعجز الدول المصدرة للحبوب عن الوفاء باحتياجات الدول المستوردة، وهنا تتحول أزمة الغذاء إلى أزمة تطيح بالسلام في الشعوب الجائعة⁽³⁾.

ولو نظر الباحث إلى الأسباب التي ذكرها هؤلاء الخبراء لتناقص احتياطي الحبوب، لوجدها في تزايد مستمر مع مرور الأعوام؛ حيث نكروا أن هذا التناقص يرجع إلى الانفجار السكاني، وارتفاع مستوى المعيشة؛ ولا يخفى على إنسان مدى الزيادة في هذين العاملين في الأيام الراهنة.

وإذا أضيف إلى ذلك المعوقات الكثيرة التي تحول دون زيادة الإنتاج الزراعي في الدول النامية التي يندرج ضمنها الدول العربية والإسلامية؛ لظهر مدى خطورة مشكلة نقص الغذاء على المسلمين.

فلا يزال التوسع في الزراعة باستصلاح أراضٍ زراعية جديدة في الدول النامية يسير ببطء شديد في مقابل الاعتداءات الصارخة على الأراضي الخصبة المزروعة فعلا، بالبناء عليها، أو تجريفها.

ولا تزال مشروعات التنمية الزراعية في كثير من دول العالم النامي معطلة؛ بسبب الفقر والجهل المنتشرين في هذا البلاد، وتخاذل الدول الغنية عن تقديم يد العون لهذه الدول الفقيرة، التي لا تزال تعاني من تخلف أساليب وأدوات الزراعة والري؛ حيث يستخدم كثير من المزارعين في هذه الدول أساليب زراعية متخلفة، لا تتماشى مع التقدم العلمي والتكنولوجي، كما تعاني هذه الدول من تخلف طرق التخزين، والتي تؤدي إلى زيادة الفاقد في المحاصيل الزراعية، أثناء تخزينها وتسويقها.

ولا تزال معدلات الاستثمار في مجال الزراعة بالدول النامية منخفضة - أيضاً - ولا توجد خطط علمية واضحة لدى هذه الدول لاستغلال أراضيها الاستغلال الأمثل؛ حيث تحتاج هذه الدول إلى خرائط شاملة لأراضيها، توضح أولويات استخدام التربة، ومثل هذه الخرائط لا بد أن تعتمد على الأرصاد والبيانات العلمية عن باطن الأرض وسطحها، وهو ما لم يتوافر لهذه الدول حتى الآن؛ ومن ثم تسير فيها مشروعات التنمية الزراعية بصورة أقرب إلى العشوائية منها إلى التنظيم والتخطيط.

لهذا كله يتفاقم خطر مشكلة الغذاء في العالم؛ خاصة العالم النامي؛ ومن ثم يتوقع الخبراء أن نصف سكان العالم تقريباً، لن يكون بإمكانهم أن يحصلوا على كميات مناسبة من الغذاء الصحي؛ خاصة في الدول النامية، التي تعاني من زيادة في عدد سكانها. ويقرر هؤلاء الخبراء - أيضاً - أن حوالي ثلث سكان العالم الآن يعيشون في دول لا تنتج ما يكفي شعوبها من الغذاء⁽⁴⁾.

فإذا أضيف إلى هذا كله ما استحدثته الدول المتقدمة حالياً من تحويل الحبوب الزراعية إلى طاقة تدار بها الآلات، ظهر مدى هول المشكلة وفتاقتها؛ فإن الدول النامية التي كانت تعتمد في غذائها على ما تستورده من الدول التي لديها فائض في الحبوب، سوف تعاني الأمرين من هذه المسألة؛ حيث ستمنع هذه الدول من تصدير الحبوب؛ لأنها ستحولها إلى طاقة تستغني بها عن البترول الذي تمتلكه الدول النامية، وفي حالة موافقة هذه الدول على تصدير الحبوب؛ فإنها سترفع من أسعارها، مما يزيد معاناة الشعوب في الدول النامية. وأذكر هنا أن الخبراء كانوا يذكرون - من ضمن ما يذكرونه - سبباً لقلّة غذاء الإنسان؛ وهو أن بعض الناس يستخدمون الحبوب علفاً لحيواناتهم وطيورهم بدلاً من الأعلاف الأخرى التي لا يستطيعون توفيرها لحيواناتهم وطيورهم؛ نظراً لارتفاع أسعارها. فإذا كان تقديم غذاء الإنسان غذاءً لما يتغذى به الإنسان - وكأنه عملية تحويل للغذاء من صورة إلى أخرى - سبباً في معاناة الإنسان، وقلّة غذائه؛ فكيف وقد أصبح غذاء الإنسان الآن وقوداً تدار به الآلات؟!

إن كل هذا كله ينذر بمشكلة خطيرة، لا بد أن تتكاتف الدول الإسلامية جميعاً، بل بتكاتف العالم كله للتصدي لها؛ وإلا فسوف يتعرض العالم كله لويلات كثيرة بسبب الجوع. فالمجاعات سبب مباشر في كثرة جرائم السرقة⁽⁵⁾، وقطع الطريق، والنهب، والسلب، والدعارة⁽⁶⁾، وهي خطر على سيادة الأمة واستقلالها، وعلى عقيدة المرء وفكره، وتنعكس آثارها على تجارة الدول وصناعاتها، وعلى جميع مواردها، التي تعتمد عليها؛ ومن ثم سينتشر الكساد في موارد البلاد، ويستشري الفساد، وتعمّ الفوضى جوانب البلاد، وتكثر البطالة بين العباد.

بل إن سلاح الجوع من أمضى الأسلحة في أيدي أعداء الإسلام، وهو ما يقرره اليهود، ويحاولون الإفادة منه قائلين: «إن الحاجة يومية إلى الخبز، ستكره الأمميّين⁽⁷⁾ على الدوام إكراهاً على أن يقبضوا ألسنتهم، ويظلوا خدمنا الأذلاء»⁽⁸⁾.

فالأمر إذاً جد خطير، ولا بد من السعي من أجل العلاج وإيجاد الحل، ولعل هذا البحث يكون خطوة في هذا المجال.

المبحث الأول

إدارة مشكلة توفير الغذاء والتخطيط لها

من يتأمل ما جاء في سورة يوسف - عليه السلام - بشأن رؤيا ملك مصر، وتأويل يوسف - عليه السلام - لها - يجد أنها تنبئ عن أمرين لهما أهمية كبيرة في التصدي لمشكلة نقص الغذاء ومحاولة توفيره، ويتمثل هذان الأمران فيما يلي:

الأمر الأول: أهمية الإدارة والتخطيط من أجل توفير الغذاء.

الأمر الثاني: الصفات والخصائص التي ينبغي أن يتمتع بها من يتصدى لمشكلة توفير الغذاء. وفيما يلي تفصيل القول في كلا الأمرين:

الأمر الأول: أهمية الإدارة والتخطيط من أجل توفير الغذاء:

الإدارة الجيدة لأية مشكلة، والتخطيط لحلها من أهم العناصر التي تسهم في حل هذه المشكلة، والتغلب عليها.

ومصطلح الإدارة: يراد به «رعاية الأفراد، أو قيادة الغير نحو أهداف معينة»⁽⁹⁾، فإذا ارتبط هذا المصطلح بمشكلة ما، أو خطر معين، كان معناه: قيادة الأفراد من أجل الخروج من هذه المشكلة، وإتقاذهم من هذا الخطر؛ وفق أسلوب علمي يساعد على ذلك؛ ولذا عرف التجار إدارة الخطر بأنها: «الأسلوب العلمي لتحديد الأخطار، التي يتعرض لها الفرد، أو المشروع، وقياسها، ثم اختيار أنسب الوسائل لمواجهتها، أو لمواجهة الخسائر المترتبة عليها بأقل تكلفة ممكنة»⁽¹⁰⁾.

وبناءً على ذلك؛ يمكن القول بأن إدارة مشكلة توفير الغذاء تعني: قيادة الأفراد من أجل توفير الغذاء لهم، والتصدي للعوامل المؤدية إلى نقص أغذيتهم؛ وفقاً لأسلوب علمي على أساسه يتم اختيار أفضل الطرق لمواجهة هذه العوامل، وما يترتب عليها من خسائر بأقل ما يمكن من التكاليف.

ومن هذا يتضح أن الإدارة لا تنفك عن التخطيط، والتخطيط عبارة عن «أنشطة تتعلق بالمستقبل، وتعمل على صياغة الأهداف، وتحديد الوسائل والأساليب التي سوف تستخدم لتحقيق هذه الأهداف»⁽¹¹⁾.

فالتخطيط - إذا - عملية مستقبلية تتعلق بالاختيار الشد بين مجموعة من البدائل؛ للوصول إلى أهداف محددة بأحسن كفاءة ممكنة؛ وذلك باتخاذ قرار بشأن هذه الأهداف التي ينبغي تحقيقها في غضون فترة محددة مستقبلاً، وتعيين الوسائل التي عن طريقها يمكن إنجاز هذه الأهداف بأفضل كفاءة ممكنة، من خلال برنامج زمني محدد⁽¹²⁾.

وهذا ما قام به يوسف - عليه السلام - بوصفه المدير المتصدي لمواجهة مشكلة نقص الغذاء التي تعرضت لها البلاد في وقته؛ حيث وضع برنامجاً زمنياً محدداً بأربعة عشر عاماً، يتم خلالها التصدي للمشكلة عن طريق وسائل محددة وضعها - عليه السلام - وأشار إليها الحق - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سَبِيلَاتٍ خُضِرَ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ نَزَّرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ذَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَغْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَغْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 46-49].

فقد بدأت الآيات ببيان المشكلة التي تتعرض لها البلاد؛ من خلال عرض رؤيا العزيز على يوسف - عليه السلام - والتي ترمز للمشكلة تلميحاً لا تصريحاً، فأولها يوسف - عليه السلام - ومن خلال هذا التأويل أبرز ثلاثة عناصر رئيسة لهذه المشكلة وحلها:

العنصر الأول: طبيعة المشكلة، ونوعيتها، وهي تتمثل في سبع سنوات من القحط، سوف تواجه البلاد.

العنصر الثاني: الإمكانيات المتاحة أمام من يحاول التصدي لهذه المشكلة؛ وهي تتمثل في سبع سنوات من الخصب، تنعم فيها البلاد بالخير والنماء.

العنصر الثالث: الوسائل التي يمكن من خلالها مواجهة المشكلة، وهي الجد والادخار. ومن خلال هذه العناصر، حدد يوسف - عليه السلام - الهدف الذي يرمي إليه، وهو يتمثل في توفير الغذاء في سنوات القحط السبع؛ ثم أخذ في التخطيط من أجل الوصول إلى هذا الهدف، والتغلب على هذه المشكلة؛ فوضع خطة زراعية ذات مرحلتين؛ كل منهما تستمر سبع سنوات:

أما المرحلة الأولى: فهي تستغرق سبع سنوات، تمثل سنوات الجد والاجتهاد؛ للإفادة من الخصب وعناصر النماء الموجودة في هذه السنوات بأفضل صورة؛ للحصول على أكثر محصول ممكن في هذه الفترة؛ بحيث يزيد عن الحاجة، ويمكن الادخار منه لمواجهة سنوات القحط.

وأما المرحلة الثانية: فهي تستغرق سبع سنوات - أيضاً - يتم فيها الإفادة مما سبق ادخاره في المرحلة الأولى، مع وضع ما يلزم ذلك من أسس وضوابط تؤمن وصول الغذاء إلى مستحقيه.

وفي كل من هاتين المرحلتين تفصيلات كثيرة، يأتي بيانها في المبحثين القادمين بمشيئة الله تعالى؛ وإنما القصد من الإشارة إليهما هنا؛ هو بيان أن السورة الكريمة من خلال صنيع يوسف - عليه السلام - قد أكدت على أهمية الإدارة والتخطيط الجيد لمواجهة المشكلات، وقد كانت المشكلة هنا هي مشكلة نقص الغذاء ومحاولة توفيره.

وقد ألمحت الآيات إلى أن مواجهة هذه المشكلة لا بد أن تعتمد على نظر متأن في المشكلة وطبيعتها، يتم فيه تحليل عناصر هذه المشكلة، وبيان الإمكانيات المتاحة لمواجهتها، والتي بناءً عليها يمكن وضع خطة محكمة لهذه المواجهة؛ يمكن من خلالها التغلب على المشكلة، والتصدي لها.

ويستفاد من هذا أن التصدي لمشكلة الغذاء في العصر الحديث يستلزم ما يأتي:
أولاً: تحديد أبعاد المشكلة التي تواجه البلاد؛ وذلك من خلال الدراسات المتخصصة في مجال الغذاء بأنواعه، وإنتاجه، والتي تبين مقادير إنتاج الأغذية، ومقادير استهلاكها، ومدى كفاية هذه الأغذية لحاجة البلاد، ومدى العجز في بعضها، أو الزيادة في بعضها الآخر.

ثانياً: تحديد الإمكانيات المتاحة لمواجهة المشكلة من خلال الدراسات المتخصصة - أيضاً - في المجالات المتعلقة بالغذاء؛ مثل: الزراعة، والري، واستصلاح الأراضي، والثروة الحيوانية، والسمكية، والصناعات الغذائية؛ وذلك للوقوف على مواضع الضعف التي تحتاج إلى معالجة، ومواقع القوة التي يمكن الإفادة منها في حل المشكلة.

ثالثاً: وضع خطة محكمة لمواجهة مشكلة نقص الغذاء تعتمد على نتائج الدراسات السابقة عن طبيعة المشكلة، والإمكانيات المتاحة لحلها.

وهذه الخطة ينبغي أن توضع - أيضاً - وفقاً لدراسات متخصصة، تبين المدة المناسبة لتنفيذ هذه الخطة، وتقسيماتها الزمنية، وبيان أولوية المشروعات المختلفة في التنفيذ وفق الجدول الزمني المحدد لهذه الخطة.

ومن يقوم بوضع هذه الخطة والإشراف على تنفيذها لا بد أن تتوافر فيه العديد من الصفات والخصائص التي تؤهله للنجاح في مهمته، وقد أشارت السورة الكريمة - من خلال قصة يوسف - عليه السلام - في تصديه للسنوات العجاف - إلى أهم هذه الخصائص والصفات، وهو ما سيبينه البحث فيما يأتي:

الأمر الثاني: الصفات والخصائص التي ينبغي أن يتمتع بها من يتصدى لمشكلة توفير الغذاء: عند التصدي لمشكلة توفير الغذاء والتخطيط لها، ينبغي أن يوضع في الحسبان أن أية خطة توضع لحل هذه المشكلة، مهما بلغت دقتها، ومهما كانت درجة إحكامها وجودتها؛ فإنها لا تحقق الأهداف المنشودة منها إلا إذا قام على تنفيذها من يقدر على العمل بكفاءة مستندة إلى العلم بما يعمل، وبإخلاص يستند إلى الإيمان بقضيته، وهو ما يسمونه في عالم الإدارة والقيادة والوظائف العامة: (الرجل المناسب في المكان المناسب) (13).

ويسميه الشرع الحنيف: (إسناد الأمر إلى أهله)، ويجعل عدمه علامة على قيام الساعة؛ كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة» قيل: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة» (14).

إذن، فلا بد عند التفكير في مسألة توفير الغذاء، أن يسند الأمر في التخطيط لذلك وتنفيذه إلى من هو أهل له، والأهنية هنا هي أهلية القيادة، والذي يخطط لحل مشكلة عامة وغاية في الأهمية كمشكلة توفير الغذاء، لا بد أن يتمتع بمقومات القيادة، التي تؤهله لإدارة هذه المشكلة والتخطيط لها؛ «لأن القيادة تعني القدرة على التأثير في سلوك الأفراد، وتوجيهه نحو الأهداف المحددة، وبالتالي فالقائد: هو الشخص الذي يتميز بصفات معينة، تميزه عن باقي أفراد المجموعة، التي يتولى قيادتها، وهذه الصفات تخول له القدرة على التأثير في هؤلاء التابعين؛ للوصول إلى الأهداف المشتركة» (15).

وهذه الصفات التي تؤهل القائد للقيادة كثيرة جداً، يطول الأمر باستعراضها، وبيان أهميتها؛ وهو ما لا يتسع له حيز هذا البحث؛ بالإضافة إلى كونه أمراً مكروراً معاداً؛ فكثير

من الكتب قديماً وحديثاً قد تحدث عن هذه الصفات؛ ابتداءً من الكتب التي تتناول القيادة العامة في الدولة، فبينت الشروط الواجب توافرها في الحاكم⁽¹⁶⁾، أو الوزير⁽¹⁷⁾، وانتهاءً بالكتب التي تتناول إدارة المشروعات والأعمال التجارية⁽¹⁸⁾.

ولذا فسيكتفي البحث هنا ببيان الصفات التي يجب أن تتوافر فيمن يتولى أمر توفير الغذاء؛ كما نبهت إليها سورة يوسف عليه السلام.

والسورة الكريمة قد نبهت إلى بعض هذه الصفات تصریحاً، ونبهت إلى بعضها الآخر تلميحاً، ويمكن بيان هذا وذاك فيما يلي:

أولاً: الصفات التي صرحت بها السورة الكريمة:

صرحت السورة الكريمة بأربع صفات توافرت في يوسف - عليه السلام - وأهنته للتصدي لمشكلة القحط المنتظر، وتوفير الغذاء لسنوات الجذب القادمة.

وقد جاء التصريح بصفتين من هذه الصفات الأربع على لسان الملك، وجاء التصريح بالصفتين الأخريين على لسان يوسف - عليه السلام - نفسه.

أما الصفتان اللتان ورد التصريح بهما على لسان الملك؛ فهما كونه - عليه السلام - مكيئناً أميناً؛ وذلك في قوله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ» [يوسف: 54].

والمقصود بكونه - عليه السلام - مكيئناً؛ أنه صار ذا مكانة⁽¹⁹⁾، تؤهله لصنع ما يراه ويخطط له، وهو ما يدل عليه كلام المفسرين لهذه الآية؛ حيث قال الطبري⁽²⁰⁾: «فلما كلم الملك يوسف، وعرف براعته وعظم أمانته، قال له: إنك يا يوسف «لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ»؛ أي متمكن مما أردت، وعرض لك من حاجة قبلنا؛ لرفعة مكانك، ومنزلتك لدينا»⁽²¹⁾.

وكذلك ذكر القرطبي⁽²²⁾ أن «مَكِينٌ» بمعنى: متمكن نافذ القول⁽²³⁾، وذكر النسفي⁽²⁴⁾ أنها بمعنى: نو مكانة ومنزلة⁽²⁵⁾.

وهذا يعني أن من يخوّل إليه أمر حل مشكلة من المشاكل - كما في مشكلة توفير الغذاء هنا - لا بد أن يخوّل له من السلطة ما يمكنه من تنفيذ ما يريد في هذا الشأن؛ لأنه لو لم يكن ذا سلطة تجعل أمره مطاعاً؛ لما استطاع حل المشكلة.

وهذه السلطة تتحدد وفقاً لمتطلبات الخطة الموضوعية لحل هذه المشكلة، كما يتضح من قول يوسف - عليه السلام - للملك: «اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ» [يوسف:55]، فاقترح عليه نوع السلطة الذي يتناسب مع الخطة التي اقترحها لحل المشكلة.

والمقصود بكونه أميناً: أنه ذو أمانة، وهي صفة لا بد منها فيمن يتولى أمور الناس، لا سيما أمر أقاتهم وغذائهم؛ فلا بد فيمن يتولى ذلك أن يكون أميناً، لا يعمل بدافع الشهوة، وإنما يعمل لداعي الحكمة، والصالح العام⁽²⁶⁾، وهذا ما كان عليه يوسف - عليه السلام - وعرفه الملك منه؛ فاعترف له به، وكلفه بأمر غذاء الناس، وأمنه على خزائن الأرض.

وفي ذلك يقول الشوكاني⁽²⁷⁾: «لما تكلم يوسف في مقام الملك، جاء بما حبيبه إلى الملك، وقربه من قلبه، فقال له هذه المقالة - يعني: قوله: «إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» أي: ذو مكانة، وأمانة؛ بحيث يتمكن مما يريده من الملك، ويأمنه الملك على ما يطلع عليه من أمره، أو على ما يكله إليه من ذلك»⁽²⁸⁾.

وأما الصفتان اللتان ورد التصريح بهما على لسان يوسف عليه السلام فهما:
الصفة الأولى: كونه حفيظاً. وذلك في قوله تعالى: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ».

والمقصود بكونه حفيظاً: أنه أهل للمحافظة على ما يؤتمن عليه، كفو لما يتولاه.
الصفة الثانية: كونه عليماً. أي: أنه ذو علم بما يلزم من أجل تدبير الأمر الذي يتولاه، وهو ما يدل عليه أقوال المفسرين.

فقد قال ابن كثير⁽²⁹⁾: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ»: مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة، وذكر أنه «حفيظ»، أي: خازن أمين «عليماً»: ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وقال شيبه بن نعام⁽³⁰⁾: حفيظ لما استودعني عليماً بسني الجذب⁽³¹⁾.

وقال ابن الجوزي⁽³²⁾ في زاد المسير: في قوله تعالى: «إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ». ثلاثة

أقوال:

أحدها: حفيظ لما ولّيتني، عليماً بالمجاعة متى تكون.

والثاني: حفيظ لما استودعني، عليماً بهذه السنين.

والثالث: حفيظ للحساب، عليم بالألسن؛ وذلك لأن الناس كانوا يرثون على الملك من كل ناحية، فيتكلمون بلغات مختلفة⁽³³⁾.

ثانياً: الصفات التي ألمحت إليها السورة الكريمة:

ألمحت السورة الكريمة إلى بعض الصفات التي يجب أن تتوافر فيمن يلي أمراً من الأمور العامة ومصالح الناس، لا سيما ما يتعلق بأمر غذائهم وطعامهم، ومن هذه الصفات ما يأتي:

1- البراءة من التهمة:

لا بد أن يكون من يلي أمر الناس موثقاً به، بعيداً عن الشبهات، مبرءاً من التهم، وهو ما ألمحت إليه السورة الكريمة، حين رفض يوسف - عليه السلام - الذهاب إلى الملك بعد أن فسّر له الرؤيا إلا بعد إظهار براءته، على ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿54﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿55﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿56﴾ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿57﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ ﴿58﴾﴾ [يوسف: 50-54].

فقد سئل يوسف - عليه السلام - عن تأويل الرؤيا، فأولها حتى لا يكون كاتماً للعلم، لكن لم يبدِ رغبته في القيام بالأمر إلا بعد أن ظهرت براءته مما قد سبق أن نسبته إليه امرأة العزيز ظلاماً؛ حتى يلي ما يتولاه من أمر الناس، وهو بعيد عن التهمة والشبهة، فيكون أهلاً لتفتهم وطاعتهم له.

2- الخبرة:

ينبغي أن يختار لولاية أمر الناس - فيما يتعلق بتوفير غذائهم وغيره من له خبرة في هذا المجال؛ فليست أقوال الناس وقراراتهم سواء، وإنما في الغالب يكون قول أصحاب الخبرة في الأمر هو الأصح، وقراراتهم هي الأقرب للصواب، وهذا ما ألمحت إليه السورة الكريمة؛ حيث يظهر لمن يتأمل آياتها أن قول يوسف - عليه السلام - في أمر الرؤيا، وما أتى به من

حدوث الخصب والنماء، ثم الجذب والقطط - إنما قبل منه، وصدقته الملك وغيره فيه؛ بناءً على ما ظهر من قبل من صدق تأويله للرؤيا؛ فثبتت له الخبرة الصحيحة في هذا المجال، فقبل الناس قوله، وعملوا برأيه.

وتتمثل الخبرة القديمة التي عرفت عن يوسف - عليه السلام - في تأويل الرؤيا في تأويله لما رآه أصحابه في السجن؛ حيث قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَخَذَهُمَا مِنِّي أَنرَانِي أُعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَنرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:36].

فأخبرهما يوسف - عليه السلام - بتأويل ذلك قائلاً: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنَ أَمَا أَحْلَمَكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْراً وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:36]. ثم أوصى يوسف - عليه السلام - من ظن نجاته بأن يذكر أمره للملك، لكن هذا الرجل قد نسي وصية يوسف - عليه السلام - قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:42]. ولم يتذكر هذا الرجل أمر يوسف - عليه السلام - إلا بعد أن رأى الملك رؤياه، وحرار في تفسيرها، فعند ذلك تذكر الرجل يوسف، وما لديه من العلم بتأويل الرؤى، فطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف (عليه السلام)؛ ليأتي له بتأويل ما رأى.

3- الإيمان بالقضية:

لا شك أن من كان مؤمناً بقضية ما، كان أقدر على العمل من أجلها من غيره، وأكثر تحملاً للمشاق والمتاعب التي يتعرض لها في سبيلها. والإيمان بالقضية هنا فيما يتعلق بمشكلة توفير الغذاء: أن يكون من يتصدى للتخطيط لحل هذه المشكلة مدركاً - حقاً - لمدى خطورتها، وما يترتب عليها من فناء الأفراد والجماعات؛ مؤمناً بقدرته في مواجهة هذه المخاطر، واثقاً في خطته التي وضعها للتغلب على المشكلة.

وهذا ما ألمحت إليه السورة الكريمة؛ حيث وقع اختيار الملك على يوسف - عليه السلام -؛ ليتولى أمر تدبير أقوات الناس في تلك المدة التي كانوا مقدمين فيها على الخصب ثم الجذب؛ لأن يوسف - عليه السلام - هو صاحب التأويل وهو صاحب الخطة والحل، وهو

- بلا شك - أكثر الناس إيماناً بما يقول، وثقة بما رآه، ومن ثمَّ كان أقدر من غيره على التصدي لهذه المشكلة التي تنبأ بها، ولتنفيذ ما خطط له.

وخلاصة ما تقدم في هذا المبحث أن سورة يوسف - عليه السلام - قد نبهت إلى ضرورة التخطيط من أجل توفير الغذاء، وأن هذا التخطيط ينبغي أن يكون مبنياً على إدراك صحيح لطبيعة المشكلة وأبعادها، والإمكانات المتاحة لحلها، ثم يوضع لذلك خطة معتمدة على دراسات علمية متخصصة في الأمور ذات الصلة بالموضوع.

كما نبهت إلى أن من يقوم بالتخطيط لتوفير الغذاء، ويقوم على تنفيذ هذه الخطة، لا بد أن تتوافر فيه الصفات والخصائص التي تؤهله لذلك؛ كالأمانة، والعلم، والحفظ، والسلطة التي تمكن له، وتجعله مطاعاً، والبراءة من التهم، والبعد عن الشبهات، والخبرة المؤهلة له للعمل في هذا المجال، وإيمانه بعمله، والهدف الذي يرمى إليه، وغير ذلك من الصفات التي تعينه على النجاح في الوصول إلى هدفه المنشود؛ من توفير الغذاء وقت الحاجة.

المبحث الثاني

توفير الغذاء بزيادة الإنتاج

لما أنبا يوسف - عليه السلام - عن مشكلة القحط المؤدي إلى نقص الغذاء التي ستعرض لها البلاد في الأعوام المقبلة، لم يكتف بعرض المشكلة وبياتها، وإنما أشار بحلها؛ فقال: «تَزْرَعُونَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ» [يوسف:47]. والحل الذي أشار به يوسف - عليه السلام - لتوفير الغذاء في سني القحط والجذب، يبدأ من عنصر الإنتاج؛ باستغلال سنوات الخصب، الاستغلال الأمثل، الذي يمكن من خلاله زيادة الإنتاج إلى أقصى زيادة ممكنة؛ لتكون هذه الزيادة رصيذاً ونخراً، يسد حاجة الناس إلى الغذاء عند حاجتهم إليه.

وهذا الذي ذهب إليه يوسف - عليه السلام - هو ما يسميه الاقتصاديون المعاصرون بتخطيط الإنتاج؛ لتحقيق الاستغلال الكامل للطاقات الإنتاجية المتاحة⁽³⁴⁾، والوصول في استعمال الموارد الاقتصادية إلى حده الأقصى، وهو أمر يحث عليه الإسلام، بل إنه يُعَدُّ الإهمال أو التقصير في استخدام الموارد الطبيعية التي وهبها الله للإنسان، وعدم الاستخدام الأمثل والكامل للموارد البشرية والطبيعية المتوافرة في المجتمع - نوعاً من عدم الشكر لله - تعالى - على هذه النعم⁽³⁵⁾، فضلاً عن كونه نوعاً من العصيان للأمر الوارد في قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشَوْا فِي مَتَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» [الملك:15].

ومن الطبيعي أن يكون يوسف - عليه السلام - قد انتهر فرصة السنوات السبع المخصبة؛ فعمل على الاهتمام بالأراضي الزراعية الموجودة فعلاً في هذا الوقت، واعتنى بإصلاحها إصلاحاً يتيح لها إنتاج أقصى ما يمكن من الغلة من كل محصول تتم زراعته، وفي الوقت ذاته عمل على التوسع في الرقعة الزراعية؛ باستصلاح أراضٍ جديدة؛ يهيئ من خلالها أكبر مساحة ممكنة صالحة للزراعة⁽³⁶⁾.

وفي سبيل ذلك كان مباحاً ليوسف - عليه السلام - أن يفعل كل ما فيه مصلحة، تسهم في حل الأزمة التي يخطط لحلها دون تعدُّ على حدود الشرع؛ يدل لذلك ما ذكره القرطبي تعليقاً على قول يوسف - عليه السلام - في قوله تعالى: «قَالَ تَزْرَعُونَ سِنِينَ دَابًّا» الآية:

«هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية، التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية؛ ليحصل لهم التمكن من معرفة الله - تعالى - وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية»⁽³⁷⁾.

ويستفاد من ذلك أن العمل من أجل توفير الغذاء يقتضي العمل أولاً على زيادة إنتاج الغذاء؛ باستغلال كافة الإمكانيات المتاحة لذلك، وأن لولي الأمر أن يتخذ من القرارات كل ما يراه محققاً للمصلحة، وموصلاً إلى الهدف المنشود، وقد جاءت شرايع الإسلام مؤكدة لذلك كله، ويمكن إيضاح ذلك ببعض الأحكام على سبيل التمثيل لا الحصر، مع التركيز على ما يتعلق منها بمسألة توفير الغذاء دون غيره؛ وذلك كالاتي:
أولاً: تشجيع الإسلام على الزراعة:

الزراعة - أو الفلاحة كما أطلق عليها ابن خلدون⁽³⁸⁾ - تعني: «القيام على إشارة الأرض وزراعتها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه»⁽³⁹⁾.
ومعنى هذا: أن الزراعة تضم مجموعة من العمليات التي تهدف إلى تهيئة الأقوات للاستهلاك بدءاً من إعداد الأرض وتجهيزها بحرثها وإلقاء البذر فيها، ورعايتها بالسقي، والحفظ، وانتهاءً بنضج الزرع، وتحويله إلى غذاء للإنسان.

وقد عرف الإنسان الزراعة منذ أقدم الأزمنة وكانت سبباً في تقدمه وحضارته، حيث استطاع أن يطوع ما خلقه الله - سبحانه - في الأرض لخدمته ونفعه، ولم تتوقف أهمية الزراعة عند التاريخ القديم للإنسان، بل استمرت حتى الآن من أهم الأنشطة الإنتاجية، ولا تزال الزراعة حرفة ملايين البشر في شتى بقاع الأرض المختلفة، حيث يعتبر القطاع الزراعي في الوقت الحاضر واحداً من أهم القطاعات الاقتصادية في مختلف دول العالم.

ولقد حث الإسلام على استثمار الأرض وزراعتها؛ لأنها المصدر الرئيس لمد العالم كله باحتياجاته من المواد الغذائية، بل هي الوسيلة الطبيعية التي استخدمها الإنسان الأول من لدن آدم - عليه السلام - لتحصيل معاشه واكتساب رزقه.

ثم إن الزرع هو الغلة الطبيعية للأرض التي أمر الإنسان بعمارته وإصلاحها، ومنع الفساد فيها.

وقد عني القرآن الكريم بالزراعة، فبين أهميتها، ودلت نصوصه على أهمية توفير الغذاء وامتنان الله - سبحانه - على عباده بهذه النعمة العظيمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30]، حيث استخلف الله الإنسان في الأرض، واستخلفه فيها يقتضي عمارتها، وعمارته تكون بالزراعة والانتفاع بما في باطنها من معادن فيكون ذلك مطلوباً من الناس عامة، ومن المسلمين خاصة، لأنه من مقتضيات الاستخلاف العام للناس في الأرض.

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:141]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْك تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَخْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:39]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَبْصَابِ﴾ [الزمر:21].

وهذا كله امتنان من الله - سبحانه وتعالى - على عباده بما خلقه لهم وهياه من إنتاج زراعي متنوع وفير، يشبع احتياجاتهم كافة؛ ولذا يحثهم الله - تعالى - على تأمل ذلك، وشكر الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٥﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْنُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:33-35].

كما دل القرآن الكريم على أن الزراعة من أسمى الحرف، وأعلاها قدراً وقد استنبط ذلك الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِئَةٌ مِنْ حَبَّةٍ﴾ [البقرة:261]، فقال: «الآية دليل على أن اتخاذ الحرث من أعلى الحرف المتخذة للمكاسب ويشغل بها العمال؛ ولهذا ضرب الله بها المثل»⁽⁴⁰⁾.

وفي هذا - أيضاً - يقول الماوردي⁽⁴¹⁾: «الزراعات أصل المكاسب كلها وأطيب من البيوع وغيرها؛ لأن الإنسان في الاكتساب بها أحسن توكلًا وأقوى إخلاصًا وأكثر لأمر الله تفويضًا وتسليمًا»⁽⁴²⁾.

- وكما عني القرآن الكريم بالزراعة وإعلاء قدرها والحث عليها، عنيت بذلك - أيضاً - السنة النبوية كما يدل على ذلك ما رواه أصحاب السنن والآثار من أحاديث أبرزها ما يلي:
- 1- ما روي عن جابر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يزرعه أحد إلا كان له صدقة»⁽⁴³⁾ رواه مسلم في صحيحه، ومعنى «يرزوه» ينقصه.
- وفي رواية ثانية لمسلم أيضاً: «لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعا؛ فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا شيء إلا كانت له صدقة»⁽⁴⁴⁾.
- 2- ما روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل»⁽⁴⁵⁾.
- وهنا قد حث النبي ﷺ على الزراعة حتى في ظل أصعب الظروف.
- وقد قام النبي ﷺ بوضع التشريعات المنظمة لاستغلال الأراضي وتمويلها والاستثمار فيها، من مزارعة، ومساقاة، وسلم، وإجارة، كما وضع الضوابط الكفيلة بمنع النزاع بين الأفراد في تسويق المنتجات الزراعية.
- وقد دلت الآثار المروية عن أصحاب النبي ﷺ على اهتمامهم - أيضاً - بالزراعة والعمل بها وزيادة الإنتاج الزراعي، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين قرر ضرب الخراج على الأرض المفتوحة، كان قصده من ذلك أن تبقى الأرض عامرة بالزراعة، وأهلها أقدر من الغاتمين على ذلك لما يتوافر لديهم من الخبرة والقدرة على الزراعة، ولذلك أبقي عمر هذه الأرض المفتوحة تحت يد أصحابها، وأخذ منهم الخراج، وعلل ذلك قائلاً: «يكونون عمار الأرض؛ فهم أعلم بها وأقوى عليها»⁽⁴⁶⁾.
- وقد سلك عمر - رضي الله عنه - في ذلك مسلك النبي ﷺ حين فتحت خيبر، وصارت الأرض والأموال المغنومة تحت يده، ولم يكن له من العمال من يكفون عمارة الأرض وزراعتها، فدفعها إلى أهلها على أن يزرعوها ولهم، نصف ثمرها. وبقيت على ذلك طيلة حياة النبي ﷺ وحياة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حتى أجلاهم عمر - رضي الله عنه - إلى الشام⁽⁴⁷⁾.
- وكل هذه المعاني الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية وأثار الصحابة تعطي صورة صادقة عن عناية الإسلام البالغة بالنشاط الزراعي الذي يعدُّ - بلا شك - المصدر الأساسي لتوفير الغذاء في العالم.

وإذا كان الإسلام يشجع على الزراعة؛ لما لها من دور كبير في توفير الغذاء؛ فإنه يمكن قياساً على ذلك أن يُوصى البحث بالإكثار من مزارع الدواجن والأسماك والحيوانات؛ فكل ذلك مما يتدب إليه الشرع الحنيف بجامع أن الجميع يوفر الغذاء للإنسان، ويمكنه من عمارة الأرض والاستخلاف فيها؛ كما أراد الله تعالى.

وهنا يلتفت نظر الباحث جمال اللغة التي لم تجعل اسم المزرعة مقصوراً على ما ينتج الزرع؛ بل جعلته عاملاً في الدلالة على كل ما ينتج الغذاء، سواء كان نباتياً أم حيوانياً. ثانياً: تشجيع الإسلام على زيادة عناصر الإنتاج:

الإسلام لم يكتف بالبحث على استغلال ما يتاح للإنسان من عناصر الإنتاج، وإنما حثه على أن يبحث عن عناصر إنتاج جديدة، يضيفها إلى ما وجدته متاحاً له؛ فيتضاعف بهذا إنتاجه، ويعم الخير والنفعة، ومن ذلك فيما يتعلق بمسألة توفير الغذاء: تشجيع الإسلام على إحياء الموات⁽⁴⁸⁾، والترغيب في ذلك؛ بأن جعل الأرض الميتة التي يتم إحيائها ملكاً لمن أحيائها⁽⁴⁹⁾؛ ليكون ذلك حافزاً له على إحياء الأرض بعمارتها بالزرع وغيره؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعمر أرضاً ليست لأحد؛ فهو أحق بها»⁽⁵⁰⁾.

وروي عنه - أيضاً - ﷺ أنه قال: «من أحيأ أرضاً ميتة؛ فهي له»⁽⁵¹⁾.

وفي حديث ثالث: «من أحيأ أرض ميتة؛ فله فيها أجر، وما أكلت - أي: طلاب الرزق - منها فهو صدقة»⁽⁵²⁾.

وإعمار الأرض أو إحيائها يكون باستغلالها استغلالاً شرعياً، يحقق المصلحة للإنسان، أيًا كان نوع هذه المصلحة، ما دامت مصلحة مشروعة، والذي يهم البحث هنا هو استغلالها في الزراعة؛ لتوفير الغذاء.

ثالثاً: المنع من تعطيل عناصر الإنتاج:

منع الإسلام من تجميد المصادر الطبيعية المختلفة من عناصر الإنتاج التي يمكن استغلالها من قبل الأفراد، واعتبر تجميدها مؤدياً إلى فقدان حق الملكية⁽⁵³⁾.

ومما يتعلق من ذلك بما البحث بصدده هنا من أمر توفير الغذاء، نهى النبي ﷺ عن تعطيل الأرض عن الزرع، وأمره ﷺ من لديه أرض زراعية معطلة، لا يقوم هو بزراعتها - أن يمنحها غيره؛ ليزرعها، ولا يتعطل إنتاجها، وذلك فيما روى جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه»⁽⁵⁴⁾.

وقد رويت أحاديث أخرى بمعناه، وهي تدل على أنه يلزم من ملك أرضاً زراعية أن يقوم بزراعتها؛ سواءً بنفسه، أم بمن ينوب عنه، فإن لم يمكنه شيء من ذلك، تعيّن عليه أن يعطيها لمن يزرعها؛ لكيلا تصير أرضاً بوراً معطلة، لا جدوى منها ولا فائدة، فتكون كالمال الضائع الذي لا ينتفع به صاحبه، ولا غيره من أبناء مجتمعه.

فالإسلام - إذا - يدعو إلى توفير الغذاء من خلال الحثّ على زراعة الأرض؛ لتؤدي وظيفتها المنوطة بها؛ من توفير الغذاء بصرف النظر عن من يقوم بزراعتها هل هو مالكها، أم غيره؟ فالعبرة بالغاية، لا الوسيلة ما دامت وسيلة من الوسائل المشروعة، التي تعود على المجتمع بالصالح العام⁽⁵⁵⁾.

وبناءً على ذلك؛ قرر بعض العلماء أن للدولة الحق في انتزاع الأرض من صاحبها الذي يعطل إنتاجها، ويمتنع من استثمارها، وأن للدولة - حينئذٍ - الحق في تقرير الطريقة التي يمكن أن تستغل بها هذه الأرض بما يعود على المجتمع بالنفع، ولا يشترط هؤولاء العلماء مع ذلك الانتزاع أن يكون هناك تعويض لصاحب الأرض.

رابعاً: إعطاء الفرصة لمصادر الغذاء في النمو:

الباحث وهو يبحث في مسألة توفير الغذاء، دار بذهنه ما قرره الشرع الحنيف بخصوص الأضحية، والعقيقة، من أنه لا يجزئ منهما إلا ما بلغ سنّاً معينة من الحيوان، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تذبحوا إلا مسنة، فإن تعسر عليكم، فاذبحوا جذعة من الضأن»⁽⁵⁶⁾.

والمسنة هي الكبيرة - يعني: في السن - وهي ما بلغ خمس سنوات من الإبل، وما بلغ سنتين من البقر، وما بلغ سنة من المعز، وما بلغ سنة أو ستة أشهر من الضأن على الخلاف المذكور بين الفقهاء في ذلك⁽⁵⁷⁾.

وقد خطر ببال الباحث - ها هنا - حكمة جليلة من النهي عن ذبح غير المسنة، ترتبط بمسألة توفير الغذاء؛ ولم يشغل الباحث أن يبحث عنها في كتب الفقهاء بقدر ما شغله التنبيه عليها؛ فهي حكمة رآها الباحث في هذا النهي، وربط بينها وبين مسألة توفير الغذاء، بصرف النظر عن أن يكون قد ذكر ذلك أحد من الفقهاء السابقين أم لا؛ وهذه الحكمة تتمثل في إعطاء الفرصة لهذا الحيوان في النمو؛ فيكون أكثر لحمًا؛ ولا شك أن هذا أكثر توفيراً للغذاء،

فضلاً عن أن - أي حيوان - يكون قد خرج من نسله أكبر عدد متاح من بني جنسه؛ يكون ذخراً للصرح الغذائي، مما يصب في دائرة الوفرة الغذائي وحسن التخطيط.

وقد رأى الباحث أن النهي في الحديث عام، يمكن أن يتجاوز به أمر الأضحية أو العقيقة؛ ليعم على جميع الذبائح؛ سواء ما قصد بها الأضحية أو العقيقة أو غيرها؛ وبناءً على ذلك يجوز للدولة المنع من ذبح الحيوانات الصغيرة، وتحديد سن معينة لكل حيوان، لا يصرح بذبحه إلا عند بلوغها، ما لم يكن هناك ضرورة تدعو إلى الذبح؛ كخوف هلاكه أو موته.

فإن ذلك يعطي لمصادر الغذاء الحيواني الفرصة الكاملة في النمو؛ لتكون أوفر لحمًا؛ وهو ما يسهم بشكل فاعل في مسألة توفير الغذاء.

ومن الممكن أن يوصى هنا بأن يكون التركيز في الذبائح على ذكور الحيوانات دون إناثها؛ فيستفاد من لحوم الذكور، وفي الوقت ذاته تُعطى الفرصة للإناث في الحياة؛ فيستفاد من لبنها، وما يستخرج منه من جبن وزبد، وغير ذلك من منتجات الألبان التي يُعول عليها كثيرًا في عالم الغذاء فضلًا عن استيلائها.

كما أنه يمكن أن يتوسع في أمر إعطاء الفرصة في النمو لمصادر الغذاء؛ لتشمل الأسماك - أيضًا - فيرى الباحث أنه لا بأس من أن يقن أمر الصيد بما يتيح ذلك؛ كأن يمنع الصيد مثلًا بالشباك ذات العيون الصغيرة؛ لتعطى الفرصة - بذلك - للمسمك الصغير في النمو، ثم يُصطاد كبيرًا؛ فيكون أوفر لحمًا.

وخلاصة القول في هذا المبحث: أن سورة يوسف قد نيهت إلى أن التصدي لمشكلة توفير الغذاء يبدأ أولاً بالاهتمام بزيادة الإنتاج الغذائي، والذي تمثل في الإنتاج الزراعي في السورة الكريمة، وليس هناك ما يمنع من التعدي إلى الإنتاج الحيواني، فيشمل الزيادة من إنتاج الدواجن والبهائم والأسماك.

وقد جاء الإسلام بكثير من المبادئ والأحكام التي تدعو إلى زيادة الإنتاج الغذائي بمختلف أشكاله، وتدعم توفير الغذاء بصوره المختلفة؛ فشجعت على الزراعة، وإحياء الموات، وحذرت من تعطيل الأرض عن الزراعة.

وهنا لا بد من التنبيه إلى خطورة الوضع الراهن في كثير من البلدان العربية والإسلامية، والذي يخالف مخالفة واضحة ما جاء به الشرع الحنيف من الحث على إحياء الموات والتحذير من تعطيل الأرض عن الزراعة.

فقيماً يتعلق بإحياء الموات: يلاحظ تقاعس كبير من العرب والمسلمين في هذا المجال؛ فلا تزال المساحات الأكبر في الدول العربية والإسلامية مواتاً لا تُستغل، ولا يُنتفع بها بوجه من وجوه الانتفاع.

فعلی سبيل المثال: في مجال الزراعة تبلغ مساحة الأراضي التي يمكن اعتبارها أراضي زراعية في العالم الإسلامي نحو (22) اثنين وعشرين بليون كيلو متر مربع⁽⁵⁸⁾، من إجمالي المساحة الجغرافية التي تحتلها الدول الإسلامية، والتي تبلغ (30) ثلاثين مليار كيلو متر مربع، وهو ما يزيد على ثلثي المساحة الإجمالية، ولكن ما يتم زراعته من هذه المساحات الشاسعة، لا يتعدى (2420) ألفين وأربعمائة وعشرين مليون كيلو متر مربع، أما باقي المساحة وقدرها (9580) تسعة آلاف وخمسمائة وثمانون مليون كيلو متر مربع فغير مستغل ولو استغل لوفى باحتياجات العالم كله وزاد عن الحاجة، ولزاد متوسط نصيب الفرد المسلم من الأراضي الزراعية عن متوسط نصيب الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية التي تمتلك أكبر فائض غذائي في العالم⁽⁵⁹⁾.

وهذا يعني أن الله - عز وجل - قد وهب العالم الإسلامي، بل وهب الإنسان عامة من الموارد الأرضية الصالحة للزراعة ما يزيد عن حاجته، لو أنه أحسن استغلاله⁽⁶⁰⁾؛ وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56]؛ حيث قيل في تفسيره: «إن رزقي لكم واسع، فابتنفوه في الأرض»⁽⁶¹⁾. نعم فأرزاق الله كثيرة، وخيراته وفيرة، ونعمه لا تُعد ولا تُحصى، ولكن الإنسان هو الذي يقصر، ولا يبتغي الرزق من الله - تعالى - كما ينبغي.

المبحث الثالث

توفير الغذاء عن طريق الادخار وترشيده الاستهلاك، والعدالة في التوزيع

من العناصر الأساسية التي اعتمد عليها يوسف - عليه السلام - في خطته لتوفير الغذاء لسنوات الجذب - عنصر الادخار والتخزين، وهو ما أشار إليه الحق - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف:47]، فأمرهم بأن يدعوا الحبوب في سنابلها؛ لكيلا تصاب بالتسوس⁽⁶²⁾، وهي طريقة من طرق ادخار الحبوب في هذا الوقت، وهي ليست ذات أهمية في نفسها، وإنما أهميتها تنبع من التنبيه على مبدأ ادخار الغذاء لسد النقص المتوقع فيه في زمن محدد.

فلم يكن ليوسف - عليه السلام - وهو يواجه أزمة الغذاء المتوقعة في السبع العجاف بَدْء من أن يقوم بتخزين الفائض من الغذاء في سنوات الخصب، دون أن يتعرض للتلف أو الضياع؛ ولذا أمر - عليه السلام - ببناء المخازن التي تلزم لتخزين الحبوب وحفظها طيلة هذه المدة الطويلة التي بلغت أربعة عشر عاماً من السوس والأمطار واللصوص... إلخ⁽⁶³⁾. وقد طلب يوسف - عليه السلام - من الملك أن يوليه النظر فيما يتعلق بأمر هذه الأهرام، فقال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف:55]، وإنما طلب منه ذلك؛ لما يتوقع - عليه السلام - من حصول الخلل في هذه الأهرام بعد مضي سنوات الخصب السبع، فأراد أن يكون هو الناظر في أمرها؛ لينظر فيها بما يرضي الله - عز وجل - في خلقه من الاحتياط لهم، والرفق بهم⁽⁶⁴⁾.

وفضلاً عن ذلك فإن يوسف - عليه السلام - كان على أتم الاستعداد لتحمل المسؤولية كاملة؛ كي يوفقه الله - تعالى - إلى إنقاذ البلاد والعباد من المجاعة المقبلة، لكنه كان بحاجة إلى السلطات التي تقابل هذه المسؤولية التي تحملها؛ كي يمكنه من خلال هذه السلطات أن يقوم بواجبات مسؤوليته⁽⁶⁵⁾، ووظيفته الجديدة؛ فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض؛ بمعنى أن هذه السلطة التي طلبها يوسف - عليه السلام - لم تكن سلطة تشريف، وإنما كانت سلطة لازمة من أجل التكليف الذي كلف يوسف نفسه به أولاً، وكلفه به الملك ثانياً من إنقاذ الناس من خطر الجوع القادم بتوفير الغذاء لهم.

وإذا كان يوسف - عليه السلام - يسعى إلى ادخار الأغذية لمواجهة العجز المنتظر في الغذاء؛ فإنه لن يمكنه ادخار شيء من هذه الأغذية ما لم يقم بعملية ترشيده واع

للاستهلاك، بتحديد كمية معينة من الغذاء تكفي الحاجة الضرورية لكل فرد، مع وجود عدالة في التوزيع تكفل وصول الكمية المقررة لكل فرد من الغذاء إليه طبقاً للخطة الموضوعية؛ حتى لا تمتلئ بعض البطون على حساب البعض الآخر، وقد بدأ يوسف - عليه السلام - في ذلك كله بنفسه أولاً؛ حيث روي عنه أنه كان لا يشيع من طعام في سنوات الجذب، فقيل له: أنتجوع وببئك خزائن الأرض؟ فقال: إني أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع⁽⁶⁶⁾.

ولم يقف الباحث في شيء من المصادر والمراجع على الطرائق والوسائل التي اتبعها يوسف - عليه السلام - في الادخار والتخزين والتوزيع، ولكن مما لا شك فيه أن يوسف - عليه السلام - قد نجح في قيادة الأزمة، وتخطاها بنجاح منقطع النظير، فلا بد أنه سار على طرق صحيحة، واتبع وسائل مجدية؛ كفلت له بقاء الغذاء صالحاً طيلة أربعة عشر عاماً دون أن يفسد، أو تمتد إليه أيدي اللصوص، وأصحاب الأهواء.

وأياً كان أمر هذه الطرق والوسائل التي اتبعها يوسف - عليه السلام - في ادخار وتخزين الغذاء وتوزيعه - فإن أمرها في حد ذاته لا يُعدُّ أمراً ذا بال، وإنما الذي يجب أن يشغل البال هو المبادئ نفسها التي أرساها يوسف - عليه السلام - في قيادته لأزمة الغذاء وتوفيره.

وهذه المبادئ - كما تقرر - هي الادخار، وترشيد الاستهلاك، والعدالة في التوزيع، وهي مبادئ إسلامية، يدعو إليها الشرع الحنيف، ويحث عليها.

فقد أمر الإسلام بمطلق العدل، وحرّم مطلق الظلم، فقال تعالى: ﴿اغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، وقال جل شأته: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَنَا شَفِيعٍ يَطَاعُ﴾ [غافر: 18]، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: 71].

وقال النبي ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»⁽⁶⁷⁾، وقال أيضاً: «إن الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»⁽⁶⁸⁾، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي ترغب في العدل، وتحذر أشد التحذير من الظلم.

كما دعا القرآن والسنة النبوية أيضاً إلى الاخيار، وترشيد الاستهلاك، وعدم إضاعة المال، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّوْا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، [الأعراف: 31] وقال - جل شأنه - في صفة عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67].

وجعل الله - عز وجل - المبذر أخاً للشيطان، فقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27].

وقال النبي ﷺ: «إن الله - تعالى - يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»⁽⁶⁹⁾.

وهنا لا بد من التفريق بين ترشيد الاستهلاك والبخل، فإن ترشيد الاستهلاك لا يعني أن يكون الإنسان شحيحاً بخيلاً؛ فإن البخل والشح مذمومان في الإسلام؛ كما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿١٠﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿١١﴾ فَسَنَسِرُهُ لَعْنَتِي ﴿١٢﴾ وَمَا يَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: 8-11]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

وقال النبي ﷺ: «اتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»⁽⁷⁰⁾.

والمسلم مأمور بالإنفاق والجود، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: 39]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 272].

وقال النبي ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم، أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم، أعط ممسكاً تلفاً»⁽⁷¹⁾.

إن فالإسلام يأمر بترشيد الاستهلاك، وفي الوقت ذاته يأمر بالجود، وينذم البخل والشح؛ فدل هذا على أن ترشيد الاستهلاك ليس من البخل في شيء، وإنما هو اعتدال وتوسط، بعيداً عن التبذير أو الإسراف.

ومن هذا يتضح أن الإسلام يدعو إلى التوازن في الاستهلاك والإنفاق، وهو سبيل متميز ومختلف عن كل من البخل والإسراف والتبذير⁽⁷²⁾.

وخلص القول في هذا المبحث: أن مسألة توفير الغذاء تقتضي العدالة في توزيع الغذاء، وترشيد استهلاكه؛ ليتوافر جزء منه، يمكن تخزينه للأوقات التي قد تحدث فيها معاناة من نقص الغذاء، وهي مبادئ إسلامية، دعت إليها نصوص القرآن والسنة، ونبه عليها يوسف - عليه السلام - عندما اضطلع بتوفير الغذاء، عندما أصيبت البلاد في عهده بالفقح والجذب، وقد كانت له - عليه السلام - طرقه ووسائله وأنظمته التي استطاع بها أن يرشد الاستهلاك، وأن يدخر الغذاء، ويخزنه دون أن يتلف، أو يسرق، أو ينهب.

ولا شك أن التكنولوجيا الحديثة في هذا العصر يمكن أن توفر كثيراً من الوسائل والطرق في التخزين والتأمين والتوزيع، ما لم يكن متوافراً له - عليه السلام - وهذا يعني أن فرص النجاح أمام حكام هذا العصر وقادته ومفكره وعلمائه في التغلب على أزمة الغذاء - أفضل بكثير مما كان متاحاً أمام يوسف - عليه السلام - لكن ينقصهم إخلاص، وصدق وإيمان وجد كإخلاص يوسف وصدقته وإيمانه وجدّه واجتهاده - عليه السلام - من أجل التغلب على الأزمة التي واجهت البلاد في عهده.

فلا مناص - إذاً - من أن يدرك الجميع خطر المشكلة التي تنتظرهم؛ ويعملوا بجد على وضع الحلول لها.

فلا بد من بناء صوامع ومخازن آمنة مصممة تصميمًا جيدًا، تحفظ الأغذية من الفساد أو النهب.

ولا بد من الاهتمام بالصناعات الغذائية من تطيب للأغذية ونحوه، مما يطيل فترة صلاحيتها؛ للاستفادة من بقائها أطول فترة ممكنة.

ويدخل في هذا - الاهتمام بتمليح الأسماك الزائدة عن الحاجة، بتحويلها إلى سردين أو فسيخ ونحوه، مما يطيل أيضاً فترة الاستفادة من الأسماك، ولا عبرة بقول من لا يجيز ذلك في الأسماك، وحسبهم قول الدرديري⁽⁷³⁾ من علماء المالكية: «الذي أدين الله به أن الفسيخ طاهر؛ لأنه لا يمتح ولا يرضخ إلا بعد الموت، والدم المسفوح لا يحكم بنجاسته إلا بعد خروجه، وبعد موت السمك إن وجد فيه دم يكون كالباقى في العروق بعد الذكاة الشرعية، فالرطوبات الخارجة منه بعد ذلك طاهرة، لا شك في ذلك»⁽⁷⁴⁾.

وقبل بناء الصوامع والمخازن والتعليب والتمليح وغيره مما يلزم لإدخال الغذاء، لا بد أن يكون القائمون على ذلك من ذوي العلم والبصيرة والتقوى والصدق والورع؛ ليتسنى لهم النجاح في مهمتهم، ولينظروا في أمر غذاء الناس بما يرضى الله - عز وجل - في خلقه من الاحتياط لهم، والرفق بهم؛ كما كان يفعل يوسف عليه السلام.

المبحث الرابع

توفير الغذاء عن طريق التبادل التجاري

إن كون التخزين والادخار وسيلة من وسائل توفير الغذاء، لا يعني أن يكون هناك احتكار للغذاء، فإن الاحتكار مذموم في الإسلام، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»⁽⁷⁵⁾ كما روي - أيضاً - أنه ﷺ قال: «من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله، ويرى الله منه»⁽⁷⁶⁾.

والاحتكار يعني: الامتناع عن بيع السلع، وحبسها بما يؤدي إلى وقوع الضرر على الناس بسبب ذلك.

فالبيون - إذن - شاسع بين التخزين والاحتكار؛ فالتخزين يراد به حفظ ما زاد عن حاجة الناس؛ لدفع الضرر عنهم عند حاجتهم إليه في وقت عدم وجوده، فالهدف منه مصلحة الناس ونفعهم⁽⁷⁷⁾.

أما الاحتكار؛ فهو تخزين لما يحتاج إليه الناس، ومنعه عنهم؛ طمعا في زيادة السعر⁽⁷⁸⁾، والإكثار من المال؛ باستغلال حاجة الناس، وهذا هو التخزين والحبس المحرم؛ فلا يجوز بحال من الأحوال تخزين ما يحتاج إليه الناس، ويتضررون بمنعه عنهم، أما تخزين ما لا ضرر في تخزينه؛ للحاجة إليه لمدة معينة، فليس من الاحتكار المحرم.

ومن هذا يتضح أنه ينبغي أن يكون التبادل التجاري مفتوحاً من أجل توفير الغذاء لمن يحتاج إليه؛ فلا يجوز لدولة من الدول أن تحتكر الأغذية، وتمنع تصديرها إلى الآخرين، وهذا ما أكدته يوسف - عليه السلام - عملياً حين سمح لأهل البلاد المجاورة التي أصيبت بالقحط والجذب في الفترة التي أصيبت فيها مصر بذلك - أن يأتوا إلى مصر، ويشتروا الطعام بما معهم من بضائع أخرى، وهو ما أشار إليه الحق - سبحانه وتعالى - بذكر مجيء إخوة يوسف إليه؛ ليمتاروا لأهلهم، وما حدث بينهم وبين يوسف - عليه السلام - خلال ذلك من محاورات ومواقف؛ وذلك من قوله تعالى: (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) [يوسف: 58]، إلى قوله تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) [يوسف: 102]، ومروراً بقوله تعالى: (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزِدُّنَا كَيْدَ بَعِيرِ ذَلِكَ كَيْدٌ يَسِينٌ) [يوسف: 65]، وقوله سبحانه: (فَلَمَّا دَخَلُوا

عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِنْنَا بِيضَاعَةَ مَرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿يوسف: 88﴾.

حيث دلت هذه الآيات على أن خطة سيدنا يوسف - عليه السلام - لتوفير الغذاء في سني القحط، قد راعت العلاقات الإنسانية والتجارية مع الشعوب التي كانت تعاني من الأزمة نفسها، وتحتاج إلى الطعام والغذاء؛ فكان يوسف - عليه السلام - يقايضهم؛ فيعطيهم الطعام، ويأخذ منهم المال من الذهب أو الفضة أو البضائع والسلع المختلفة، حتى وإن كانت هذه البضاعة التي يقايضه بها الآخرون بضاعة مزجاة أي: مختلطة أو رديئة، وهو ما يؤكد أن يوسف - عليه السلام - كان كل همه مساعدة الآخرين، الذين ندرت مواردهم، ومساعدتهم مع التغاضي عن القيمة الحقيقية للطعام الذي يقدمه إليهم؛ إعلاءً لشأن العلاقات الإنسانية⁽⁷⁹⁾. وهو مبدأ يقره الإسلام، ويدعو إليه؛ حيث لم يغفل الإسلام أمر العلاقات الإنسانية الدولية؛ لأن البشر ما خلقوا إلا ليتعارفوا، ويتألفوا، وإن تنوعت أجناسهم، واختلفت ألسنتهم، وتباعدت المسافات التي تفصل بينهم؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الإسلام ينظر إلى التبادل التجاري على أنه ضرورة إنسانية واقتصادية، ونتيجة حتمية لحقيقتين أكدهما الشارع الحكيم:

إحدهما: أن الله - عز وجل - قد خلق البشر متفاوتين في المواهب، والقدرات، والاستعدادات؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22].

والثانية: أنه سبحانه خلق الموارد الطبيعية مختلفة ومتفاوتة أيضاً من بلد لبلد آخر؛ كما ونوعاً؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: 13].

وبناءً على هاتين الحقيقتين، فإن إنتاج البشر يختلف كما ونوعاً من بلد إلى بلد آخر، وإنتاج كل بلد لا يفي بجميع احتياجاته، وإنما يكون لديه نقص في بعض الاحتياجات في مقابل وجود فائض لديه في أشياء أخرى، ومن هنا كان التبادل التجاري ضرورة⁽⁸⁰⁾؛ إذ لا مفر من أن تمنح الدولة الفائض عندها لمن يحتاج إليه من الدول الأخرى المجاورة؛ لتمتدح أن تأخذ منهم ما تحتاج إليه مما هو فائض عندهم.

والخلاصة أن الإسلام يقر التبادلات التجارية المشروعة بين الدول المختلفة، ويراها ضرورة اقتصادية، وقد لفت يوسف - عليه السلام - الأنظار إلى أن هذه التبادلات وسيلة ناجحة لتوفير الغذاء لمن يحتاج إليه؛ فأرشد بذلك الإنسانية إلى إحدى الوسائل المهمة التي يمكن بها توفير الغذاء.

الختام

وفي ختام الحديث عن قضية توفير الغذاء العالمي من خلال سورة يوسف - عليه السلام - يمكن القول بأن البحث في هذه القضية قد أبرز عددا من النتائج والحقائق، والتي يمكن بيان أهمها فيما يلي:

أولاً: إن مسألة توفير الغذاء العالمي في العصر الحاضر، لم تعد مسألة ثانوية، ولا قضية هامشية، وإنما هي ركن ركين في الهم العالمي، ومن القضايا التي لا تحتمل التأجيل والتسويف، أو التراخي والإهمال؛ نظراً لخطورة مسألة نقص الغذاء التي تدق أجراس خطر كثيرة وهي خطورة بالغة، تفوق خطورتها تصور كثير من الناس؛ لأنها تهدد أمن الإنسان وقيمه ومبادئه، حتى عقيدته؛ فكم من أناس بدلوا دينهم فراراً من الجوع، واستجابوا لحملة التبشير ونحوها، الأمر الذي يحتم على الجميع التكاتف والتآزر؛ لحل مشكلة نقص الغذاء، وتوفير الغذاء العالمي.

ثانياً: تأكد من خلال هذا البحث أن الإسلام ليس فقط شريعة روحية أخروية، وإنما هو دين شامل، يجمع بين سمو بالروح، والارتقاء بالمادة، وينظم أمور الدنيا والآخرة جميعاً.

وفي تنظيم أمور الدنيا جاء تنظيمه تنظيمًا شاملاً لجوانب الحياة كافة: سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً.. إلخ، وهذا المجال الأخير - مجال الاقتصاد - هو الذي يهتم البحث هاهنا، وقد ظهر أن الإسلام، لم يأت فقط بمجرد تعاليم اقتصادية، وإنما جاء بنظام اقتصادي محكم، له أصوله وأسمه، التي تميزه عن سائر الأنظمة الاقتصادية، وتعطيه الأفضلية المطلقة عليها.

ثالثاً: وقد ظهر أن تناول سورة يوسف لقضية توفير الغذاء، يعد نموذجاً مثالياً للعلاج الإسلامي للقضايا المختلفة، الذي لا يكتفي بأنصاف الحلول، وإنما يقتلع المشكلة من جذورها، ويجتث أصولها؛ ولهذا لم تكف السورة بعلاج مشكلة نقص الغذاء بمجرد مسكنات وقتية، لا يلبث أن يزول أثرها سريعاً، ولم تعالج القضية علاجاً سطحياً لا يسير الأغوار، وإنما عنيت باستئصال جرثومة المرض، وقلع الداء من جذوره، من خلال التخطيط المحكم، والإدارة الجيدة، والمتابعة الصارمة، والتنفيذ الدقيق؛ لحل الأزمة؛ ومن ثم كان تناول القرآني لمسألة توفير الغذاء من خلال هذه السورة الكريمة - نموذجاً رائعاً لمنهج تخطيطي علمي وعملي، يمتاز بالدقة والإحكام.

وفي ضوء هذه الحقائق والنتائج يوصي البحث بما يلي:

أولاً: تقدير المسألة حق قدرها، واستشعار خطورتها كما ينبغي؛ لوضع الحلول اللازمة لها، ووقف الاعتداءات الصارخة على مصادر الغذاء، لا سيما الأراضي الزراعية التي تتعرض لهجوم شرس، ينقص منها الكثير بلا هوادة؛ فيحولها من أراضٍ منتجة للغذاء إلى امتدادات عمرانية، أو أراضٍ عقيمة فقدت خصوبتها بعد تجريفيها.

ثانياً: استلهام الهدي القرآني في حل مشكلة توفير الغذاء، والذي كشف عن أهمية التخطيط بوصفه عنصراً من عناصر الإدارة الناجحة، ويُعدُّ من أهم المقومات في علاج القضايا الاقتصادية؛ فضلاً عما نبه عليه من أهمية العدالة في التوزيع، والتبادل التجاري، وغير ذلك مما مضى بيانه في ثنايا البحث.

ثالثاً: الاهتمام بمصادر الإنتاج الغذائي؛ فلا يُعطل شيء منها، والعمل على زيادة إنتاجية هذه المصادر، وإضافة مصادر جديدة إلى المصادر الحالية المتاحة عن طريق استصلاح الأراضي، والتشجيع على الاستثمار في المجال الزراعي، وفي مجال الغذاء بإنشاء مزارع للدواجن والأسماك والحيوانات ومناحل لإنتاج العسل، وتشجيع الصناعات الغذائية.

رابعاً: الاهتمام بالأبحاث والدراسات العلمية في مجال الغذاء ومصادره؛ للتوصل إلى إمكانات يمكن من خلالها زيادة خصوبة الأراضي الزراعية، وزيادة إنتاجها من المحاصيل الزراعية، وزيادة إنتاج الدواجن من البيض، وإنتاج البهائم من اللبن، وإنتاج أعلاف أفضل لتسمين الحيوانات، ونحو ذلك مما يسهم في زيادة الإنتاج الغذائي.

والله ولي التوفيق.

الهوامش

1. أخرجه الترمذي (513/4) كتاب الزهد، باب: في التوكل على الله، رقم (2344)، وابن ماجه (1394/2) كتاب الزهد، باب: التوكل واليقين، رقم (4164)، والحاكم (318/4) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
2. ينظر: موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، د. سميح دغوم، وسلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، (611/1-614).
3. ينظر: الاقتصاد في الإسلام، حمزة الجمعي الدموهي، ص (95، 96).
4. ينظر: منهج الدعوة في سورة يوسف عليه السلام، ص (197 - 199).
5. يشهد لذلك - مثلاً - عام الرمادة الذي وقع في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعدم إقامة عمر - رضي الله عنه - حد القطع على السارقين في هذا العلم؛ نظراً للمجاعة التي حلت بهم. ينظر: فيض القدير (436/6)، والحاوي الكبير (313/13)، وإعلام الموقعين (10/3).
6. يشهد لذلك قولهم في الأمثال: «تجوع الحر، ولا تأكل بئديها»؛ فإن فيه إشارة صريحة إلى أن الجوع قد يكون سبباً للاستغلال بالدعارة. ينظر: الأمثال لأبي الشيخ الأصبهاني، ص (421)، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (255/1).
7. الأمميون: جمع (أمي)، وهو اسم يطلقه اليهود على كل من هو غير يهودي.
8. الخطر اليهودي، ترجمة: محمد خليفة التونسي، ص (173).
9. الإدارة العامة بين النظرية والتطبيق، د/ محمد عثمان إسماعيل حميد، ود/ حمدي مصطفى المعاز، ص (10).
10. إدارة الخطر والتأمين، د/ مدوح حمزة أحمد، ص (149).
11. إدارة الإنتاج والعمليات، د/ سمير علام، ص (112).
12. ينظر: الإدارة العامة بين النظرية والتطبيق، ص (242).
13. ينظر: الاقتصاد في الإسلام، ص (34).
14. أخرجه البخاري (188/1)، كتاب الظلم، باب: من سئل علماً، وهو مشغول في حديثه. فأنم الحديث، ثم أجاب السائل، رقم (59)، و(404/11) كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، رقم (6496).
15. الإدارة العامة بين التنظير والتطبيق، ص (267).
16. ينظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص (6-19)، ومقدمة ابن خلدون، ص (193)، والنظريات السياسية الإسلامية، د/ محمد ضياء الدين الريس، ص (287-295)، والمدخل إلى دراسة النظام السياسي في الإسلام، د. عبد الرحمن سالم، ص (104-119).
17. ينظر: قوانين الوزارة وسياسة الملك، للماوردي، تحقيق ودراسة د/ صلاح الدين بسيوني رسلان، ص (41-47، 66-82).
18. ينظر: الإدارة العامة بين التنظير والتطبيق، ص (269-272).
19. ينظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (483/2).
20. هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، الأملئ البغدادي، الإمام العلم، صاحب التصانيف العظيمة والتفسير المشهور والتاريخ العلم، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين هـ. توفي في شوال

- سنة عشر وثلاثمائة هـ. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه (100/1).
21. ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (4/13).
22. هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، أندلسي من أهل قرطبة، أنصاري من كبار المفسرين. من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بالمور الآخرة، وغير ذلك. توفي سنة إحدى وستين وسبعمائة هـ. ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون المالكي، ص (317).
23. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (212/9).
24. هو: عبد الله بن أحمد بن محمود، حافظ الدين، أبو البركات، النسفي. صاحب تصانيف المفيدة في الفقه والأصول. له «مدارك التنزيل» و«المستقصى في شرح المنظومة»، وغير ذلك. توفي سنة عشر وسبعمائة هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (352/2).
25. ينظر: تفسير النسفي، للإمام النسفي (194/2).
26. ينظر: منهج الدعوة في سورة يوسف، ص (213).
27. هو: محمد بن علي بن محمد الشوكلي، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف هـ، بهجرة شوكان، ونشأ بصنعاء، وولى قضاءها سنة تسع وعشرين ومائتين وألف هـ، وهو فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن. من مصنفته: نيل الأوطار شرح منقلى الأخبار للمجدد بن تيمية، وفتح القدير في التفسير، وغير ذلك. توفي سنة خمسين ومائتين وألف هـ.
- ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكلي (214/2 - 225).
28. ينظر: فتح القدير للشوكلي (35/3).
29. هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن ذريح القرشي البصري ثم الدمشقي. أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه. ولد سنة إحدى وسبعمائة هجرية. من تصانيفه: البداية والنهاية، تفسير القرآن الكريم، وغيرهما، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة هـ. ينظر: الدرر الكامنة (373/1).
30. هو: شيبه بن نعام، أبو نعام الضبي، روى عن أس بن مالك، وحدث عنه جرير، ضغطه يحيى بن مصيب، وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به.
- ينظر: ميزان الاعتدال (392/3).
31. ينظر: تفسير ابن كثير (483/2).
32. هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرج، ولد سنة ثمان وخمسمائة هـ، نسبته إلى محلة «الجوز» بالبصرة، حنبلي، علامة عصره في الفقه والتاريخ والحديث والأدب. من تصانيفه: المنتظم، والضياء والمتروكين، وزاد المسير، وغير ذلك، توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة هـ. ينظر: النيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (399/1).
33. زاد المسير (240/4)، بتصريف.
34. ينظر: إدارة الإنتاج والعمليات، ص (361).
35. ينظر: الاقتصاد الإسلامي: دراسة تحليلية للفعالية الاقتصادية، د. محمد منذر فحفا، ص (201).
36. ينظر: الاقتصاد في الإسلام، ص (30).
37. ينظر: تفسير القرطبي (203/9).

38. هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وكَمَيّ الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، ولد سنة الثنتين وثلاثين وسبعمائة هـ، من نصابه: العبر، وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، وتوفي سنة ثمانٍ وثمانمئة هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (145/4).
39. ينظر: المقدمة لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص (452).
40. ينظر: تفسير القرطبي (305/3).
41. علي بن محمد بن حبيب، القاضي أبو الحسن الماوردي البصري، أحد الأئمة أصحاب الوجود، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب، توفي سنة خمسين وأربعمائة هـ. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (230/1).
42. ينظر: المال وطرق استثماره في الإسلام، د. عبده الساهي، ص (187)، نقلًا عن الحلوي الكبير (55/5).
43. أخرجه مسلم (1188/3) كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع (1552/7)، وعبد بن حميد (1011).
44. أخرجه البخاري (5/5) كتاب الحرث والمزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (2320)، ومسلم (1189/3) كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع (1552/8).
45. أخرجه أبو داود الطيالسي، ص (275) رقم (2068)، وعبد بن حميد، ص (366)، وأحمد (191/3)، والبخاري في الأدب المفرد، ص (168) رقم (479)، من حديث أنس رضي الله عنه.
46. الخراج لأبي يوسف، ص (141).
47. الأموال لأبي عبيد، ص (79).
48. الأرض الموات: هي الأرض التي لم تستغل بعد، ولا ينتفع بها يسكني، أو زرع أو غيره، سميت مواتًا؛ لعدم إحيائها بالزرع أو البناء؛ تشبيهًا لها بالحيوان الذي بطلت منافعه بموته، وهذه الأرض مباحة؛ لأنه لم يملكها أحد من العباد، ولا ينتفع بها أحد بأي وجه من وجوه الانتفاع؛ بسبب من الأسباب المانعة من الانتفاع؛ كاتقطاع الماء عن الأرض، أو غلبته عليها، أو فساد تربتها. أما إذا كانت الأرض ينتفع بها بوجه من الوجوه، ولو بغير الزراعة؛ فإيها لا تعتبر مواتًا؛ كالأرض التي يتخذها الناس مكانًا لإلقاء القمامات، أو وضع الأتربة، أو مرعى للماشية، وما أشبه ذلك من وجوه الانتفاع.
- ينظر: المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، د/ رشدي شحاتة أبو زيد (157/2).
49. ينظر: مطالب أولى النهي (187/4)، وسبل السلام (82/3).
50. أخرجه البخاري (285/5) كتاب الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضًا مواتًا، رقم (2335) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
51. أخرجه الترمذي (663/3) كتاب الأحكام، باب: ما ذكر في إحياء أرض الموات، رقم (1379) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
52. أخرجه أحمد (326/3)، والنسائي في السنن الكبرى (404/3) رقم (5757)، وأبو يعنى (139/4) رقم (2195)، وابن حبان (613/11) رقم (5202)، من حديث جابر رضي الله عنه.
53. ينظر: الاقتصاد الإسلامي دراسة تحليلية للفعالية الاقتصادية، ص (51).
54. أخرجه البخاري (287/5، 288) كتاب الهبة، باب: فضل المنحة، رقم (2632)، ومسلم (1176/3) كتاب

- البيوع، باب: كراء الأرض، رقم (1536/89).
55. نغلمس العقول في التفسير والفقه واللغة والأصول، د. محمد عبد الرحمن منصور، ص (89).
56. أخرجه مسلم (1555/3) كتاب الأضاحي، باب: سن الأضحية، رقم (1963/13) من حديث جابر رضي الله عنه.
57. ينظر: الروض المربع (529/1)، والمبدع (277/3)، والحاوي الكبير (113/3).
58. الهكتار يساوي 10000 متر مربع.
59. رجع نظرية التأمين التعاوني، ص (317).
60. ينظر: الاقتصاد في الإسلام، ص (32).
61. ينظر: تفسير القرطبي (358/1)، وتفسير الطبري (9/21).
62. ينظر: فتح القدير (31/3)، وروح المعاني (255/12).
63. ينظر: الاقتصاد في الإسلام، ص (32).
64. ينظر: قصص الأنبياء، لابن كثير، ص (217).
65. ينظر: منهج الدعوة في سورة يوسف، ص (225).
66. ينظر: الاقتصاد في الإسلام، ص (33).
67. أخرجه مسلم (1996/4) كتاب البر والصلة، باب: تحريم لظلم (56 - 2578).
68. أخرجه البخاري (258/9) كتاب التفسير، باب: من سورة هود، رقم (4686)، ومسلم (1997/4 - 1998) كتاب البر والصلة والآداب، رقم (2583/61)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
69. أخرجه مسلم (1340/3)، كتاب الأضحية، باب: انتهى عن كثرة المسائل من غير حاجة (1715/10). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
70. أخرجه مسلم (1996/4) كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم (56 - 2578) من حديث جابر رضي الله عنه.
71. أخرجه البخاري (357/3) كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فَمِمَّا مَنَ أُعْطِيَ وَقَفَى﴾ * وصَلَّى بِالْحُسَيْنِ * فَسَيَسْمُرُهُ لِيُسْرَى * وَمِمَّا مَنَ بَخَلٍ وَسَكْفَى * وَكُنْتُ بِالْحُسَيْنِ * فَسَيَسْمُرُهُ لِيُسْرَى، رقم (1442)، ومسلم (700/2) كتاب الزكاة، باب: في المنفق للمسك (57 - 1010)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
72. ينظر: الاقتصاد الإسلامي، دراسة تحليلية للفعالية الاقتصادية، ص (47).
73. هو: أحمد بن محمد بن أحمد الحوي، أبو البركات، فاضل من فقهاء المالكية، ولد سنة سبع وعشرين ومائة وألف هـ، ونظم بالأزهر، من تصانيفه: أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، ومنح القدير شرح مختصر خليل. توفي سنة إحدى ومائتين وألف هـ.
- ينظر: شجرة النور الزكية (359)، تزيخ الجبرتي (147/2).
74. ينظر: بلغة المسالك (37/1).
75. أخرجه ابن ماجه (728/2) كتاب التجارات، باب: الحكرة والحطب رقم (2153)، والدمي (249/2) كتاب البيوع، باب: في نهج عن الاحتكار، والحظي (231/3، 232)، والبيهقي في السنن الكبرى (30/6) كتاب البيوع، باب: ما جاء في الاحتكار، وفي شعب الإيمان (525/7) رقم (11213) عن عمر مرفوعاً.

76. أخرجه أحمد (33/2)، وابن أبي شيبة في مصنفه (302/4) رقم (20396)، وأبو يعلى (117/10) رقم (5746)، والطبراني في الأوسط (210/8) رقم (8426)، والحاكم (14/2) كتاب البيوع، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -.
- قال الهيثمي في المجمع (180/4): رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني في الأوسط وفيه أبو بشر الأملوكي ضعفه ابن معين.
77. ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ، للإمام مالك (399/3).
78. ينظر: العمل واستثماره في ميزان الشريعة، د/ أيمن زغلول، ص (227، 226).
79. ينظر: منهج الدعوة في سورة يوسف، ص (219، 220).
80. ينظر: الاقتصاد في الإسلام، ص (256).

المصادر والمراجع

1. الأحكام السلطانية للعلامة القاضي لقضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الموردي، ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط (3).
2. إدارة الإنتاج والعمليات، د. سمير علام، 1999م - 2000م.
3. إدارة الخطر والتأمين، د. ممنوح حمزة أحمد، دار الثقافة العربية، سنة 2000م.
4. الإدارة العامة بين نظرية والتطبيق، د. محمد عثمان إسماعيل حميد، ود. حسني مصطفى المعز، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة 2000م.
5. الألب المفرد، للبخاري، علم لكتب، بيروت، ط(1)، 1404هـ.
6. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، 1973م، دار الجيل، بيروت.
7. الاقتصاد الإسلامي: دراسة تحليلية للفعالية الاقتصادية، د. محمد منذر فحط، دار فقام، ط (1)، 1399هـ، 1979م.
8. الاقتصاد في الإسلام، حمزة لجميعي لثموي، دار الأنصار، ط (1) 1399هـ - 1979م.
9. الأملق في الحديث النبوي، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: د. عبد لطي عبد الحميد حامد، طبع لدار لسلفية، بومباي، لهند، لطبعة لثانية، 1408هـ - 1987م.
10. ليدر لطلع بمحاسن من بعد لقرن لسابع، للشوكلي، 1348هـ مصر.
11. بلغة لسلك لأقرب لسلك على لشرح لصغير، للشيوخ أحمد بن محمد الصلوي لسلكي - ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي - لطبعة الأخيرة.
12. تاريخ لجريري لسسمى بعقب الأثر في لتراجم والأخبار، لعبد لرحمن بن حسن لجريري، (1297هـ)، طبع بمصر.
13. تفسير لقرآن العظيم للحاظ ابن كثر، تحقيق: مصطفى لسيد محمد وآخرين، طبعة لدار لفكر، بيروت، 1401هـ.
14. تفسير لسفي، للإمام لسفي، عيسى الحلبي، القاهرة.
15. جامع البيان في تفسير لقرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير لطبري، دار لفكر، بيروت 1405هـ.
16. لجامع لصحيح «سنن لترمذي»، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد شاكر، ط مصطفى لسبابي الحلبي، القاهرة ط(2)، 1398هـ - 1978م.
17. لجامع لأحكام لقرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط دار لشعب لقاهرة.
18. جمهرة الأمل، لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن مسهل، دار لكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(1)، 1408هـ - 1988م.

19. الحلوي، أنبي الحسن لموردي البصري، تحقيق: علي محمد معوض، عدل أحمد عبد الموجود، ط1، 1414 هـ - 1994م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
20. الخطر اليهودي، ترجمة: محمد خليفة لتوتسي.
21. الدرر لكلمة في أعيان المئة الثامنة، دائرة المعارف العلمية، حيدر آباد، الهند، ط(1) 1349 هـ.
22. الدينياح المذهب، لابن فرحون المالكي، مكتبة دار التراث، القاهرة.
23. الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، مصر، 1372 هـ.
24. روح المعاني، للعلامة الأوسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1416 هـ - 1996م.
25. الروض المربع بشرح زاد المستقنع - مختصر المقنع - للإمام منصور ابن يونس البهوتي - ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط (8).
26. زاد المسير في علم التنسير - لابن الجوزي - ط/ مكتبة الإسلام.
27. سيل السلام شرح بلوغ المرام، للعلامة محمد إسماعيل الصنعلي، ط. مصطفى الباني الحلبي، طبعة الرابعة وبلوغ المرام من جمع فلة الأحكام للحافظ شهاب الدين أبي الفضل، أحمد بن محمد بن حجر الصقلاني.
28. سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، تحقيق: بشار عواد، دار الجليل، بيروت، ط(1)، 1418 هـ - 1998م، ويوجد له طبعة أخرى بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط(2)، 1990م.
29. سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن، دار الكتب العربي، بيروت، ط(1)، 1407 هـ - 1987.
30. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسن بن علي البيهقي، وبنيته الجواهر النفي، دار الفكر، بيروت، 1985م.
31. سنن الكبرى، للسناني، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان، ط(1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411 هـ - 1991م.
32. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر، بيروت.
33. شرح الزرقاني على الموطأ للإمام مالك تأليف محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت 1122 هـ، ط. مطبعة الخيرية.
34. شعب الإيمان للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1410 هـ - 1990م.
35. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين أمدا، ط(1)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1404 هـ.
36. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، 1414 هـ - 1993م.
37. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج قشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1400 هـ - 1980م.

38. لضفاء الكبير، للعلوي، محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلجسي، دار لكتيب العلمية، بيروت، لبنان ط(1).
39. لضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
40. طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه، علم الكتب، بيروت، لبنان، ط(1)، 1407هـ - 1987م.
41. فتح القدير للشوكلي، دار الفكر، بيروت.
42. فيض القدير شرح جامع الصغير للسيوطي، لعبد لرعوف المنسوي، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ط(1)، 1357هـ.
43. فودين فوزرة وسوسة لملك، للموردي، تحقيق ودراسة: د. صلاح الدين بسيوني رسلان، مكتبة نهضة لشرق، جامعة القاهرة.
44. لمل واستثماره في ميزان الشريعة، د. أيمن زغول، القاهرة، سنة 1986م.
45. لمل وطرق استثماره في الإسلام، د. عبده الساهي.
46. لميدع في شرح المقنع، لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح المعزخ الحنبلي 816 - 884هـ . لكتاب الإسلامي بدمشق 1394هـ - 1974م.
47. لمدخل في لراسة لنظام السيلسي في الإسلام، د. عبد الرحمن سالم، سنة 1414هـ - 1994م.
48. لمدخل لراسة لفقاه الإسلامي، د. رشدي شحاتة أبو زيد، 2006/2005م.
49. لمستدرك على لصحيحين، للمحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بلحاكم، وبذله لتلخيص للمحافظ الذهبي، ط: دار لكتاب العربي، بيروت.
50. مسند أبي بطي، لأحمد بن المشي لقمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون لترك، دمشق، ط(1)، 1405هـ - 1985م.
51. مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمل في مسند الأئمة، للمكتب الإسلامي، بيروت، ط(5)، 1405هـ - 1985م.
52. مسند الطبرسي، لسليمان بن داود الفارسي البصري الطبرسي، دار المعرفة، بيروت.
53. لمصنف لابن أبي شبة في الأحاديث والآثار، للمحافظ عبد الله بن محمد ابن أبي شبة، دار الفكر، بيروت، ط(1)، 1995م.
54. لمطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى، لشيخ مصطفى السيوطي الرحبتي، للمكتب الإسلامي، بيروت، ط (1)، 1414هـ - 1993م.
55. لمعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط(1)، 1405هـ.
56. لمقنة ابن خلدون، لعبد لرحمد بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار لقم، بيروت، ط (5)، 1984م.

57. منتخب لعبد بن حميد، أبي محمد عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدرى السامرائى، ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط(1)، علم الكتب، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1988.
58. منهج الدعوة في سورة يوسف عليه السلام.
59. موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامى، د. سميح دغيم، مكتبة لبنان، ناشرون، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية.
60. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ على محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(1)، 1416هـ - 1995م.
61. انظريات السبسية الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الرئيس، دار التراث، القاهرة، ط (7).
62. نفائس المغول في تفسير ولفقه واللغة والأصول، د. محمد عبد الرحمن مندور.

قاعدة

اليقين لا يزول بالشك

دراسة نظرية تاصيلية تطبيقية

د. محمد سرحان التمر*

مقدمة

الحمد لله الذي فقه من أراد به خيراً في الدين ، وبين أحكام الحلال والحرام في كتابه المبين ، وسنة نبيه ، عليه أتم الصلاة والتسليم .

قال الله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء)⁽¹⁾ وقال أيضاً : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)⁽²⁾ وبين الله تعالى في الآيات السابقة بأن الأحكام ثابتة به ، أصالة في ذاتها وفي السنة أيضاً ، قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)

أحمدك ربي حمداً يكافئ نعمك الجليلة ، وأشكرك على نعمك التي لا تعد ولا تحصى وأستعين بك ، وأستغفرك من كل زلة وذنوب وأتوب إليك إنك أنت التواب الرحيم .

، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي فقد قواعد الشرع ، ووضحها للناس أكمل توضيح ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فإن علم قواعد الفقه من أجل العلوم قدراً ، إذ به يعرف الحلال والحرام ، والصحيح والفساد من أحكام هذا الدين .

وعلم الفقه من أوسع العلوم انتشاراً ، وبه من الفروع ما لا يحصى ، ولكن تضبط القواعد بها ، فالعلم بالقواعد من أعظم العلوم فائدة .

* رئيس قسم علوم القرآن - جامعة ذمار - كلية التربية .

وقد نوع فقهاء الإسلام علم الفقه أنواعاً ، ومن أهم أنواعه معرفة نظائر الفروع فهو بمثابة الملح للطعام ، فبه يجمع الفقيه المسائل الكثيرة في الأبواب الفقهية المختلفة .
وقد أرجع علماء القواعد الفقهية كل القواعد إلى خمس قواعد كلية هي :

- 1- الأمور بمقاصدها .
- 2- اليقين لا يزول بالشك . وهي القاعدة التي نحن بصدد الحديث عنها .
- 3- الضرر يزال .
- 4- المشقة تجلب التيسير .
- 5- العادة محكمة .

وسوف يشتمل البحث على الأمور الآتية :

أولاً : معنى القاعدة لغة : القاعدة لغة هي الأساس كما قال الراغب الأصفهاني في مفرداته . وقال ابن منظور في لسان العرب : القاعدة : أصل الأُس ، والقواعد : الأساس (3) وهي التي يرفع عليها البناء ، وتعتمد عليه .

وعرفها الجرجاني بأنها : قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها . (4)

وقد عرفها الدكتور محمد بكر إسماعيل -حفظه الله- في كتابه القيم القواعد الفقهية بسين الأوصال والتوجيه بقوله : القاعدة الفقهية : قول موجز بليغ في قضية كلية تدرج تحتها أكثر جزئياتها يتعرف من خلالها على أحكام ما لا ينحصر منها . (5) وهذا هو التعريف الاصطلاحي وقد بنيت القواعد الفقهية على الإيجاز البليغ لتحفظ ، وكلما كانت أوجز في العبارة وأبلغ في الدلالة وجد الفقيه يسراً في استيعابها وحفظها (6) ، إذ ما من صغيرة ولا كبيرة يحتاج إليها الناس من شئون دينهم ودنياهم إلا شملها هذا التشريع الحكيم ، ووسعها بيانه (7) . وقد عرفها الدكتور يعقوب عبدالوهاب الباحسين بقوله : القواعد جمع قاعدة ، ومادة الكلمة ، في اللغة تفيد الاستقرار والثبوت ، وقد قيلت في معناها الاصطلاحي تعريفات كثيرة حظي بعضها بالذيع والانتشار ، كتعريفها بأنها (قضية كلية تعرف منها أحكام جزئياتها) (8) .

وقد رجح الدكتور الباحسين من التعريفات أن القاعدة هي (قضية كلية) على ما عرفها صدر الشريعة (ت 747هـ) في التوضيح وأن ما يضاف إليها من القيود ، كقولهم : (تعرف منها أحكام جزئياتها) ليس داخلاً في حقيقتها ، بل هو يمثل عملية التخريج عليها . (9) إليه

الباحسين جدير بالاهتمام ، لأنه ينقل عن السلف أنهم كانوا يصدد تعريف القاعدة ، بوجه عام، وما ذكر تعريف يصلح لكل القواعد ، سواء أكانت أصولية أم فقهية ، أم كلامية ، أم نحوية ، أم غيرها . فإذا أريد تخصيصها بعلم ذكر معها ما يقيد ، كأن يقال : القضايا الكلية الأصولية ، أو القضايا الكلية الفقهية . (10)

ثانياً : القاعدة اصطلاحاً :

وكما مر سابقاً أن القاعدة لغة تعني الأساس ، ولكن في اصطلاح الفقهاء حكم كلي ينطبق على جميع جزئياته أو أكثرها ، لتعرف أحكامها منه (11).

ثالثاً : الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي :

يقول العلامة الدكتور عبدالكريم زيدان حفظه الله ما نصه :

والفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي : أن القاعدة الفقهية تجمع فروعاً من أبواب شتى ، والضابط الفقهي يجمعها من باب واحد . ومن أمثلة الضابط الفقهي ما أخرجه الإمام الترمذي في جامعه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أيما إهاب دبغ فقد طهر " (12) والإهاب هو الجلد ما لم يدبغ ، والدبغ عبارة عن إزالة الرائحة الكريهة والرطوبات النجسة باستعمال الأدوية أو غيرها (13) فهذا الحديث يمثل ضابطاً فقهياً في موضوعه وهو الطهارة ، و يغطي باباً مخصوصاً من أبوابها . فالحديث ضابط للحكم (14).

رابعاً نشأة القواعد الفقهية :

نشأت القواعد الفقهية بنشأة التشريع الإسلامي ، فقد نزل القرآن الكريم يتضمن الكثير من هذه القواعد التي ما زاد الفقهاء عليها إلا بالقدر الذي يوضح معناها ، ويكشف عن كيفية استعمالها في استخراج الفروع الفقهية منها .

وقد أوتي النبي - صلى الله عليه وسلم - جوامع الكلم فكان يؤدي المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة غاية في الدقة والرفقة ، فجاءت على لسانه قواعد فقهية أخذها الفقهاء كما هي ، وما زادوا عليها إلا بالمقدار الذي يزيدها إيضاحاً ، أو يكشف عما فيها من اللطائف التي لا يعقلها إلا العالمون بها .

وقد تعلم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من نبيهم الإيجاز البليغ في تعويد القواعد وتأصيل الأصول ، ولاسيما الخلفاء الراشدون والصحابه المقربون ، كعبدالله بن

عباس، وعبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عمر ، وأبي بن كعب وغيرهم ، فقد كانوا ينطقون بالحكمة ، فينقل من كلامهم ما يكون قواعد فقهية يقاس عليها أو يستأنس بها في التصحيح والترجيح .

وقد اعتنى التابعون باستنباط القواعد الفقهية من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة ، فقاموا باستنباطها وجمعها وتدوينها في كتب بعضها وصل إلينا، والبعض الآخر لم يصل إلينا ..

وكان الفقهاء من أسبق الناس في ميدان التعيد والتأصيل ؛ لأن علم الفقه من أسبق العلوم وأجمعها وأدقها مأخذاً ومنهجاً .⁽¹⁵⁾

خامساً : مصادر القاعدة الفقهية ، وحجيتها ، وأهميتها .

القاعدة الفقهية لها مصادر متنوعة تستند إليها وتصدر على أساسها .

أولاً : القاعدة قد يكون مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية كقاعدة ((اليقين لايزال بالشك)) التي نحن بصدها ، فقد وردت نصوص قرآنية متعددة تعد سنداً لهذه القاعدة منها قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون))⁽¹⁶⁾

وقال تعالى : (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً)⁽¹⁷⁾ وقال سبحانه وتعالى : (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس)⁽¹⁸⁾

وقد وردت نصوص شرعية من السنة تعد سنداً لهذه القاعدة : منها : قوله - صلى الله عليه وسلم - (إذا شك أحدكم في صلاته فلا يدرى كم صلى ثلاثاً أو أربعاً فليصل ركعة ويسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم ، فإن كانت الركعة التي صلى خامسة شفعها بهاتين ، وإن كانت رابعة فالسجدتان ترغيم للشيطان)⁽¹⁹⁾

فهذا الحديث مع ما تقدمه من آيات قرآنية يعد سنداً قاطعاً وأمرأ صريحاً بالبناء على

اليقين وطرح الشك بلا تردد .⁽²⁰⁾

سادساً : أهمية القواعد الفقهية :

للقواعد الفقهية أهمية عظيمة ، ومكانة عالية في معرفة كل ما يستجد من الوقائع والحوادث ، يحتاج إليها الفقيه والمفتي والقاضي حاجة عظيمة ، تبرز من خلال النصوص التي ذكرت في كتاب القواعد التي تبين وتكشف عن الأهمية الكبيرة لها منها :

(1) ذكر الإمام السيوطي - رحمه الله - في كتابه " الأشباه والنظائر قال " ولقد نوعوا هذا الفقه فنوناً وأنواعاً ، وتطاولوا في استنباطه بدأً وباعاً ، وكان من أجل أنواعه : معرفة نظائر الفروع وأشباهها ، وضم المفردات إلى أخواتها وأشكالها . ولعمري ، إن هذا الفن لا يدرك بالتمني ، ولا ينال بـ " سوف " و " لعل " و " لو أني " ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجدّ وشمر واعتزل أهله وشذّ المنزر . وخاض البحار وخالط العجاج ، ولازم التردد إلى الأبواب في الليل الداج . يدأب في التكرار والمطالعة بكرة وأصيلاً ، ويُنصب نفسه للتأليف والتحرير بيتاً ومقيلاً . ليس له همة إلا معضلة يجليها ، ومستصعبة عزت على القاصرين فيرتقي إليها ويحلها . يرد عليه ويرد (21).

(2) قيل في أهمية القواعد : إن دراسة القواعد الفقهية تكون عند الباحث ملكة فقهية قوية تنير أمامه الطريق لدراسة أبواب الفقه الواسعة والمتعددة ومعرفة الأحكام الشرعية واستنباط الحلول للوقائع المتجددة والمسائل المتكررة (22).

(3) إن للقواعد الفقهية عظيم الأثر في التفقيه ، وفيها تصوير بارع ، وتوير رائع للمبادئ والمقررات الفقهية العامة ، وضبط لفروع الأحكام العمئية بضوابط تبين في كل زمرة منها وحدة المناط ، ولولا هذه القواعد لبقيت الأحكام الفقهية فروعاً مشتتة قد تتعارض ظواهرها دون أصول تمسك بها في الأفكار ، وتبرز فيها العلل الجامعة.

(4) تعتبر القواعد الفقهية موارد خصبة في باب الإفتاء والقضاء حيث تسهل على رجال التشريع الاطلاع على الفقه بروحه ومضمونه وأهدافه وتقدم لهم العون لاستمداد الأحكام منه ومراعاة الحقوق والواجبات فيه ، وتمكن من دراسة أبواب الفقه الواسعة والمتعددة ، ومعرفة الأحكام الشرعية في المسائل المعروضة وإيجاد الحلول لها. (23)

ومن خلال النصوص السابقة الموجزة في بيان أهمية القواعد الفقهية نستطيع القول بأن الدارسين الآن بحاجة ماسة لمعرفة القواعد الفقهية التي تربي الملكة الفقهية لدى الباحث (24)

5) تضبط القواعد الفقهية المنتشرة المتعددة وتنظمها، في سلك واحد، مما يمكن من إدراك الروابط بين الجزئيات المتفرقة، ويزود المطلع عليها بتصوير سليم يدرك به الصفات الجامعة بين هذه الجزئيات. فهي كما قال ابن رجب (ت 795هـ) (تنظم له منشور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد، وتقرب عليه كل متباعد.

6) إن الضبط المذكور بالقوانين والقواعد الفقهية، يسهل حفظ الفروع، ويقني العالم بالضوابط، عن حفظ أكثر الجزئيات. قال القرافي (684هـ): (ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات، لاندراجها في الكليات) (25)

سابعاً : الكتب المؤلفة في علم القواعد الفقهية :

- 1- كتاب الأشباه والنظائر لتاج الدين السبكي الشافعي .
- 2- كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي الشافعي .
- 3- كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي .
- 4- كتاب القواعد الفقهية للزركشي الشافعي .
- 5- كتاب مجامع الحقائق لأبي سعيد الخادمي الحنفي .
- 6- القواعد الفقهية لأحمد بن الحسن المقدسي الحنبلي .
- 7- الأشباه والنظائر للإسنوي الشافعي .
- 8- تقرير القواعد وتحرير الفوائد لابن رجب الحنبلي المطبوع باسم القواعد لابن رجب (26)

ثامناً : معنى قاعدة اليقين لا يزول بالشك .

قبل الحديث عن معنى القاعدة التي نحن بصدد الحديث عنها لا بد من بيان الآتي :
الأخذ باليقين وطرح الشك والشبهة ذلك أن الشرع الحكيم قد بنيت أحكامه على اليقين لا على الشك والتخمين ، فأدلته في جملتها يقينية لا يتطرق إليها الوهم ولا الشك ، ولا الظن البين خطوه ، ولا تعتربها شبهة تعوق العمل بها أو تقف عقبة في طريق فهمها على النحو الذي أراده الله عز وجل ، وبينه رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

ففي هذه القاعدة : ينبغي أن الشك لا يرفع اليقين بحال ، وأن الإسلام حريص - كل الحرص - على تحرير المسلم من أجس النفس ووسوس الشيطان .
 إذ اليقين لا يزول إلا بيقين مثله ، فمثلاً : لو تروى شخص في بيته وذهب إلى العسل وشك وهو في العمل هل توضع أم لا ؟ نقول له : أنت توضع شيئاً ، شكك ظن لا يقوى على إزالة اليقين الذي هو الموضوع. (27)

اليقين اصطلاحاً : هو العلم المستقر في القلب لثبوته عن سبب متعين لا يقبل الانهدام (28).

* معنى الشك : لغة : الشك نقيض اليقين وجمعه شكوك وتدل مادة الكلمة ، وهي الشين والكاف على التداخل . والشك الذي هو خلاف اليقين مأخوذ من هذا المعنى . والشك في الاصطلاح يطلق عند المتكلمين والأصوليين على تجوز شينين لا مزية لأحدهما على الآخر . أما الشك عند الفقهاء : فإتهم يريدون به التردد بين وجود الشيء وعدمه ، سواء كان الطرفان متساويين في التردد ، أو أحدهما راجحاً ، وقد نص على ذلك النووي (29)

واليقين في اللغة : هو العلم وتحقيق الأمر ، وهو مأخوذ من قولهم : (يقن الماء في الحوض) أي استقر فيه ويقن الشيء يقن يقناً ثبت وتحقق ، واليقين : العلم الذي لا شك معه (30)

وقال الفيومي : اليقين : العلم الحاصل عن نظر واستدلال ، وهو بمعنى الثبوت أي : ثبت ووضح . (31)

والشك هو التردد بين أمرين لا يدري أيهما الراجح ، وهو نقيض اليقين ، كما أن الجهل نقيض العلم . (32)

تاسعاً : دليل قاعدة : اليقين لا يزول بالشك .

1- أخذت هذه القاعدة من قوله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه ، أخرج منه شيء أم لا ، فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) (33) والمراد بالمسجد في الحديث الصلاة ، كما صرح بذلك أبو داود في روايته ، وبدليل ما رواه البخاري ومسلم عن عباد بن نعيم عن عمه : أنه شكاً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يخيل إليه أنه يجد الشيء في

الصلاة ؟ فقال : لا يفتل أو لا ينصرف - حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) وليس المراد سماع الصوت أو وجدان الريح فقط في التحقق من نقض الوضوء ، بل هو مثل لما سواه من النواقض ، كخروج قطرة من البول أو المذي أو السودي أو نحو ذلك .

وليس سماع الصوت ووجدان الريح شرطاً في نقض الوضوء ، بل متى تيقن من حصول الناقض وجب عليه قطع الصلاة وإعادة الوضوء .

إذا خلاصة القول : أن ظاهر الحديث ليس مراداً ، بل المراد التحقق والتأكد من الحديث ، لأن الريح قد يخرج ولا يسمع ولا يشم ومعنى ذلك يعاد الوضوء .⁽³⁴⁾

2- ومن أدلة هذه القاعدة أيضاً ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم " إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى : ثلاثاً أو أربعاً ؟ فليطرح الشك ، وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم ، فإن كان صلى خمساً شفت له صلاته ، وإن كان صلى إتماماً لأربع كانتا ترغيباً للشيطان " .⁽³⁵⁾

عاشراً : أمثلة قاعدة اليقين لا يزول بالشك اليقين لا يزول بالشك :

من القواعد الفقهية قاعدة (اليقين لا يزول بالشك * فهذه القاعدة تنطبق على كل مسألة فيها شيء متيقن إذا طرأ عليه شك مهما كان موضوع هذه المسألة ، والباب الفقهي الذي تنتمي إليه ، وعلى هذا فإن حكمها يسري على فروع كثيرة من أبواب مختلفة في الفقه الإسلامي ، فكل ما يتيقن وجوده أو عدمه فلا يتغير حاله ، هذا من اليقين وجوداً أو عدماً ، بطروء الشك عليه وإنما يتغير حاله بيقين مثله .

ومن تطبيقات هذه القاعدة :

من تيقنا ثبوت الدين بزمته لا يزول هذا اليقين إلا بثبوت إبراء الدائن أو بإداء الدين على وجه اليقين ، ومن ثبت نكاحه يقيناً لا يزول هذا النكاح إلا إذا طرأ عليه ما يزيله على وجه اليقين ، فلا يكفي القول بزواله لمجرد طروء الشك في بقاءه .⁽³⁶⁾

هذا وقد جاء في السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة ، يعتبر كل حديث منها قاعدة فقهية ، بل قاعدة تشريعية لما يتضمنه حكم عام يسري على جميع ما يندرج تحت هذه القاعدة من جزئيات أو فروع ، كقوله - صلى الله عليه وسلم - " كل شراب أسكر فهو حرام " .⁽³⁷⁾

درجات اليقين :

نص بعض العلماء على تفاوت يحصل في اليقين ، وجعلوا لكل مرتبة منه ، اسماً خاصاً بها ، فقالوا :

- علم اليقين لأصحاب البرهان .
- وعين اليقين وحق اليقين لأصحاب الكشف والعيان كالأنبياء والأولياء ، على حسب تفاوتهم في المراتب ، ونكروا أن منه قول إبراهيم عليه السلام : (ولكن ليطمئن قلبي)⁽³⁸⁾

أهمية قاعدة (اليقين لا يزول بالشك)

أما قاعدة (اليقين لا يزول بالشك) فتعد من أوسع القواعد الفقهية الكلية تطبيقاً ، وأكثرها امتداداً في أبواب الفقه .

ويذكر بعض الفقهاء أنها تدخل في جميع أبواب الفقه ، وأن ما خرج عليها من المسائل الفقهية يبلغ ثلاثة أرباع الفقه ، أو أكثر ، ولاتكاد الكتب الفقهية تخلو من التعرض إليها ، والاستدلال بها على طائفة من الفروع الفقهية في مختلف الأبواب⁽³⁹⁾ .

حادي عشر : ما يندرج تحت هذه القاعدة من قواعد :

1- منها : قولهم : " الأصل بقاء ما كان على ما كان " .

فمن أمثلة ذلك : من تيقن الطهارة وشك في الحدث ، فهو متطهر . أو تيقن في الحدث وشك في الطهارة ، فهو محدث .

- ومن الشك في الحدث : أن يشك ، هل نام ؟ أو نص ؟ أو مارآه رؤيا ؟ أو حديث

نفس ؟ أو لمس محرماً ؟ أو غيره ؟ أو رجلاً ؟ أو امرأة ؟ أو بشراً ؟ أو شعراً ؟ أو

هل نام ممكناً ؟ أو لا ؟ أو زالت إحدى إتيته وشك : هل كان قبل اليقظة ؟ أو بعدها ؟

- ومن ذلك : مسألة من تيقن الطهارة والحدث وشك في السابق . فالأصح أنه يسؤمر

بالتذكر فيما قبلهما ، فإن كان محدثاً فهو الآن متطهر ، لأنه تيقن الطهارة بعد ذلك

الحدث وشك في انتقاضها ، لأنه لا يدري : هل الحدث الثاني قبلها ؟ أو بعدها ؟ وإن

كان متطهراً ، فإن كان يعتاد التجديد فهو الآن محدث ، لأنه تيقن حدثاً بعد تلك

الطهارة وشك في زواله ، لأنه لا يدري : هل الطهارة الثانية متأخرة عنه ؟ أم لا ؟

بأن يكون والى بين الطهارتين .

- شك في الطاهر المغير للماء : هل هو قليل ؟ أو كثير ؟ فالأصل : بقاء الطهورية .
 - أحرم بالعمرة ثم بالحج ، وشك : هل كان أحرم بالحج قبل طوافها ، فيكون صحيحاً أو بعده فيكون باطلاً ؟ حكم بصحته. (40)

قال الماوردي : لأن الأصل جواز الإحرام بالحج ، حتى يتيقن أنه كان بعده .

- قال : وهو كمن تزوج وأحرم ولم يدر : هل أحرم قبل تزويجه ؟ أو بعده ؟ فإن الشافعي نص على صحة نكاحه ، لأن الأصل عدم الإحرام . ونص فيمن وكل في النكاح ثم لم يرد : أكان وقع عقد النكاح بعدما أحرم ؟ أو قبله ؟ أنه صحيح أيضاً . (41)

قال الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه القواعد الفقهية ما نصه : ((وهذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه ، والمسائل المخرجة عليها أكثر من أن تحصى . ويندرج تحتها قواعد منها :

- 2- وقولهم : ((استصحاب الأصل ، وطرح الشك ، وترك ما كان على ما كان))
 3- ((اليقين لا يرتفع إلا بيقين)) وهذه القواعد الثلاثة تتفق مع القاعدة الأولى في المعنى ، وإن اختلفت عنها في الألفاظ .
 4- ومثلها قولهم : (الأصل براءة الذمة)
 5- وقولهم : (من شك أفل شيئاً أم لا فالأصل أنه لم يفعله)
 6- وقولهم : (من تيقن الفعل وشك في القليل أو الكثير حمل على القليل لأنه المتيقن) .
 7- (القديم يترك على قدمه)
 8- (ما كان قديماً يترك على حاله ولا يتغير إلا بحجة)

وهذه القواعد المتماثلة مجمع عليها في الجملة ، إلا أن المالكية يرون أنه من توضأ وشك في الحدث وجب عليه إعادة الوضوء حتى يدخل الصلاة ، وليس في قلبه شك ، فإن الشك ينافي الخشوع الذي يعد فيها الركن الأسمى (43)

واعلم أخي المسلم أن الإسلام حريص كل الحرص في قواعده وأحكامه على تحرير المسلم من وساوس الشيطان وهو أجسه ، ووقايته من شروره وآثامه ، وتخليصه مما قد يعتريه في عباداته ومعاملاته من شك وتردد يؤدي به إلى إفساد عمله بنفسه من غير داع يقتضيه ، وهو هدف الشيطان وغايته ، فلا ينبغي للمسلم أن يلتفت إلى ما يطرأ عليه في أثناء عباداته

ومعاملاته من وسوسة شيطانية تجعله يترك اليقين إلى الشك ، فإنه لو أخذ بالشك مرة بعد مرة يخشى عليه أن يصير الشك مرضاً عضالاً لا يستطيع أن يتخلص منه إلا بصعوبة بالغة⁽⁴⁴⁾

(أ) توضيح وشرح قاعدة الأصل بقاء ما كان على ما كان:

1) المراد بالأصل هنا : الدليل ، أي الدليل الذي يرجع إليه عند الاختلاف في تقرير الأحكام .

2) والمعنى : أن الفقيه ينظر للشيء على أي حال كان هو ، فيحكم بدوامه على ذلك الحال ، ما لم يقم دليل على خلافه .

3) وتسمى هذه القاعدة بالاستصحاب .

4) ومن أمثلة هذه القاعدة ما يأتي :

أ- أن الأصل في الماء الطهارة ، لقوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً)⁽⁴⁵⁾ ولقوله - صلى الله عليه وسلم - : في البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)⁽⁴⁶⁾

فإذا وجد المرء ماءً وشك في طهارته أخذ بالأصل ، وترك الشك ، واستعمل هذا الماء في وضوئه وغسله ، إبقاء لما كان على ما كان .

ب- إذا ادعى شخص أن له ديناً على آخر ، فأنكر الآخر هذا الدين ، ولم يأت المدعي ببينة فالقول قول المدعي عليه ، لأن الأصل براءة الذمة .

ج- إذا ادعت امرأة أن زوجها طلقها ، فأنكر الزوج طلاقها ، ولم يكن لها بينة تدل على صحة قولها ، فالقول ، قوله ؛ لأن الأصل بقاء النكاح ، وفي دعواها الطلاق شك لعدم وجود ما يثبت ذلك ، فالمتيقن إذاً هو النكاح ، والطلاق مشكوك فيه ، واليقين لا يزول بالشك .⁽⁴⁷⁾

2) استصحاب الأصل ، وطرح الشك وترك ما كان على ما كان :

الأول: قال الدكتور عبدالكريم زيدان في كتابه الوجيز في شرح القواعد الفقهية ما نصه : (تشير هذه القاعدة إلى ما يعرف (بالاستصحاب) وهو ببقاء أمر محقق لم يثبت تغييره ، وهو على نوعين (الأول) : إبقاء الشيء في الوقت الحاضر على ما كان عليه في الماضي ، إلى أن يقوم الدليل على خلافه .

(والثاني): اتخاذ الحال الحاضر للشيء دليلاً على أن هذا الحال هو ما كان عليه الشيء في الزمن السابق ، ويقال له الاستصحاب المقلوب لأنه عكس الأول. (48)

وقال الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه القواعد الفقهية عند الكلام على هذه القاعدة :

1- الاستصحاب : هو استدامة إثبات ماكان ثابتاً ، أو نفي ماكان منقياً * أي : بقاء الحكم الثابت نفياً أو إثباتاً ، حتى يقوم دليل على تغيير الحالة . (49)

وقد عرف بتعريفات كثيرة كلها تدور حول ما ذكرنا من التعريفات فلا داعي لذكرها هنا .

- والاستصحاب أصل من أصول الاستنباط الفقهي ، فهو حجة عند مالك والمزني من أصحاب الشافعي ، وخالف في ذلك الحنفية ، ثم الذين قالوا بحجيته : بان غالب الظن أن الحال القائمة تستمر قائمة ، حتى يوجد ما ينفيها ، والظن الغالب حجة في العمل كالشهادات ، فإنها تثبت ظناً راجحاً ، وهي حجة ملزمة للكافة ، ولو أهملت أو لم يعمل بها تضيع حقوق كثيرة إذ لا يكون طرق لإثباتها .. (50)

وينقسم الاستصحاب - عند كثير من الفقهاء - إلى قسمين :

أحدهما : استصحاب البراءة ، وهو بقاء الذمة على ما كانت عليه ، حتى يقوم الدليل الذي يثبت حقاً . وأكثر خلاف الفقهاء يدور حول هذا القسم ، فالحنفية حجة للدفع دون الإثبات ، ومالك والشافعي وابن حنبل يأخذون به حجة مطلقة .

الثاني : استصحاب الوصف المثبت للحكم ، حتى يثبت خلافه ، أي : أن الوصف يثبت باستصحاب الحال ، ولكن لا يثبت به حق جديد بل يستمر به الحق القديم . (51)

وسوف أذكر بعض الأمثلة التي توضح هذه القاعدة .

1- المفقود - وهو الغائب غيبة منقطعة - بحيث لا يعلم موته ولا حياته ، يعتبر في حق نفسه في الحال الحاضر ، باستصحاب الحال في الزمن الماضي ، بمعنى أن حياته قبل غيبته لما كانت متيقنة فيعتبر حياً في الحال الحاضر إلى أن يتيقن موته ومن ثم لا تقسم أمواله بين ورثته .

2- كل مدين ادعى إيفاء الدين والدائن ينكر فالقول قول الدائن وعلى المدين إثبات الإيفاء ، فلو ادعى المستقرض دفع الدين إلى المقرض ، وادعى

المشتري دفع الثمن إلى البائع أو ادعى المستأجر دفع الأجرة إلى المؤجر وأنكر المقرض والبائع والمؤجر القبض ، فالقول قولهم ، لأن الأصل بقاء مبلغ القرض والثمن والأجرة بعد ثبوتها في الذمة .

3- ادعت المعدة امتداد الطهر وعدم انقضاء العدة فالقول قولها بيمينها ، ولها نفقة العدة لأن الأصل بقاء العدة بعد وجودها .

4- ادعت الزوجة على زوجها عدم وصول النفقة المقدرة إليها، وادعى الزوج الإيصال فالقول قولها بيمينها لأن الأصل بقاؤها بعد أن كانت ثابتة في ذمته حتى يقوم الدليل على خلافه (52)

وسف أذكر أثر قاعدة اليقين لايزول بالشك فيما يأتي:

أولاً : أثر القاعدة في الطهارة :

- 1- اشترى ماء وادعى نجاسته ليرده : فالقول قول البائع ، لأن الأصل طهارة الماء .
- 2- شك في أثناء الوضوء أو الصلاة أو غيرهما من العبادات في ترك ركن وجبت إعادته.
- 3- ولو شك هل غسل ثنتين ؟ أو ثلاثة ؟ بنى على الأقل وأتى بالثالثة .
- 4- توضأ من بئر أبياماً وصلى ثم وجد فيها فارة : لم يلزمه قضاء إلا ما يتيقن أنه صلاحه بالنجاسة. (53)
- 5- لو ظن رجل أن الماء نجس وكان ظنه قوياً ، فتوضأ به . وقع وضوؤه باطلاً ، وإن كان ظنه بين الخطأ فتوضأ منه ثم تبين أنه طاهر صح وضوؤه إذ لا عبرة بالظن البين خطؤه.

- 6- شك في الطاهر المغير للماء : هل هو قليل ؟ أم كثير ؟ فالأصل : بقاء الطهورية (54)
- 7- من تيقن الطهارة وشك في الحدث ، فهو منطهر أو تيقن في الحديث وشك في الطهارة، فهو محدث. (55)

ثانياً : في أثر القاعدة في الصلاة وتطبيقاتها :

- 1- شك في ترك مأمور في الصلاة أسجد للسهو ؟ أو أركب فعلاً منهيًا عنه فلا يسجد ، لأن الأصل عدم فعلهما .
- 2- سها وشك : هل سجد للسهو ؟ يسجد .

- 3- رجل فاتته صلاة يومين فصلى عشر صلوات ، ثم علم ترك سجدة لا يدري من أيها . أفنى القاضي حسين بأنه يلزمه إعادة صلوات يوم وليلة ، وهو قياس قوله فيمن ترك صلوات لا يدري عددها : أنه يجب القضاء إلى أن يتيقن إتيانه بالمتروك . (56)
- 4- إذا تنحج الإمام وظهر منه حرفان ، فهل يلزم المأموم المفارقة ، للظاهر الغالب المقتضي لبطلان الصلاة ،؟ أو لا لأن الأصل بقاء صلاته ، ولعله معذور بالتنحج ، فلا يزال الأصل إلا بيقين ؟ قولان : أصحهما الثاني .
- 5- إذا أحرم المسافر بنية القصر خلف من لا يدري : أمسافر هو ؟ أم مقيم ؟ لم يجز القصر .

6- شك مسافر : أو صل بلده ؟ أم لا ؟ لا يجوز له الترخص .

7- شك مسافر : هل نوى الإقامة ؟ أم لا ؟ لا يجوز له الترخص (57)

ثالثاً : أثر القاعدة في الزكاة :

ولو كان عليه زكاة بقرة وشاة وأخرج أحدهما وشك فيه : وجبا . قال ابن عبد السلام ، قياساً على الصلاة . وصرح به القفال في فتاويه ، فقال : لو كانت له أموال من الإبل والبقر والغنم وشك في أن عليه كلها أو بعضها : لزمه زكاة الكل ، لأن الأصل بقاء زكاته ، كما لو شك في الصيام وقال : " إن شك في العشر الأول ، هل علي صوم كله أو ثلاثة أيام منه وجب قضاء كله .

رابعاً : أثر القاعدة في الصوم :

- 1- أكل آخر النهار بلا اجتهاد ، وشك في الغروب : بطل صومه ، لأن الأصل بقاء النهار .
- 2- نوى ثم شك : هل طلع الفجر ؟ أم لا ؟ صح صومه بلا خلاف . لأن الأصل بقاء الليل . (58)

خامساً : أثر القاعدة في الحج :

شك ، هل أحرم بحج ؟ أو عمرة ؟ نوى القران ثم لا يجزيه إلا الحج فقط ، لاحتمال أن يكون أحرم به ، فلا يصح إدخال العمرة عليه . (59)

(1) أحرم بالعمرة ثم بالحج ، وشك هل كان أحرم بالحج قبل طوافها فيكون صحيحاً أو بعده فيكون باطلاً؟ حكم بصحته .

(2) أحرم بالحج وشك هل كان في أشهر الحج أو قبلها؟ كان حجاً (60)

سادساً : ذكر الشيخ عبدالله بن سعيد محمد عبادي اللحجي في كتابه التقييم إيضاح القواعد الفقهية ما نصه :

(لا يزال حكم اليقين بالشك إلا في إحدى عشرة مسألة):--

- 1) شك مانسح الخف هل انقضت المدة أم لا؟
- 2) شك هل مسح في الحضر أو في السفر؟ يحكم بالمسألتين بانقضاء المدة.
- 3) شك مسافر أوصل بلده أم لا؟ لا يجوز له الترخص.
- 4) شك مسافر هل نوى الإقامة أم لا؟ لا يجوز له الترخص.
- 5) إذا أحرم المسافر بنية القصر خلف من لا يدري أمسافر هو أم مقيم؟ لم يجز القصر.
- 6) بال حيوان في ماء كثير ثم وجدته متغيراً ولم يدر أتغير البول أم بغيره فهو نجس.
- 7) المستحاضة المتحيرة يلزمها الغسل عند كل صلاة شك في انقطاع الدم قبلها.
- 8) تيمم ثم رأى شيئاً لا يدري أسراب هو أم ماء بطل تيممه وإن بان سراباً.
- 9) رمى صيداً فجرحه ثم غاب فوجده ميتاً وشك هل أصابته رمية أخرى من حجر أو غيره لم يحل أكله وكذا لو أرسل عليه كلباً.
- 10) من أصابته نجاسة في ثوبه أو بدنه وجهل موضعها يجب غسله كله.
- 11) المستحاضة وسلس البول إذا توضأ ثم شك هل انقطع حدثه أم لا؟ فصل بطهارته لم تصح صلاته.⁽⁶¹⁾

الخاتمة

استفاد الباحث من البحث في مجال القواعد الفقهية، حيث سنحت له فرصة الاطلاع على عدد كبير من الكتب، التي لها علاقة بالفروع الفقهية المتنثرة.

1. إن علم القواعد الفقهية ذو أصول ثابتة مستمدة من الكتاب والسنة، ويمكن اعتبار القواعد الفقهية التي ثبتت بالادلة الشرعية دليلا شرعيا على الحكم الشرعي، شأنها شأن الدليل الذي ثبت به.

2. للقاعدة الفقهية عظيم الأثر في التفقه في الدين، وهي مورد خصب في باب الإفتاء والقضاء حيث تسهل على رجال التشريع الاطلاع على الفقه بروحه ومضمونه وأهدافه، وتقدم لهم العون لاستمداد الأحكام منه ومراعاة الحقوق والواجبات فيه، وتمكن من دراسة ابواب الفقه الواسعة والمتعددة.

3. إن البحث في القواعد الفقهية من شأنه أن يعلي من درجة الباحث وأن يجعل لديه ملكة - لاسيما - في أثناء التعامل مع القواعد الفقهية العامة التي تتطلب الخبير بشأنها.

الهوامش

- (1) الأعمام (38) .
- (2) الحشر (7) .
- (3) انظر : لسان العرب مادة (أساس)
- (4) تعريفات للجرجاني ط بيروت الأولى دار الكتب العلمية 1983م ص 171 .
- (5) انظر : القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه د/ محمد بكر إسماعيل ص 6.
- (6) نفسه، ص 7 بتصرف .
- (7) نفسه ، ص 7
- (8) انظر : قاعدة اليقين لا يزول بالشك . د/ يعقوب عبد الوهاب الباصين ، ص 11 . نقلًا عن شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع بحاشية الثباني . 1/ 21، 22.
- (9) نفسه بتصرف ص 12
- (10) انظر : قاعدة اليقين لا يزول بالشك . د/ يعقوب عبد الوهاب الباصين ، ص 11 . نقلًا عن شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع بحاشيته الثباني . ص 12 .
- (11) انظر : الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية د/ عبد الكريم زيدان ص 7.
- (12) أخرجه الإمام الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في جلود العينة إذا دبغت رقم (1782) .
- (13) الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية د : عبد الكريم زيدان ص 7.
- (14) انظر : القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل ص 9 .
- (15) انظر : القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل . ص 18 - 19 بتصرف .
- (16) البقرة : (4)
- (17) بونس : (36)
- (18) نجم : (23)
- (19) انظر : سنن أبي داود 1/ 268 كتاب الصلاة ، باب إذا شك في الاثنين والثلاث من قال بلقي الشك . حديث رقم (1026) ط دار الريان للتراث وقال ابن عبد البر في التمهيد 5/ 18 حديث متصل صحيح الإسناد .
- (20) انظر : قاعدة الميسور لا يسقط بالمصور إيمان عبدالله عبد الحميد الهادي ص 45 - 46 بتصرف .
- (21) انظر : الأئبياه والنظائر في فروع فقه الشافعية للسيوطي ص 10 لعصرية ، بيروت .
- (22) انظر : قاعدة الميسور لا يسقط بالمصور، إيمان عبد الله عبد الحميد الهادي ص 57
- (23) انظر : قاعدة الميسور لا يسقط بالمصور ص 57 بتصرف .
- (24) المصدر السابق بتصرف ص 58 وقاعدة اليقين لا يزول بالشك د/ يعقوب الباصين ص 19 بتصرف .
- (25) اليقين لا يزول بالشك يعقوب الباصين ص 16 .
- (26) انظر : نفسه بتصرف ص 70 .
- (27) انظر : القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه د/ محمد بكر إسماعيل بتصرف ص 53.
- (28) انظر : قاعدة اليقين لا يزول بالشك ص 31

- (29) نفسه ، ص 49 .
- (30) انظر المعجم الوجيز مادة يقن ص 686 وقاعدة اليقين لايزول بالشك د/ يعقوب الباحسين ص 27 .
- (31) المصباح المنير 2/938 مادة يقن بتصريف .
- (32) القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه . د/ محمد بكر إسماعيل ص 55
- (33) صحيح البخاري شرح ابن حجر العسقلاني 1/237-238
- (34) انظر : القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه د/ محمد بكر إسماعيل ص 55 . بتصريف .
- (35) صحيح مسلم بشرح النووي 4/49-51
- (36) انظر : الوجيز في شرح القواعد الفقهية د/ عبدالكريم زيدان ص 7-8 .
- (37) صحيح مسلم بشرح النووي 13/169
- (38) البقرة / 26 وانظر : قاعدة اليقين لايزول بالشك د/ يعقوب الباحسين ص 34 .
- (39) القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل ص 65 وانظر : ايضاح القواعد الفقهية للشيخ عبدالله بن سعيد محمد عبادي اللحجي الحضرمي السحاري ط 3 (1410هـ) ص 28 .
- (40) انظر : الأشباه والنظائر للسيوطي بتصريف ص 78 .
- (41) نفسه نقلاً عن الماوردي ص 78 .
- (42) انظر : القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل ص 55-56 .
- (43) نفسه بتصريف ص 57 . والأشباه والنظائر للسيوطي ص 94
- (44) الفرقان (48)
- (45) أخرجه مالك والترمذي .
- (46) انظر : القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل بتصريف ص 58-59 .
- (47) الوجيز في شرح القواعد في شرح القواعد د/ عبدالكريم زيدان ص 39 .
- (48) القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل ص 60 .
- (49) نفسه بتصريف ص 61 .
- (50) المصدر السابق ص 61
- (51) انظر : القواعد الفقهية ، د/ محمد بكر إسماعيل ، ص 61 ، والوجيز في شرح القواعد الفقهية د/ عبدالكريم زيدان ص 39-40 .
- (52) انظر : القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل ص 65 والأشباه والنظائر للسيوطي ص 79 .
- (53) نفسه ص 78 .
- (54) انظر : الوجيز في شرح القواعد الفقهية د/ عبدالكريم زيدان ص 36 والأشباه والنظائر للسيوطي .
- (55) انظر : القواعد الفقهية د/ محمد بكر إسماعيل ص 65 والأشباه والنظائر للسيوطي ص 79 .
- (56) نفسه ص 93 بتصريف .
- (57) ينظر : الوجيز في شرح القواعد الفقهية د/ عبدالكريم زيدان ص 36 .
- (58) نفسه . ص 36
- (59) ايضاح القواعد الفقهية عبدالله بن سعيد اللحجي ص 28 .
- (60) ايضاح القواعد الفقهية للشيخ عبدالله بن سعيد محمد عبادي اللحجي ص 35 .

النهي غير الصريح في القرآن الكريم



د. أحمد حمزة السعيد*

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين . أما بعد
فالنهي والأمر في الشريعة الغراء ثبت بهما أكثر الأحكام والتكاليف الشرعية لذا أولاهما العلماء والفقهاء اهتماماً كبيراً ، لتعلقهما بفرائض الحلال والحرام .

قبل أن نخوض في غمار هذا البحث يحسن بنا أن نعرف النهي في اللغة والاصطلاح.
فالنهي عند علماء اللغة هو : المنع⁽¹⁾، يقال : نهاه عن كذا أي: منعه عنه ، ولذلك سمي العقل نهية ، لأنه ينهي صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب ويمنعه عنه ومنه قوله تعالى ((إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى))⁽²⁾

والنهي عند الأصوليين هو بما يصاد الأمر ، وقد عرفوه بأنه : " القول الدال على طلب الامتناع من الفعل على جهة الاستعلاء"⁽³⁾.

فعبارات النهي في القرآن الكريم جاءت على نوعين :

نهي صريح، ونهي غير صريح

فالنهي الصريح جاءت صيغته بأسلوب بلاغي يبدع بتعابير مختلفة منها :

* أستاذ الفقه وأصوله المساعد / كلية التربية / عمران - جامعة صنعاء

- 1- الفعل المضارع المصدر بلا الناهية كما في قوله تعالى: ((وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْءَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا))⁽⁴⁾ وقوله تعالى: ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ))⁽⁵⁾ وقوله تعالى: ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ))⁽⁶⁾
- 2- الأمر الدال على الكف، كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ))⁽⁷⁾
- 3- الاستفهام الاتكاري، كما في قوله تعالى: ((أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ))⁽⁸⁾
- وأمثال ذلك كثير في القرآن الكريم .

أما النهي غير الصريح فلم يذكر عند الأصوليين إلا قليلاً ، لذا أردت أن أميط اللثام عن هذا الموضوع لتزدان به المكتبة الإسلامية .

وقد ورد النهي غير الصريح بصيغ أخرى ، كأن يأتي على شكل جملة خبرية تدل على النهي ، وهي على أربعة أنواع :

أ- يأتي بصيغة جملة فعلية .

ب- يأتي بصيغة جملة اسمية .

ج- يأتي بصيغة جملة شرطية .

د- يأتي بصيغة جملة لزومية .

وهذه الصيغ تأتي على أقسام سنعرض لها أثناء البحث إن شاء الله تعالى .

صيغ النهي غير الصريح

الصيغة الأولى : الجملة الفعلية : وتأتي على أقسام :

1- جاءت بلفظ التحريم ، ومن أمثلة هذا القسم ما يأتي :

أ- قوله تعالى: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ))⁽⁹⁾

دلّت الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد نص على تحريم الأم بقوله:

((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ)) ، وإنما نص على حكمه بعموم لفظ ينتظم ما شمله الاسم من غير إشارة إلى عين مخصوصة وليس جواز دخول الاستثناء على لفظ العموم، وجواز تخصيصه بما عداه من أن يكون نصاً إذا لم تقم دلالة التخصيص ، والنص في اللغة: هو المبالغة في إظهار الشيء وإبانتته⁽¹⁰⁾ .

ب- وقوله تعالى ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ))⁽¹¹⁾.

احتج جمهور السلف بأن الآية مجملة ، وذلك بأن الذي يسبق إلى الفهم من قول القائل: هذا طعام حرام وهو تحريم أكله ، ومن قول القائل: هذه المرأة حرام هو تحريم وطئها، وتبادر الفهم دليل الحقيقة ، فالمفهوم من قوله ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)) هو تحريم الأكل ، لأن ذلك هو المطلوب من تلك الأعيان⁽¹²⁾.

ج- وقوله تعالى ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي))⁽¹³⁾.

استدل العلماء بوجوب النهي بالتحريم بطريق التركيب وبناء الألفاظ بعضها على بعض ، وذلك أنه لما قال تبارك وتعالى: ((عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ))⁽¹⁴⁾ . ثم قال في آية أخرى: ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ))⁽¹⁵⁾.

والإثم تركيب من مجموع الآيتين قياس أنتج تحريم الخمر ، وهو أن يقال : كل إثم حرام والخمر إثم ، فالخمر إذن حرام ، والإثم من أسماء الخمر.⁽¹⁶⁾

2- وجاءت بلفظ نفي البر : ومن أمثلته ما يأتي :

أ- قوله تعالى: ((وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا))⁽¹⁷⁾.

دللت الآية الكريمة على وصف الفعل بأنه ليس برأ ، وهو النهي عن إتيان البيوت من ظهورها⁽¹⁸⁾ ، وأن ذلك ليس بقربة إلى الله تعالى ، ولا هو مما شرعه ، ولا ندب إليه ، والبر إنما هو التقوى لا العلم بهذه الأمور التي لا تفيد نفعاً في التكليف ولا تجر إليه⁽¹⁹⁾.

ب- وقوله تعالى: ((لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ))⁽²⁰⁾.

دللت الآية الكريمة على أن ظاهر المعنى نهي ، لأن المعنى التركيبي معلوم على الجملة ولا ينبغي على فهم هذه الأشياء حكم تكليفي. ويقول الإمام الشاطبي⁽²¹⁾ رحمه الله - إن الاشتغال به عن غيره مما هو أهم منه تكلف ، ولهذا أصل في الشريعة صحيح نبه عليه ، كما دللت الآية الكريمة على ذلك⁽²²⁾.

3- وجاءت على صيغة نفي الحل : ومن أمثلة ذلك :

أ- قوله تعالى: ((وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا))⁽²³⁾.

دللت الآية الكريمة على النهي عن الإضرار بالمرأة ، لأنها نزلت فيمن كان يضار المرأة حتى تقتدي منه ، وهذه كلها حيل على بلوغ غرض لم يشرع ذلك الحكم لأجله. (24)

ب- وقوله تعالى: ((لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ)) (25).

دللت الآية الكريمة على حرمة أخذ الإرث كرهاً ، وعلى النهي وعدم الحل بأن يأخذ الرجال مما دفعوا إليهن من المهور شيئاً ، لأنكم قد استمتعتم بهن إلا إذا خفتن سوء العشرة بين الزوجين ، وإذا أرادت الزوجة أن تختلع بالتنازل عن مهرها أو بدفع شيء من المال لزوجها حتى يطلقها فليس هناك جناح من أخذ الفداء (26)

4- وجاءت على صيغة النهي : ومن أمثلة ذلك :

أ- قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ)) (27).

معنى الآية الكريمة إخبار في معنى النهي ، وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه (28).

ب- وقوله تعالى: ((مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)) (29).

هذه الآية نزلت بمكة عند موت أبي طالب ، وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافراً ، وهي أيضاً متضمنة للنهي وقطع الموالة للكفار وتحريم الاستغفار لهم (30).

ج- وقوله تعالى: ((لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)) (31).

لفظ الآية الكريمة خبر بمعنى النهي ، وظاهرها نفي ومعناها نهي ، وتدل على الطلب بأن لا يمس القرآن إلا طاهر ، ومما يعضد ذلك أن الخبر هنا مراد به النهي (32) قوله _ صلى الله عليه وسلم _ (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) (33).

5- وجاءت بمادة النهي : ومن أمثلة ذلك :

أ- قوله تعالى: ((وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)) (34).

أفادت الآية الكريمة أن المكلف مأمور بوجوب ترك الحرام لدى ثبوته ، وأن مقتضى النهي شرعاً قبح المنهي عنه ، كما أن مقتضى الأمر بشيء تحسينه كما جاء في قوله تعالى: ((وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)) فكان القبح من مقتضياته شرعاً لا لغة . فالله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء ، بل أنه سبحانه وتعالى بأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، غير أن عذر الخطأ رفع حكم التأثيم المرتب على التحريم (35) .

ب- وقوله تعالى: ((أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ)) (36) .

دللت الآية الكريمة على صيغة النهي ، لأن الناس كانوا يتكاثرون بقبور الموتى ، وكانوا يزورون المقابر فيقولون : هذا قبر فلان وهذا قبر فلان .. وجاء النهي والتأنيب على الإكثار من زيارة القبور ، لأنها شغلتهم عن العبادة تكثيراً بمن سلف والإشادة بذكره . وهذا لا يعنى ولا يجدي على المؤمنين شيئاً لا في دنياهم ولا في آخرتهم (37) .

الصيغة الثانية : الجملة الإسمية :

وهذا النوع يأتي على أقسام :

1- جاءت على صيغة الاستفهام :

مثل قوله تعالى ((إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَنَسْرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)) (38) .

دللت الآية الكريمة على النهي ، والمعنى أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم ، فهو إيدان بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعداء قد انقطعت ، وكذلك فيه زجرٌ يليغ يقيده الاستفهام الدال على التقرير والتوبيخ والتهكم بهم ، ولهذا قال سيدنا عمر - رضي الله عنه - لما سمع هذا : انتهينا . وقد كانت دلالة الآية على النهي غير صريحة ، كما يقول الرجل : هل أنت كاف عنا ؟ بمعنى : اكفف عنا (39) .

2- وجاءت على صيغة الوعيد : مثل :

أ- قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) (40) .

جاء بفعل (بشروهم) مستعار للإندار والوعيد على طريقة التهكم ، لأن حقيقة التبشير : الإخبار بما يسر وينفع ، فلما علق بالفعل عذاب أليم كانت قرينة التهكم كئيب على علم . فالآية الكريمة جاءت في جملة خبرية إلا أنها قامت مقام النهي وهو من باب التهكم بهم ، وأن جهنم معدة لهم (41) .

وهذا يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزاء به وتآلمه واغتمامه ، فلا جرم تحبط أعمالهم فلا ينتفعون بثوابها في الآخرة ، ولا بأثارها الطيبة في الدنيا ، ولأنه علمه سبحانه وتعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتماً⁽⁴²⁾ .

ب- وقوله تعالى: ((بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ))⁽⁴³⁾ .

وهنا جاءت الآية الكريمة بصيغة الخبر ومعناه النهي ، ودلت الآية على صيغة النهي في ذم المسرفين على ما افترقوه من فعل مشين ، وأنهم قوم أهل معاص الله ، وآثام بيأتانهم ما حرم الله عليهم وعصياته يفعلهم هذا ، وذلك هو الإسراف في هذا الموضوع ، والإسراف مجاوزة الحد في مخالفة الحق، وعاقبة المجرمين لا تكون إلا وبالاً عليهم، ويستحقون أشد العذاب جزاء ما ارتكبوا الفواحش الشنيعة⁽⁴⁴⁾ .

ج- وقوله تعالى: ((الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ))⁽⁴⁵⁾ .

هذه الآية من عجيب القرآن الكريم، لأن لفظها الخبر ومعناها النهي، أي لا تنكحوا مشركة ولا زانية. فالآية الكريمة تزهد في نكاح البغايا إذ الزنا عدل الشرك في القبيح، والإيمان قرين العفاف والتحسين⁽⁴⁶⁾ .

3- وجاءت على شكل عقوبة نصية :

ومن أمثلة ذلك :

أ- قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا))⁽⁴⁷⁾ .

وردت الآية الكريمة بصيغة الخبر تدل على النهي والوعيد، والتنفير عن أكل أموال اليتامى والتشديد فيه، وأن ذلك يفضي بهم إلى عذاب جهنم، فالمعنى أنهم حين يأكلون أموال اليتامى قد أكلوا ما يفضي بهم إلى جهنم، وأكل مال اليتيم من أشنع أنواع الحرام⁽⁴⁸⁾ .

ب- وقوله تعالى: ((يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ))⁽⁴⁹⁾ .

وردت الآية الكريمة بصيغة الخبر تدل على النهي عن أكل الزيادة المأخوذة عن عقد الربا، ودلت على أن ظاهر النهي قد اقتضى وجوب الامتناع من التصرف فيما أخذ عن عقد الربا⁽⁵⁰⁾ .

ج- وقوله تعالى: ((فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)) (51).

نزلت الآية الكريمة بصيغة الخير ودلت على اقتران الفعل بالوعيد بالعقاب عليه . على المنافقين الذين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا. وكذلك بالذين يمنعون الزكاة وعدم المبالاة باليتيم والمسكين، فهذا من دلائل التكذيب وموجبات الذم والتوبيخ (52).

4- وجاءت على صيغة النفي : ومن أمثلة ذلك :

أ- قوله تعالى: ((ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى)) (53).

وردت الآية الكريمة بصيغة الخبر تدل على نفي الريب ، وليس معه ما يوجب الريب. أي لا ترتابوا فيه ولا تشكوا ، وأن تكونوا موصوفين بالايمان بالغيب، فالايمان الشرعي لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً (54).

ب- وقوله تعالى: ((الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)) (55).

ظاهر الآية الكريمة خبر تدل على النهي عن هذه الأفعال ، وعبر عنها بلفظ النفي، لأن المنهى عنه سبيله أن يكون متفياً غير مفعول.

وقد نفي الرفث والفسوق والجدال نفي الجنس مبالغة في النهي عنها وإبعادها عن الحاج. ومعنى: ((فلا رفث ولا فسوق)) أي: لا جماع ولا كلمة من أسباب الجماع، ومعنى: ((ولا جدال)) أي : لا يسوغ للرجل أن يجادل أخاه في الحج فيخرجه جداله إلى ما لا ينبغي (56).

ج- وقوله تعالى: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)) (57)

الآية الكريمة إخبار في معنى النهي ، وجاءت على صيغة النفي، أي: لا تكرهوا في الدين ، فلا يكره أحد في دين الإسلام ، وكان هذا قبل أن يؤمروا بالقتال. فالإكراه لا يأتي بالغرض المطلوب ، وهو تزكية النفس وتكثير جند الحق والصلاح المطلوب، فكاره الشيء لا يدانيه إلا مغصوباً، وأن هذا الفعل إكراه والإكراه إخافة ، وهذا منفعة ولم يجز الله سبحانه وتعالى أمر الإيمان على الإكراه والقسر، ولكن على التمكن والاختيار (58).

د- وقوله تعالى: ((لَّهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (59).

وردت الآية الكريمة بصيغة النفي ، أي: أن هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير ، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة. ولا تغيير لقوله عما قال، ولكنه يمضي لخلقها مواعيدها وينجزها لهم . فلا ينكر كلام الله إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عز وجل، ولمن ترك الإيمان والتقوى فله سوء العاقبة والخسران (60).

الصيغة الثالثة : الجملة الشرطية :

وهي الجملة التي يترتب الفعل فيها على شرط قبله :
ومن أمثلة هذا القسم ما يأتي :

أ- قوله تعالى: ((فَمَنْ يَدْعُكَ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأْتِمْ إِيَّاهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَ)) (61).

وردت الآية الكريمة بصيغة الخبر ومعناها النهي، ودلت على النهي عن التبديل في الوصية، وقد وقع أجر الموصي على الله وبريء منه إثمه، وإن كان أوصى ضراراً لم تجز وصيته، ومن بدل الوصية بعدما سمعها فإثم ما بدل عليه (62).

ب- وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)) (63).

وردت الآية الكريمة بصيغة الخبر ومعناها النهي، فإثم سبحانه وتعالى ينهي بذلك المؤمنين أن يطيعوا أهل الكفر، وقصد بذلك مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم فقوله ((يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ)) جواباً للشرط مع كونه في قوة أن يقال: إن تطيعوهم في قولهم ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم، باعتبار كونه تمهيداً لقوله تعالى ((فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)) أي: للدنيا والآخرة غير فانزين بشيء منهما، وافعين في العذاب الخالد (64).

ج- وقوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (65).

وردت الآية الكريمة بصيغة الخبر والمراد النهي، أي: لا تغلوا واستنوا بنبيكم، وفيها تأكيد على تحريم الغلول والتنفير منه، وفيها وعيد لمن يغل من الغنيمة أو في زكاته بالفضيحة يوم القيامة (66).

د- وقوله تعالى: ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ))⁽⁶⁷⁾.

وردت الآية الكريمة بصيغة الخبر، فكانته تعالى قال: ولا تعصوا الله ورسوله، فالآية تنهى عن معصية الله سبحانه وتعالى، ومن لم يرض بقسمة المواريث ولم يعمل بها يدخله ناراً. وأنه إذا ردّ حكم الله وكفر به كان كافراً مخلداً في النار، وله عذاب مهين لهوانه عند الله، فإنها في حق الكفار، إذ الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها، وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالإيمان غير متعد حدّ التوحيد⁽⁶⁸⁾.

هـ- وقوله تعالى: ((أَيُّمَّا تَكُونُوا يُنذِرِكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ))⁽⁶⁹⁾.

صدرت الآية الكريمة بأداة الشرط الزائدة (ما) لتوكيد معنى الشرط في (أين) ومعناها النهي عن الجزع من الموت، وعدم الهروب من القتال والثبات عند لقاء العدو ومقارعتة، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم فهو خير لكم، فإن الموت لا يد منه ولا محيد عنه، ثم إلى الله المرجع والمآب⁽⁷⁰⁾.

و- وقوله تعالى: ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))⁽⁷¹⁾.

فالآية الكريمة جاءت بلفظ الخبر والوعيد، وترتيب العقوبة على الفعل سواء كانت دنيوية أو أخروية، فأخبر أولاً أن جزاءه جهنم وبالغ في ذلك، ثم عطف بالغضب ثم بلغنه، وأن قاتل المؤمن مخلد في النار، وأكدوا هذا بأنها خبر والأخبار لا تنسخ، وهذا هو المقصود من التشريع لأحكام القتل، لأنه هو المتوقع حصوله من الناس⁽⁷²⁾.

الصيغة الرابعة : صيغة الجملة اللزومية :

وهي ما يعبر عنه الأصوليون بقاعدة : الأمر بالشيء نهى عن ضده⁽⁷³⁾، فإن كان الأمر واجباً كان النهي عن ضده على سبيل الوجوب، وإن كان ندباً كان النهي عن ضده على سبيل الندب، والدليل على ذلك أن لا يتوصل إلى فعل المأمور به إلا بترك ضده، فهو كالطهارة في الصلاة. وخالف في ذلك المعتزلة فذهبوا إلى أن الأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده⁽⁷⁴⁾.
ومن أمثلة هذه الصيغة :

1- قوله تعالى: ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ))⁽⁷⁵⁾.

ورد التعبير القرآني بنفي العسر بدلالة المنطوق ليكون أقوى تأكيد، فهذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى لما شرع هذا الدين أراد بنا اليسر، وكذلك رخصة الإفطار في رمضان، فقد بين الشرع أن الإفطار للمريض والمسافر لييسر الأمر عليهم ليتمكنوا من تحقيق ما يترجح في نظرهم من الإتيان بوظيفة الوقت أو تأخيره إلى أيام آخر، فحكم جواز الترخص بالفطر ونحوه يثبت بقاعدة الأمر بالشيء نهي عن ضده عند حصول المشقة التي تلحقه بالصوم دون السفر والمرض (76).

2- وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (77).

ورد أمره سبحانه وتعالى في الآية الكريمة بترك ما بقي من الربا، والأمر بالشيء نهي عن ضده وهو ترك ما بقي من الربا، وكذلك هو النهي عن قبضه. (78).

3- وقوله تعالى: ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)) (79).

ومعنى الآية: أن أفضل البر بر الوالدين، وتدل الآية الكريمة أيضاً على تأكيد حق الوالدين، ووجوب الإحسان إليهما، لأن الله سبحانه وتعالى قرن ذلك بعبادته وتوحيده وأمر بهما، كما قرن شكرهما بشكره جل وعلا، وعلى قاعدة الأمر بالشيء نهي عن ضده، وهو عدم الإساءة إليهما، ومن الكبائر عقوق كل منهما (80).

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث أن التكاليف الشرعية وخاصة الحلال والحرام ثبتت عن طريق الأمر والنهي، فالأمر والنهي هما صلب التشريع، وبمعرفة الأحكام الشرعية وتفرعاتها.

فالنواهي الصريحة في القرآن الكريم لها صيغ معروفة والأمثلة عليها كثيرة جداً، وأما النواهي غير الصريحة فقد جاءت بصيغة الخبر ومعناها النهي، وهذه الصيغ جاءت على شكل جمل فعلية أو اسمية أو شرطية أو التزامية، وقد تفرعت عن هذه الجمل صيغ أخرى أهمها:

1- الجملة الفعلية: جاءت بلفظ التحريم وجاءت بلفظ نفي البر ونفي الحل، وجاءت على صيغة النفي

2- الجملة الاسمية: جاءت على صيغة الاستفهام، وعلى صيغة الوعيد، وعلى صيغة خبر بعقوبة نصية .

3- الجملة الشرطية التي يترتب الفعل فيها على شرط قبله .

4- الجملة اللزومية التي يعبر عنها الأصوليون بقاعدة: الأمر بالشئ نهى عن ضده . وقد تقدمت الأمثلة الدالة على ذلك في ثنايا البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

- 1- ينظر : تهذيب اللغة 422/1، لمحمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ، تحقيق: محمد عوض مرعب .
2. سورة طه : 128
3. مفتاح الوصول للتمسائي : 66
4. سورة الاسراء : 32
5. سورة الاسراء : 33
6. سورة الأعمام : 152
7. سورة الجمعة : 9
8. سورة يونس : 99
9. سورة النساء : 23
10. ينظر : الفصول في الأصول للجصاص 60/1 ، وأصول المرخمي 195/1 ، والإبهاج للسبكي 107/2 .
11. سورة المقادة : 3
12. ينظر : الإحكام للأمدى 15/3 ، وإرشاد الفحول للشوكاني 253/1 ، وتفسير الطبري 385/4 ، وتفسير ابن كثير 5/2 .
13. سورة الأعراف : 33
14. سورة : البقرة : 219
15. سورة الأعراف : 33
16. ينظر : الإحصاف للبطايوسي 116/1 ، والنبذة الكافية لابن حزم 20/1 ، وتفسير ابن كثير 226/2 ، وتفسير القرطبي 50/2 .
17. سورة البقرة : 189
18. وذلك لأنه كان قوم في الجاهلية إذا أحرموا نقيبا في ظهور بيوتهم نقيبا يدخلون منه ويخرجون ، فنهوا عن التدنن بذلك وأمروا أن يأتوا البيوت من أبوابها . وقيل فيه أنه مثل ضربه الله لهم بأن يأتوا البر من وجهه ، وهو الوجه الذي أمر الله تعالى به .
- ينظر : تفسير التلسفي 93/1 ، وتفسير الواحدي 154/1 ، وتفسير القرطبي 187/2 .
19. ينظر : الموافقات للشاطبي 46/1 ، والمصادر السابقة نفسها .
20. سورة البقرة : 177
21. هو الإمام الحافظ المجتهد القدوة الأصولي النظير أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الخمي الغرناطي المشهور بالشاطبي (ت 790هـ-) ينظر : الفتح المبين 204/2-205 ، والأعلام 71/1
22. ينظر : الموافقات للشاطبي 87/2 ، والدر المنثور للسيوطي 416/1 .
23. سورة البقرة : 229
24. ينظر : الموافقات للشاطبي 146/3 ، والروضة الندية للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله 57/2 ، وسبل السلام للأمير الصنعاني 146/1 ، وتفسير الطبري 469/2 ، وفتح القدير للشوكاني 363/1 .

25. سورة النساء : 19
26. ينظر : الموافقات للشاطبي 301/1 ، والروضة الندية للإمام محمد بن عيسى بن عبد الله 57/2 ، وتفسير الطبري 478/2 ، وتفسير القرطبي 91/5 ، وتفسير البيضاوي 162/2 .
27. سورة البقرة : 83
28. ينظر : تفسير البيضاوي 353/1 ، وتفسير الألويسي 307/1 ، وزاد المسير لابن محمد الجوزي 108/1 ، والوجيز للواحدي 115/1 ، والدر المنثور للسيوطي 209/1 . وقال العلماء : اختلف في الميثاق هنا فقال مكي هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم عليه السلام كالذر . وقيل هو ميثاق أخذ عليهم وهم عفا في حياتهم على أسنة أنبيائهم وهو قوله تعالى (لا تعبدون إلا الله) وعبادة الله هي التي عن عبادة ما سواه ، وإثبات توحيده وتصديق رسنه والعمل بما أنزل في كتبه . ينظر : تفسير القرطبي 16/2 ، وفتح القدير للشوكلي 171/1 .
29. سورة التوبة : 113
30. ينظر : الموافقات للشاطبي 223/2 ، وفتح القدير للشوكلي 595/2 ، وتفسير البيضاوي 161/1 ، وتفسير أبي السعود 107/4 .
31. سورة : الواقعة : 79
32. ينظر : البحر المحيط للزركشي 157/3 ، وشرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي 86/1 ، وسبيل السلام للأمير الصنعاني 14/1 ، ونبل الأوطار للشوكلي 259/1 ، وتفسير القرطبي 401/2 ، وفتح القدير للشوكلي 227/5 ، وتفسير البيضاوي 292/1 .
33. ينظر تخريجه في المستدرک علی الصحیحین للحاکم انيسابوري 552/3 ، وهو صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وسنن البيهقي الكبرى 87/1 ، وسنن دار قطنی 121/1 .
34. سورة النحل : 90
35. ينظر : الموافقات للشاطبي 296/3 ، وتحقيق المراد لابن كيتندي العلاتي 89/1 ، وتفسير ابن كثير 769/2 ، وتفسير القرطبي 147/10 ، وتفسير الألويسي 163/20 . وقال ابن عثور في التحرير والتنوير 2385/1 ' وفتتاح الجملة بحرف التوكيد للإهتمام بشأن ما حوته ، وتصديرها باسم الجلالة للتشريف ، وذكر (بأمر) و (ينهى) دون أن يقال : اعدلوا واجتنبوا الفحشاء للشويق ، ونظيره ما في الحديث (إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا) ينظر تخريجه في نصب الراية لأبي محمد الحنلي 283/3 .
36. سورة النكاح : 1
37. ينظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية 375/27 ، والكشاف للزمخشري 1380/1 ، والدر المنثور للسيوطي 611/8 .
38. سورة المائدة : 91
39. ينظر : الاتصاف للبطليوسي 16/1 ، والاحكام لابن حزم 554/8 ، وفتح القدير للشوكلي 108/2 ، والتحرير والتنوير لابن عثور 1454/1 .
40. سورة التوبة : 34

41. ينظر : فتح القدير للشوكاني 450/3 ، وتفسير الطبري 215/3 ، وتفسير البيضاوي 241/1 ، وتفسير النسفي 147/1 .
42. ينظر المصادر السابقة، والكشاف للزمخشري 51/1 ، وتفسير أبي السعود 134/9 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور 735/1 و 4779 .
43. سورة الأعراف : 81
44. ينظر : الموافقات للشاطبي 155/3 ، وفتح القدير للشوكاني 4/518 ، والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري 5/63 ، وتفسير الطبري 540/5 ، وتفسير القرطبي 19/15 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور 1579/1 .
45. سورة النور : 3
46. ينظر : محصول الرازي 483/4 ، والروضة الندية للإمام محمد بن بن علي بن محمد بن عبد الله 17/2 ، ونيل الأوطار للشوكاني 201/6 ، وتفسير النسفي 134/3 ، ومناهل العرفان لعبد العظيم الزرقاني 153/2 . ولهذا كان الصحيح من قولي الطماء أن الزانية لا يجوز تزويجها إلا بعد التوبة ، وكذلك إذا كانت المرأة تزني لم يكن له أن يمسكها على تلك الحال بل يفارقها وإلا كان ديوثا . مجموع الفتاوى لابن تيمية 141/32 .
47. سورة النساء : 10
48. ينظر : الأحكام للأمدى 153/3 ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية 351/3 ، ونيل الأوطار للشوكاني 306/5 ، والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري 209/5 ، والكشاف للزمخشري 238/1 . هذا وأن أكل مال اليتيم يبعثه الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه يعرفه كل من رآه يأكل مال اليتيم . ينظر : شذر المنثور للسيوطي 443/2 .
49. سورة البقرة : 275
50. ينظر : الفصول في الأصول للجصاص 189/2 ، وأحكام القرآن للجصاص 183/2 ، والمهذب للشيخ زبي 26/2 ، ومناهل العرفان لعبد العظيم الزرقاني 252/2 ، والمعنى لابن قدامة المقدسي 176/4 . وقد اتفق أهل العلم على أن الربا من الكبائر وأنه إذا وقع العقد فهو باطل ، ولا يجب إلا برد رأس المال ، وإن كان ذو عسرة فحكمه الإنظار إلى الميسرة . الروضة الندية لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله 103/2 .
51. سورة الماعون : 4-5
52. ينظر : المنصف للغزالي 262/1 ، وفتح القدير للشوكاني 712/5 ، وتفسير أبي السعود 204/9 . وقد وردت الأحاديث الكثيرة الدالة على عظمة عقاب المراني ، فإنه في الحقيقة عابد لغير الله ، وجاء في الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى (لقا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) أخرجه أحمد في مسنده 301/2 ، ومسلم في صحيحه 2289/4 رقم (2985) .
- واعلم أن الربا يكون بالبدن وذلك بإظهار التحول والاصفرار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد والحزن على أمر الدين وخوف الآخرة ، وليلد بالتحول على قلة الأكل ، وينشعث الشعر وبرد الثوب يوهم أن همه بالدين أهاه من ذلك.
- ينظر : سبل السلام للأمير الصنعاني 236/1 .
53. سورة البقرة : 2

54. ينظر أول السرخسي 103/2 ، والمواقف للشاطبي 61/1 ، وفتح القدير للشوكاني 54/1 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور 4042/1 ،
55. سورة البقرة : 197
56. (ينظر : الروضة الندية لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله 248/1 ، وأحكام القرآن للجصاص 385/1 ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي 431/2 ، والإتقان للسيوطي 42/2 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور 555/1 .
57. سورة البقرة : 256
58. ينظر : إنباء الإنصاف ليوسف بن قزعي 109/1 ، والبرهان في أصول الفقه للجويني 312/1 ، والكشاف للزمخشري 151/1 ، وتفسير البيضاوي 557/1 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور 1590/1 ،
59. سورة يونس : 64
60. ينظر : تفسير الطبري 577/6 ، وتفسير ابن كثير 555/2 ، والجواب الكافي لأبوب زرعي 139/1 ، ومدارج السالكين لأبوب زرعي 205/2 ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية 497/14 ، وتفسير الألويسي 303/3 ،
61. سورة البقرة : 181
62. ينظر : مناقب عرفان لعبد العظيم الزرقاني 231/2 ، وأحكام القرآن للجصاص 210/1 . وقد اشتملت الآية الكريمة على الأمر بالتوصية للوالدين والأقربين ، وهذا كان واجبا قبل نزول آية المواريث ثم نسخت . فإثم الإيذاء المغير أو المبدل على مبدليه ، لأنهم هم الذين حافظوا وخالفوا الشرع . وأن هذا التبديل بمنعه شرعا ، مضى به لآلة الأمور على يد من يحاول هذا التبديل ، لأن الإثم لا يقرر شرعا ، ولأن الذي يقدم على التبديل يكون كمن ينكر أن الله عالم ، فذلك أكد له الحدم سريده - سر - تحذر . ينظر : تفسير ابن كثير 286/1 ، وتفسير البيضاوي 460/1 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور 512/1 .
63. سورة آل عمران : 149
64. ينظر : الكشاف للزمخشري 212/1 ، وتفسير أبي السعود 97/2 ، وتفسير الألويسي 87/4 .
65. سورة آل عمران : 161
66. ينظر : الاعتصام للشاطبي 276/1 ، وفتح القدير للشوكاني 594/1 ، وتفسير القرطبي 329/1 . والغلول : السرقة من الغنيمة وهو حرام قال تعالى (من يظلم ظلمات) في التفسير : يجعل ذلك في قعر جهنم ويؤمر بإخراجه ، وكل ما انتهى إلى شفير حمة ، يرجع إلى قعرها . وقال - صلى الله عليه وسلم - (الغلول من جمر جهنم) ينظر نخبة - في : مسند الشهاب للقضاعي 66/1 ، ومصنف ابن أبي شيبة 106/7 .
67. ينظر : الميسوط للسرخسي 123/6 ، وتفسير الطبري 489/3 .
67. سورة النساء : 14
68. ينظر المواقف للشاطبي 155/3 ، وتفسير الطبري 79/5 ، وتفسير المنصفي 210/1 ، وزاد المسير لابن الجوزي 33/2 .

- وقد أخذ الفقهاء من هذه الآية حكم مسألة قصد المعطي من عظيمته الإضرار بوارثه في الوصية وغيرها، والمسألة مفروضة في الوصية خاصة . ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور 908/1 .
69. سورة النساء : 78
70. ينظر : تبرهان في علوم القرآن للزركشي 7/2، وأحكام القرآن للجصاص 165/2، وتفسير الطبري 74/4، وتفسير ابن كثير 556/3، وتفسير النسفي 234/1 . وفائدة هذا أن لا ينسوا الاستعداد للحياة الباقية بفعل الصالحات، وأن يتفكروا في عظيم قدرة الله تعالى، ويقبلوا على توحيدِهِ وطلب مرضاته . ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور 4251/1 .
71. سورة النساء : 93
72. ينظر : الإعتصام للشاطبي 466/1، ونواسخ القرآن لابن الجوزي 135/1، وفتح القدير للشوكاني 752/1، وزياد المسير لابن الجوزي 106/6، والتحرير والتنوير لابن عاشور 1006/1 .
73. قال به جمهور الأصوليين من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة . ينظر تفصيل ذلك في : أصول السرخسي 96-97، وتيسير التحرير لأمر شاه 372/1، وشرح تنقيح الفصول للفرافي 135-136، ومفتاح الوصول للتمسكي 45، والإحكام للآمدي 251/2، ونهاية السؤل للبيضاوي 222/1، والمسودة لآل تيمية 49 .
74. وإليه ذهب إمام الحرمين والغزالي وابن الحاجب، وللعلماء أقوال أخرى ينظر تفصيلها في المصادر السابقة والمنحول للغزالي 140، والتمهيد للإسنوي: 90 .
75. سورة البقرة : 185
76. ينظر : أصول الشاشي 325/1، وأصول السرخسي 318/2، والموافقات للشاطبي 211/1، والمستصفي للغزالي 96/1 - والأبهاج للسبكي 241/2، وروضة الناظر لابن قدامة المقدسي 122/2، وإرشاد الفحول للشوكاني 260/1 .
77. سورة البقرة : 278
78. ينظر : بدائع الصنائع للكاساني 613/2، والأم للشافعي 592/7، والمغني لابن قدامة المقدسي 176/4، والشرح الكبير للدردير أبو البركات 198/4 .
- وإن الكلام إذا خرج مخرج القالب فلا مفهوم له، فالعرب عندما كانوا يضعفون الريا نزل الأمر تنبيهها على غالب ما يفعلون فكان هذا هو غالب فعل الناس، فنزل هذا القيد على الغالب من فعلهم فهذا لا مفهوم له. ينظر المصادر السابقة نفسها
79. الإسراء: 23.
80. ينظر: أحكام القرآن للجصاص 155/3، ومعنى المحتاج للخطيب الشرييني 396/2، والتحرير والتنوير لابن عاشور

المصادر والمراجع

1. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، لليضاوي علي بن عبدالكافي السبكي دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1404هـ - تحقيق : جماعة من العلماء.
2. الإفتان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي .
3. أحكام القرآن للجصاص أحمد بن علي قرظي الجصاص أبو بكر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1405هـ - تحقيق : محمد الصادق كحايي .
4. الأحكام في أصول الأحكام ، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد دار الحديث القاهرة - ط1 - 1404هـ .
5. الأحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد الأمدي أبو الحسن ، دار الكتاب العربي - بيروت - ط1 - 1404هـ - تحقيق : د. سيد الجميلي .
6. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول ، محمد بن علي بن محمد أشوكاتي (ت1255هـ) .
7. أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر .
8. أصول الشافعي، أحمد بن محمد إسحاق الشافعي أبو علي، دار الكتاب العربي، بيروت - 1402هـ .
9. أصول الفقه ، للعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف بابن التجار (ت927هـ) تحقيق : محمد الزحيلي و د. نزيه حماد - دار الفكر دمشق - 1400هـ - 1980م .
10. الاعتصام ، للإمام أبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشافعي، ضبطه وصححه الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت ط1 - 1408هـ - 1988م
11. الإعلام ، خير الدين الزركلي - ط3 - 1389هـ .
12. الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ) - ط2 - 1393هـ - دار المعرفة، بيروت .
13. الإصناف في قتيبه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، عبد الله بن محمد بن السيد البطيوسي ، دار الفكر - بيروت - ط2 - 1403هـ - تحقيق : د. محمد رضوان الداية.
14. إيثار الإصناف في آثار الخلاف ليوسف بن قزعلي بن عبد الله أبي المظفر شمس الدين (ت654هـ) ط1 - 1408هـ - دار السلام القاهرة تحقيق : ناصر العلي الناصر الخليفي.
15. البحر المحيظ في أصول الفقه ، لئبر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله زركشي الشافعي (745 - 794هـ) تحرير د. عمر سليمان الأنقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت 1409هـ - 1988م .
16. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاسبي الحنفي (ت587هـ) دار الكتاب العربي - بيروت - ط2 - 1394هـ - 1974م.
17. البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، الوفاء - المنصورة - مصر - ط4 - 1418هـ ، تحقيق : د. عبد العظيم محمد الديب .
18. البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله دار المعرفة بيروت - 1391هـ - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
19. التحرير والتنوير، تأليف سماحة الشيخ الأستاذ الإمام محمد الطاهر بن عاشور.

20. تحقيق المراد ، خليل بن كبكدي العلامي (694- 761هـ) دار الكتب الشافعية - الكويت تحقيق : د . إبراهيم محمد السلفيتي.
21. تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير دمشقي أبو الفداء.
22. تفسير أبي السعود، إرشاد لعقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
23. تفسير البيضاوي توار التنزيل وأسرار التأويل ، للإمام القاضي ناصرالدين أبي سعيد .
24. تفسير الثعالبي، الجواهرالحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - (بلا. ت) .
25. تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (بلا.ت) .
26. تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي.
27. تفسير الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن
28. تفسير النسفي للإمام عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي (ت710هـ) .
29. التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، عبد الرحيم بن الحسن الإسفندي أبو محمد، مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط1 - 1400هـ - تحقيق : محمد حسن هيتو.
30. تيسير لتحرير شرح العلامة أمين المعروف بأمر شاه ، على كتاب التحرير في أصول الفقه لجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية لابن الهمام (ت861هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
31. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهرى (370هـ) دار إحياء التراث العربي، ط1، تحقيق: محمد عوض مرعب .
32. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (لداء والدواء) محمد بن أبو بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية - بيروت .
33. الدر المنثور، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر بيروت .
34. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل .
35. روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي أبو محمد ، جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - ط2 - 1399هـ - تحقيق : عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.
36. الروضة التندية شرح الدرر البهية ، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله.
37. زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتبة الإسلامية ببيروت - ط3 - 1404هـ .
38. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، للشيخ الإمام محمد بن إسماعيل
39. سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي مكتبة دار الباز، مكة المكرمة - 1414هـ - 1994م - تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

40. سنن دار قطني، علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي، دار المعرفة، بيروت-1386هـ-1966م - تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.
41. الشرح الكبير للدردير أبو البركات، دار الفكر- بيروت - تحقيق: محمد عيش.
42. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، لابن النجار (ت972هـ)، تحقيق: د. محمد الزحيلي و: د. نزيه حماد، جامعة أم القرى - 1408هـ - 1987م .
43. شرح تفتيح الفصول في اختصار المحصول في أصول الفقه، الإمام الكبير شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إبريس القراني (ت684هـ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية ج.م.ع - دار الفكر لقاهرة - بيروت - ط1 - 1393هـ - 1973م .
44. صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ط3 - 1407هـ - 1987م - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا .
45. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
46. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكلي.
47. الفتح المبين، محمد أمين دمج وشركاه، بيروت - ط2 - 1394هـ .
48. الفصول في الأصول، أحمد بن علي الرازي الجصاص، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت - ط1 - 1405هـ، تحقيق: عجيل جاسم النشمي.
49. فقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري.
50. لكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقبول في وجوه التأويل، الزمخشري جار الله محمد بن عمر (ت538هـ) رتبته وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد - ط3 - 1407هـ - 1987م - دار الكتاب العربي - بيروت .
51. المبسوط، لشمس الدين أبي بكر السرخسي (ت483هـ) ط2 - بيروت .
52. مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحلیم بن نيمية الحراني أبو العباس .
53. لمحصل في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - ط1 - 1400هـ - تحقيق: طه جابر العلواني .
54. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيسوب الزرععي أبو عبد الله، دار الكتاب - بيروت - ط2 - 1393هـ - 1973م - تحقيق: محمد حامد لفتي
55. المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار الكتب العلمية، بيروت - ط1 - 1412هـ - تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي .
56. المسودة في أصول الفقه، عبد السلام + عبد الحلیم + أحمد بن عبد الحلیم آل نيمية المدني، لقاهرة - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد .
57. مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله الفضايعي (ت454هـ) مؤسسة الرسالاة، بيروت، ط2 - 1407هـ - 1986م، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي .

58. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبَةَ الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض - ط1 - 1409هـ - تحقيق كمال يوسف العوث.
59. مغني المحتاج إلى معرفة المنهاج شرح الشيخ محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين، للإمام أبي زكريا بن شرف النووي، دار الفكر.
60. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن احمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر - بيروت - ط1 - 1405هـ .
61. مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد المالكي الشريف التلمساني، حقه وقدم له وعلق عليه: احمد عز الدين عبدالله خلف - 1416هـ - 1996م .
62. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر - بيروت - ط1 - 1996م تحقيق مكتب البحوث والدراسات .
63. المنحول في تطبيقات الأصول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار الفكر دمشق - ط2 - 1400هـ - تحقيق: د. محمد حسن هيتو.
64. المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي (ت476هـ) دار المعرفة، بيروت - ط2 - 1379هـ - 1959م .
65. الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الفرنطلي المالكي، دار الفكر.
66. انبذة الكافية في أحكام أصول الدين، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - ط1 - 1405هـ، تحقيق: محمد بن أحمد عبد العزيز.
67. نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي، دار الحديث، مصر - 1357هـ - تحقيق: محمد يوسف البنوري .
68. نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، للفاضل ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي (ت685هـ) تأليف الشيخ الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسني الشافعي (ت772هـ) عالم الكتب .
69. نواسخ القرآن، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1405هـ .
70. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إدارة الطباعة المنيرية .



Morphophonemic Problems Confronting Arab University Students in English Pronunciation

*DR ABBAS N. NAAMA

ABSTRACT

تهدف هذه الدراسة في إعطاء تقرير يوجز فيه تحليل الأخطاء التي قام بها الطلبة اليمنيون الجامعيون في نظام المقاطع الصوتية- الصرفية من الصيغ لهذا النظام. وهذا يشكل مشكلة كبيرة للطلبة اليمنيين الجامعيين الذين يدرسون الإنجليزية كلغة أجنبية، وهذا يأتي من الأخطاء التي سببتها اللغة الأم والطريقة غير السليمة للتدريس وتقوم الدراسة باختبار مستوى الدراسة (الثاني) كعينة عشوائية من قسم اللغة الإنجليزية لهذا المستوى، وتقوم الدراسة باتباع تقنية تحليل الأخطاء والتوصل إلى النتائج وتحليلها وإعطاء المقترحات والنتائج.

This study aims at giving an account of an analysis of errors made by Yemeni/Hodeidah. University students in the area of English Morphophonemic system. This causes a major problem for University students Interlingual and Intralingual strategies. The technique used is an error

analysis for a random sample of the Second level at English Dept. Faculty of Education, Hodeidah University focusing on data collection and data analysis and arriving at recommendations and conclusion of the study.

(1)

1- Introduction

Pronunciation, which procures increasing significance at present, has, from time immemorial, attracted the attention of scholars and phoneticians. Pronunciation plays a great role in the history of Language teaching all over the world. Kelly (1969) dubs, for example, pronunciation the "Cinderella" area of foreign Language teaching. He shows that Western philologists and linguists have studied grammar and vocabulary much longer than pronunciation. For this reason, grammar and vocabulary have been much better understood by most language teachers than pronunciation, which began to be studied systematically shortly before the beginning of the twentieth century.

Unfortunately, the Arab world, especially Yemen, neglects teaching pronunciation at both schools and the initial stages of learning at Universities. This study tries to deal with the problems confronting Arab university students in the pronunciation; especially the morphonemic aspects because morphonemics is a branch of linguistics, which studies the phonological structures of morphemes and the combinatory phonetic modifications of morphemes, which happen when they are combined (See Celce-Murcia et al 2003:247-268)

(2)

2- The Problem, The Purpose, The Objectives, and The Limit of The Study:

The topic of this study is vitally important to be investigated. English morphophonemics is the most difficult aspect in pronunciation, which Hodeidah University students encounter. They make many morphophonemic errors in English. Frequently they make errors in this difficult type of communication. Thus, there have been various examples illustrating these errors, which are common among these Yemeni University students. For example:

(caps/kæps/, as/kæpz/, deers/di:rz/ becomes /di:rs/, played /pleid/ becomes /pleiid/ and so forth (See Celce-Murcia et al, 2003: 247-268).

This study is designed to identify errors that Yemeni University students at the second level make in the English morphophonemics, and then try to explain such errors (See Coder, 1974). This study also aims at giving some conclusion and pedagogical suggestions that may help university tutors understand and correct their students' errors in the morphophonemic area in a more systematic way.

Limits of the study are as followed:

1- This study will mainly deal with the English morphophonemic system as a phonological unit

(3)

moreover, this avoids any detailed analysis of the topic under investigation.

2- The language usually referred to for the explanation of students' transfer of errors is Modern Standard Arabic since it is officially used today in Arabic newspapers, radio, TV, etc and thus may cause interference.

3- The study is confined to students at Department of English, Faculty of Education, Hodiedah University, which is the location of the study . The subjects of the study are twenty students randomly chosen from the second level.

3-Data Collection

This section covers the following subheads:

3.1 Description of the test

This paper seeks to investigate morphophonemic errors made by Arab students at the University level in pronouncing these morphophonemic aspects of English lexical items. A pronunciation test was given to second year students, Departments of English, Faculty of Education, Hodiedah University.

3.2 The Subjects

Twenty--second year students were randomly chosen because of their exposure to English Language in terms of continuous speaking. They have also exposed to the morphophonemic aspects as a University subject. They studied such aspects in their own study, so they are aware of this kind of

(4)

pronunciation test, their age range from 19 and 20 years old.

The subjects were asked to attempt the following questions: pronounce the following plural nouns, past tense, and present tense. The content of this test is like that, it is a little bit familiar to them; they have to choose the right sound in pronouncing the presenting word whether it is a noun or a verb. Then they have to tick by using this signal (x) in the space for the right one.

4-Data Analysis*Table (1)**4.1 Frequencies & Categorization of Errors*

Frequencies and Categorization of errors can be seen in the following table (Table (1))

Category	Frequency	percentage	Example
/z/→/s/	16	80%	<i>Births /bɜ:θz/</i>
/s/→/z/	18	90%	<i>Songs /sɔ:ŋs/</i>
/z/→/ɪz/	17	85%	<i>Buses /bʌsz/</i>
/s/→/θ/	13	65%	<i>Deers /di:rs/</i>
/d/→/t/	17	85%	<i>Talked /tɜ:kd/</i>
/t/→/d/	14	70%	<i>Played /pleɪd/</i>
/d/→/ɪd/	10	50%	<i>Part /pa:t/</i>
/ɪd/→/θ/	15	75%	<i>Hit /hɪt/</i>
/z/→/s/	12	60%	<i>Stops /stɔps/</i>
/s/→/z/	13	65%	<i>Cries /kraɪs/</i>
/z/→/ɪz/	13	65%	<i>Searches /sɜ:tʃz/</i>

(See also table 2, page (13))

(5)

This table reveals that there are (11) categories of morphophonemic errors identified in the pronunciation test made by the second University students at Department of English, Faculty of Education, Hodiedah University. These categories fall within the interlingual and intralingual errors under investigation of the study.

4.2 Categorization and Analysis of Errors

The present study is not going to deal with problematic area facing students in English pronunciation, as this would necessarily require work that is more extensive. It has, therefore, been found

convenient to restrict this study to one of the main slopes where students' pitfalls were observed to revolve around in abundance, namely

morphophonemics. (See Chomsky and Halle (1968). Kelly (1969), Nida (1972), Strauss (1980) Dickerson (1981), Matthew (1982), Thakur (1997), Celce-Murcia et al 2003).

4.3 Morphophonemics Operationally Defined

The term "morphophonology" has been looked at in different ways. It would be out of the scope of this study to circumscribe the term fully. For the main purpose of the study, then, morphophonemics is variation in the form of morphemes because of phonetic factor, or the study of this variation. (See Richards et al 1992:237).

(6)

4.4 Morphophonemic Errors

Students' morphophonemic errors in their pronunciation test would be handled with reference to the following categories:

4.4.1 Category I: /Z/ for /s/

A close examination of the previous table(1), it is observed that 80% of the students make errors in pronouncing the sound /s/ and substitute it by the sound /z/ due to their inadequate knowledge of the main rules of using such sounds. That there is a special case in pronouncing the sounds /s/ and /z/. A close look at this problem, it is found that the main reason is the intralingual factor that the students do not have plenty of time in learning such an aspect at university level. Even schoolteachers have not given them any information about such an area; in other words, they neglect this kind of pronunciation skill and focus on reading and writing skills.

4.4.2 Category II: /s/ for /z/

It is obvious that this category is the dominant one. 90% of the students have replaced in pronouncing the sound /z/ by the sound /s/. This is because of the interlingual errors, which occurred for the inadequate knowledge on the part of the students of morphophonemic rules.

4.4.3 Category III: /Z/ for /IZ/

The table (1) shows that 85% of the students make errors in pronouncing the sound /iz/ and replaced it by

(7)

the sound /z/. The percentage reveals that the students are low proficient. However, the main cause is attributed to the mother tongue transfer, these errors can be called intralingual errors, which result from faculty or partial learning of the target language.

4.4.4 Category IV: /z/ or /s/ for Ø zero form:

From the table (1) it is observed that 65% of the students commit errors in pronouncing words (plural nouns) which actually have a zero article or form in English and substitute it by adding the sounds /z/ or /s/. The main reason for such a problem is overgeneralization. Most of the students keep in their minds if one wants to change a singular noun into a plural one; he/she must add the letter /s/. Therefore, they carry out this rule all over the nouns in English except that those words are familiar to them; hence, they do not add the letter /s/. For example, the noun man /mæn/, when you ask any study to give you the plural form they will already say man /men/.

Nevertheless, a word like deer /diə/, which is not familiar to them, they already add the suffix marker /s/. Such errors are made because of the lack of sources and the students are not exposed to English good enough. Another reason for such a problem is that there are no special rules helping the students distinguish between the words, which need to add the morphological plural marker /s/ to it and those words, which do not need. For that case, they feel confused.

(8)

4.4.5 Category V /d/ for /t/

From the previous table (1) it is noticed that 85% of the students make errors in pronouncing the past tense. The rule of such a case is when a past verb form ends by voiceless sound we add /-ed/ and it is pronounced as /t/. However, the students instead of

pronouncing such a verb by /t/ sound, they tend to use /d/ sound. Unfortunately, such an error is due to two reasons; The first reason is overgeneralization, most of the students know that changing the infinitive form of verb into past, they should add the letters /-ed/. Because of that they tend to pronounce it as /-d/. The second reason is the inefficient method of teaching. Teachers do not usually refer to the way of articulation of the sound in their teaching if the grammar rules of such a tense. Such a kind of errors, therefore, can be categorized within the intralingual errors, which usually result from faulty learning of a target language.

4.4.6 Category VI: /t/ for /d/

In this category it is observed that 70% of the students make errors in pronouncing the sound /-d/, and replace it by the sound /-t/, the main reason is the students pronounce the past tense randomly without taking in their consideration the special rules for pronouncing such verbs. Hence, this is also attributed to their inadequate knowledge of rules of forming the past tense.

(9)

4.4.7 Category VII: /a/ for /Id/

This category exposes that only 50% of the students make errors in this case. They tend to pronounce the sound /-d/ instead of the sound /-Id/. This kind of errors can be resorted to the inefficient method of teaching as well as the students' carelessness. This is a type of errors can be within the kind of intralingual errors.

4.4.8 Category VIII: /d/ for /θ/ zero form

It is noticed here that 75% of the students make errors in pronouncing the zero form, they pronounce it as /-Id/. The major cause for such an error is the mother tongue interference whereby the Arabic words or past tense can be pronounced by their right sounds. For example, the past tense /kataba/ is pronounced phonemically with their letters. For this reason, learners transfer their language into the target language. For example, when they pronounce the word played they pronounce it like /pleId/. The second reason is overgeneralization. The students tend to put the sounds /-Id/ to make past. For example, they will add /-ed/ for the verb/hit/→/hitId/. Such verbs are irregular verbs whereby /-ed/ cannot be added. Such errors called "**Interlingual errors**" which result from language transfer i.e. mother tongue influence.

(10)

4.4.9 Category X: /z/ for /s/

The table (1) clarifies that 60% of the subjects make errors in pronouncing the sound /s/ and replace it by the sound /z/. For example, they pronounce the present tense stops like /stopz/, which is faulty. They should pronounce it like /stops/; this is because of their lack of knowledge of the rules of such a case.

4.4.10 Category XI: /s/ for /z/

It is obvious that 65% of the students make errors in pronouncing the present tense sound /z/ and pronounce it as /s/. It is noticed that the third person present tense has the same rules of pronouncing the sounds /s/, /z/ and /Iz/ in the plural nouns. The main reason for such an error is due to the students' lack of knowledge in the rules of past tense in the target language.

4.4.11 Category XII: /z/ or /s/ for /Iz/

It is observed that the rate of this category is the same of the tenth category, which is 65% of the students, make errors in pronouncing the sound /Iz/ and replace it by the sounds /z/ and /s/. For example, the word searches they pronounce it as /s3:tʃz/ and the work wash they pronounce it as /wəʃz/. It is thought the major reason for such an error is the ineffective teaching method and lack of technological labs here at Hodeidah University due to the industry case of the country.

(11)

5-Discussion of Results

The tables (1, 2) reveal that the category number 1 is predominate in the data. The English plural morpheme /s/ is pronounced similarly regardless of its written form in the case when the word ends by a voiceless sound the plural sound /s/ will be pronounced as it is written /s/. For example, caps /kæps/. However, if the plural noun ends by a voiced sound then the /s/ and /z/ are separate phonemes in English. This can also be seen in pronouncing /s/ in the third person present tense.

90 % of the students, as it is noticed, replace in pronouncing the sound /z/ by the sound /s/. That is because of overgeneralization. Most of the students learning English know that if one wants to change a singular noun into a plural one, he/she has to add the letter /s/. For example, the noun [huts] /hʌts/. Therefore, they have overgeneralized this rule over all the words. This can also be observed similarity in the plural noun of deer as deers. Such errors can be with in the intralingual errors.

Moreover, when the students were asked to show the reasons, they replied that schoolteachers did not pay their attention to the sounds of English in general.

Joining the college, they found the same negligence on the part of the University tutors in their concentration on such a pronouncing practice

(12)

In addition, most of the students, unfortunately, do not make efforts in achieving a self-educated study.

Most of the students here at Hodeidah, it is believed, that they cannot teach themselves without tutors' efforts. This is related to both insufficient teaching/learning processes.

The Crescent Package in Yemen do not present such sounds and make focus on them on plenty of pronunciation drills. This needs amendments from the Ministry of Education adapting in the English curriculum at Yemeni schools.

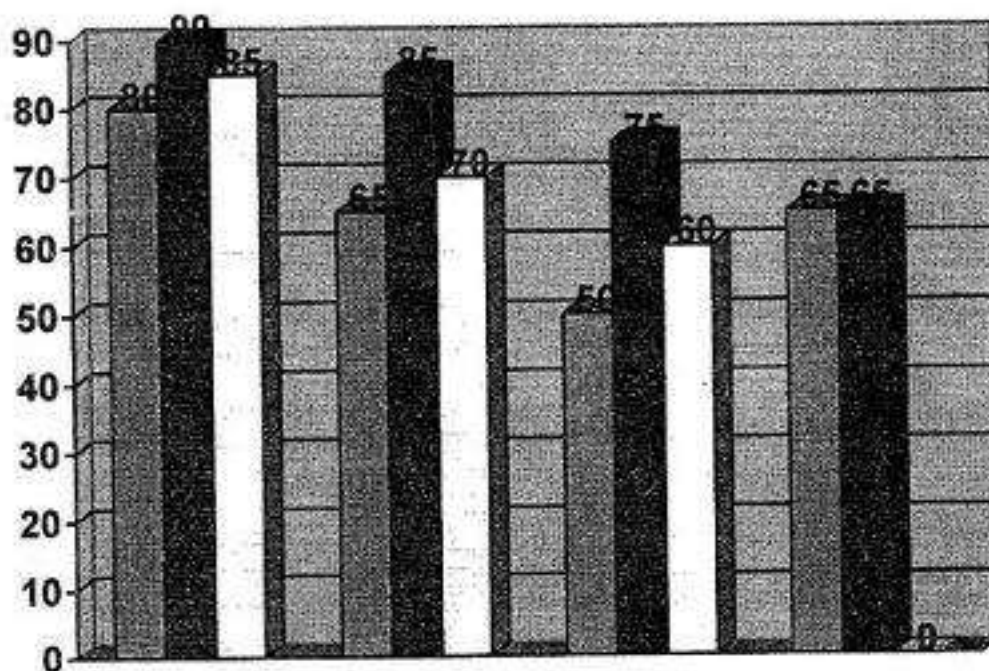
Only 10% is found that they can recognize the morphophemic rules. This is because they enrolled courses in a private institute and followed a self-educated study.

Finally, it is noticed that interlingual and intralingual errors go hand by hand in the findings of this study. Such morphemic errors, both interlingual and intralingual, should be paid special attention, especially in the study of contrastive analysis, and errors analysis as an effective University course.

(13)

Table (2)

A histogram of A Taxonomy of Errors



1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11
h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2	h2→h2

(14)

Recommendations

Morphophonemic rules are not that much easy, especially for foreign learners. Thus, they are a lot of activities should be carried out to solve this major problem facing University students.

The syllabus designers should take into account the practice on discriminating the vowel and consonant sounds as much as they do in presenting the alphabets. Though this point is hardly to apply, but it is vitally important at Hodeidah University situation here in Yemen in general which requires a language lab.

University tutors as well as schoolteachers should pay their attention to this major problem by giving students a lot of

pronunciation drills and exercises, especially the morphophemic rules.

Students should do their best to practice a lot and try to follow a self-educated way of learning. Focus should also be put on one of the functions of the-s morphological ending (plurals, possessive, third-person, singular) and writing a short dialogue to provide students with practice in pronouncing this ending.

Development of activity is important for teaching the-s ending for the third person singular present tense to an EFL class that includes a pronunciation focus. Reading an article about a foreign language

(15)

acquisition study has importance, which focuses on acquisition of morphemes in *EFL*.

Conclusion

Although foreign language learners often receive extensive grammar instruction (including past tense, plurals, possessive, pasts of speech) at an early stage, the pronunciation aspects of such grammar lessons are not always well addressed. This lack of integration between grammar and pronunciation can affect other areas of language proficiency, such as listening, speaking, and writing. For example, if students are unaware of the phonological realizations for the regular past tense ending, they are likely to confuse present and past utterances. In addition, these markers may be missing from their speech and writing. Thus, this is clearly an area where University tutors and textbook writers, especially at the beginning level, need to give greater attention to pronunciation.

Bibliography

- Azar, B, S, (1983). Chart book: A Reference Grammar
(2nded) Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall
Regents.
- Byrd, P. and Benson, B. (1994). Problem. Solution. A
Reference for ESL Writers Boston: Heinle
and Heinle.

- Chomsky, N. & Halle, Morris (1968). The Sound Pattern of English. New York: Harper & Rows.
- Celce-Muria, M., D. M. Brinfor, and J.M. Goodwin (2003). Teaching Pronunciation: A Reference for Teaching of English to Speakers of Other Languages. Cambridge: Cambridge University Press.
- Dickerson, W. B (1981). A Pedagogical Interpretation of Generative Phonology II: The Stress Rules of English. TESL Studies, 4, 57-93. Main Word
- Green Baum, S. and Duirk, R (1990) A Student's Grammar of The English Language. Essex: Group UK Limited.
- Hodges, J.C. and Whitten, M. E. (Eds.). (1986). Harbrace College Handbook (10th ed), San Diego: Har Court Brace Jovanovich).
- Muclin, A. (1987). Reference Guide to English: A Handbook of English as a Second Language. (2nded). New York: Holt, Richard and Winston.
- Matthew, P.H. (1982). Morphology Cambridge: Cambridge University Press.
- Nida, E.V. (1972). Morphology Ann Arbor: Michigan University Press.
- Richards, J.C., and J.Platt, Heidi Plat (1992) Language Teaching and Applied Linguistics. London: Longman Group UK Ltd.
- Strauss, S.L. (1980). "How abstracts are English Morphology?" Gloss XIV, 89-112".
- Thakur, Damoder. (1997). Linguistics Simplified Morphology. Datna: BB Printers

This is a Test for the student of faculty of Education Department of English in Morphophonemic:

(Please put the tick (x) throughout your best choices)

1- Pronounce the following plural nouns:

The Noun	/s/	/z/	/ɪz/	Ø
Can				
hat				
park				
roof				
Birth				
Sneak				
Shin				
act				
Shark				
ant				
city				
caw				
Bed				
Bottle				
dog				
Home				
Pen				
Song				
town				
Nerve				
Horse				
Brush				
Prize				
Mirage				
torch				
Language				
excuse				
Bus				
disease				
lung				
foot				
goose				
Man				
Mouse				
Tooth				
Woman				
deer				
series				
Salmon				
aircraft				

2- Pronounce the following past-tense verbs:

The past verb	/ʊ/	/d/	/ɪd/	∅
Hope				
stop				
talk				
walk				
miss				
hiss				
March				
Search				
rush				
push				
play				
cry				
bomb				
sin				
hug				
Budge				
Specify				
button				
Consider				
Marry				
part				
Want				
hunt				
shunt				
Decide				
Guard				
nod				
list				
Prevent				
burst				
cut				
put				
choose				
go				
Cost				
hit				
Begin				
do				
wear				

3- Pronounce the following present tense:

<i>The present</i>	<i>/s/</i>	<i>/z/</i>	<i>/tʒ/</i>	<i>Ø</i>
<i>Hope</i>				
<i>stop</i>				
<i>talk</i>				
<i>walk</i>				
<i>cough</i>				
<i>chews</i>				
<i>pay</i>				
<i>Search</i>				
<i>Beg</i>				
<i>Climb</i>				
<i>Play</i>				
<i>cry</i>				
<i>mix</i>				
<i>lose</i>				
<i>wash</i>				
<i>Budge</i>				
<i>Touch</i>				
<i>want</i>				
<i>Speak</i>				
<i>fly</i>				

Arts Journal
Half Yearly Refereed Journal of Humanities
 Issue No. 5 JANUARY, 2009

Contents

Topic	P-S	Name
Patron's Word	7	Prof. Ahmed Mohammed Al-Hadhrami Rector of Thamar University
Editorial	9	Dr. Mohammed Hezam Al-Amari
Scientist immigration From and to Baghdad	11	Prof. Dr. Adel AL-ALassi
Developig of Sea traffic trade in the South west of Affrica	25	Dr. Mahube Khalib
Socidy developing and modern challing	57	Prof. Dr. Sadq AL-Hello
Famous Judges in the two post ceuties in Dhomar	65	Dr. Yahia Hussein AL-Nono
The National trend for Numman bin AL-Monther	99	Dr. Amer Issa AL-Marssmi
Arab Regards befor is lamic religirn	155	Dr. Mahdi A. Hassein
The royal budget at King Ghazi of Iraq 1933-1939	139	Dr. Ghazi D. AL-Marssomi
The ind pendent Systm in AL-Wahabion at Irag From Dr. Rasol book	167	Dr. Walid M. Khalis
The trade transportation of yemen – Geographical Study	189	Dr. Marish A. AL- Adeani
The research Problems	229	Dr. A R. AL-Hity
Applied Sugestious For Field work agreculture	267	Dr. Ossam T. AL-Salim
Crops growth ot Hadhramot	283	Dr. Salim A. Basareh
Uniuersal Problems of nutrition and solutions in Holy Quraan	317	Dr. Ghazi Y. Yosif
Belief is not removed by douby	357	Dr. Muhammed S. AL-Tamer
The unorrect refasing in Quraan	375	Dr. Ahmed H. AL-Saad
Morphophonemic Problems Confronting Arab University Stadents in English Pronunciation	395	Dr. Abbas N. Naama

- Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not necessarily reflect those of the journal.
- The order of articles in the journal is subject to technical considerations.

Arts

Half Yearly Refereed Journal of
Humanities
5th Issue JANUARY, 2009

Patron

Prof. Ahmed Mohammed Al-Hadhrani

Editor

Dr. Mohammed Hizam Al-Ammari

Managing Editor

Prof. Kareem Zagheer Al-Maleki

Members of Editor Committee

Prof. Sadiq Yaseen Al-Helew

Dr. Ahmed AL-Abaidi

Dr. Madeeha Rashad

Proof-reading

Dr. Abdul Kareem Al-Bahlah

Dr. Abdullah Al-Hetari

Editor Secretary

Masha'al Nasser Sharhan

Produced by

Mohammed Mohammed Subeei

Ashwaq Nasser AL-Hamati



Published by : Faculty of Arts

Consultant Committee

Prof. Ameen Abdullah Al-Hemyari

Prof. Ahmed Abdu Salih

Prof. Abdul Aziz Al-Magaleh

Prof. Ahmed Abdullah Al-Sawfi

Prof. Ahmed BaTai'a

Prof. Mahyoob Ghalib Ahmed

Prof. Maresh Ahmed Saeed

All Correspondences are addressed to :

Thamar University – Faculty of
Arts

Post Box : 87246 Thamar, Yemen

Tel. Fax : 06/509584

E-mail : arts96@yahoo.com

Arts Journal

All rights reserved
No part of the publication may be
reproduced without the prior written
permission of the publisher
No part of the publication may be
quoted without mentioning the source

Arts



Published by: Faculty Of Arts Biannuall Refereed Journal Of Humanities

NO - 5 - JANUARY, 2009